

نظام الحكم في إدارة الدولة وتصميم  
عملها أفضل ما يراه المؤمنون على يد الأئمة الاثني عشر

أعمال

المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول  
لمؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة



ISBN 978-9933-582-39-5



9 789933 582395

## رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية 1214 لسنة 2018م

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	BP38.02.M8 N5 2018
المؤلف المؤتمر:	المؤتمر العلمي الوطني المشترك (1: 2016: كربلاء، العراق).
العنوان:	اعمال المؤتمر العلمي الوطني المشترك الاول: نظام الحكم وادارة الدولة في ضوء عهد الامام امير المؤمنين عليه السلام لمالك الاشر رحمة الله /
بيان المسؤولية:	الذي اقامته مؤسسة علوم نهج البلاغة، مركز دراسات الكوفة.
بيانات الطبع:	الطبعة الاولى.
بيانات النشر:	كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2018/ 1439 للهجرة.
الوصف المادي:	10 جزء بيليوغرافي في 10 مجلد مادي ؛ 24 سم.
سلسلة النشر:	العتبة الحسينية المقدسة ؛ (386).
سلسلة النشر:	مؤسسة علوم نهج البلاغة، 141 سلسلة المؤتمرات العلمية ؛ (1).
تبصرة محتويات:	المجلد 1، 2: المحور القانوني والسياسي - المجلد 3، 4: المحور الاداري والاقتصادي - المجلد 5: المحور الاجتماعي والنفسي - المجلد 6، 7، 8: المحور الاخلاقي وحقوق الانسان - المجلد 9، 10: المحور اللغوي والادبي.
تبصرة بيليوغرافية:	يتضمن ارجاعات بيليوغرافية.
موضوع شخصي:	الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة. عهد مالك الاشر
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - نظريته في بناء الدولة - مؤتمرات.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - نظريته في الحكم - مؤتمرات.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - سياسته وحكومته - مؤتمرات.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - قضائه - مؤتمرات.
موضوع شخصي:	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة 40- للهجرة - نظريته في التعايش السلمي - مؤتمرات.
موضوع شخصي:	مالك بن الحارث الاشر النخعي، توفي في 39 للهجرة - نقد وتفسير.
مصطلح موضوعي:	نظام الحكم في الاسلام - مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	الاسلام والدولة - مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	النظام الاداري في الاسلام - مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	الاسلام والاقتصاد - مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	الاسلام والتعايش السلمي - مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	الاسلام والمجتمع - مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	الاسلام وحقوق الانسان - مؤتمرات.
مصطلح موضوعي:	اللغة العربية - بلاغة - مؤتمرات.
مؤلف اضافي:	شرح ل (عمل): الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة. عهد مالك الاشر.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة - جهة مصدرة.
اسم هيئة اضافي:	مركز دراسات الكوفة (النجف، العراق).
عنوان اضافي:	عهد مالك الاشر.

نظام الفكر في الآداب والتربية  
عهد الأفاضل أمير المؤمنين في الآداب والأشعار

أعمال

المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول

لمؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة

لسنة ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م

(المحور اللغوي والأدبي)

الجزء التاسع

إصدار

مؤسسة علوم نهج البلاغة

في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة  
للعتبة الحسينية المقدسة  
الطبعة الأولى  
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الاكبر(عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ \_ ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الالكتروني: [www.inahj.org](http://www.inahj.org)

الايمل: [Inahj.org@gmail.com](mailto:Inahj.org@gmail.com)

الكتاب: أعمال المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول، نظام الحكم وإدارة الدولة في ضوء عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمته الله).

الجهة الراعية للمؤتمر: الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ورئاسة جامعة الكوفة.

الجهة المقيمة للمؤتمر: مؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة.

المدة: أقيم في يومي ٢٤ - ٢٥ من شهر كانون الأول من العام ٢٠١٦م الموافق ٢٢ - ٢٤ من شهر ربيع الأول من العام ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية ١٢١٤ لسنة ٢٠١٨م.

الناشر: العتبة الحسينية المقدسة.

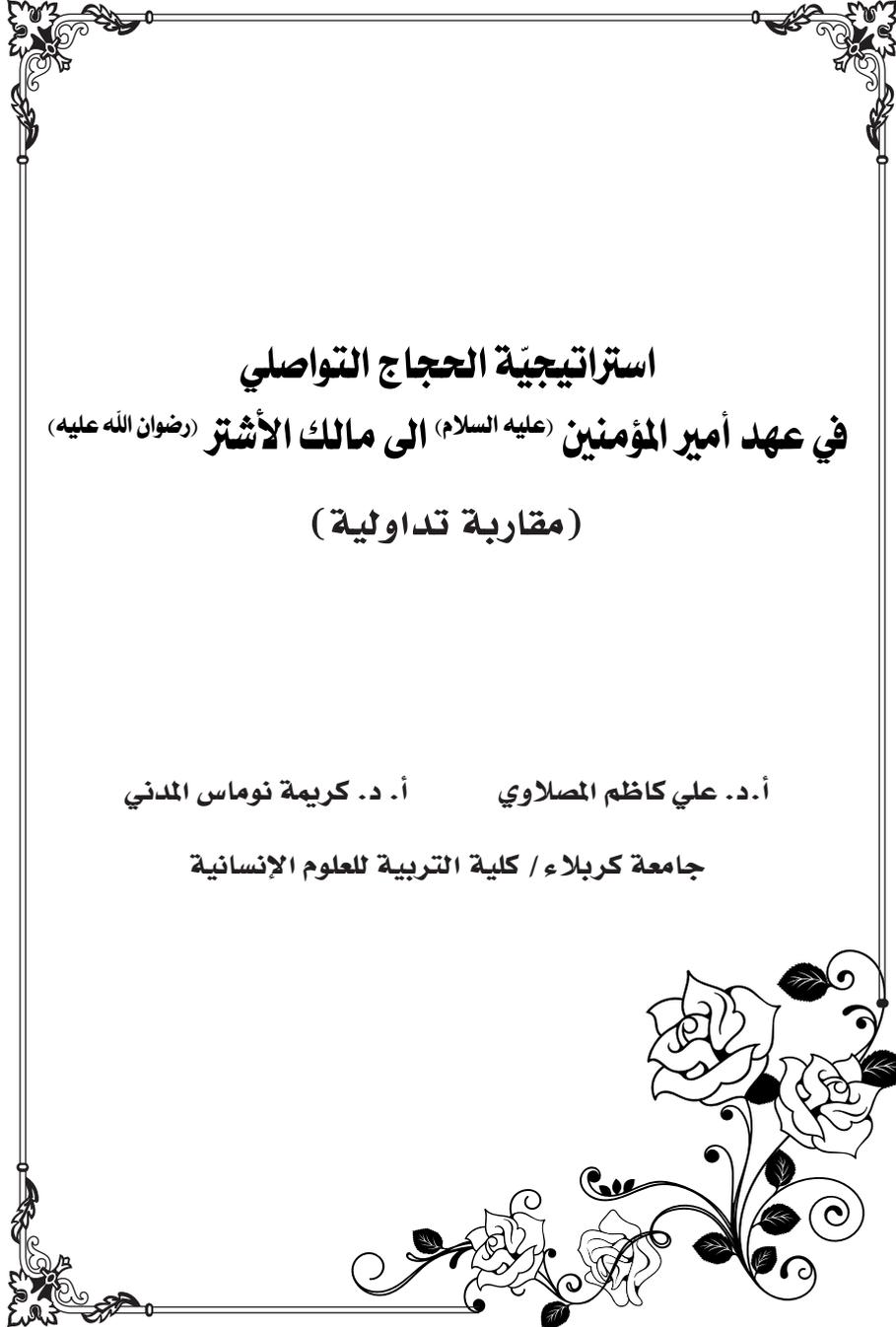
عدد المجلدات ١٠ مجلد

عدد البحوث المشاركة: ١٢٨ بحثاً

الإشراف والمتابعة الفنية: وحدة الاخراج الفني في مؤسسة علوم نهج البلاغة.

### تنويه:

إن الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة



## استراتيجية الحجاج التواصلي

في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشتر (رضوان الله عليه)  
(مقاربة تداولية)

أ.د. علي كاظم المصلاوي      أ.د. كريمة نوماس المدني

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية



## المدخل

### مفهوم الحجاج التواصلي

إن اللُّغة لا تُظهر خصائصها إلاّ من خلال (المنجز التلفظي) في سياق معين، فالتلفظ هو عبارة عن فاعلية اجتماعية تنشأ بين شخصين متممين عضويًا إلى مجتمع ما. هذا يقتضي ان يقع كل تلفظ في نمطٍ إطار معين أو أكثر يُطلق عليه (خطاب). ومن هنا عَرَفَ إميل بنفست (E-Benveniste) الخطاب إنّه: ((كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستعملًا، وعند الأوّل هدف التأثير على الثاني بطريقةٍ ما))<sup>(١)</sup>. ويحاول بنفست أن يجسّد العلاقة التأثيرية بين مُنتج الخطاب وملتقيه استنادًا إلى طريقةٍ ما، وهذه الطريقة هي ما نطلق عليها مُصطلح (الأستراتيجية)، ويُقصد بها: ((مجموع عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف، والجارية عند وعي إنتاج الخطاب))<sup>(٢)</sup>. وكل محاولة للوصول إلى أهداف معينة لا يتم إلاّ من خلال (فعل التلفظ) وهو فعل لغوي موجه لشخص آخر تتضمنه خطة وأبعاد تأويلية وهذه العملية التفاعلية-الإجتماعية لا تتم إلاّ من خلال وظيفة التواصل.

ولذا تُعدّ الوظيفة التواصلية من أهمّ وظائف اللُّغة كونها تسمح لمستعملها بالدخول في علاقات مع بعضهم البعض؛ فهي تكون غالباً متعلقة: ((بالبُعد الاجتماعي للمتخاطبين، وفيها يتمُّ تحديد زاوية المتكلم ووضع، وأحكامه، وتشفيره لدور علاقته في المقام، وحوافز قوله لشيء ما في علاقته مع المخاطب))<sup>(٣)</sup>.

ويرى علماء اللسانيات، ولعل من أبرزهم في هذا المجال هو العالم اللساني فيليب بروتون، إن الحجاج هو من أبرز أشكال التواصل مع الآخر من أجل التأثير، وهذا التأثير ينتج من خلال استعمال وسائل مختلفة، وذلك في قوله: ((الحجاج وسيلة

قوية يهدف الى تقسيم وجهة النظر مع الغير، والذي يمكن ان تكون نتائجه التأثير؛ مُستبعداً ممارسة العنف، مستعيناً بالإغواء أو البرهنة العلمية))<sup>(٤)</sup>.

فالحجاج التواصلي يمثل دراسة العلاقة بين مصطلحي أو فهومي (الحجاج) و(التواصل) عبر دراسة أثرهما في الاستعمال التداولي، أي اننا ندرس الحجاج بعده لغة تداولية- اقناعية، ولذا عرّف الحجاج بأنه: ((حامل نصّي من مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف اقناعي))<sup>(٥)</sup>. والتواصل هو الفاعلية الاجتماعية بين أطراف هذا التواصل، وقد عدّ دايفيد لويس التواصل إنتاجاً وتأويلاً للمعطيات، فهو إجراء يضع طرفين في معالجة المعلومة، ولهذا سُمّي منوالاً استدلالياً زيادة على صفة الإفادة التي تلازم الحدث التواصلي بعده مبدأً مركزياً لتحقيق نجاعة الملفوظ<sup>(٦)</sup>.

فعملية التواصل التي تشمل أطراف مستعملي اللغة التداولية كل من: المرسل والمرسل إليه، والرسالة، والسياق. وهنا تكمن أهمية المنهج التداولي في احتوائه أطراف العملية التواصلية، فدراسة العلاقة التخاطبية بين مستعملي هذه العلامات اللغوية يعني الجمع بين جانبين مهمين هما: التواصل والتفاعل، ولذا يُعدّ الحجاج عنصراً مهماً وشكلاً من أشكال التواصل والتخاطب.

فهو: ((ظاهرة اجتماعية وثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق ومحايث لنظام اللغة الداخلي، ومنفتح على العالم الخارجي، ومرتبطة بدواعي القول))<sup>(٧)</sup>.

وتقوم العملية التواصلية بحسب تصوّر جاكسون على ستة عوامل هي (المرسل، الرسالة، المرسل اليه، السُنن المرجع، والقناة)، وكل عنصر تقابله وظيفة معينة (التعبيرية، الانتباهية، الإفهامية، المرجعية، وظيفة ما وراء اللغة، والوظيفة الشعرية)<sup>(٨)</sup>.

وتجدر الإشارة الى أن السياقات القائمة على التواصل في الخطاب الحجاجي متنوعة ومتعددة، فهذا يستتبع بالضرورة تنوعاً في الاستيراتيجيات، فما يكون مناسباً

في سياق معين قد لا يكون كذلك في سياق آخر، وهكذا تأخذ الاستراتيجية بُعدين: (٩)

**الأول: البُعد التخطيطي:** وهو الذي يتحقق على مستوى الذهني.

**الثاني: البُعد المادي:** وهو الذي يتحقق على مستوى الفعل مجسداً الاستراتيجية.

ويرى د. طه عبد الرحمن أنه كلما كان الحجاج توأصلاً، فإننا نحصل على ثلاثة

نماذج تواصلية للحُجة وهي على النحو الآتي: (١٠)

### أ- النموذج الوصلي للحُجة :

تكون فيه الوظيفة التواصلية للحُجة وظيفية وصل، إذ يُعامل الحُجة معاملة البناء

الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصللاً تاماً.

### ب- النموذج الإيصالي للحُجة :

وتكون فيه الوظيفة التواصلية للحُجة وظيفية إيصال لأنه يجعل من الحُجة فعلاً

استدلالياً يتوجه به المتكلم الى المستمع.

### ج- النموذج الاتصالي للحُجة :

تكون فيه الوظيفة التواصلية للحُجة وظيفية اتصال، إذ يُنظر في الحُجة بوصفها

فعالاً مشتركاً، بين المتكلم والمستمع، جامعاً بين توجيهه الأول، وتقويم الثاني.

وهذا يدلُّ على سعة العملية التواصلية للحجاج وعمقها وشموليتها ليشمل كل

هذه الأطراف. فأنجع الحجاج ما وفَّق في جعل حدَّة الاذعان تقوى درجتها لدى

المتلقي او المستمع بشكل يحمله على المطلوب انجازه، أو الامتناع عنه، وتحقيق الإقناع

في منطقة وسطى بين الاستدلال والإقناع (١١).

وإذا كان الإقناع مجال البحث الحجاجي، فإن التواصل هو الفعل الانجازي

الأهم في الوظيفة الحجاجية حيث تتطلب وعياً بأليات من شأنها تحريك المعنيين بالكلام صوب الفعل وتغييره بما ينسجم مع المقام، وتتطلب مقاصد النصّ وطموحات الخطيب بوصفه مفكراً وحاملاً لرؤية معينة يسعى إلى إرسالها أو جعلها راجحة في مواجهة أخرى مناوئة<sup>(١٢)</sup>.

وتجسّد في خطاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى مالك الأشتر حين ولاه على مصر، استراتيجيات عدة أهمها، وأكثرها حضوراً، الاستراتيجية التضامنية، والاستراتيجية التوجيهية.

## المحور الاول:

### الاستراتيجية التضامنية:

وتُعرف بأنها: ((الاستراتيجية التي يُحاولُ المرسل فيها أن يجسّد درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وإن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها... والتقرب من المرسل إليه وتقريبه))<sup>(١٣)</sup>.

وفيها يكون طرف العملية التواصلية (المرسل - المرسل إليه) من الأقران لغة لتأسيس العلاقة الودية بين طرفي الخطاب، ولتفعيل التضامن في علاقات المجتمع وكسب المحبة والتودد بينهم وبين حاكمهم، وتحسين صورة الخلفية أو راعي الرعاية. وتتجسد الاستراتيجية التضامنية من خلال علامات لغوية معينة تشير الى رغبة المرسل في التضامن مع المرسل إليه، مما يجعله يستنتج ان المرسل قدّم تنازلات عن سلطته التي يتمتع بنفوذها<sup>(١٤)</sup>.

وتُعدُّ هذه العلامات اللغوية من الوسائل اللسانية التي يجعلها المرسل علامة لتوجيه الخطاب الى المرسل إليه من الناحية النفسية والاجتماعية، وهذه تشمل (الضمائر، الأسماء، الاعلام، الألقاب، الكُنَى)، التي تمثل كلاً من علامات التضامن بين طرفي الخطاب.

ولعل من أبرز الأمثلة التي تضمنت الاستراتيجية التضامنية في كتاب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشتر قوله (عليه السلام):

((ثم أعلم يا مالك، أنّي قد وجهتكَ الى بلادٍ قد جرت عليها دُولٌ قبلك بين عدلٍ وجورٍ، وإنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ماكنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم، وإنما يُستدلُّ على الصالحين بما يجري الله لهم على

ألسن عباده))<sup>(١٥)</sup>.

إنَّ من شأن هذه الاستراتيجية ان تساوي بين درجات أطرافه وإنَّ تقلَّص المسافات المتباعدة بين النفوس، فتؤثر في طبيعة العلاقة الاجتماعية بين الطرفين، وهنا تحقق للتضامن سمته الغالبة في الاحترام والتهديب والتودد لكسب الطرف الآخر، وقد برز هذا النوع في الخطاب التضامني لأمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك حين بدأ قوله ((واعلم يمالك...)) فتوظيف الاعلام من آليات الحوار التضامني المتسم بالتخلق والتواضع من دون اعتبار للسلطة العليا التي يتمتع بها.

فيقول (عليه السلام): ((يامالك، وأنَّ الناس ينظرون إليك في مثل ما كنت تنظر اليهم، وانما يستدل الله على ألسن عباده على الصالحين)).

كلها علامات إشارية تجسد درجة التضامن من التعامل الأخلاقي: ((لان للتعامل الأخلاقي الأولوية في الاستراتيجية التضامنية، وهذا ما يسميه طه عبد الرحمن بـ(التخلق))<sup>(١٦)</sup>.

ومن أمثلة الاستراتيجية التضامنية أيضاً ما وردَ في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) بما يخصُّ الجنود الذين هم أساس السلطة وحُماة الرعية، إذ كتب (عليه السلام):

((وليكن أثر رؤوس جنودك عندك مَنْ واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإنَّ أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد...))<sup>(١٧)</sup>.

ففي الخطاب اعلاه يظهر حرص الإمام (عليه السلام) على البعد التضامني في التخاطب، والاشارة الى أهمية هؤلاء الفئة (الجنود) والاهتمام بهم والتضامن معهم،

لأنهم يشكّلون العمود الفقري لبناء الدولة وحماية أمنها واستقرارها، ففي هذا الخطاب التضامني تبرز كفاءة المحاجج وغايته في بناء خططه القولية ورؤيته المنهجية لقيام دولة اسلامية صحيحة الأسس.

ويظهر ذلك البعد التضامني في العلامات الإشارية بقوله (عليه السلام): ((حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإن أفضل قرة عين الولاية استقامة العدل)). ومن هنا أصبحت العبارة الأخيرة في الخطاب الحجاجي اعلاه نتيجة حجاجية لتجعل السلطة أداة حجاجية ناجعة في نجاح المجمع، وهذه العلامات الاشارية: ((تعدُّ تقنيات حجاجية وكيانات مجردة يشغلها المحاجج بجملة من القيم والحقائق حتى تصبح فاعلة في الخطاب الحجاجي موجهة حركته)) (١٨).

ثم يختتم الإمام (عليه السلام) كتابه الى مالك الأشتر بدعوته التضامنية التي يبين فيها مدى حبه لصاحبه مالك بعيداً عن أمور السلطة والدنيا التي يربو بها رضا الله (سبحانه) اذ يدعو بقوله (عليه السلام): ((وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح وإليه والى خلقه)) (١٩).

ولعل من أبرز الآثار الإيجابية التي دعت إليها الاستراتيجية التضامنية هو درجة التآلف وتطابق الشعور والأهداف والتفكير، وهذا ما تبلور في خاتمة رسالة أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشتر حين خاطبه بهذا الخطاب الذي يبرز فيه دلالاته القريبة، وتقوي أسباب الانتفاع العاجل به، لنفسه ولمخاطبه، ومعلوم ان كل تبادل بين طرفين يكون مبناه أساساً على سعي كل منهما تحقيق أغراض تكون مشتركة أو متساوية... (٢٠)

ولذا كان من أهداف هذه الاستراتيجية ومسوغاتها هو تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب، والعمل على تمير العلاقة بين طرفين لهما علاقة دائمة، ونحن نعلم مدى العلاقة الطيبة بين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين مالك الأشتر فهو صاحبه في الحروب وفي السراء والضراء ولذا قيل: ((ان التضامنية هي السبيل الى الصداقة، حيث تماثل ما ندعوه بالألفة))<sup>(٢١)</sup>.

## المحور الثاني

### الاستراتيجية التوجيهية :

وهي النوع الثاني من أنواع الاستراتيجيات التخاطبية وتُعرف بأنها: ((الاستراتيجية التي يرغب المرسل بها بتقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواهي، يُفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه)) (٢٢).

وتجدر الإشارة الى أنَّ القيم التوجيهية بكل مسوغاتها لا تُعدُّ أفعالاً لغوية فحسب، وإنما تُعدُّ من وظائف اللُّغة التي تُعنى بالعلاقات الشخصية بحسب تصنيف هاليداي، إذا يُعدُّ اللغة هي ((تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجيهات المرسل إليه وسلوكه)) (٢٣).

ويمكن القول ان في دراسة الاستراتيجية التوجيهية اتجاهين مهمين: (٢٤)

**الاتجاه الأول:** يهتم بالدراسات التي تحضُّ على التأدّب، ويمثله كل من (لتيش وروبين لاكوف، وبراون وليفنسون).

**الاتجاه الثاني:** ويهتم بالدراسات التي تبينُّ كيفية التلفظ بالخطاب وفقاً للتوجيهية مع عرض بعض آلياتها وأدواتها، ومَنْ مثل هذا الاتجاه هو كل (جرايس وسيرل وبراون وليفنسون وباخ).

وقد صنّف ((باخ)) الأفعال التوجيهية ضمن الأصناف الأربعة التي حدّدها للأفعال الكلامية وهي الأفعال التقريرية أو الوصفية والتوجيهية والالتزامية وأفعال التعبير عن المشاعر، وتشمل الأفعال التوجيهية عند باخ الأصناف الآتية: (٢٥)

١. **الطلبات:** وتأتي على شكل سؤال أو تضرّع أو توسل أو مناشدة أو إلحاح أو دعوة، أو طلب، أو حثّ، أو استدعاء، أو ابتهاج أو حجاج.

٢. الأسئلة: وتأتي في الأمور الآتية (السؤال، الاستعلام، الاستجواب، التشكك).
٣. المتطلبات: وتمثل (العرض، التكليف، الأمر، الطلب، الارشاد، المنع، التعليم، الغرض).
٤. التحريمات: وتمثل (المنع، الحظر، التحريم، التقييد).
٥. أفعال النصح: وتأتي على أشكال منها (الحث، النصح، التحذير، الاقتراح، الانذار، التوصيات).

وقد مثلت الاستراتيجية التوجيهية حضوراً مكثفاً في رسالة أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشتر بتنوع وحضور أفعال الأمر والتوجيه والحث والطاعة والارشاد والنهي والالتزام بأوامر الله، ووصايا رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والنهي عن الأمور الدنيوية.

وقد صنف العلماء المرسل إليه عند استعمال هذه الاستراتيجية صنفين، المرسل إليه (المتخيل) وهنا يكون المرسل على معرفة مستقيمة بالمرسل إليه ويمتاز الخطاب في هذه الحالة بالعموم والديمومة والمناسبة لكل وقت.

أما الصنف الثاني فهو المرسل إليه الحاضر عند التلفظ بالخطاب هنا قد يكون الخطاب او توجيه مقتصراً عليه، والسبب في ذلك هو ضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب. مما يعطي للفعل التوجيهي قوته الانجازية هي (سلطة المرسل).

وقد يعتبر الفعل الانجازي- التوجيهي من خلال نتيجته إلزاماً للمرسل إليه لانه خاضع لسلطة المرسل؛ لان الأفعال التوجيهية قائمة على علاقة سلطوية بين المرسل المرسل إليه، والسلطة في هذه الحالة هي مؤشر لنجاح هذه الأفعال.

## أولاً: الأمر

أن الخطاب الأمري يستندُ عموماً الى الإيعازات الاستدعائية التي يُطلقها المخاطب تعبيراً عن الوظيفة الإفهامية والادراكية (الطلبية) التي تمنحه طاقة وهيأة تأثيرية يخضع لها المُخاطَب بوصفه المحور الثاني في العملية التخاطبية والمستجيب قولاً وفعلاً للإيعازات الصادرة من المخاطب الذي يمثلُ المحور الأول في العملية التخاطبية ذاتها، وبذلك يتأصل الخطاب الأمري بعقد آصرة تواصلية بين الطرفين بحيث يشترطُ في الطرف الثاني الوجود الحضورى لإتمام الحلقة الحوارية التخاطبية مما يُعينُ على فهم العلاقات الأكثر عمومية بين الطرفين<sup>(٢٦)</sup>.

وعرّف الأمر بأنه: ((صفة تستدعي الفعل، أو قول يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء))<sup>(٢٧)</sup>.

وقد أظهر لنا استقصاؤنا لصيغ الأمر بأنواعها في كتاب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشرم ميلاً واضحاً نحو هذه الأفعال الأمرية وتوظيفها في سياقات توجيهية مختلفة.

وقد مثلت صيغ الأمر الصريحة المباشرة حضوراً فاعلاً وتوجيهياً عبر تلك الرسالة الموجهة الى مالك الأشرم، وتدرج غايات هذه الأفعال الأمرية بالتمسك بعبادة الله ورضاه وكسر شهوات النفس، والإرشاد والتوجيه والاهتمام بطبقات الرعية واختلاف مستوياتهم.

ومن أمثلة ذلك، ما بدأ به الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه الى مالك الأشرم حين ولاه مصر، بمجموعة أوامر توجيهية، وهذه الأفعال الأمرية بصيغها المتنوعة عبّرت عن مكنونات الخطاب الحجاجي ومقاصده الدلالية - التوجيهية إذ كتب (عليه السلام): ((أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسُننه التي لا

يُسعد أحدُ إلاّ باتباعها، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها))<sup>(٢٨)</sup>.

تُفصح الرسالة في بنيتها الاستهلالية على مقدمات حجاجية متمثلة بأفعال الأمر الإيعازية- الصريحة (المباشرة) لتوجيه الوالي في الالتزام بطاعة الله (سبحانه) والعمل بفرائضه وكتابه وسننه وبمخالفتها يكون الخسران والشقاء.

وهذه الحجة الكبرى التي تُبنى عليها أسس الدولة الصحيحة وإدارة أمور الرعية بالعدل والتقوى ورضاء الله والبُعد عما يُغضبه، أنّ هذه الأوامر الإيعازية تمثل سلطة حجاجية على المتلقي فهي استراتيجية توجيهية- إقناعية يمارسها الباث على المتلقي.

ثم تبدأ القوة الإنجازية لأفعال الأمر الأخرى لأنها تستند عليها الحجة الكبرى التي استهل بها مقدمة كتابه (عليه السلام)، إذ قال: ((وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، وينزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء الا ما رحم الله))<sup>(٢٩)</sup>.

وهنا تبدأ العملية التخاطبية ضمن هذه الاستراتيجية في التواصل مع (الذات) في السيطرة على هواها وقمع شهواتها والابتعاد عما لا يرضي الله (سبحانه)؛ فهذه الحجة ضمن هذا الفعل التوجيهي، يحيل بالضرورة الى مجموعة أهداف منطقية يترتب عليها أمور كثيرة، وفي ذلك تعظيم الدولة والوقوف على الأسس القويمية التي يتحقق بها أمن الرعية وسلامتهم واستقرارهم.

ثم نلاحظ توالي أفعال الأمر الأنجازية والربط بين المقدمات والآليات الحجاجية، التي سهّلت وظيفة المحاجج.

فمن حُجّية السلطة، ما أورده أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله: ((فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تُحبُّ أن يُعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك...))<sup>(٣٠)</sup>.

إذ يتجلى واضحاً مفاد الحجة التوجيهية في الفعل الأمر واعطهم في نسق لغوي يعكس

ترنماً وفضاءً حجاجياً يمتدُّ نحو الخضوع والإنصات لتلك الأوامر التي احتلت مساحة واسعة بين مفردات الرسالة، وقد أدت فضلاً عن كونها صيغاً أمر صريحة صدرت من سلطة (عليا) (الحاكم) الى (الوالي) وظيفة دلالية في انتاج معنى النصّ، فنحن ((عندما نتكلّم عن العلاقات الدلالية بين الجمل لتتابع ما؛ فإنّ المقصود في النتيجة هو وجود علاقات بين معاني هذه الجمل أو الأفعال و مراجعها))<sup>(٣١)</sup>.

ثم نراه في رسالته (عليه السلام) يدعم الحجج المتقدمة بحجة فعل انجازي أكبر في قوله (عليه السلام): ((أَنْصِفِ اللّٰهَ؛ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلُ تَظْلِمًا، ...))<sup>(٣٢)</sup>.

إذ نجد ان الإمام (عليه السلام) يوظّف الحجج القائمة على العلاقات التواصلية مع الله (سبحانه - وتعالى)، ومع الناس (الآخر) ومع النفس (الذات)، اذ افتتح تلك الأوامر التوجيهية والوصايا بصيغة (فعل الأمر الصريح) التي شكلت سلسلة من الترابطات النسقية، أفصحت عن دلالات وأحداث مطابقة لمتطلبات الموقف بما يوحي باستكناه البنية العميقة للنصّ الحجاجي؛ لان فعل الأمر في أصله لا يصدر إلاّ ممّن كان الأمر فيه أقوى وأعلى من المأمور<sup>(٣٣)</sup>، وموجهة الى المتعلق مأمور وجب عليه تنفيذ الأوامر والوصايا.

ويوظّف أمير المؤمنين (عليه السلام) الأسلوب الخبري مع الفعل الأمرى لإنجاز الاستراتيجية التوجيهية، وذلك مما نراه في مقاطع كثيرة من الرسالة، إذ كتب (عليه السلام): ((وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصِلِحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، فَمِنْهَا جُنُودُ اللّٰهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ العَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ العَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الانصافِ والرَّفَقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الجَزِيَةِ والخِرَاجِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الذِّمَّةِ، وَمُسَلِّمَةُ النَّاسِ، وَمِنْهَا التِّجَارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ

والمسكنة، وكُلًّا قد سَمِيَ اللهُ سهمه)) (٣٤).

انَّ قيمة التخاطبية للنصّ تكمن في مقدرتها على اختزال الخطاب وتشكيل قوة الانجاز الحجاجي على نحو ارتبط بوجود حُجِّية السلطة الذي لا يمكن ان يفصح عنه الا من يملك المسوِّغ للتوجيه الفعلي الإنجازي مترادفاً معه الخبر الاسنادي، ولذا تؤدي حُجَّة السلطة هنا الى ((التقليل من المجازفة في استعمال هذه الاستراتيجية في انتاج الخطاب، وذات السبب هو ما يسوِّغ استعمال الأمر والنهي الصريحة)) (٣٥).

وتجدر الإشارة ان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يدعم حججه الكبرى باستشهادات قرآنية لتقوية تلك الحجج. إذ كتب (عليه السلام): ((واردد الى الله ورسوله ما يُضلعك من الخطوب، واشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحبَّ إرشادهم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} (٣٦)) (٣٧).

ويمكن القول ان الميزة الرئيسة والمهمة للحجة حين تُدعم بنص قرآني تقوي تلك الحُجَّة، فهي تُعدّ في الحقل التداولي- الحجاجي صورة تدعم الحجج وتوضحها، اذ يقول بيرلمان في هذا الصدد: ((لما كان الاستشهاد يهدف الى تقوية حضور الحُجَّة، بجعل القاعدة المجردة ملموسة بواسطة حالة خاصة، فقد نظر الى الاستشهاد على أنّه صورة)) (٣٨).

وهذه كلها تُعدُّ مؤشرات على الاستراتيجية التوجيهية للإمام علي (عليه السلام) للأخذ بمبادئ الدولة الصحيحة الأسس، ولقيام مجتمع اسلامي يتبنى قوانين القرآن الكريم وأسسهِ المستقيمة لبناء مجتمع سليم.

ومن صيغ الأمر التي وردت بكثرة في رسالة أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشتر، صيغة لام الأمر الداخلة على المضارع، إذ بدأها بقوله (عليه السلام):

((وليكن أحبَّ الذخائر إليك ذخيرةُ العمل الصالح))<sup>(٣٩)</sup>، وفي موضع آخر يقول (عليه السلام): ((وليكن أحبَّ الأمور إليك أوسطها في الحقِّ، وأعمَّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإنَّ سخط العامة يُجحف برضى الخاصة))<sup>(٤٠)</sup>. نرى أنَّ دلالة (النصح والارشاد والتوجيه) التي حملتها هذه الأفعال الأمرية عبر لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع في صيغة (ليكن) نجدها تتحرك في مجال الوظيفة الانفعالية وتتجه بؤرتها نحو المخاطب مع حضوره في الدائرة الحجاجية. وفي موضوع آخر يكتب أمير المؤمنين (عليه السلام) بما يخصَّ الجنود وطبقات المجتمع الأخرى، وبدأها بهذه الطبقة لأنَّهم رُعاها أمن الدولة واستقرارها. إذ يقول (عليه السلام): ((وليكن أثرُ رؤوس جنودك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جندته، ...))

ثم يوجِّه استراتيجيته نحو عمارة الأرض والاهتمام بها اذ يقول: ((وليكن نظرك في عمارة الأرض، وأبلغ من نظرك في استجلاب الخراج وأهله؛ لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة...))<sup>(٤١)</sup>.

ثم يختتم رسالته في اسلوب الأمر ذاته اذ يقول (عليه السلام): ((وليكن في خاصة ما تخلص به الله دينك))

اذا شكَّلت هذه الأفعال الأمرية رابطاً صميمياً عدلً به الإمام (عليه السلام) عن دلالة لطلب الى دور توجيهي في اطار الوعظ تنضوي تحته كثير من الدلالات التي يسعى المحاجج الى تحقيقها.

ومن صيغ الأمر الأخرى (اسماء الأفعال) لاسيما (إياك) اذ شكَّلت رابطاً حججياً صميمياً عدلً به الإمام (عليه السلام) عن دلالة الطلب الى دور توجيهي في اطار الوعظ والحذر والتنبيه تنضوي تحته كثير من الدلالات التي يسعى الواعظ او المحاجج الى تحقيقها. فمن أمثلة ذلك؛ ما كتبه الإمام (عليه السلام) ((إياك ومساواة

الله في عظمتِهِ، والتشبه في جبروتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَذُلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيَهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ)) (٤٢).  
ففي النصّ اعلاه شكّلت صيغة الأمر سلسلة من الترابطات النسقية التي خرجت  
الى اغراض مجازية أفصحت عن درجة العلاقة بين المخاطب (الحاكم) والمخاطب  
(الوالي) التي تعكس مدى اعتزاز الأمر بالمأمور ليرغبه في ذلك الأمر، لذا عُدَّ (الأمر  
المجازي) اسلوباً انشائياً طلبياً مهماً له قيمة إيجائية - وحجاجية في بنية النصّ.

وقد يكون الامر مَوْجهاً (للتنبيه والتحذير)، ومن أمثلة ذلك ما كتبه أمير  
المؤمنين (عليه السلام) ((وإِيَّاكَ وَالِدِ الدَّمَاءِ وَسَفْكَمَا بغيرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى  
لنَقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لَتَبَعَةٍ وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ بغيرِ  
حَقِّهَا)) (٤٣).

اذ تفصح صيغة اسم فعل الأمر (إِيَّاكَ) عن بنية حجاجية أخذت دور المنبه  
الأسلوبي لتوجيه ذهنية المتلقي نحو ثيمة الخطاب التواصلي.  
ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد في كتابه (عليه السلام) في مسألة العُجب بالنفس؛  
لانه فيها دمار للنفس، إذ قال: ((وإِيَّاكَ وَالْأَعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا،  
وْحُبَّ الْأَطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ  
إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ)) (٤٤).

ويمكن القول انّ التنوع في صيغ أفعال الأمر بين الأفعال الأمرية الصريحة،  
والأفعال المضارعة الداخلة عليها لام الأمر، وأسماء الأفعال، أسهمت في توسيع  
دائرة التخاطب الحجاجي لتحقيق التوافق بين هذه الحجج المتنوعة وسياقاتها الدلالية  
عبر تلك الأفعال الأمرية - الإيعازية التوجيهية المعبرة عن فكرة الرسالة التي كتبها  
أمير المؤمنين (عليه السلام) الى عامله مالك الأشتر على استشعار المسؤولية والطاعة  
لتلك الأوامر.

الخطبة	الملفظ	الفعل التوجيهي	الغرض التداولي
كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر لما ولاه على مصر وعمّالها	أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباعه ما أمر به كتابه	أمره، وإيثار، واتباع	الوجوب
	أمره أن يكسر نفسه من الشهوات	أمره ان يكسر نفسه	النصح والإرشاد
	ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد	أعلم يا مالك	أمر حقيقي
	فأملك هواك وشحّ بنفسك	فأملك هواك وشحّ بنفسك	توجيه وإرشاد
	وأشعر قلبك الرحمة للرعية	وأشعر	الاستعطف
	فأعطهم من عفوك	فأعطهم	الوجوب والإرشاد
	فانظر الى عظم ملك الله فوقك	فانظر	النظر والاعتبار
	أنصف الله وأنصف الناس	أنصف	النصح والإرشاد والتوجيه
	وأكثر من مدارس العلماء	أكثر	التوجيه
	وأعلم ان الرعية طبقات	اعلم	التنبه والتحذير
	الصقّ بذوي الأحتساب وأهل البيوتات الصالحة	ألصق	توجيه

الخطبة	الملفظ	الفعل التوجيهي	الغرض التداولي
كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر جين ولاء مصر	واردد إلى الله ورسوله ما يضرعك من الخطوب	واردد	وجوب
	واختر للحكم أفضل رعيتك	اختر	توجيه وتنبيه
	وأنظر في أمور عمالك	انظر	النصح والإرشاد والتوجيه
	وتفقد أعمالهم	تفقد	والتوجيه
	وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم	ابعث	التحذير والتنبيه
	استوصي بالتجارة وذوي الصناعات واوص بهم	استوصي، أوص بهم	الاستعفاف والرحمة
	واحفظ لله ما أستحفظك	أحفظ	الوجوب والتوجيه
	وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن	تعهد	الاستعفاف والرحمة
	فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك	اعط	التوجيه والأرشاد
	والزم الحق من لزمه	الزم	التوجيه والوجوب
	فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح	فليكن	الارشاد والتوجيه
	وليكن أثر رؤوس جنديك	لكف	تنبيه وتوجيه وتحذير
	وليكن البيع بيعاً سمحاً	ليكن	توجيه وتحذير

## ثانياً: النهي

وهي إحدى آليات الاستراتيجية التوجيهية ويصدر من هو أعلى مرتبة الى من هو دونه، ويمثل (النهي) بنية حجاجية يُنسج منها المحاجج خطابه الإقناعي لأنه يتخذُ منه وسيلة اقناعية بما يخدم المقصد الذي يسعى إليه وتشكيل بنية النهي داخل السياق حجة وعلى المرسل إليه ان يلتزم بها، وكلها تدخل في إطار التوجيه والتحذير؛ فمن أمثلة ذلك ما كتبه (عليه السلام) الى مالك الأشر، وردت فيه أفعال نهي تحمل التوجيه وهو قوله: ((ولا تندمَنَّ على عفوّ، ولا تبجحنَّ بعقوبة، ولا تُسرعنَّ الى بادرَة وجدتَ منها مندوحةً، ولا تقولنَّ إني مؤمَّرٌ أمرُ فأطاعُ)) (٤٥).

عبرَ هذا الفعل التوجيهي استطاع الإمام (عليه السلام) ان يأسك الشدَّ النصي التركيبي الذي أحدثه فعل النهي بوصفه حجة برهانية- اقناعية تقتضيها العملية التواصلية بين المخاطب والمخاطب، وهي تسمى علاقات حوارية تشدّ الخطاب الى عوامل انتاجه وتجعله فعلاً خطائياً ديناميكياً وملتجماً بشروط تداولية)) (٤٦).

ومن الأمثلة الأخرى التي تُشير الى صُحبة السلطة والاختذ بأفعال التوجيه والنهي عنها، ما كتبه الإمام (عليه السلام) في باب النصح والارشاد وهو قوله: ((ولا تُنقضُ سنَّةً سالحةً عمَلَ بها صُدورُ هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعيَّة، ولا تُحدثنَّ سنَّةً تضرُّ بشيءٍ من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها، والوزرُ عليك بما نقضتَ منها)) (٤٧).

فأفعال النهي الواردة في (لاتنقض، ولا تحدثن) أفادت قوة انجازية تكمنُ في عرض النصح والارشاد والتنبيه وتبيين الحقائق والدعوة الى النهي عنها وقوتها التأثيرية في إقناع المتلقي بفكرة المرسل، فيتعظ المرسل إليه بما سيق له من ارشادات ومواعظ، وهذا ما نلاحظه في سلطة الخطيب وهي إدارة النصح والارشاد وتوجيه

الخطاب وجهة نفعية، بحيث أن الخطاب يتمحور في منفعة المتلقي<sup>(٤٨)</sup>.

ومن أمثلة القوة الإنجازية الأخرى الاستراتيجية التوجيه - النهي - ما وردت في رسالته (عليه السلام): ((ولا يكون المحسنُ والمُسيءُ عندك بمنزلةٍ سواء، فإنَّ ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزمُ كلاً منهم ما ألزم نفسه))<sup>(٤٩)</sup>.

إنَّ الفعل الخطابي التوجيهي التنبيهي لا يُنجز إلا في مواقف اجتماعية وتواصلية معينة تقتضيها العملية التواصلية، ففي النص المتقدم تكمن قوة انجاز الفعل في صورة التضاد التي وصف عبرها الإمام (عليه السلام) فكرة (الإحسان والإساءة) على مستوى البنية السطحية، ليؤسس حجته على بنية تضادية قائمة على المقارنة.

## الفعل التوجيهي (النهى)

الخطبة	الملفظ	الفعل التوجيهي	الغرض التداولي
كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر جين ولاة مصر وعمّاهما	ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً	لا تكوننّ	النصح والأرشاد
	لا تندمنّ على عفو و لا تبجحنّ بعقوبة لا تسرعنّ إلى بادرة ولا تقولنّ إني مؤمّرٌ أمرٌ فإطاع	لا تندمنّ لا تبجحنّ لا تسرعنّ لا تقولنّ	تنبيه، وتوجيه تنبيه، توجيه تنبيه، توجيه توجيه وارشاد
	ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل	لا تدخلنّ	النصح، والأرشاد
	ولا تطولنّ احتجاجك عن رعيتك	لا تطولنّ	توجيه، تنبيه
	ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه	لا تدفعنّ	نصح وتوجيه وتنبيه
	ولا تختلنّ عدوك فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي	لا تختلنّ	تنبيه وتوجيه
	ولا تعولنّ على لحن قولٍ بعد التأكيد والتوثيقة	لا تعولنّ	تحذير وتنبيه
	لا تقوينّ سلطانك بنفسك دمّ حرام	لا تقوينّ	تنبيه وتوجيه وتحذير
	إياك والدماء	إياك (النهى)	تحذير وتنبيه

## الخاتمة:

مثّل نهج البلاغة في خطابه التداولي دستوراً تبليغياً مؤسساً لشؤون الدولة والمجتمع الإسلامي، إذ استطاع ان يؤثر في المتلقي لاعتماده استراتيجيات تواجه روح المتلقي وعقله وضميره.

يمثل مصطلح (الحجاج التواصلي) فاعلية اجتماعية- تداولية انتاجية للمعطيات الخطابية- الإقناعية لتحقيق نجاعة الملفوظات وأهدافها الفكرية والدينية والسياسية. اتضحت في رسالة أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشر سعة العملية التواصلية للحجاج وعمقها، اذ تمثلت في استراتيجيتين مهمتين هما (الاستراتيجية التضامنية) و(الاستراتيجية التوجيهية).

تنوّعت أدوار الآليات التداولية الحجاجية، فكان لأفعال الكلام القوة الإنجازية في توجيه الخطاب لاسيما في أفعال الأمر والنهي.

أن الاسلوب التفاعلي- التداولي الناجع في كتاب امير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشر يكمن فيه السلوك الحميد الذي يتجلى في التأدب والتوجيه والقول السديد والنصح والارشاد والتنبيه والتحذير لكل وال يتولى المسلمين وقيادة شؤونهم لبناء دولة صحيحة الأسس.

## الهوامش:

١. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين: ١٩.
٢. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية (بحث منشور)، ادريس مقبول، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد ٢\_١٥، السنة ٢٠١٤، ٥٤١.
٣. من لسانيات الجملة الى علم النص، بشير ابرير، مجلة التواصل باجي مختار، عنابة، الجزائر، عدد ١٤، سنة ٢٠٠٥، ١٧.
٤. تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون وجيل جوتيه، ترجمة محمد صالح المغامدي: ٨٥.
٥. ينظر استراتيجية الخطاب الحجاجي (دراسة تداولية في الارشالية الاشهارية العربية)، د. بلقاسم دفة، مجلة المخبر جامعة بسكرة، الجزائر، العدد ١٠ السنة ٢٠١٤، ٤٩٦.
٦. الحجاج في خطابات النبي ابراهيم (عليه السلام)، سعدية لكحل: ٢٠.
٧. عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية - معرفية لآليات التواصل والحجاج)، عبد السلام عشير: ٥٠٥.
٨. ينظر التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر: ٣٥\_٣٦.
٩. استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية - تداولية)، د. عبد الهادي ظافر الشهري: ٥٣.
١٠. التواصل والحجاج: ٦.
١١. ينظر: م. ن: ٧-٨.
١٢. ينظر: نظرية الحجاج عند بيرلمان: ٣٨.
١٣. استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية - تداولية): ٢٥٧.

١٤. ينظر المصدر نفسه: ٢٥٧.
١٥. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٢.
١٦. التواصل والحجاج: ٧-٨.
١٧. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٨٠.
١٨. ينظر الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، د.علي الشبعان: ٢٦٣.
١٩. نهج البلاغة: ج ٣: ٥٩٦.
٢٠. ينظر اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن: ٢١٨.
٢١. استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية - تداولية): ٢٦٦.
٢٢. ينظر استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية - تداولية): ٣٢٣.
٢٣. ينظر الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية: ٥٤٩.
٢٤. ينظر الأفعال اللغوية عند أوستن وسيرل: ١٥٩-١٦٠.
٢٥. ينظر الاستراتيجية وعلاقتها بالنص والخطاب: عبد الكريم جمعات ينظر استراتيجيات الخطاب الحجاجي في الحديث النبوي الشريف: ٦٨.
٢٦. ينظر المقاربة التداولية: ١٢، اللغة العربية في أطوارها الإجتماعي: ٢٣١.
٢٧. ينظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٥٣١.
٢٨. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧١-٥٧٢.
٢٩. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٢. والجمحات ان يكفها عن مطامعها اذا جمحت عليه.
٣٠. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٣-٥٧٣.
٣١. العلاماتية وعلم النص: ١٥٦.
٣٢. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٤.
٣٣. ينظر دروس البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة): ١٢٠.

٣٤. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٧-٥٧٨.
٣٥. استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية - تداولية): ٣٤٧.
٣٦. سورة النساء: ٥٩.
٣٧. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٨١.
٣٨. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٨١.
٣٩. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٢.
٤٠. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٤.
٤١. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٨٤.
٤٢. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٣.
٤٣. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٩٣.
٤٤. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٩٤.
٤٥. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٣.
٤٦. نقد النقد: ٥٢ مجلة الأقلام، العدد ٢٦ السنة ٢٥، بغداد، ١٩٩٠، د. محمد  
الدعمومي، مدخل ابستمولوجي.
٤٧. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٧.
٤٨. ينظر الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته: ٢٠٤.
٤٩. نهج البلاغة: ج ٣ / ٥٧٦.

## مصادر البحث:

### - القرآن الكريم.

١. الاستراتيجيات التخاطبية في السُّنة النبوية أ.م.د. أدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية العدد ٢-١٥، سنة ٢٠١٤-١٤٣٥هـ.
٢. استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية- تداولية) د. عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
٣. استراتيجية الخطاب الحجاجي (دراسته تداولية في الاشهارية العربية)، د. بلقاسم دفة، مجلة المخبر، جامعة بسكرة- الجزائر، العدد ١٠، ٢٠١٤م.
٤. الاستراتيجية وعلاقتها بالنص والخطاب، عبد الكريم جمعان،...
٥. تاريخ نظريات الحجاج، فليب بروتون، جيل جويتيه، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، ط١، مركز النشر العلمي، مطابع الملك عبد العزيز، ٢٠١١م.
٦. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ط٤، المركز العربي الثقافي، ٢٠٠٥م.
٧. التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر، ط١، منشورات الاختلاف- الجزائر، ٢٠٠٧م.
٨. التواصل والحجاج، عبد الرحمن والحجاج، عبد الرحمن طه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط منتديات سور الأزييكة.
٩. الحجاج في خطابات النبي إبراهيم(عليه السلام)، سعدية لكحل، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري.
١٠. الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والأستراتيجيات)، د. علي الشعبان، تقديم حمادي صمود، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠١٠م.
١١. الحجاج وتوجيه الخطاب (مفهوم ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته)، د، باسم خيرى خضير، ط١، دار نيور، ٢٠١٦م.

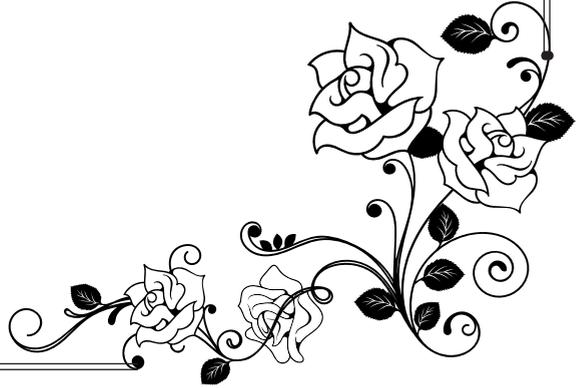
١٢. دروس في البلاغة العربية (نحو رؤوية جديدة)، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٢م.
١٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، العلوي بن حمزة (ت٧٥٤)مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
١٤. العلاماتية وعلم النصّ، د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، دمشق ١٩٤٩هـ، ٢٠٠٩م.
١٥. عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداولية معرفية الآليات، عبد السلام عشير التواصل والحجاج) أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م.
١٦. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.
١٧. اللغة العربية في أطوارها الإجتماعي (دراسة في علم اللغة الحديث) مصطفى لطفي، ط١، معهد الأنماء، بيروت، ١٩٧٦م.
١٨. المقاربة التداولية، فرانسواز ارمينكو، ترجمة د. سعدية علوش، مركز الأنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م.
١٩. من لسانيات الجميلة الى علم النصّ، بشير إبرير، مجلة التواصل، عدد ١٤، باجي مختار عناية- الجزائر، ٢٠٠٥م.
٢٠. نظرية الحجاج عن بيرلمان، د. عبد الحسين بنو هاشم، ط١، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٤م.
٢١. نقد النقد (مدخل ابستمولوجي)، د. محمد الدعوموي، مجلة الإقلام، العدد ٦، السنة ٢٥ بغداد، ١٩٩٩م.



أثر المرجعيات الفكرية لشرح نهج البلاغة في  
شرحهم (العهد العلوي)

د. ماهر خضير هاشم

جامعة بابل





## المقدمة

هذا البحث يتناول فكرة أثر المرجعيات الفكرية لشرح نهج البلاغة في شرحهم العهد العلوي، فالذي يتابع سير الشرح في كتب التراجم يجد واضحاً تعدد مرجعياتهم الفكرية، ومنطلقاتهم، وأصولهم، وهذا تعدد أدى الى تعدد وجهات نظرهم واختلافهم في عبارة الشرح، ومن المعلوم أن شروح نهج البلاغة قد تجاوزت المئة شرح وقراءة؛ غير أنني في هذا البحث سأركز على المرجعيات الفكرية شيوعاً، والشرح الذين يتمتعون لها.

وعليه وقع اختياري على ثلاثة شروح، وهم: شرح ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) وهو ممثل الفكر الاعتزلي، وشرح ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) وهو ممثل الفكر الصوفي، وشرح حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ) وهو ممثل الفكر الامامي الاثني عشرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن هذه الشروح تتسم بالسعة والشمولية في مادتها ومصادرها، وتأويلها علاوة على هذا أن هذه الشروح قد أهديت الى أمراء زمانهم، أنها كتبت بطلب أو بإشارة من أولئك الأمراء الى هؤلاء الشرح.

وقبل البدء في بيان مرجعياتهم الفكرية لهؤلاء الشرح وأثرها في شرحهم العهد العلوي، لا بد من ذكر سير موجزة لهم؛ لبيان منابعهم الفكرية والثقافية، وهم:

### أولاً: ابن أبي الحديد المعتزلي:

هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المدائني البغدادي المعتزلي، وُلِدَ بالمدائن في اليوم سنة (٥٨٦هـ)<sup>١</sup>، وكان والده خريج المدرسة النظامية، وشيخاً من شيوخ الحديث في بغداد والمدائن<sup>٢</sup>، تولى القضاء في المدائن مدةً طويلةً، وكان خطيبها، وأحد العدول فيها، وفقهياً على المذهب الشافعي. وعليه أن ابن أبي الحديد نشأ من أسرة عربيّة، كان والده من رجال العلم والحديث، ومن متقليدي القضاء والتدريس وعلى المذهب الشافعي.

وكان ابن أبي الحديد المعتزلي عالماً شهيراً ذا رأي في ميدان التاريخ، والأدب، والفقه، والكلام، جدّ في طلب العلوم المتداولة في عصره منذ نعومة أظفاره، ثم رحل إلى بغداد إبان شبابه، وفي تلك الحاضرة التي كانت عاصمة العلم في العالم الإسلامي يوماً ما تعلّم الفقه والكلام، واشترك في أوساطها الأدبية، وتسنّم في بغداد مكانة مرموقة، وكانت له علاقات وثيقة بوزير المستعصم: ابن العلقميّ العالم، وأصبح في عداد كتّاب ديوان دار الخلافة بفضلها، فكان كاتب دار التّشريفات أولاً، ثم كاتب الخزانة، وبعد ذلك كاتب الديوان. وكان ناظر الحلة في سنة (٦٤٢هـ)، ثم وزيراً للأمير علاء الدين الطبرسي، وبعد ذلك صار ناظراً للمستشفى العضدي، ثم ناظراً لمكتبات بغداد، وكان شاعراً مقتدرًا وأديباً عالماً مع مزاولته للمناصب الحكومية المذكورة التي استمرّت حتّى آخر عمره. ونظم الشّعر في أغراض شعريّة متنوّعة من مدح، ورتاء، وحكمة، ووصف، وغزل، ومع ذلك كلّه غلب على شعره المناجاة والعرفان، وأورد بعض أشعاره في شرحه على النّهج، وكان شافعيّ الفقه والأصول، معتزليّ الكلام؛ إذ يُنسب إلى مدرسة بغداد في الاعتزال، ويرى رأيها في تفضيل عليّ على الحكام الثلاثة، لكنّه لا يعدّ الأفضليّة شرطاً للإمامة، مثلما قال في بداية شرحه

لنهج البلاغة: ((... وقدّم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف، واختصّ الأفضل من جلائل المآثر، ونفائس المفاخر...))<sup>٣</sup>.

ترك ابن أبي الحديد مصنّفات عديدة، وأورد محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدّمته على الشرح أسماء خمسة عشر منها، هي<sup>٤</sup>:

١. الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة، وهو شرح لذريعة الشريف المرتضى.

٢. انتقاد المستصفي، وهو نقد لكتاب (المستصفي في الأصول) للغزالي.

٣. الحواشي على كتاب المفصل في النحو.

٤. شرح المحصل، وهو شرح لكتاب المحصل الكلامي للفخر الرازي.

٥. شرح مشكلات الغرر لأبي الحسين البصري، وقد أوضح فيه ما أشكل في الكتاب الكلامي المذكور.

٦. ديوان شعره.

٧. شرح نهج البلاغة.

٨. شرح (الياقوت) لابن نوبخت في علم الكلام.

٩. العبقري الحسان، وهو مجموعة من مختارات الكلام، والتاريخ، والشعر، ونظائرها.

١٠. الفلك الدائر على الملك السائر، وهو نقد على كتاب (الفلك السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير الجزري.

١١. القصائد السبع العلويات أو السبع العلويات، وهي قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وآله، وعليّ عليه السلام، وفتح خيبر، وفتح مكة، واستشهاد الإمام

الحسين عليه السلام، نظمها سنة (٦١١هـ).

١٢. المستنصرات.

١٣. نظم فصيح ثعلب، وهو نظم لكتاب (الفصيح) لثعلب.

١٤. نقض المحصول في علم الأصول، وهو نقد وردّ على كتاب (المحصول في علم الأصول) للفخر الرّازي.

١٥. الوشاح الذهبّي في العلم الأبيّ.

### ثانياً: ابن ميثم البحرانيّ:

اسمه ميثم بن علي بن ميثم وهذه التسمية أجمعت عليها المصادر التي تحدثت عنه، ولم تتناول هذه المصادر بالتفصيل مراحل حياته مثل: ولادته وتدرجه العلمي وأفكاره الشخصية. وما حصلنا عليه في المصادر التي تيسرت لنا بأن الشيخ سليمان البحراني هو الشيخ الوحيد الذي ذكر سنة ولادته وهي سنة ٦٣٦ هجرية، إلا أنه لم يشر إلى مكان ولادته. أما السيد خاتمي بروجردي مصحح شرح نهج البلاغة فقد أشار إلى أن الشيخ ميثم قد ولد في البحرين ولم يحدد القرية أو المدينة التي ولد فيها<sup>(٥)</sup>، وبدأت حياته العلمية في سن مبكرة، وتلمذ على علماء البحرين. انكبّ في أوائل حياته على طلب العلم مبتعداً عن مشاكل الحياة ومتاعبها، وعاش منعزلاً وانشغل في التحقيق في حقائق الأصول والفروع، وبعد هذه المرحلة اتجه إلى العراق وذلك من أجل البحث عن حياة أفضل إلا أنه لم يذكر تاريخ سفره، ومكان إقامته ومدتها في العراق بشكل دقيق وواضح، وبناءً على القرائن والمؤشرات التي ظهرت في تلك الفترة يمكن القول بأن هذه الرحلة وقعت في المدّة بين سنة ٦٦٥ و ٦٧٥ هجرية، وكان من أهداف سفر الشيخ ميثم إلى العراق هو اللقاء بالعلماء الذين يرفضون

آراءه حول المال ومدى تأثيره على حياة الإنسان والتباحث معهم، وفعالاً التقى بهم وشرح لهم وجهة نظره حول ذلك، فضلاً عن أن الشيخ ميثم اطلع في العراق على الكتب العلمية، وهذه التحولات أسهمت في تعميق أفكاره، وهذا ما جعله يغيّر نظرتة للظواهر بحيث جعله مثلاً ينظر إلى العرفان بمنظار أوسع، وهذا التطور ظهر بوضوح في كتبه خاصة في شرحه لنهج البلاغة الذي يحتمل أنه كتبه في العراق، كذلك يبدو أن وضعه المعيشي قد تحسّن بعد أن توطّدت علاقته بالجويني والي بغداد آنذاك؛ لأن الجويني كان يكنّ احتراماً كبيراً للعلماء ويرعاهم، والشيخ ميثم أشاد بوالي بغداد في مقدمته لكتاب شرح نهج البلاغة<sup>(٦)</sup>.

ويعدّ الشيخ ميثم من أشهر فقهاء المذهب الإمامي الاثني عشري، فهو يحمل أفكاراً وعقائد ورؤى هذا المذهب ولا غرابة في ذلك؛ لأن البحرين تعدّ منذ القدم إحدى مراكز علماء الإمامية، وفقه أهل البيت عليهم السلام، والذين تناولوا سيرته يشيرون إلى مكانته وموقعه في الفكر الإمامي، وما نعتوه من صفات يعكس مدى عظمة هذه المكانة التي لم يبلغها من العلماء إلا النزر اليسير. ومما جاء في وصفه<sup>(٧)</sup>:  
(شيخ صدوق ثقة)، و(علامة وفيلسوف مشهور)، و(قدوة المتكلمين وزبدة الفقهاء والمحدثين)، و(عالم فاضل مدقق ومتكلم لامع)، و(فقيه وأديب إمامي وعالم بالأدب والكلام)، و(أديب حكيم ومتكلم من فقهاء الامامية) يدل على أن له مكانة ومنزلة عالية لدى الباحثين والمؤرخين.

وتضمنت هذه الأوصاف مضامين تعكس المكانة العلمية في شخصية الشيخ ومن أبرزها: الفقه، والفلسفة، وعلم الكلام والعرفان، والأدب، من هنا نستطيع القول بأن الشيخ كان ضمن تأطره بإطاره المذهبي الفقهي ملماً بالعلوم بالإسلامية المعروفة آنذاك والتي تحمل في طياتها شيئاً من التجدد والحدّثة.

ترك الأساتذة الذين تتلمذ الشيخ على أيديهم أثراً كبيراً في توسيع أفكاره وتطلعاته، وأنه لم يكن يدخر جهداً في كسب العلم والمعرفة من خلال مطالعته ومتابعته، ومن أساتذته<sup>(٨)</sup>:

الخواجة نصير الدين الطوسي أبرز أساتذة الشيخ ميثم، وهو فيلسوف ومنجم، وعالم في الرياضيات ومتكلم وصاحب العديد من المصنفات، وكان يمثل الفكر الفلسفي للشيعة آنذاك، والأستاذ الثاني هو علي بن سليمان البحراني المعروف الشيخ الفيلسوف الحكيم، والشيخ ميثم شرح أحد كتب أستاذه هذا وهو كتاب (الإشارات). والأستاذ الثالث هو نجم الدين أبو القاسم جعفر بن حسين الحلبي المعروف بالمحقق الحلبي، وقد عرف هذا الشيخ بالفقاهة وكتابه المشهور (شرائع الإسلام) الذي يعدّ في مقدمة المناهج التدريسية في الحوزات العلمية (المؤسسة العلمية الدينية) في مجال الفقه الاستدلالي.

وآخر أساتذته هو أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الصفرعاني، صاحب المؤلفات الكثيرة منها: توجيه السؤالات لحل الإشكالات، وجامع الدلائل، ومجمع الفضائل، ومجمع البحرين ومطلع السعادين.

أما تلامذته فهم: جمال الدين أبو منصور حسن يوسف المطهر الحلبي الملقب بالعلامة، سيد غياث الدين أبو المظفر أحمد بن طاووس وهو ينتسب لأسرة علمية ويحظى بمكانة خاصة في مدينة الحلة، ويطلق عليه اسم الفقيه النسابة والنحوي والعروضي، وكمال الدين أبو الحسن علي بن شيخ شرف الدين حسين بن حماد بن خير الليثي الواسطي وهو فقيه وعالم وشاعر ومحدّث، والشيخ مفيد الدين محمد بن جهم الأسدي الحلبي، ويسمى شيخ فقهاء الحلة، وهو عالم صدوق وفقيه وشاعر أديب.

تحتل علوم الفلسفة وعلم الكلام والعرفان مكاناً متميزاً في منظومة الشيخ العلمية والفكرية حتى غدت أفكاره تحمل خليطاً من هذه العلوم يصعب تصنيفها بل حتى دراستها بشكل منفصل عن بعضها.

### مؤلفاته<sup>(٩)</sup> :

للشيخ ميثم مؤلفات عديدة في مواضيع مختلفة كالفقه، والفلسفة، والكلام، والتصوف، والأدب، وهي في ما يأتي:

- ١ . شرح نهج البلاغة.
- ٢ . القواعد في علم الكلام.
- ٣ . رسالة في أدب البحث.
- ٤ . البحر الخضم.
- ٥ . النجاة في القيامة في تحقيق الإمامة.
- ٦ . أصول البلاغة.
- ٧ . رسالة في الوحي والإلهام.
- ٨ . شرح حديث المنزلة.
- ٩ . شرح المائة كلمة المرتضوية.
- ١٠ . المعراج السماوي.
- ١١ . الاستقصاء والنظر في إمامة الأئمة الاثني عشر.
- ١٢ . شرح إشارات علي بن سليمان البحراني.

### ثالثاً: حبيب الله الهاشمي الخوئي؛

وهو إيراني (آذري) ترجع أصوله إلى مدينة خوي التي يتكلم أهلها اللغة الأذرية، واشتهر بكونه أحد شُراح كتاب نهج البلاغة<sup>(١٠)</sup>، وولد في مدينة خوي ثم هاجر إلى النجف؛ ليتلمذ هناك عند حسين الترك، وعلي بن خليل الطهراني، وسافر في أواخر أيام حياته إلى طهران، وتوفي بها سنة ١٣٢٤ هـ<sup>(١١)</sup>.

#### أما مؤلفاته فهي:

١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ويقع هذا الكتاب في ثمانية مجلدات.
٢. ترجمة نهج البلاغة. ترجمة فارسية لكتاب نهج البلاغة<sup>(١٢)</sup>.
٣. حاشية القوانين. حاشية على بعض أبواب كتاب القوانين.
٤. منتخب الفن في حجة القطع والظن.
٥. إحقاق الحق في تحقيق المشتق.
٦. اللجنة الواقية. هذا الكتاب مُخصّص في أدعية نهار شهر رمضان مع شرحها.

### منهج شُراح نهج البلاغة في الشرح:

يتلخص منهج شُراح نهج البلاغة في الشرح بنقطتين:

النقطة الأولى: شرح ابن أبي الحديد المعتزليّ يتلخص منهجه بذكر الأصل الذي يقصد به نص كلام الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم يذكر الشرح الذي يتضمن به المعنى اللغويّ للكلمات التي تحتاج الى ايضاح معناها، والقضايا النحوية والصرفية، والوقائع التاريخية والأحداث التي تلازم مقام الشرح، كذلك يكثر من الشواهد الشعرية التي تناسب المقام. أما منهج شرح كمال الدين ميثم البحرايّ فهو أقل اختصاراً، وأقل اطناباً من شرح ابن أبي الحديد المعتزليّ، يذكر نص كلام الامام

ثمَّ يعرج بالشرح اللغويِّ والدلاليِّ والنحويِّ، أما منهج صاحب (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) للميرزا حبيب الله الهاشميِّ الخوئيِّ فيذكر النَّص (المتن)، ثمَّ يبدأ بالشرح، ويقسمه على أقسام: اللغة، والاعراب، والمعنى، والترجمة يقصد بها ترجمة المعنى الى اللغة الفارسيَّة.

التَّقطة الأخرى: وضع مؤلّفو هذه الشروح الثلاثة مقدمات لشرحهم، فابن أبي الحديد المعتزليِّ وضع مقدمةً تحدث فيها عن ثلاثة أقوال<sup>(١٣)</sup>:

القول الأوَّل: في ما يذهب اليه المعتزلة في الامامة والتفضيل والبغاة والخوارج.

القول الثاني: في نسب أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وذكر لمع يسيرة من فضائله.

القول الثالث: في نسب شريف الرضيِّ (رحمه الله) وذكر طرف من خصائصه، ومناقبه.

أما مقدمة الشيخ ميثم البحرانيِّ فقد وضع ثلاث قواعد قبل البدء بالشرح، وهي<sup>(١٤)</sup>:

القاعدة الأولى: في مباحث الألفاظ، وهي مرتبة على قسمين: الأول: في دلالة الألفاظ وأقسامها، وأحكامها، والقسم الآخر: في كيفيات تلحق الألفاظ بالنسبة الى معانيها، فتوجب لها الحسن والمزية، وتعدّها أتم الاعداد لأداء المعاني وتهيئ الذهن للقبول، وقدّم لهذا القسم بحثين: الأول في حدّ البلاغة والفصاحة، والآخر في موضوع علم الفصاحة والبلاغة، ثمَّ قسم هذا القسم على جملتين تحدث فيهما عن المفردات ودلالاتها، وعن النظم وحقيقته وأقسامه (التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والاضمار، وفي أحكام ان وانما وما في حكمهما).

القاعدة الثانية: في الخطابة، وجعل لها أبحاثاً تضمّ (حقيقة الخطابة وفائدتها، وموضع الخطابة وأجزائها، ومبادئ الخطابة، وأقسام الخطابة، وأنواع مشتركة للأمور الخطابية، تحسينات الخطابة).

القاعدة الثالثة: في بيان أن عليًا (عليه السلام) كان مستجمعًا فضائل الانسانية، وفصل القول في ثلاثة فصول: في فضائله اللاحقة له من خارج، وفي بيان فضائله النفسانية، وفي صدور الكرامات عنه.

وتضمنت مقدمة حبيب الله الهاشمي الخوئي لشرح نهج البلاغة حديثه عن اللفظ والمعنى، وعلوم البلاغة والبديع والفصاحة، ثم تحدث عن نسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبيان كناه الرفيعة، وألقابه الشاخمة، وصفاته، كذلك عرض الى نسب الرضي (رحمه الله)<sup>(١٥)</sup>.

### أثر المرجعيات الفكرية للشرح في شرحهم العهد العلوي:

قبل البدء في بيان أثر المرجعيات الفكرية للشرح، فلا بد من ايضاح مصطلح المرجعية الذي يتمثل في إطارين: الأول يعنى بالمراجع المعتمدة، ونوعها، وطرائق اختيارها، وكيفية الإحالة عليها أو عدم الإحالة عليها، أما الإطار الآخر فيكون بالخلفية الثقافية والعلمية التي تؤطر وضع الأفكار والمصطلحات والأساليب<sup>(١٦)</sup>، وهذا الإطار هو الذي نقصد به هنا، أما في العرف الاصطلاحي العام فتعني بأنها (( حقيقة غير لسانية تستدعيها العلامة ))<sup>(١٧)</sup>، أيضًا يقصد بها (( كل الطبقات المتعددة والمختلفة من البنى المعرفية المتجسدة في النص، والسابقة في وجودها الجزئي عليه، وهي كذلك شبيهها أو مثليها عند القارئ ))<sup>(١٨)</sup>، ففي الاصطلاح الإجرائي نقصد بها أنها هي المورد الذي يستمد منه شارح نهج البلاغة أفكاره، وآراءه، وأسلوبه، وفلسفته في كتابة شرحه.

ويمكننا اجمالاً أثر المرجعيات الفكرية للشراح في شرحهم العهد العلوي بما يأتي:

١- قسّم كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرانيّ العهد العلويّ على أربعة فصولٍ؛ من أجل بيان المحاور التي أراد الامام العمل بها في قيادة الدولة، وهذه الفصول هي: الفصل الأول: تضمن غرض الولاية وبيان مفهومه، أيضاً تضمن خمسة أوامر لمالك يلزم عليه في اصلاح نفسه من التأديب والحزم؛ ليقدّر على اجراء أمر ولاية مصر، والفصل الثاني: في أوامره ووصاياه بالأعمال الصالحة المتعلقة بأحوال الولاية وتدبير الملك والمدينة، والفصل الثالث: ارشاده فيه الى ما يستصلح به الناس وأمورهم، والتنبيه على طبقات الناس الذين ينتظم بهم أمر المدينة، ووضع كلّ على حدّة وطبقته التي يقتضي الحكمة النبويّة وضعه فيها، والاشارة الى تعلق كلّ طبقة بالأخرى حيث لا صلاح لبعضهم الا بالبعض، وبذلك يكون قوام المدينة، ثم بالإشارة الى من يستصلح من كلّ صنفٍ، وطبقة يكون أهلاً لتلك المرتبة، والوصية في كلّ ما يليق به، أما الفصل الرابع فيتعلق بالأوامر والنواهي المصلحية، والآداب الخلقية والسياسية، بعضها عامّة، وبعضها خاصّة يتعلق بعماله وبخاصته، وببطانته، وبنفسه وأحوال عبادته الى غير ذلك.

أما الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي فقد توسع شرحه للعهد العلوي، فجعل العهد على أربعة عشر فصلاً، وهي:

الفصل الأوّل: محوره عقد لمالك ولاية عامّة على كلّ أمور مصر وجمعها في أربع: الأمور المالية والاقتصادية، والأمور العسكرية، والأمور الاجتماعيّة والنظم الحقوقية الراجعة الى كلّ فردٍ.

الفصل الثاني: بيان روابط مالك مع رعيته، والمسوسين له العامّة والخاصّة.

الفصل الثالث: تضمن بيان طبقات الناس والرعيّة، وأثبت الامام أن الرعيّة سبع

طبقات، وليس المقصود من ذلك اثبات نظام الطبقات وتأييده فان نظام الطبقات مخالف للعدل والديمقراطية الحاكمة بتساوي الرعية في الحقوق.

الفصل الرابع: محوره بيان ما يلزم أن يتّصف به الجندي من الأوصاف حتى يستحق لمقام الولاية على السائرين، وهذا هو من أهم أمور النظام العسكري.

الفصل الخامس: يتعلق بالجنود وأمراءه للعدالة؛ وذلك لارتباط اجراء العدل في البلاد بالجنود؛ لكونه هو المالك والقائم بالسيف في الرعية بحيث يكون القوة والقدرة على اجراء الأمور بيده.

الفصل السادس: تعرّض الى القوة القضائية، وما يلزم في القاضي من الأوصاف والألقاب؛ ليكون أهلاً لتصدّي منصب القضاء والحكم بين الناس.

الفصل السابع: تضمن بيان النظام السياسي للبلاد، وكان النظام السياسي في صدر حكومة الاسلام بسيطاً جداً، فهو العلة الرئيسة لتقدّم الاسلام، ونفوذه في الأمم والشعوب، فكان ينبعث قبل الخليفة لكل ناحية عامل، والشغل الرئيس لهذا العامل مهما كان مدار عمله وسعيًا أمران: الأول: اقامة الصلاة للناس بإمامته، فكان حضور الجماعة والصلاة خلف العامل واجبًا على كل المكلفين، والأخر: جمع الخراج من الدهاقين والزارعين، ويدخل في ضمنه الجزية المفروضة على أهل الكتاب الداخلين في ذمة الاسلام من اليهود والنصارى، والمجوس.

الفصل الثامن: محوره نظام الديوان والكتّاب، وهو من الأنظمة الرئيسة في الدول الراقية والمتمدّنة، وتضمن هذا الفصل تنظيم نظام الديوان، وألقاب الكتّاب اللائقين الأنجاب، وبيان ما يلزم من آداب الكتّاب.

الفصل التاسع: يتضمن ما يصلح به أمر الأمة، وركنه التجارة والصناعة، والتجارة شغلٌ شريفٌ حثَّ عليها في الشرع الاسلامي؛ لكونها وسيلة لتبادل الحاصلات الأولى، والتوليدات الصناعية، وهذا التبادل ركن الحياة الاجتماعية، ونظام الحيوية المدنية.

الفصل العاشر: أوضح فيه الامام الطبقة السفلى، نظرًا الى ظاهر حالهم عند الناس حيث عاجزون عن الحيلة والاكتساب، وهم مساكين، ومحتاجون، والمبتلون بالبؤس، والزمانة؛ لكن سواهم مع جميع الناس في الحقوق، وأظهر بهم أشد العناية، وقسمهم على ثلاثة: القانع، وقد فسّر يمن يسأل لرفع حاجته، ويعرض حاجته على مظانّ قضائه، والمعتزّ: وهو السيئ الحال الذي لا يسأل الحاجة بلسانه؛ لكن يعرض نفسه في مظان الترحم والتوجّه اليه، فكان يسأل بلسان الحال، من اعتزل في زاوية بيته لا يسأل بلسانه، ولا يعرض نفسه على مظانّ قضاء حوائجه، اما لرسوخ العفاف وعزّة النفس فيه، واما لعدم قدرته.

الفصل الحادي عشر: يتضمن بيان ما يربط الوالي نفسه، وبينه الامام في ثلاثة أمور: الأول: ما يلزم على الوالي بشأن العموم من يرجع اليه من حاجة ويشكو اليه في مظلمة، ووصّاه بأن يعيّن وقتًا من أوقاته لإجابة المراجعين اليه.

الثاني: ما يلزم عليه في ما بينه وبين أعوانه وعمّاله المخصوصين به من الكتبّ والخدمة.

الثالث: ما يلزم عليه في ما بينه وبين الله فوصّاه بأن الولاية بما فيها من المشاغل والمشاكل، لا تحول بينه وبين ربّه، وأداء ما يوجب عليه من العبادة، والتوجّه الى الله.

الفصل الثاني عشرة: محوره هو النهي عن غيبة الوالي من بين الناس وعدم الاختلاط معهم؛ اذ لا يعرف أحوالهم، فينتهز خواصّه هذه الفرصة فيموّهون عليه الحقائق مثلما يريدون، ويعرضون عليه الأمور بخلاف ما هي عليه، فيستصغر عنده الكبير

وبالعكس، ويقبح بإضلالهم عند الحسن وبالعكس، ولا يميّز عنده الحق من الباطل. الفصل الثالث عشر: يتضمن نواحي العدالة يجب أن تكون متساوية، وعليه يلزم الولاية، والحكام، والسلاطين، والزعماء، العدالة في خصوص الأولياء، والأحباء، والأقرباء، والأرحام، من حيث منعهم عن الظلم بالرعيّة اعتماداً على تقرّبهم بالحاكم، ومن بيده الأمر والنهي.

الفصل الرابع عشر: هذا الفصل يتعلق في الروابط الحكوميّة الاسلاميّة الخارجيّة، وحثّ على رعاية الصّلاح، وقبول الدّعوة اليه، وهذا الدّستور ناشئ من جوهر الاسلام الذي كان شريعة الصّلاح والسّلام، والأمن، فإنّه نهض بشعارين ذهبيين وهو الاسلام والايان، والاسلام مأخوذ من السّلم، والايان مأخوذ من الأمن، وهذان الشعاران اللذان نهض الاسلام بهما.

٢- الاختلاف في تأويل كلام الامام، ومن أمثلة ذلك: قوله: ((... وأن ينصر الله سبحانه بيده، وقلبه، ولسانه، فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره، واعزاز من أعزّه))<sup>(١٩)</sup>؛ اذ شرح ابن أبي الحديد عبارة (نصرة الله بيده: بالسيف، وبالقلب الاعتقاد للحق...) <sup>(٢٠)</sup>، بينما توسع في معنى تأويل هذه العبارة الميرزا حبيب الله الخوئي؛ اذ قال: ((لا ينحصر نصره الله باليد على الجهاد بالسيف، فإنّها تحقق كلّ أعمال الجوارح المرضية لله تعالى، ومنها الجهاد بالسيف، اذا حان الوقت، وحظر شرطه))<sup>(٢١)</sup>.

كذلك اختلافهم في تأويل في دلالة العّمّال، في قول الامام: ((ثمّ انظر في أمور عمّالك، فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباةً وأثرةً، فانهما جماع من شُعب الجور والخيانة))<sup>(٢٢)</sup>، فقد قال ابن أبي الحديد في دلالة العّمّال: ((... وهم العّمّال السّواد والصدقات، والوقوف، والمصالح وغيرها...))<sup>(٢٣)</sup>، بينما توسّع في دلالة تأويل العّمّال، وردّ كلام ابن أبي الحديد؛ اذ قال: ((لا وجه لاختصاص بصنف من العّمّال،

بل المقصود منه مطلق العمّال، ومن يلي أمر ناحية البلاد، والاثرة هو اظهار المحبة لأحد، أو التعطف له لتودّده، أو حاجته، وغير ذلك من دواعي الخصوصية...)) (٢٤)

واختلفوا في توجيه عبارة الامام: ((...وَوَفَّ مَا تَقَرَّبَتْ بِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَكَ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ، وَلَا مَنْقُوصٍ...)) (٢٥)، اذ قال ابن أبي حديد في توجيه هذه العبارة: ((كاملًا غير مثلوم)، أي لا يملكك شغل السلطان على أن تختصر الصلاة اختصارًا، بل صلّها بفرائضها، وسننها، وشعائرها في نهارك وليلك...)) (٢٦)، بينما الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي أخذ ظاهر التأويل؛ اذ قال: ((الظاهر أن المقصود من قوله (غير مثلوم) هو النهي عن الاخلال بواجب في العبادة من شرط أو جزء، بحيث يوجب بطلان، والمقصود من قوله (غير منقوص) النهي عن النقصان غير المبطل كالاختصار، والتعجيل في الأداء أو التأخير من وقت الفضيلة)) (٢٧).

كذلك اختلف شراح نهج البلاغة في تأويل دلالة الاحتجاب، في قول الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام): (( وأما بعد هذا، فلا تُطَوِّ احتجابك عن رعيتك...)) (٢٨)، فقد أوضح ابن أبي الحديد دلالة الاحتجاب؛ اذ قال: (( نهاه عن الاحتجاب؛ فأنه مَظَنَّة انطواء الأمور عنه، واذا رُفِعَ الحجاب دخل عليه أحد فعرف الأخبار، ولم يخفَ عليه شيء من أحوال عمله)) (٢٩)، بينما خالف حبيب الله الخوئي ما أوضحه ابن أبي الحديد من دلالة (الاحتجاب)، فقد ذكر أن المقصود بالاحتجاب هو النهي عن غيبة الوالي من بين النَّاس وعدم الاختلاط معهم؛ اذ لا يعرف أحوالهم، فينتهز خواصّه هذه الفرصة فيموّهون عليه الحقائق مثلما يريدون، ويعرضون عليه الأمور بخلاف ما هي عليه، فيستصغر عنده الكبير وبالعكس، ويقبح بإضلالهم عند الحسن وبالعكس، ولا يميّز عنده الحقّ من الباطل (٣٠).

٣- الاكثار من التقسيمات، وهذا الاكثار يعدّ ضرباً من ضروب ايضاح كلام الامام عليّ (عليه السلام)، ومن ذلك: تفصيلهم في طبقات أهل المدينة، وبيان تفضيل الجنود على الطبقات الأخرى<sup>(٣١)</sup>، كذلك تفصيلهم في ذكر أوصاف تعيين الجنود<sup>(٣٢)</sup>، والقضاة<sup>(٣٣)</sup>، وتفصيلهم أوصاف الكتاب<sup>(٣٤)</sup>، وتفصيلهم في أوصاف الخاصّة بالوالي<sup>(٣٥)</sup>.

كُثر الاستشهاد بالحوادث التاريخية<sup>(٣٦)</sup>، والرسائل<sup>(٣٧)</sup>، والأحاديث<sup>(٣٨)</sup>، والعهود، فضلاً عن كثرة الشواهد الشعرية والقرآنية، ومن أمثلة ذلك: تاريخ مصر<sup>(٣٩)</sup>، ورسالة الاسكندر الى أرسطو وردّ أرسطو عليه<sup>(٤٠)</sup>.

عرض المسائل الفقهية في أثناء شرحهم العهد العلويّ، ومن ذلك: مسألة شرائط القاضي عند الفقهاء<sup>(٤١)</sup>، ومسألة الاحتكار الأجناس<sup>(٤٢)</sup>.

## الخاتمة:

- ففي نهاية بحثنا يمكننا الوقوف على أبرز ما هدف إليه؛ وذلك في ما يأتي:
- أ- وقف هذا البحث على أهم المرجعيات الفكرية عند شراح نهج البلاغة في شرحهم العهد العلويّ.
- ب- أوضح البحث اختلاف تعدد وجهات نظرهم في تأويل عبارة نص العهد.
- ت- استقى الشراح من روافد متعددة، منها: القرآن الكريم، والسنة النبويّة، والفقه، والرافد التاريخي، والرافد اللغويّ والنحويّ، فضلا عن مصطلحات مدارسهم الفكرية، كل هذه الروافد وغيرها مكنتهم من شرح العهد العلويّ.
- ث- يمكن دراسة العهد العلوي على وفق الفصول التي تناولها الشراح، لبيان مضامينه.

## التوصيات:

١. أن تتبنى أقسام اللغة الانكليزية واللغة العربية، واللغات الأخرى بترجمة العهد العلويّ؛ لكونه يمثل دستور هذه الأمة، وسرّ نجاحها ان التزمت به، وبأوامره ونواهي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).
٢. أن تتبنى وزارة التربية، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي بتدريس مضامين العهد العلويّ، بدلا من دراسة الحضارات القديمة كاليونانية والرومانيّة، والعهود الاوربيّة التي استقت مادتها من العهد العلويّ.
٣. دراسة مضامين عهد الامام علي بن أبي طالب من خلال شروح نهج البلاغة.

## الهوامش

١. يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تح: احسان عباس: ٣٩١-٣٩٢/٥، وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح: د. بشار عواد، ود. محيي هلال سرحان: ٣٧٢/٢٣، والبداية والنهاية لابن كثير عماد الدين الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح: علي شيري: ١٣/٢٢٣.
٢. يُنظر: ذيل تاريخ مدينة السلام، لأبي عبد الله محمد بن سعيد الديبشي (ت ٦٣٧هـ)، تح: د. بشار عواد معروف: ٩٥/٥، ومصادر السيرة النبوية والتأريخ الاسلامي، السيد سامي البدري: ١٣٣.
٣. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: ٣.
٤. يُنظر: المصدر نفسه (مقدمة المحقق): ١٨-١٩.
٥. يُنظر: ما كتبه الشيخ محمد رضا خاتمي (بروجردي) في مقدمة شرح نهج البلاغة لكمال ميثم علي بن ميثم البحراني: ١٤-١٥، وكتاب لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث، للشيخ يوسف ابن أحمد البحراني (ت ١١٨٦هـ)، حققه: العلامة الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم: ٢٤٥-٢٤٦.
٦. يُنظر: شرح نهج البلاغة، لكمال ميثم بن علي بن ميثم البحراني: ٢١.
٧. ينظر: لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث: ٢٤٤.
٨. ينظر: مقدمة محقق شرح نهج البلاغة، لكمال ميثم بن علي بن ميثم البحراني: ١٣، لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث: ٢٤٣.
٩. ينظر: شرح نهج البلاغة، لكمال ميثم بن علي بن ميثم البحراني: ١١ وما بعدها، لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث: ٢٤٨-٢٤٩.

١٠. ينظر: أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين: ٥٦١.
١١. ينظر: مرآة الكتب، لثقة الاسلام التبريزي علي بن موسى، تح: محمد علي الحائري: ٤٨١.
١٢. ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للسيد آغا بزرك الطهراني: ٤ / ١٤٥.
١٣. ينظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: ٤١-٧/١.
١٤. ينظر: مقدمة شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم البحراني، تقديم: د. عبد القادر حسين: ١٩-٢٢٣.
١٥. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي: ٢٠٢-١٨.
١٦. ينظر: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، د. عبد الحليم موسى، منشور في مجلة دراسات أدبية/ الجزائر، العدد ١، ٢٠٠٨م: ١٤.
١٧. ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش: ٩٧.
١٨. ينظر: مسارات النصوص... مسارات القراءة داخل في قراءة النص الشعري، زياد الزغبى، بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي، العدد ٤١٢: ٤٥.
١٩. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: ٢٢ / ١٧.
٢٠. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٢١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ٢٠ / ١٥٢.
٢٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ١٧ / ٤٧.
٢٣. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٢٤. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ٢٠ / ٢١٦.

٢٥. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ١٧ / ٦٠.
٢٦. المصدر نفسه: ١٧ / ٦١.
٢٧. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ٢٠ / ٢٤٦.
٢٨. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ١٧ / ٦١.
٢٩. المصدر نفسه والمصدر نفسه.
٣٠. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ٢٠ / ٢٥١.
٣١. ينظر: شرح نهج البلاغة، لميثم البحراني: ٥ / ١٤٨-١٤٩.
٣٢. ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٥٠.
٣٣. ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٥٢.
٣٤. ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ١٥٧.
٣٥. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ٢٠ / ١٦٥.
٣٦. ينظر: المصدر نفسه: ٢٠ / ٢١٧.
٣٧. يُنظر: المصدر نفسه: ٢٠ / ٢٢٤-٢٢٥.
٣٨. يُنظر: المصدر نفسه: ٢٠ / ٢٣١.
٣٩. ينظر: المصدر نفسه: ٢٠ / ١٥٣-١٥٩.
٤٠. ينظر: المصدر نفسه: ٢٠ / ١٨٥-١٨٧.
٤١. ينظر: المصدر نفسه: ٢٠ / ٢٠٨ وما بعدها.
٤٢. ينظر: المصدر نفسه: ٢٠ / ٢٣٥ وما بعدها.

## المصادر

١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تح: احسان عباس: ٣٩١-٣٩٢، وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تح: د. بشار عواد، ود. محيي هلال سرحان: ٣٧٢ / ٢٣، والبداية والنهاية لابن كثير عماد الدين الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح: علي شيري: ٢٢٣ / ١٣.
٢. يُنظر: ذيل تاريخ مدينة السلام، لأبي عبد الله محمد بن سعيد الديهبي (ت ٦٣٧هـ)، تح: د. بشار عواد معروف: ٩٥ / ٥، ومصادر السيرة النبوية والتأريخ الاسلامي، السيد سامي البدري: ١٣٣.
٣. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: ٣.
٤. يُنظر: المصدر نفسه (مقدمة المحقق): ١٨ / ١-١٩.
٥. يُنظر: ما كتبه الشيخ محمد رضا خاتمي (بروجردي) في مقدمة شرح نهج البلاغة لكمال ميثم علي بن ميثم البحراني: ١٤-١٥، وكتاب لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث، للشيخ يوسف ابن أحمد البحراني (ت ١١٨٦هـ)، حققه: العلامة الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم: ٢٤٥-٢٤٦.
٦. يُنظر: شرح نهج البلاغة، لكمال ميثم بن علي بن ميثم البحراني: ٢١.
٧. ينظر: لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث: ٢٤٤.
٨. ينظر: مقدمة محقق شرح نهج البلاغة، لكمال ميثم بن علي بن ميثم البحراني: ١٣، لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث: ٢٤٣.
٩. ينظر: شرح نهج البلاغة، لكمال ميثم بن علي بن ميثم البحراني: ١١ وما بعدها، لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث: ٢٤٨-٢٤٩.
١٠. ينظر: أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين: ٥٦١.

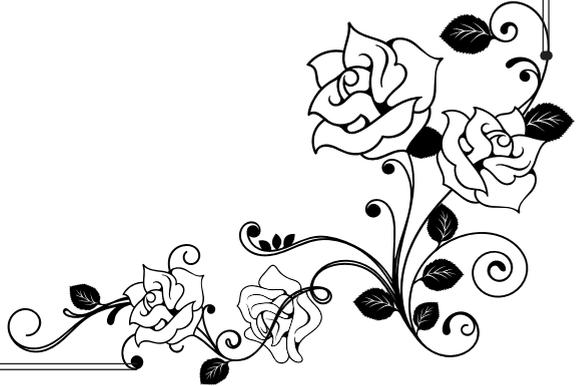
١١. ينظر: مرآة الكتب، لثقة الاسلام التبريزي علي بن موسى، تح: محمد علي الحائري: ٤٨١.
١٢. ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للسيد آغا بزرك الطهراني: ٤ / ١٤٥.
١٣. ينظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: ٤١-٧/١.
١٤. ينظر: مقدمة شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم البحراني، تقديم: د. عبد القادر حسين: ١٩-٢٢٣.
١٥. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي: ١٨-٢٠٢.
١٦. ينظر: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، د. عبد الحليم موسى، منشور في مجلة دراسات أدبية / الجزائر، العدد ١، ٢٠٠٨م: ١٤.
١٧. ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش: ٩٧.
١٨. ينظر: مسارات النصوص... مسارات القراءة داخل في قراءة النص الشعري، زياد الزغبى، بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي، العدد ٤١٢: ٤٥.
١٩. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: ٢٢ / ١٧.
٢٠. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٢١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ١٥٢ / ٢٠.
٢٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ٤٧ / ١٧.
٢٣. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٢٤. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ٢١٦ / ٢٠.
٢٥. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ٦٠ / ١٧.

٢٦. المصدر نفسه: ٦١ / ١٧.
٢٧. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ٢٤٦ / ٢٠.
٢٨. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ٦١ / ١٧.
٢٩. المصدر نفسه والمصدر نفسه.
٣٠. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ٢٥١ / ٢٠.
٣١. ينظر: شرح نهج البلاغة، لميثم البحراني: ١٤٨ - ١٤٩ / ٥.
٣٢. ينظر: المصدر نفسه: ١٥٠ / ٥.
٣٣. ينظر: المصدر نفسه: ١٥٢ / ٥.
٣٤. ينظر: المصدر نفسه: ١٥٧ / ٥.
٣٥. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للخوئي: ١٦٥ / ٢٠.
٣٦. ينظر: المصدر نفسه: ٢١٧ / ٢٠.
٣٧. يُنظر: المصدر نفسه: ٢٢٤ - ٢٢٥ / ٢٠.
٣٨. يُنظر: المصدر نفسه: ٢٣١ / ٢٠.
٣٩. ينظر: المصدر نفسه: ١٥٣ - ١٥٩ / ٢٠.
٤٠. ينظر: المصدر نفسه: ١٨٥ - ١٨٧ / ٢٠.
٤١. ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٨ / ٢٠ وما بعدها.
٤٢. ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٥ / ٢٠ وما بعدها.

# الاستبدال وأثره في اتساق النص

عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) إنموذجا

م.د. مجيب سعد أبوكطفية





## الملخص

يشهد البحث اللغوي المعاصر تطوراً مذهلاً وكبيراً، إذ تعددت النظريات، والاتجاهات، والمناهج التي تعنى باللغة، وأنظمتها، وخصائصها، ويهدف ذلك إلى تقديم أوضح تفسير ممكن لمختلف الظواهر اللغوية من أجل خدمة الإنسان.

ومن العلوم التي اهتمت بدراسة اللغة "اللسانيات النصية"، وهو العلم الذي يدرس النص بعدّه البنية الكبرى في اللغة ومن ثمّ تجاوز حدود الجملة.

وقد اعتمد النصيون على مجموعة من المعايير في تحليل النص، تُمثّل هذه المعايير طرائق يُنظر بها إلى النصّ على أنّه وحدة مستقلة في ذاتها وتُحدّد ابتداءً ماذا يُشكّل نصّاً ما.

وقد نتجت هذه المعايير عن سؤال، ما الذي يجعل تتابعاً جُملياً نصّاً؟ وما الشروط

التي

يجب أن تُقدّم في تكوين النصّ؟ وبالإجابة عن هذه الأسئلة يمكن أن يتحدث عن النص، ويمكن أن يُفصل ذلك النصّ عن تتابعات جُمليّة عارضة يجب أن توصف بأنّها ليست نُصوصاً.

فتصنيف هذه المعايير "جاء على وفق معايير تخصّ النصّ، ومعايير تخصّ المشاركين، وأخرى تخصّ المحيط الثقافي".

إنّ هذه المعايير بعضها لغويّ، كما في الاتّساق، والانسجام، وبعضها غير لغويّ، كما في القصدية، والمقبولية، وبعضها مشترك بين اللغويّ، وغير اللغويّ، كما في الموقفيّة والإعلاميّة والتّناسّ.

ونحن في بحثنا هذا سنقتصر على معيار واحد وهو معيار الاتّساق محاولين أن نتخذ من الاستبدال الذي يمثل أحد وسائله منطلقاً لتحليل عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر (رضي الله عنه).

## المقدمة

الحمد لله الذي لا يخلف وعده رسله ومضت إرادته أن يمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين، ثم الصلاة والسلام على الرسول الشاهد على خلقه المبشِّر بأن المهدي من ذريته، وعلى خلفائه من أهل بيته الموعدين باستخلافهم في الأرض وتمكين الدين ليظهره رغم كره الكارهين الجاحدين لهم. وبعد

يشهد البحث اللغوي المعاصر تطوراً مذهلاً وكبيراً، إذ تعددت النظريات، والاتجاهات، والمناهج التي تعنى باللغة، وأنظمتها، وخصائصها، ويهدف ذلك إلى تقديم أوضح تفسير ممكن لمختلف الظواهر اللغوية من أجل خدمة الإنسان. ومن العلوم التي اهتمت بدراسة اللغة "اللسانيات النصية"، وهو العلم الذي يدرس النص بعدّه البنية الكبرى في اللغة ومن ثمَّ تجاوز حدود الجملة. يدين هذا العلم بوجوده إلى التطور الحاصل في مجالين مختلفين، ولكنها متقاربان كثيراً:

المجال الأول: يتمثل بظهور ما أطلق عليه تون. أ. فان دايك: "علم متداخل الاختصاصات" يهدف أساساً إلى تحليل عام للنصوص<sup>(١)</sup>. ف "اللسانيات النصية" تكون بذلك جزءاً من نزعة طغت على التوجه العام للأبحاث الحاصلة في العلوم المجاورة للدراسات اللغوية، والأدبية، لعلَّ أهمها "علم النفس والاجتماع مثلما يكون الشأن في علم الاتصال الجماهيري"<sup>(٢)</sup>.

ويذهب اللساني الأمريكي روبرت دي بوجراند إلى تعميمها على العلوم التي لها صلة باللسانيات "كعلم النفس وعلوم الاجتماع والفلسفة وعلوم الحاسب الآلي والسيمو طيقا والتربية والدراسات الأدبية"<sup>(٣)</sup>.

ويعدُّ منهج تحليل المحتوى أو تحليل المضمون في علم الاجتماع، ومنهج تحليل المحادثة أو الحوار في علم النفس، وعلم الطب النفسي، والعلاج النفسي الأكثر تبلورًا بين مناهج التحليلات النصية التي عرفتھا العلوم الإنسانية، والاجتماعية، وإنھا شديدة الارتباط بمنهج التحليل النصي للأدب<sup>(٤)</sup>. وهذا ما ذهب إليه فان دايك الذي يرى أنَّ التحليل اللغوي للنص الأدبي ما هو في الحقيقة إلتيار مواكب لما تعرفه العلوم المجاورة من تطور<sup>(٥)</sup>.

المجال الثاني: يتمثل بالتطور الذي شهدته الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة،

ولاسيما في نقل

الاهتمام من الجملة إلى النص<sup>(٦)</sup>. إذ المنطلقات النظرية في النظريات النحوية المختلفة تُعدُّ الجملة دائرة البحث، وهي أقصى درجات التركيب؛ ممَّا جعل هذه النظريات تُغيَّبُ المبحث المتمثل في تحليل النَّصِّ، وتغفل الطرائق الإجرائية في بيان الحدود الفاصلة بين الجمل المكونة للنَّصِّ<sup>(٧)</sup>، وتمسك بمبدأين هما<sup>(٨)</sup>:

١. الإصرار على استقلال النحو عن رعاية المواقف العملية.

٢. إخضاع كُلِّ الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة، قد كَوَّنَا عقبة كأداء أمام نظريات الصياغة اللغوية.

ويمكن النظر إلى التَّطوُّر الحاصل في الدرس اللساني على أنه أمرٌ ناتجٌ عن الإحساس بالوظيفة الاجتماعية للغة، وإلى ضرورة وجود الأثر التواصلي الذي يعدُّه الألسنيون جوهر العمليات الاجتماعية<sup>(٩)</sup> إذ إنَّ "كثيراً من الظواهر التي تعالج في إطار النص كوحدة كبرى هي في حقيقة الأمر قد كانت محور كثير من البحوث النحوية التي كانت تُعدُّ الجملة أكبر وحدة في التحليل، غير أن النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد

دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للبنية النصية وقواعد ترابطها" (١٠).

### معايير النص

تُمثِّلُ معاييرُ النَّصِّ طرائقَ يُنظرُ بها إلى النَّصِّ على أَنَّهُ وحدةٌ مستقلةٌ في ذاتها، ومُحدِّدٌ ابتداءً ماذا يُشكِّلُ نَصًّا ما.

وقد نتجت هذه المعايير عن سؤال، ما الذي يجعل تتابعاً جُملياً نَصًّا؟ وما الشروط التي

يجب أن تُقدِّمَ في تكوين النَّصِّ؟ وبالإجابة عن هذه الأسئلة يمكن أن يتحدث عن النص، ويمكن أن يُفصل ذلك النَّصُّ عن تتابعات جُمليَّةٍ عارضة يجب أن توصف بأنَّها ليست نُصوصاً (١١).

تباين اللسانيون "بعضهم عن بعضهم الآخر في التصورات والإجراءات التي يعتمدونها في التمييز بين النَّصِّ واللَّائِصِّ، أو السَّمات الكافية لإطلاق اسم النَّصِّ على مقاربة ما" (١٢).

لمَّا رأى بوجراند ودريسler عدم شمولية الدراسات اللسانية السابقة في كشف نماذج مقبولة للنشاط الإنساني اقترح معايير النَّصِّيَّة "Textulity" أساساً مشروعاً لإيجاد النُّصوص واستعمالها، وصنَّفَ المعايير التي يُحَلِّلُ النَّصَّ على أساسِها بالنحو الآتي:

- أ- ما يتَّصَلُ بالنَّصِّ في ذاته، وهما معيارا الاتِّساقِ والانسجام.
- ب- ما يتَّصَلُ بمستعملي النَّصِّ - سواء أمنتجاً كان المستعمل أم مُتلقياً- وهما معيارا القصدية والمقبولية.

ت- ما يتّصل بالسياق الخارجي: وهو بقية المعايير: "الإعلاميّة والموقفية والتناص"، (١٣).

فتصنيف هذه المعايير "جاء على وفق معايير تخصّ النصّ، ومعايير تخصّ المشاركين، وأخرى تخصّ المحيط الثقافي" (١٤).

إنّ هذه المعايير بعضها لغويّ، كما في الاتساق، والانسجام، وبعضها غير لغويّ، كما في القصديّة، والمقبوليّة، وبعضها مشترك بين اللغويّ، وغير اللغويّ، كما في الموقفية والإعلاميّة والتناصّ.

ونحن في بحثنا هذا سنقتصر على معيار واحد وهو معيار الاتساق محاولين أن نتخذ من الاستبدال الذي يمثل أحد وسائل الاتساق وسيلة لتحليل عهد الإمام على (عليه السلام) الى مالك الأشتر (رضي الله عنه).

### الاتساق

يحكمُ ترابط الجمل مع بعضها أدوات شكلية أو دلالية، وإنّ خلو النص من هذه الأدوات يُصيّره جملاً مترابطة لا يربط بينها رابط "ويصبح النصّ - إذا عددناه نصاً - جسداً بلا روح" (١٥). من هنا ظهرت الحاجة إلى عنصر جوهري يدخل في تشكيل النصّ وتفسيره، فيعمل على جعل الكلام مفيداً، ويعمل على استقرار النصّ وثباته، بعدم تشتت الدلالة الواردة في النصّ، وتنظيم بنية المعلومات داخل النصّ مما يساعد القارئ على فهمه بمتابعة خيوط التّرابط المتحركة عبر النصّ التي تمكنه من ملء الفجوات أو معلومات ما بين الشُّطور التي لا تظهر فيه ولكنها ضرورية (١٦). وقد أطلق الغربيون على هذا المعيار مصطلح "cohesion" الذي يُعدّ المعيار الأوّل من المعايير النصّية التي وضعها بوجراند ودريسلر، وعدها "سمة تعكس تبعية الأبنية السطحية في النص بعضها إلى بعض وتعتمد على الأبنية القواعدية" (١٧). ولقى

هذا المصطلح عناية اللسانيين الكبيرة، بتوضيح مفهومه، وأدواته، وإبراز عوامله وشروطه، ولم يتفق الباحثون العرب حول المصطلح العربي المقابل له، فاستعملوا مصطلحات متعددة بتعدد الدراسات النصية العربية<sup>(١٨)</sup>.

أثر البحث استعمال مصطلح الاتساق من دون غيره من المصطلحات، نحو السبك، والتضام، والتناسق، والترابط الرصفي، على الرغم من أن هذه المفردات جميعها تحمل معنى الترابط الشكلي<sup>(١٩)</sup>؛ "لأن السبك مصطلح تراثي، حتى لا تختلط المفهومات القديمة بالحديثة، وأما مصطلحا التضام والتناسق فليسا متداولين في أوساط اللسانيين النصيين، والترابط الرصفي مصطلح مركب يستحسن الابتعاد عنه"<sup>(٢٠)</sup>، فيكون الاتساق هو المصطلح الأنسب، اعتماداً على ترجمة محمد خطابي؛ إذ تبدو هذه الترجمة أقرب إلى المفهوم المراد، وأكثر شيوعاً في الدرس اللساني الحديث<sup>(٢١)</sup>.

### مفهوم الاتساق:

لم يخل مفهوم الاتساق من الاضطراب في تعريفه؛ فهناك اتجاهان مختلفان في تحديده:

الاتجاه الأول: يرى أن الاتساق هو ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المؤلفة لنص لغوي ما، ويهتم بالوسائل اللغوية الشكلية الموصلة بين العناصر المكونة لجزء من النص أو النص برمته<sup>(٢٢)</sup>.

فالانساق يتعلق بأجزاء النص اللغوي الظاهرة على سطحه، نحو أدوات العطف، والتكرار، والإحالة، وغيرها من الوسائل التي تحقق الترابط بين أجزائه.

الاتجاه الثاني: يرى أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، فهو يميل إلى العلاقات المعنوية الموجودة داخل النص التي تحدده نصاً<sup>(٢٣)</sup>. فالانساق على هذا "خاصية

دلالية للخطاب؛ تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى" (٢٤).

يبدو أن ما دفع الباحثين إلى الاتجاه الثاني هو أن أدوات الربط تؤدي مهمة وظيفية؛ لا لأنها وحدات نحوية تربط بين الجمل بعضها ببعض؛ بل لكونها وحدات وظيفية تؤدي أثراً في جعل النص وحدة دلالية (٢٥)، "فنظروا إليها على أنها تتعلق بالدلالة، فمتى ما تغيرت أداة ربط أو استبدلت أخرى بها في نص لغوي ما أو جملة ما، تغيرت الدلالة" (٢٦).

### وسائل الاتساق

الاتساق خاصية دلالية للنص، يعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، وتقوم أدواته بوظيفة إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص في مستواه الخطي المباشر (٢٧)، ويمثل الاتساق انطلاقاً من الشكل إلى الدلالة؛ فالروابط التي تربط ظاهر النص تحتوي على قدر من الدلالة تم الربط على وفقه، فيتحقق الربط بوساطة علاقات دلالية أساسية؛ إذ يعتمد تفسير أحد العناصر في النص على العنصر الآخر؛ لذا قد يقع الربط داخل الجملة أو بين الجمل (٢٨). هذا الترابط المنظم بين الجمل يعرف بالاتساق؛ وهو الذي يضمن تماسك النص وتمييزه عن اللانص.

وقد أسهمت في عملية الاتساق مجموعة من الوسائل والأدوات النحوية، والدلالية، وهذا جعل الاتساق يكون تركيبياً ودالياً. إذ رصد الألسنيون الوسائل التي تسهم في تحقيق الاتساق وعدّوا من أبرزها الربط المعجمي، والربط النحوي (٢٩). ونحن في بحثنا هذا سنقتصر على وسيلة واحدة من وسائل الاتساق وهي الاستبدال، وعلى النحو الآتي:

## - الاستبدال :

الاستبدال وسيلة من وسائل الاتساق النحوية تعمل على الترابط بين أجزائه. ويُعرَّف بأنه: "عملية تتم داخل النص، وهو يتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات وعبارات" (٣٠) أو هو إحلال تعبير لغوي محلّ تعبير لغويّ آخر، ويسمّى التّعبيرُ الأوّل من التّعبيرين، المنقول أو المستبدل، والآخر الذي حلّ محلّه المستبدل منه (٣١). والاستبدال على هذا هو عمليةٌ تكون داخل النصّ.

وعملية الاحلال هذه تجعل من السهل الربط بين الاستبدال والإحالة، ((حيث يستبدل لفظ لاحق بـ (لفظ أو فعل أو جملة) سابقة على النص فيعمل على سبك النص وتماسكه، ويعمل أيضاً على اختصاره)) (٣٢)، وربما تتضح العلاقة بين الاستبدال والإحالة إذا علمنا اشتراط المطابقة الإحالية بين المستبدل والمستبدل به (٣٣). إلا أن ثمة فروقاً بين الإحالة والاستبدال، وهي التي تميز الاستبدال وتمنحه خصوصية، ومن هذه الفروق: (٣٤)

١. إن الاستبدال لا يقع إلا داخل النص، في حين تقع الإحالة داخل النص وخارجه، فالاستبدال أخص من الإحالة.

٢. إن الاستبدال يعد علاقة بين طرفيه على المستويين النحوي والمعجمي، أما الإحالة فهي علاقة على المستوى الدلالي (٣٥).

٣. إنه يشترط في الاستبدال كون عنصراه مشتركين في البنية الوظيفية، في حين لا يشترط ذلك في الإحالة.

ويعد الاستبدال وسيلة قوية تكفل اتساق النص، فإذا كان النص تتابعاً لوحدات لغوية، فالتسلسل الضميري هو الوسيلة الحاسمة لتشكيله، وعن طريقه يمكن ربط الجمل مع ضمان تنوع الأسلوب، واختصاره، والاستبدال هو الذي يحقق ذلك (٣٦).

وفي الاستبدال خاصية غير حقيقية الصقها به أغلب الباحثين في البحوث النصية، وهي كونه محدود العبارات والأساليب كما سيظهر لنا في بيان أنواع الاستبدال، ((فجعلوا في الاستبدال محدودية بشكل ما تختلف عن الاتساع والثراء الذي نجده في وسائل الاحالة المتنوعة الضمائر، أسماء الإشارة، الموصولات، بعض الظروف) (٣٧). وإن انعام النظر في النصوص الثرية يظهر أن عناصر الاستبدال أوسع مجالاً من هذه الألفاظ التي ذكروها وأرادوا حصر الاستبدال فيها (٣٨)، وهذا ما سنقف عليه في بيان مواطن الاستبدال في هذا العهد.

والاستبدال على ثلاثة أنواع هي (٣٩):

١. الاستبدال الاسمي: يكون باستعمال عناصر لغوية اسمية نحو: "آخر، نفس، ذات، واحد، إحدى".

٢. الاستبدال الفعلي: يتمُّ باستعمال الفعل "يفعل"، واشتقاقاته، وما شابهه، فيكون الاستبدال بفعلٍ أو جملة، من ذلك قوله (عز وجل): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ "المائدة من الآية ٦٧". إذ أُسْتَبِدِلَتْ كلمة "تفعل" بكلمة "بَلِّغْ" (٤٠).

٣. الاستبدال القولي أو العباري: يكون باستعمال "ذلك، هذا". وهذا النوع من الاستبدال ليس استبدالاً لكلمة داخل الجملة، بل هو استبدالٌ بجملةٍ أو تتابعاتٍ جمليّة (٤١)، من نحو قوله (عز وجل): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ "النساء من ٤٨" إذ استبدلت بجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ لفظة ﴿ذَلِكَ﴾.

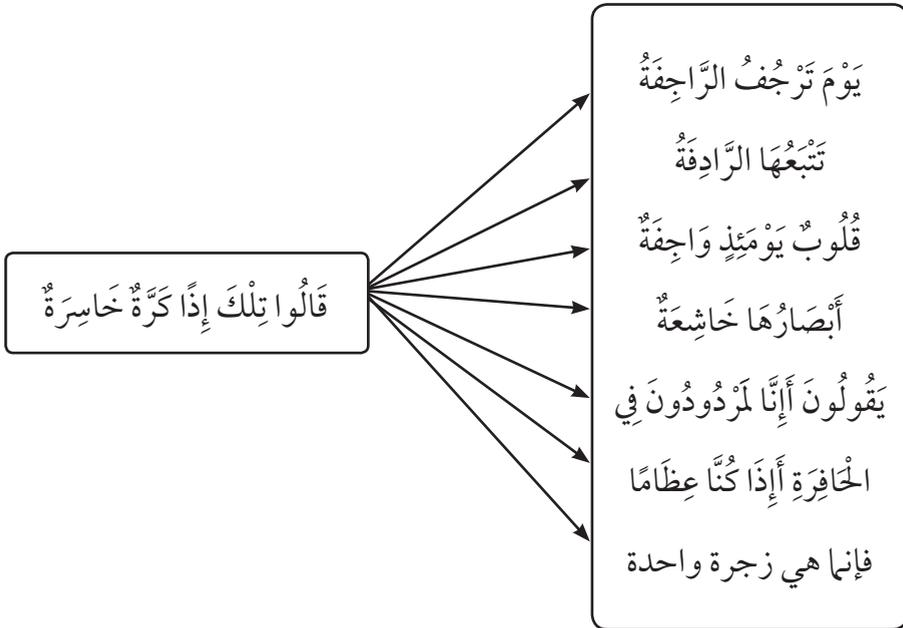
وانطلاقاً من هذا التقسيم شرعنا في إظهار الموارد التي حصل فيها الاستبدال، وبيان أثرها في تماسك النص وترابط أجزائه، وتحديد دلالاته متخذين من عهد الإمام

علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى مالك بن الحارث الأشتر لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر إنموذجا في تحليل الموارد التي جرى فيها الاستبدال، وقد جاء البحث في ثلاثة مباحث وعلى النحو الآتي:

### المبحث الأول: الاستبدال القولي أو العباري

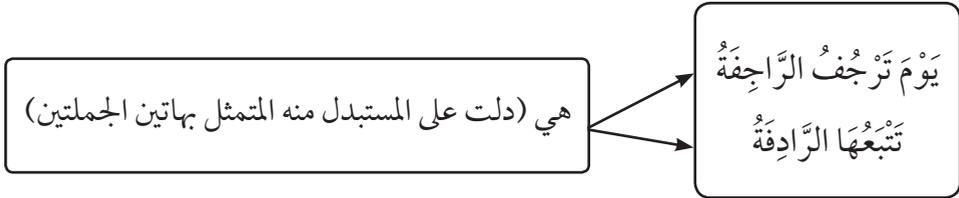
تقدم أن الاستبدال يكون على أنواع، ومن هذه الأنواع ما يسمى بالاستبدال القولي، وهو "مجموعة المقولات التي يمكن أن تحل محل قول ما مؤدية وظيفته التركيبية"<sup>(٤٢)</sup>. كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ \* تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ \* قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ \* أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ \* يَقُولُونَ أَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ \* إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً \* قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ \* فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ "النازعات: ٦-١٣".

فجاءت لفظة ﴿تلك﴾ لتكون استبدالاً عن مجموعة من الجمل، يمكن تمثيلها بما يأتي:



وفي هذا النص استبدال آخر يتمثل بلفظة ﴿هي﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ «النازعات: ١٣» المستبدلة من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ \* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ «النازعات: ٦-٧».

وقد تحقق الاستبدال القولي في هذا العهد في موارد متعددة، واستعمل فيه الإمام أكثر من اسم إشارة ويمكن بيان ذلك بما يأتي:



### أولاً: الاستبدال باستعمال اسم الإشارة (هذا)

ونجد مصداق استعمال اسم الإشارة (هذا) في الجملة الأولى التي افتتح بها الإمام (عليه السلام) كتابه موجهاً به مالك بن الحارث الأشتر لما ولاه مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر قائلاً: ((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ إِسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا))<sup>(٤٣)</sup> فللجملة الأولى أهمية كبيرة في التحليل النصي ((فالاستهلال يحتل مكانة بارزة من حيث الأهمية من ناحية ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى، وتَحَكَّمَه كذلك في هذه الأجزاء))<sup>(٩٠)</sup>. ففي الغالب يركز منتج النص كل جهوده في هذه الجملة، إذ يكون ما بعدها تفسيراً لها، وتمثل المحور الذي يدور عليه النص فيما بعد، إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النص في الجملة الأولى بوسيلة ما<sup>(٩١)</sup>.

وقد أدرك القدماء أهمية الجملة الأولى في النص بل الكلمة الأولى في الجملة وهذا ما لمسناه في تفسيرهم لبدايات السور القرآنية ولاسيما ما يخص الأحرف المقتطعة في أوائل بعض السور القرآنية<sup>(٩٢)</sup>.

ولم يكن موقف المحدثين مخالفاً لموقف القدماء بل أكدوه، فيذكر أحد الباحثين المحدثين ((أن الجملة الأولى في أي نص تمثل معلماً عليه يقوم اللاحق منها ويعود. وداخل تلك الجملة نفسها يمثل اللفظ الأول منها معلماً تقوم عليه سائر مكوناتها، فالمسند يقتضي المسند إليه، وهذا الأخير يقتضي الأول وهما معاً يقتضيان متمات، فهذه حلقة أولى تنتهي دون أن تنغلق على نفسها، فهي مستقلة من حيث التركيب، ولكنها منطلق في كل شيء لما يأتي بعدها من حلقات هي جمل أخرى))<sup>(٩٣)</sup>.

ونجد مصداق هذا في الجملة الأولى التي افتتح بها الإمام (عليه السلام) كتابه موجهاً به مالك بن الحارث الأشتر لما ولاه مصر قائلاً: ((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَاهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ إِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَ لَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا وَ أَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَ قَلْبِهِ بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ وَ لِسَانِهِ...))<sup>(٩٤)</sup> الى نهاية العهد

فجاء لفظ الإشارة (هذا) ليكون بديلاً عن جميع الأوامر التي ذكرت في النص على طوله والدليل على ذلك أن الإمام (عليه السلام) أوردها في أول النص في قوله: ((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَاهُ مِصْرَ)) وعقب بعد ذلك بقوله: ((أَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ إِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَ لَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا

وَإِضَاعَتَهَا وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ... وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ  
 مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَنْزِعَهَا يَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ  
 بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ)) وهكذا يستمر الإمام علي (عليه السلام) بسرد الأوامر الى  
 نهاية النص التي ختمها بقوله في آخر العهد: ((وَجْتَهِدْ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَاهَدْتُ  
 إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنْ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ  
 تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا)) (٩٥).

وتظهر بذلك أهمية اللفظة الأولى المتمثلة باسم الإشارة (هذا) الوارد في الجملة  
 الأولى التي استفتح بها الإمام علي (عليه السلام) عهده لتشير إلى جميع المضامين التي  
 ذكرت فيه، فهي تشير إلى وحدة الموضوع، وتماسك أجزاءه، وتؤكد أن كل فقرة في  
 هذا العهد مرتبطة بالأخرى وإن اختلفت في مضمونها، ففي اسم الإشارة (هذا) من  
 قول الإمام (عليه السلام): ((هَذَا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ)) استبدال قولي؛ لأنه يشير إلى كل ما ذكر  
 في نصوص هذا العهد. ومن ثم فإتيانه (عليه السلام) باسم الإشارة (هذا) ليس من  
 قبيل الإحالة؛ لعدم وجود مرجع لهذه الأسماء المذكور في ما سبق من النص.

فَتَحَصَّلَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ نَصٌّ مُنْسَجِمٌ مُرْتَبِّ تَرْتِيباً مُنْظَماً تَعَالَقَتْ فِيهِ الْوَقَائِعُ تَعَالِقاً  
 مُقَيِّداً؛ إِذْ كَانَتْ كُلُّ وَاقِعَةٍ مُرْتَبِطَةً بِمَا قَبْلَهَا، وَنَتِيجَةٌ لَهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ لِتَحْقِيقِ غَرَضٍ  
 أَسَاسٍ وَهُوَ الْعَدْلُ.

## ثانياً: الاستبدال باستعمال اسم الإشارة (ذلك)

وظف الإمام علي (عليه السلام) اسم الإشارة (ذلك) الذي يشير للبعيد في عهده هذا ليكون بديلاً عن جملة واحدة أو جملتين أو جمل عدة في موارد كثيرة في هذا العهد يمكن أن نجملها بما يأتي:

أ- الاستبدال بجملة واحدة: ونلمس هذا في قوله (عليه السلام): ((وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ)) (٩٦).

فجاء لفظ الإشارة (ذلك) ليكون بديلاً عن جملة (وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ) فأغنى عن تكرارها، فبدلاً من أن يقول: فَإِنَّ قَوْلَكَ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ، قال: فَإِنَّ ذَلِكَ، وبهذا تظهر فائدة استبدال اسم الإشارة (ذلك) بالجملة التي قبلها في اختصار الجملة مع الاحتفاظ بدلالاتها كاملة.

ب- استبدال اسم الإشارة (ذلك) بجملتين وهذا في قوله (عليه السلام): ((وَإِذَا أَحَدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُمَّةً أَوْ مَحِيلَةً فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكْفُ عَنكَ مِنْ غَرَبِكَ وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنكَ مِنْ عَقْلِكَ إِيَّاكَ)) (٩٧).

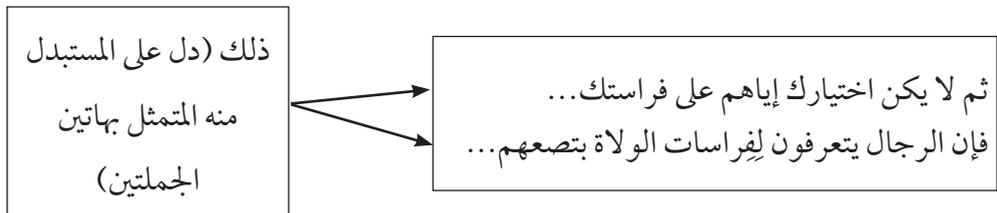
فالملاحظ أن اسم الإشارة (ذلك) جاء بديلاً عن جملتين، الأولى تتمثل بقوله (عليه السلام) (فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ) والثانية بقوله (عليه السلام): (قُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ) فجاء اسم الإشارة (ذلك) ليزيد في سبك النص ويشد في تماسكه فبدلاً من أن يعيد ذكر الجملتين كأن يقول فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَ

قُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طَهَاحِكَ وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرِبِكَ وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ استبدالها بقوله: ((فإن ذلك)) وهكذا يسهم الاستبدال باختصار النص وسبكه.

ومن الموارد الأخرى التي استبدل بها اسم الإشارة (ذلك) من جملتين وما ورد في قول أمير المؤمنين عندما كان يحث مالك الأشتر على اختيار كتابه في قوله: ((ثُمَّ أَنْظُرْ فِي حَالِ كِتَابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَ أُخْصِصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَ أَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِيُجُودَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ...)) فيستمر بذكر ما ينبغي أن يتوفر في الكاتب من مكارم الأخلاق التي ينبغي توافرها فيه لتوكل إليه هذه المهمة. وهنا يعطي الإمام (عليه السلام) طريقة لواليه يبين له فيها كيفية اختيار الكاتب في قوله: ((ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارَكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَ اسْتِنَامَتِكَ وَ حُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ وَ حُسْنِ حَدِيثِهِمْ خِدْمَتِهِمْ وَ لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَ الْأَمَانَةِ شَيْءٌ)) (٩٩).

في هذا النص استبدال باسم الإشارة (ذلك) الوارد في قوله: (وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَ الْأَمَانَةِ شَيْءٌ) المستبدل من قوله ((ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارَكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَ اسْتِنَامَتِكَ وَ حُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ وَ حُسْنِ حَدِيثِهِمْ خِدْمَتِهِمْ))

والمخطط الآتي يبين طريقة استبدال اسم الإشارة بهاتين الجملتين:

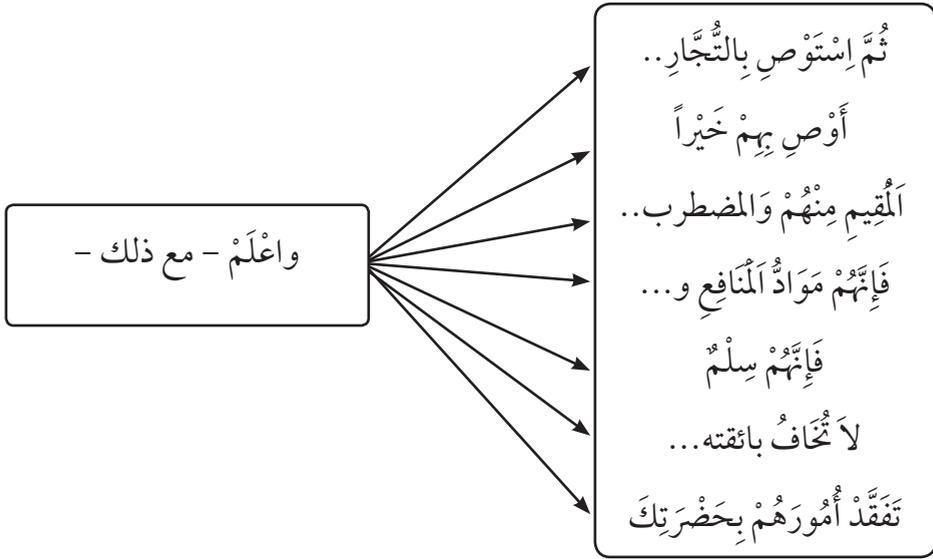


ويكمل الإمام (عليه السلام) الطريقة التي يمكن من خلالها اختيار الكاتب في قوله: ((وَلَكِنْ اخْتَبَرْتَهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَ لِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ)). وفي هذا النص استبدال ايضاً لاسم الإشارة (ذلك) بجملتين الأولى هي قوله (عليه السلام): ((وَلَكِنْ اخْتَبَرْتَهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ))، والثانية متمثلة بقوله: (فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا)).

### ج - استبدال اسم الإشارة (ذلك) بجمل عدة

ومن موارد الاستبدال الأخرى استبدال اسم الإشارة (ذلك) بثلاث جمل فصاعداً بل ربما استبدل بفقرة كاملة من قبيل ما ورد في وصية الإمام لملك الأشر بالاهتمام بالتجار وذوي الصناعات إذ قال (عليه السلام): ((ثُمَّ اسْتَوْصِي بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَ أَوْصِي بِهِمْ خَيْراً المَقِيمِ مِنْهُمْ وَ المُضْطَرِبِ بِمَالِهِ وَ المُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ المُنَافِعِ وَ أَسْبَابُ المَرَافِقِ وَ جُلَّاءُهَا مِنَ المَبَاعِدِ وَ المَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَ بَحْرِكَ وَ سَهْلِكَ وَ جَبَلِكَ وَ حَيْثُ لَا يَلْتَمِئُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَ لَا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سَلَمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَ صُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ وَ تَفَقَّدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَ فِي حَوَاشِي بِلَادِكَ)) ثم عقب بعد ذكر هذا النص مباشرة بقوله: ((وَ اعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقاً فَاحِشاً وَ شُحاً قَبِيحاً...)) (١٠٢)

فاستبدل منتج النص الجمل التي وردت في الفقرة أعلاه جميعها باسم الإشارة (ذلك) والمخطط الآتي يبين طريقة الاستبدال

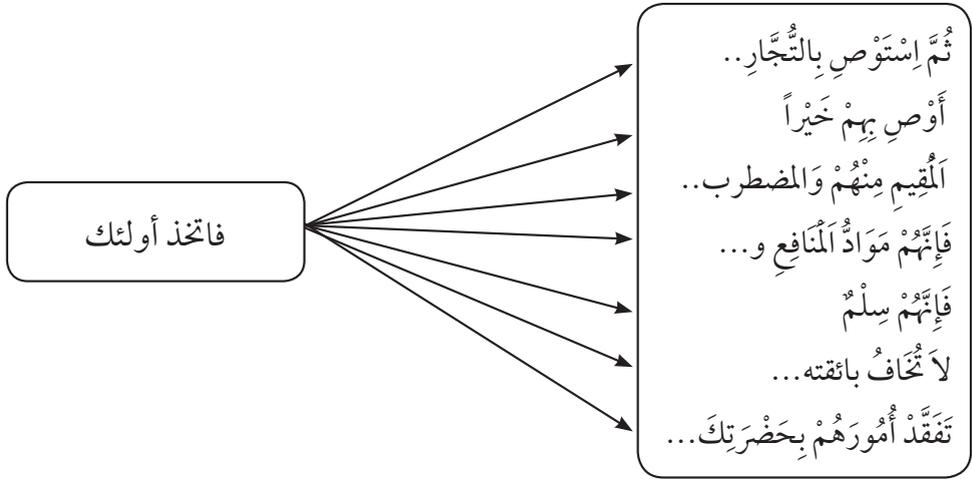


يظهر بذلك أثر استبدال اسم الإشارة (ذلك) بربط النص وشده ازره واكماله دلالة بما يعنى عن إعادة الجمل التي يرد ذكرها.

### ثالثاً : الاستبدال باستعمال اسم الإشارة أولئك :

نال اسم الإشارة (أولئك) نصيباً وافراً من الذكر في هذا العهد المقدس وكان له دور كبير في سبك النص وتماسكه إذ وُظِفَ ليكون بديلاً عن جملة واحدة، وبديلاً عن جملتين، وبديلاً عن جمل عدة، من ذلك ما ورد في وصف الإمام علي (عليه السلام) للإشارة إلى شر الوزراء وبيان صفاتهم ووجوب تجنبهم، إذ قال مخاطباً مالك الأشر: ((إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا))<sup>(١٠٣)</sup> ويسرد بعدها صفات الاشرار من الوزراء ثم يعقب بعد ذلك مبينا لواليه على مصر الصفات الواجب توفرها في الشخص لكي يتخذه وزيراً له في قوله (عليه السلام): ((وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ مِمَّنْ

لَمْ يُعَاوَنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ))<sup>(١٠٤)</sup>، ويقول بعد ذلك مباشرة: ((أَوْلَيْكَ  
أَخْفُ عَلَيْكَ مَثُونَةٌ وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلَ لَغَيْرِكَ إِلْفًا))<sup>(١٠٥)</sup>،  
فاستبدل باسم الإشارة (أولئك) الجمل الواردة في النص أعلاه ثم يعقب الإمام (عليه  
السلام) بعد ذلك مباشرة بقوله: ((فَاتَّخِذْ أَوْلَيْكَ خَاصَّةً لِحُلُوتِكَ وَخَفَلَاتِكَ))<sup>(١٠٦)</sup>  
فوظف اسم الإشارة (أولئك) في هذه الجملة ليكون بديلاً عن جميع الجمل التي  
ذكرت في هذه الفقرة. والمخطط الآتي يبين طريقة الاستبدال الحاصلة في هذه الفقرة:



ولم يقتصر استعمال اسم الإشارة (أولئك) على هذين الموردين فحسب بل وظفها  
الإمام (عليه السلام) في مورد آخر لتكون أكثر شمولية في الاستبدال ونجد ذلك في  
وصيته لملك الأشر بضرورة الاهتمام بالطبقة الفقيرة من المساكين والمحتاجين، إذ يورد  
(عليه السلام) نصاً طويلاً في بيان صفاتهم وما ينبغي أن يفعله لهم فيقول له: ((ثُمَّ اللَّهُ  
اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسَى وَ  
الرُّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا وَ إِحْفَظِ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَ  
اجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَ قِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ

لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَذْنَى وَكُلُّ قَدِ اسْتُرْعِيَتْ حَقَّهُ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْفِرُهُ الرَّجَالُ)) (١٠٧)

فبعد أن ذكر الإمام (عليه السلام) صفات هذه الطبقة وما يجب عليه أن يفعله لهم، وكيف ينبغي أن يتعامل معهم عقب بعد ذلك مباشرة بقوله: ((فَرَّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ)) (١٠٨)

فاستعمل اسم الإشارة (أولئك) ليكون بديلا عن ما سبق ذكره في هذه الفقرة فيظهر بذلك أثر استبدال اسم الإشارة (أولئك) مما يذكر قبله بربط النص وإكمال صورته الدلالية بأسلوب بليغ بعيدا عن التطويل والتكرار لما لا ينبغي تكراره.

### المبحث الثاني - الاستبدال الاسمي:

مَرَّ أَنَّ الاستبدال عملية تتم داخل النص، وهو يتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات وعبارات، وإنَّ من أنواع الاستبدال: الاستبدال الاسمي الذي يعني استبدال اسم باسم بيد أن الباحثين في الدراسات النصية يرون أنَّ الاستبدال الاسمي يتركز في استبدال الاسم من كلمة مثل: (آخر، آخرون، أخرى، نفس، واحد، واحدة) غير أن هذا لا يعني أن الاستبدال يقتصر على استبدال الاسم من هذه الألفاظ فقط بل أثبت بعض الباحثين أن يمكن أن يستبدل من الفاظ أخرى ((فمثلا بعض الاحالات لغير مذكور تدخل في مفهوم الاستبدال الاسمي وكذلك صنوف الاستعارات، حيث يحمل اسم ظاهر مكان آخر من غير أن تتحقق شروط الإحالة كذلك يدخل في الاستبدال الاسمي قضية التنوين المعوض عن اسم مفرد، وإقامة الصفة مقام الموصوف، والمضاف إليه مقام المضاف..)) (١٠٩).

ويظهر أثر الاستبدال الاسمي بصورة جلية في قوله (عليه السلام): ((وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ))<sup>(١١٠)</sup>

فحينما يسمع المتلقي جملة وعظية من قبيل قولك: (ولا تنصبن نفسك) فأول ما يتبادر إلى ذهنه أن تكون التهمة هكذا: ولا تنصبن نفسك لمخالفة شريعة الله أو لفعل ما نهى عنه الله بيد أن استبدال هذا الاسم بقوله: (لحرب الله) يرفع اعلامية النص، ويزيد في وقع الوعظ لدى المتلقي، ويولد في ذهنه أن عصيان أوامر الله تعالى والتجرؤ على مخالفة أحكامه كرفع الرمح بوجه الله تعالى وهذا ما ذكره ابن أبي الحديد في قوله: ((أي لا تبارزه بالمعاصي))<sup>(١١١)</sup>. ففي هذا المورد جاءت لفظة (حرب) بدلاً عن لفظة (مخالفة) في المفهوم من اللفظ، وطريق الاستبدال هنا الاستعارة، وقد جاءت وسيلة سبك دلالية المقصد، وبعيدة الغور. وفي مجيئها على هذا النحو إيجاء بقضية يريد منتج النص أن يوصلها إلى متلقيه، وهي إن مخالفة أوامر الله = إعلان الحرب ضده.

ولا يقف الاستبدال الاسمي عند هذا فحسب بل يتوسع فيه الامام علي (عليه السلام) فيوظف أسماء أخرى لم يجز لها ذكر عند علماء النص الذي نظروا المحور الاستبدال من ذلك قوله (عليه السلام): ((فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))<sup>(١١٢)</sup>.

فالضمير (الهاء) في قوله: (فَأَعْطِهِمْ)، والكاف في قوله: (عفوك، صفحك، يعطيك، فأنتك، عليك، فوقك، ولأك)، والضمير المستتر (أنت) في قوله: (تحب، ترضى) يعود إلى المتلقي وهو هنا مالك الأشر، والضائر تكتسب عناية عند المختصين في علم النص بصفتها نائبة عن الأسماء، والعبارات، والجمل المتتالية "فالتعيين الاسمي البديل هو إعادة نصية لاسم ما من خلال الضمير... وعادة ما تتعاون في النص

الضمائر مع الأسماء المكررة وتشكل معاً شبكة اسمية إحالية، وحين يحيل نص ما شبكات اسمية عدّة فإن واحدة منها في الغالب هي موضوع النص" (٤٩).

ولما كان منتج هذا النص || الإمام علي (عليه السلام) - هو المقصود بكونه فوق المتلقي - مالك الاشر - فأول ما يتبادر إلى الذهن عند سماع جملة (فإنك فوقهم) أن يكون ما بعدها جملة (وأنا فوقك) فـ (أنا) تعود إلى منتج النص وهو أمير المؤمنين (عليه السلام) غير أنه استبدل الضمير (أنا) بلفظة (والي الأمر) فيخيل إلى المتلقي في الوهلة الأولى أن لفظة (والي الأمر) تشير إلى شخص آخر غير الإمام عليه السلام سوى أن انعام النظر في سياق النص ومتابعة النصوص السابقة واللاحقة تولد في ذهن المتلقي دلالة قطعية على أن المقصود منها هو شخص الإمام (عليه السلام) دون غيره، ومن ثم فإن استبدال الضمير (أنا) بلفظة (والي الأمر) تضيف بعداً دلاليّاً آخر للنص .

ولا يقف الاستبدال عند هذا فحسب بل يتعداه إلى الجملة التي تليها مباشرة وهي قوله (عليه السلام): (وَ اللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَائِكَ) إذ كان المتوقع أن يقول: (والله فوقي) فيستعمل الضمير (الياء) ليعود على شخصه الكريم (عليه السلام) إلا أنه استبدله بالاسم الموصول (مَنْ) ولفظة (وَلَائِكَ) فيعود إلى الذهن مرة أخرى أن المقصود بعبارة (مَنْ وَلَائِكَ) الإشارة إلى شخص آخر غير الإمام علي (عليه السلام). والتعبير عن المتكلم بضمير الغائب اسلوب عربي فصيح يحمل في طياته دلالة أوسع من استعمال ضمير المتكلم أو التصريح بذكر الاسم المسمى به.

ومن موارد الاستبدال الاسمي استبدال لفظة (الناس) بلفظة (الرعية) الواردة في قوله (عليه السلام): ((وَأَشْعِرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ)) ٥٠ إذ المتبادر إلى الذهن عند سماع جملة (وأشعر قلبك الرحمة) أن يقول: (للناس) أو

للأمة) أو (للشعب) إلا أنه استبدلها بلفظة (الرعية) وإن استعارة لفظة (الراعي) في هذا المورد يحمل زحماً دلالياً واسعاً يولد في نفس المتلقي ضرورة الاهتمام بمن كُلف لأن يكون والياً عليهم، إذ لفظة (الرعية) مأخوذة من الفعل (رعى)، ورعى الشيء رعيًا ورعاية حفظه. قال تعالى: ((فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)) الحديد: ٢٧، ورعى الشيء راقبه ورعاه: تولى أمره، ورعى له عهده أو حرمة: لاحظها، وحفظها ٥١، وفي التنزيل قال تعالى: ((وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)) المؤمنون: ٨. ومن ثم لفظة رعى: تستبطن المبالغة في الاهتمام بالشيء والمحافظة عليه، من هنا تجد النبي (صلى الله عليه وآله) يؤكد هذه القضية بقوله: ((كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته)) ٥٢، ويبدو أن الإمام كان قاصداً في استعمال هذه اللفظة للإشارة إلى هذا المعنى ولا سيما أنه كرر استعمالها في هذا العهد أكثر من خمس عشرة مرة، منها قوله ((وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ... أَنْ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ... فَاجْتُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ... وَظُهُورِ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ... ثُمَّ اخْتَرْتُ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رِعِيَّتِكَ... وَ الرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ... فَإِنَّ هَوْلَاءَ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ... وَ سَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ... فَلَا تُطَوَّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رِعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ... وَإِنْ ظَنَنْتِ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا... وَ رِفْقًا بِرِعِيَّتِكَ... وَ إِيَّاكَ وَ الْمَنْ عَلَى رِعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ)) (٥٣).

فيظهر بذلك مدى اصرار الامام (عليه السلام) على شحذ همة واليه ليبالغ بالاهتمام بالناس الذين كُلف بالحاكمة عليهم، فتجد ابن أبي الحديد يقول في تفسير قول الامام علي (عليه السلام) ((أشعر قلبك الرحمة أي اجعلها كالشعار له و هو الثوب الملاصق للجسد)) ٥٤.

### المبحث الثالث: الاستبدال الفعلي

ذكرنا في بداية البحث أن المقصود بالاستبدال الفعلي هو أن يتمُّ باستعمالِ الفعلِ "يفعل"، أو إحدى اشتقاقاته، فيكونُ الاستبدالُ بفعلٍ أو جملةٍ،

ولم يذكر النصويون سوى الصيغة (يفعل) واشتقاقاتها في الاستبدال الفعلي، مع انه يمكن استعمال غير هذه الصيغة العامة وسيلة للاستبدال، فمثلاً التضمين في الأفعال من الاستبدال ٥٥، واستعمال أسماء الأفعال من الاستبدال أيضاً ٥٦، ((وإذا سألت شخصاً مثلاً لتقريره: أقابلت فلاناً أمس؟ فأجاب: حدث، أو حصل، كان الفعل المذكور في الجواب بديلاً عن الفعل الوارد في السؤال، فكأنه قال: قابلته)) ٥٧ ونجد مصداق هذا في عهد الإمام علي (عليه السلام) إذاستعمل الصيغة المباشرة للاستبدال الفعلي المتمثلة بإيراد مفردة (فعل) أو إحدى اشتقاقاتها هذه الصيغة، ونجد هذا في قوله (عليه السلام): ((أَنْصِفِ اللَّهَ وَ أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَ مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَ مَنْ لَكَ هَوَى فِيهِ هُدَى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلُ تَظْلِمُ!)) ٥٨ فاستعمل الفعل (تفعل) ليكون بديلاً عن الجمل الواردة قبله، فبدلاً من قوله: فإنك إلا تنصف الله وتنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلِكَ ومن لك هوى فيهِ من رعيته قال: (الا تفعل) فاخترل التركيب هذا كله في هذا الفعل، فحقق بذلك سبك النص وأثبت الدلالة التي يريد بيانها لعامله على مصر.

وبعد هذا ينتقل الإمام علي (عليه السلام) ليستعمل فعلاً آخر غير الفعل الذي تعاهد عليه المؤلفون في الاستبدال والمتمثل في قوله (عليه السلام): ((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْترِي فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ و لَاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا))

فنجد أن الامام (عليه السلام) يستبدل الجمل المتمثلة بقوله: ((جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ

جِهَادَ عَدُوِّهَا وَإِسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا)) بالفعل (ولاه) الذي يختصر الجمل الأنفة بما يغني عن ذكرها بيد أن التعقيب بذكر هذه الجمل يرفع درجة الاعلامية في النص ويشير في الاذهان أن الولاية تعني جباية الخراج، وجهاد العدو، واستصلاح شؤون الرعية وعمارة البلاد. مما يسهم في اثراء النص ويزيد في تراص عباراته وتماسكها.

## الخاتمة

بعد أن أنهت هذه الدراسة صفحتها الأخيرة من البحث ولما يزل الفكر متأملاً بحديثاتها، أفضت إلى مجموعة من النتائج يمكن القول إنَّ من أهمها أن عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك بن الحارث الاشتهر على طوله وكثرة الفقرات التي ذكرت فيه وعظم القضايا التي ذكرها، وخطورة المسائل التي عرضها والمشكلات التي وقف عليها، والحلول التي قدمها، والطرق التي بينها لعامله على مصر وأثبت فيها كيفية اختيار الوزراء والقضاة وقادة الجيش وكتاب الرسائل وكيفية التعامل مع النفس إذا أصابها العجب أو الغرور والأهبة وتأثرت بمظاهر الحكم من كثرة الحاشية حوله وتخضع كل من حوله وتملقهم له يريدون رضاه، ثم بيان الأشخاص الذين يتوجب عليه أن يتخذهم للمشورة، وبيان من يجب أن يتجنبهم من الاشرار الذين ينبغي عليه أن يبعدهم عن دكة الحكم وبيان الطريقة التي يكتشف بها الاشرار والطريقة التي يكتشف بها الاخيار، ثم بيان كيفية التعامل مع الجنود، وأهل المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، وأهل النجدة والشجاعة، وكيف يتفقد أمر الخراج، ومن ثم الاشارة إلى أهمية عمارة الأرض التي تعد وسيلة مهمة في إدارة اقتصاد البلاد، والتركيز على الاهتمام بالتجار وذوي الصناعات وملاحظة تصرفاتهم في السوق، من احتكار للمنافع، وتحكم في المبيعات مما يسبب مضرة للعامة، ثم الوصية في الطبقة السفلى من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى، وتعهد اليتيم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له، وبيان كيفية التعامل من الحراس والشرطة وكيفية التصرف مع خاصة الوالي وبطانته، ثم بيان أهمية مجالسة الوالي للعلماء والفقهاء ورد ما اشكل عليه إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله. فمع تنوع هذه الفقرات وكثرت المسائل التي عاجتها إلا أن هذا العهد جاء متماسكاً مترابطاً، كل فقرة تؤدي إلى الأخرى بوحدة

من وسائل الربط بحيث أن رفع أي فقرة أو جملة تؤدي إلى خلخلة النص الذي جاء مترابطاً، مسبوكاً كحلقات العقد.

وكان في اعتمادنا على الاستبدال الذي يمثل أحد وسائل الاتساق دور كبير في الوقوف على هذا الحقيقة. بل ظهر للبحث أن في هذا العهد أدوات والفاظ وظفها الإمام للاستبدال، وأدت دورها في ربط النص وتماسكه بصورة كاملة على الرغم من أن هذه الألفاظ لم تذكر ضمن الألفاظ التي توصل إليها المختصون في الدراسات النصية. وما ذكر في صلب هذا البحث من الفاظ وظفت للاستبدال من لفظ آخر أو جملة أو جملتين أو من فقرة كاملة يؤكد هذه الحقيقة.

## الهوامش

١. ينظر: علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، تون.أ. فان دايك، ترجمة: د. سعيد بحيري، ١٧.
٢. المرجع نفسه: ١٧.
٣. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان: ١٥.
٤. ينظر: تحليل الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٣١٩.
٥. ينظر: علم النص. مدخل متداخل الاختصاصات: ١٠.
٦. ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي الفقي: ١/٤٩.
٧. ينظر: أصول تحليل الخطاب، د. محمد الشاوش: ١/٢٤٠ - ٢٤١.
٨. النص والخطاب والإجراء: ١٢٩.
٩. ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج: ١٧.
١٠. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري: ١٣٥.
١١. ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥٥.
١٢. السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام: ٢٨.
١٣. ينظر: نحو النصّ بين الأصالة والحداثة: ٨٢-٨٣، وفي البلاغة العربيّة والأسلوبيات اللّسانيّة: ٢٢٦.
١٤. سورة البقرة في ضوء علم لغة النص، رسالة ماجستير، خالد سعد جبر، التربية ابن رشد/ بغداد/ ٢٠١٢م: ٩.

١٥. علم اللغة النصي: ١ / ٩٣.
١٦. ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١ / ٧٤، ونظرية علم النص: ٨٠.
١٧. مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج وديتر: ٩٣.
١٨. استعملوا الباحثون العرب مصطلحات عدة مقابل للمصطلح الغربي «+cohesion»، منها:
- الاتساق، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمد خطابي: ١١.
  - الانسجام، ولسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د. أحمد مداس: ٨٣.
  - الترابط، أصول تحليل الخطاب، د. محمد الشاوش: ١ / ٢٥.
  - التناسق، من لسانيات الجملة إلى علم النص، بشير برير: ٢٣.
  - التضام، مدخل الى علم لغة النص: ١١.
  - التماسك، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١ / ٩٣.
  - الربط اللفظي، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، عزة شبل: ٩٩.
  - الربط النحوي، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري: ١٤٥.
  - السبك، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي: ٧٥.
١٩. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: "رصف" و"سبك" و"ضم" و"وسق"، ولسانيات النص، ليندة قياس: ٢٧.
٢٠. سورة البقرة دراسة في ضوء علم لغة النص: ١٣.
٢١. ينظر: لسانيات النص، ليندة قياس: ٢٧. وممن استعمل مصطلح الاتساق د. نعمان بوقرة في كتابه مدخل الى التحليل اللساني للخطاب الشعري: ٣٦. وعثمان أبو زيد في كتابه نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ٢٨. وليندة قياس في

- كتابها لسانيات النَّصِّ: ٢٧. ومحمد خطابي في كتابه لسانيات النَّصِّ: ٣١، ومحمد الشَّوش في كتابه أصول تحليل الخطاب: ١٢٣، ومحمد الأخضر في كتابه مدخل إلى علم النَّصِّ: ٨٦.
٢٢. ينظر: لسانيات النَّصِّ، محمد خطابي: ٥.
٢٣. ينظر: لسانيات النَّصِّ: ١٥، و مدخل إلى علم النَّصِّ، محمد الصَّبِيحِي: ٨٢.
٢٤. بلاغة الخطاب وعلم النص: ٤٤.
٢٥. ينظر: نظرية علم النَّصِّ، حسام أحمد: ٨٢.
٢٦. سورة البقرة في ضوء علم لغة النص: ١٥.
٢٧. ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٣، علم النص، عبد المجيد جميل: ١٤٥.
٢٨. ينظر: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق: ٩٩.
٢٩. ينظر: علم لغة النَّصِّ، عزّة شبل: ١٠٥.
٣٠. لسانيات النص: ١٩.
٣١. ينظر: مدخل إلى علم لغة النَّصِّ، مشكلات بناء النَّصِّ: ٦١.
٣٢. معايير النصية، ٥٩.
٣٣. مدخل الى علم لغة النص: ٦١.
٣٤. ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٠.
٣٥. ينظر: علم النص: ٣١٠.
٣٦. ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ٢٣.
٣٧. شعر محمد مهدي الجواهري: دراسة نحوية نصية، للباحث صالح عبد العظيم

- الشاعر:، اشراف محمد عبد المجيد الطويل، كلية دار العلوم، بتاريخ ٢٠٠٩ م.
٣٨. الرسالة نفسها
٣٩. ينظر: مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، د. نعمان بوقرة،: ٤٩.
٤٠. ينظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي: ١ / ٤٤٩.
٤١. ينظر: علم لغة النص، عزّة شبل: ١١٥.
٤٢. نحو النص: ٢٠، و: ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١٣٣.
٤٣. نهج البلاغة: ٥٦١.
٤٤. نهج البلاغة: ٥٦٠ || ٥٦١.
٤٥. الرسالة نفسها:
٤٦. نهج البلاغة: ٥٤٥
٤٧. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٥ / ١٧
٤٨. نهج البلاغة: ٥٤٥.
٤٩. مدخل الى علم النص، زتسيسلاف وأورزيناك، ترجمة: د. سعيد بحيري: ١٢٥.
٥٠. نهج البلاغة: ٥٤٥
٥١. ينظر: تهذيب اللغة، مادة رعى، والصحاح، مادة رعى.
٥٢. بحار الأنوار، المجلسي: ٢٧ / ١٤٦، ومرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي: ٣٨٩.
٥٣. نهج البلاغة: ٥٤٧ - ٥٦٩.
٥٤. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

٥٥. ينظر في التضمين: الخصائص، ابن جني، ٢ / ٣١٠.
٥٦. ينظر: كتاب: من وظائف الصوت اللغوي، ٨٦، ففهي معالجة مميزة لقايا اسم الفعل وبيان لعلاقاته النحوية والصوتية.
٥٧. شعر محمد مهدي الجواهري:
٥٨. نهج البلاغة: ٥٤٧

## قائمة المصادر والمراجع

### - القرآن الكريم

١. نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف ابو الحسن محمد الرضي الموسوي من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية د. صبحي الصالح.
٢. أدوات الاتساق وآليات الانسجام في القصيدة الهمزية النبوية لاحمد شوقي، لسوداني عبد الحق، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر كلية الاداب قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩.
٣. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د، ط، د، ت.
٤. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط: ١٩٩٦/١ م.
٥. تحليل الخطاب، جليان براون وجورج يول، ترجمة: مصطفى الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، دار النشر العلمي، الرياض / ١٩٩٧ م.
٦. تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط: ١٩٨٦/٢ م.
٧. التماسك النصي من خلال العطف والتكرار دراسة تطبيقية في ديوان المواكب لجبران خليل جبران، بوزينة رياض، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر - كلية الاداب - قسم اللغة العربية / ٢٠٠٨ م.
٨. التناس التأريخي والديني مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية رؤيا لها، مجلة ابحاث اليرموك، عدد ١ / ١٩٩٥ م. ج. جهمرة اللغة، لمحمد بن دريد (٣٢١هـ)،

- تحقيق: ابراهيم شمس الدين عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ / ٢٠٠٥ م.
٩. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١٦ / ٢٠٠٤ م.
١٠. دراسات في النص والتناصية، ترجمها وقدم لها د. محمد خير البقاعي، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط: ١ / ١٩٩٨ م.
١١. شرح نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم ورسائل الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، عبد الحميد بن هبة الله الشهير بابي الحديد (ت ٦٥٦ هـ)، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، بيروت، ط: ١ / ١٩٩٥ م.
١٢. شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد كاظم القزويني الحائري.
١٣. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار المعارف / ١٩٦٢.
١٤. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، ط: ١.
١٥. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ١ / ٢٠٠٠ م.
١٦. علم النفس في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك، دار انباء للطباعة والنشر، ط: ٣ / ٢٠١١.
١٧. علم النص، جوليا كرستيفيا، ترجمة: فريج الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط: ٢ / ١٩٩٧ م.
١٨. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون. أ. فان دايك، ترجمة: د. سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط: ١ / ٢٠٠١ م.

١٩. فكرة السرقات الادبية ونظرية التناص، عبد المالك مرتاض، مجلة علامات، عدد ١، ١٩٩١ م.
٢٠. لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، د. محمد خطابي، المركز الثقلفي العربي، ط: ٢/٢٠٠٧ م.
٢١. اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، د. ناصر يعقوب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: ١/ ٢٠٠٤ م.
٢٢. المخصص، علي بن اسماعيل بن سيدة، مط: دار الكتب العلمية لبيروت.
٢٣. مدخل الى علم النص مشكلات بناء النصنرتسيسلاف وأورزينال، ترجمة: د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط: ١/ ٢٠٠٣ م.
٢٤. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د. عبد السلام هارون، الدار الاسلامية، ط: ١/ ١٩٩٠ م.
٢٥. المفاهيم معالم، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط: ١/ ١٩٩٧ م.
٢٦. من اشكال الربط، د. سعيد حسن بحيري، مقال ضمن مجموعة مقالات مهداة للعالم الالماني فيشر، اشراف د. محمود فهمي حجازي، مركز اللغة العربية/ القاهرة/ ١٩٩٧ م.
٢٧. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. محمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ط: ١/ ١٩٩٧ م.
٢٨. نسيج النص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا، د. الازهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط: ١/ ١٩٩٣ م.
٢٩. النص والتناص، رجاء عيد، مجلة علامات، عدد ١٨، ١٢/ ١٩٩٥ م.

٣٠. النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط: ١/١٩٩٨ م.

٣١. نظرية النص الادبي، عبد المالك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ١/٢٠٠٧ م.

٣٢. نفحات الولاية شرح عصري جديد جامع لنهج البلاغة، آية الله العظمى مكارم الشيرازي بمساعدة مجموعة من الفضلاء، سليمانزادة، ط: ٢/ ١٤٢٦ هـ.



# الألفاظ الغربية في نهج البلاغة

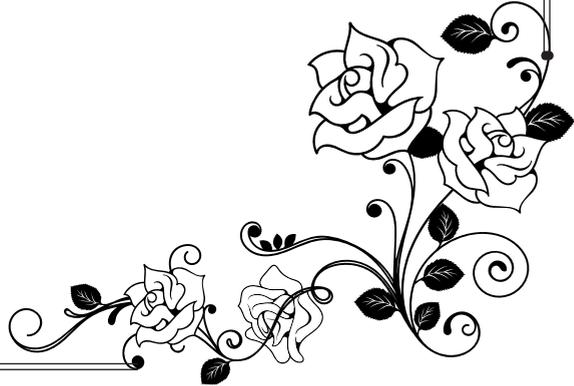
عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

لمالك الأشتر أنموذجا

أ.م. د. وفاء عباس فياض

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

/ قسم اللغة العربية



### ملخص البحث:

يتناول البحث مسألة مهمة من مسائل الدرس اللغوي، وهي دراسة الألفاظ الغريبة في كتاب يعد قمة في الفصاحة والبلاغة ويعد صاحبه فصيحا بليغا لا منازع فيه؛ ذلك هو كتاب (نهج البلاغة) للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسيكون عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشرم ميدان التطبيق، وسنلج عن طريق هذا البحث في معنى الغريب في اللغة والاصطلاح، والغريب في نهج البلاغة، وكذلك دراسة المفردات الغريبة في العهد في الألفاظ والمعاني والاشتقاق.

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الغر الميامين الطيبين الطاهرين. أما بعد: فيعد كلام أمير المؤمنين وسيد الوصيين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قمة الفصاحة والبلاغة بعد كلام سيد الأنبياء والمرسلين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويعد كتاب (نهج البلاغة) من أمات الكتب التي تضمنت أروع الكلام وافصح لغة وهي لسيد البلغاء والمتكلمين، وهو في الفصاحة والبلاغة يكون في المرتبة الثانية بعد كتاب الله عز وجل القرآن الكريم وكلام صاحبه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين. وهو الموروث التاريخي الوحيد الذي أثر عن الإمام علي (عليه السلام) والمدونة المكتوبة التي جاءت عنه والكتاب عبارة عن مجموعة من الخطب والحكم والمواعظ والرسائل والكتب والعهود والمواثيق التي قالها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وجمعها الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، ولا شك أن كلام أمير المؤمنين هو كلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، وعلى الرغم من كل ما ذكرناه إلا أننا نجد أن هنالك كما هائلا من غريب الألفاظ قد وقع فيه لذا نجد الحاجة ضرورية للوقوف على دلالة بعض الألفاظ الغريبة التي وردت في تلكم الخطب وسيكون عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لملك الأشتر أنموذجا تطبيقيا لذلك. وعملنا هذا يُعدُّ خطوة من خطوات الدراسة اللغوية، يدخل - بقدر كبير - تحت عنوان الدراسة الدلالية للألفاظ.

وعهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لواليه مالك الأشتر (رضي الله عنه) واحد من أهم المواثيق الرائعة التي كتبت في ذلك الوقت واختصرت الزمن، وعلى الرغم مما يتضمنه هذا العهد من مضامين سياسية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية وغيرها من المضامين الروحية العالية التي نحن بأمس الحاجة إليها اليوم؛ لأنها تمثل

وثيقة تاريخية ودستورية ينبغي الرجوع إليها في حكم البلاد والعباد إلا أننا نترك الحديث عن هذه الزوايا والجوانب المشرقة لنخوض في غمار حديث آخر عنه يتناول الألفاظ الغريبة فيه للوقوف على دلالتها وبيان معانيها.

ويتناول البحث ألفاظ الغريب التي وردت في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشر، وسيكون البحث مقسماً على تمهيد يسلط الضوء على معنى الغريب لغة واصطلاحاً وسبب التأليف فيه، وأوائل من ألفوا في هذا الجانب، وثلاثة مباحث يتناول المبحث الأول الغريب في نهج البلاغة ويتناول الثاني الغريب في العهد في الألفاظ والمعاني ويتناول المبحث الثالث الغريب في الاشتقاق، وينتهي البحث بخاتمة تعرض أهم ما توصل إليه البحث وتسبقها مقدمة نذكر فيها سبب اختيار الموضوع، وبيان مباحثه ومصادره.

أما المصادر التي نستقي ونهل منها هذا البحث فقد تنوعت بتنوع المادة التي نعرض لها فهناك كتب اللغة والمعجمات وكتب الغريب وكتب النحو والبلاغة فضلاً عن البحوث المتعلقة بنهج البلاغة عموماً وبعهد مالك الأشر خصوصاً وغيرها مما يتطلبه البحث.

### التمهيد: الغريب في اللغة والاصطلاح

إذا حاولنا أن نتبع لفظة (الغريب) في المعجمات اللغوية سنجدها تعطي دلالات مختلفة فقد جاء في العين قول الخليل (ت ١٧٥ هـ): ((الغُرْبَةُ: الاغْتِرَابُ من الوطن. وَغَرَبَ فلانٌ عَنَّا يَغْرُبُ غَرْباً أي تنحى، فَأَغْرَبْتُهُ وَغَرَبْتُهُ أي نحيتُهُ. وَالغُرْبَةُ: النَّوَى البعيد، يقال: شقت بهم غُرْبَةُ النوى))<sup>(١)</sup> وفي سياق آخر يقول: ((والغَرِيبُ: الغامض من الكلام))<sup>(٢)</sup> ومنها قولهم: ((الغُرْبُ بِضَمَّتَيْنِ: الغَرِيبُ))<sup>(٣)</sup> وكذلك ((النَّوَى والبُعْدُ كَالغُرْبَةِ وقد تَغَرَّبَ. وبالضم: النَّزُوحُ عَنِ الوَطَنِ كَالغُرْبَةِ والاعْتِرَابُ

والتَّغْرِبُ)) (٤)

ويقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): (( والغريبُ الغامضُ من الكلام وكلمة غريبةٌ وقد غرِبَتْ وهو من ذلك وفرسٌ غَرِبٌ مُتْرَامٌ بنفسه مُتَّابِعٌ في حُضْرِهِ لا يُنْزَعُ حتى يَبْعَدَ بفارسه و غَرِبُ الفَرَسِ حَدَّثَهُ وَأَوَّلُ جَرِيهِ)) (٥) وقوله: (( وفي الحديث أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ سُئِلَ عن الغُرباءِ فقال الذين يُحْيُونَ ما أَمَاتَ النَّاسُ من سُتَيْبِي وفي حديثٍ آخَرَ إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغُرباءِ أَي إنه كان في أوَّلِ أمرِهِ كالغريبِ الوحيدِ الذي لا أهلَ له عنده لقلَّةِ المسلمين يومئذٍ وسيعودُ غريباً كما كان أَي يَقِلُّ المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغُرباءِ فطوبى للغُرباءِ أَي الجنةُ لأولئك المسلمين الذين كانوا في أوَّلِ الإِسْلَامِ ويكونون في آخره وإنما خَصَّهم بها لصبرهم على أذى الكفارِ أوَّلاً و آخراً ولزومهم دينِ الإِسْلَامِ وفي حديثٍ آخَرَ أُمَّتِي كالمطر لا يُدْرَى أوَّلُها خَيْرٌ أو آخِرُها قال وليس شيءٌ من هذه الأحاديثِ مخالفاً للآخر وإنما أراد أن أهلَ الإِسْلَامِ حين بدأ كانوا قليلاً وهم في آخر الزمانِ يَقِلُّونَ إلاَّ أَنَّهُم خيَارٌ ومما يدلُّ على هذا المعنى الحديثُ الآخِرُ خيَارُ أُمَّتِي أوَّلُها و آخِرُها وبين ذلك ثَبَحٌ أَعْوَجُ ليس منك ولستَ منه)) (٦)

ومما تقدم من نصوص يتضح أن المعنى اللغوي لكلمة الغريب هو ما غمض في الكلام وما كان بعيداً عن الفهم وكذلك عدم الوضوح، وعليه تنحصر هذه اللفظة بعدة معان منها الغموض والابتعاد والقللة والندرة.

أما الغريب في الاصطلاح فقد خصصه الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بالحديث فقال: (( الغريب من الحديث: ما يكون إسناده متصلاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن يرويه واحد إما من التابعين أو من أتباع التابعين)) (٧) وذكر في موضع آخر أن مصطلح (( الغرابة: كون الكلمة وحشية، غير ظاهرة المعنى

ولا مانوسة الاستعمال))<sup>(٨)</sup>

ولعل من الاسباب التي دفعت العلماء واللغويين إلى تأليف غريب الحديث هو ما ذكره مجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) في مقدمة كتابه<sup>(٩)</sup> الذي تصدره بشرح مستفيض لهذا الموضوع تحدث فيه عن علم الحديث والآثار ووصفه بأنه من أشرف العلوم الإسلامية قَدْرًا، وأحسنها ذكرا، وأكملها نفعا وأعظمها أجرا. وأنه أحد أقطاب الإسلام التي يدور عليها، ومعاقده التي أضيف إليها، وأنه فرض من فروض الكفايات يجب التزامه، وحق من حقوق الدين يتعين إحكامه واعتزّامه. وجعله على قسمين أحدهما معرفة ألفاظه، والثاني معرفة معانيه. وأخذ يشرع في تقسيم الألفاظ إلى مفردة ومركبة، والألفاظ المفردة تنقسم قسمين: أحدهما خاص والآخر عام. أما العام فهو ما يشترك في معرفته جمهور أهل اللسان العربي مما يدور بينهم في الخطاب، وأما الخاص فهو ما يدور فيه من الألفاظ اللغوية، والكلمات الغريبة الحشوية، التي لا يعرفها إلا من عني بها، وحافظ عليها واستخرجها من مظاتها.

وقد ظهرت التصانيف العديدة في (الغريب) منذ منتصف القرن الأول الهجري فكان أول كتاب في هذا الباب هو (غريب القرآن) المنسوب إلى الصحابي ابن عباس (ت ٦٧ هـ) وتوالى الانجازات في هذا المضمار من أمثال أبان البكري (ت ١٤١ هـ) والكسائي (ت ١٨٩ هـ) ومؤرج السدوسي (ت ١٩٥ هـ) وغيرهم ممن لم يصل إلينا شيئا من مؤلفاتهم<sup>(١٠)</sup>، ولعل أول كتاب مطبوع في هذا المجال هو (تفسير غريب القرآن) لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)<sup>(١١)</sup>، وأما كتب (غريب الحديث) فقد ظهرت لأول مرة على يد أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)<sup>(١٢)</sup>، وهناك من ألف كتابا في الغريبين (القرآن والحديث) وهو لأبي عبيد الهروي (ت ٤٠١ هـ)<sup>(١٣)</sup> وغيرها كثير مما وصلت إلينا وحققت وطبعت<sup>(١٤)</sup>.

وكتب الغريب هذه كتب لغة، على الرغم من أنها لم تكن خالصة للغة، ألفها لغويون بارزون عند العرب، وهذا شيء طبيعي؛ لأن علم الغريب علم يُعنى بشرح الكلمات الغريبة. ويفسّر المعاني الخفية والأساليب الغامضة، فيجلو معناها ويكشف عن مراميها. (١٥)

وقد حظيت هذه المؤلفات بالاهتمام والعناية من قبل مؤسسيها، وكان الغرض منها هو بيان معاني مفردات القرآن الكريم ودلالاتها وكذلك بيان مفردات الحديث ودلالاته، ولا شك أن وجود القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، كان (( سبب ظهور (علم الغريب) لوجود كلمات فيها تحتاج إلى تفسير وتوضيح، باعتماد العرف اللغوي السائد آنذاك. فبدأت الدراسة في هذا الميدان من ميادين اللغة بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة فيهما، وتوضيح معانيها ومراميها وأساليبها، وتأيد ذلك التفسير والتوضيح، بالشواهد من شعر العرب. ولقد اهتم العلماء بهذا الجانب من البحث اللغوي اهتماماً كبيراً فذكرت لهم كتب التراجم والطبقات كتباً كثيرة في هذا الميدان)) (١٦).

وهذا ما دفع الأستاذ الدكتور مسعود بوبو إلى الحديث عن عناية هؤلاء العلماء بهذا الجانب اللغوي، فقال: (( لقد أولى اللغويون العرب القدماء هذا الجانب اللغوي عناية خاصة، تناولوا فيه الغريب من الألفاظ بالبحث الجاد والمعالجة المتأنية، بل لقد كان هذا اللون من البحث الذي أقيمت عليه الدراسات اللغوية عندهم بصورة عامة غداة شرعوا في التماس المعاني الدقيقة لما غمض واشتبه عليهم من ألفاظ القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأفردوا لهذا الغرض الكتب المطولة التي ما زالت مراجع لا غنى عنها للاطمئنان إلى سلامة الدلالة اللغوية وصحتها عند تحري الدقة وصحة الاحتجاج في قضايا الغريب)) (١٧)

## المبحث الأول

### الغريب في نهج البلاغة

ذكر أبو سليمان محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) - وهو ممن كتب في غريب الحديث - في شرح معنى الغريب واشتقاقه قوله: (( أن الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس ))<sup>(١٨)</sup>، وقال: (( إن الغريب من الكلام يستعمل على وجهين: أحدهما أن يراد أنه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحلل من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت الكلمة من لغاتهم استغربناها ))<sup>(١٩)</sup>

وبما أن البحث له علاقة بكتاب ( نهج البلاغة ) وما به من خطب ورسائل وكتب كانت في غاية الفصاحة والبلاغة فإن هناك من النقاد والبلاغيين من يقفون من الغريب في الكلام موقف الرفض لذلك؛ لأن هذا الأمر يتنافى والبلاغة والفصاحة في الكلام؛ فالفصاحة عند هؤلاء تعني الظهور والوضوح والابتعاد عن الغريب والمبهم. فهذا أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في كتابه الصناعتين يقول: (( الغريب لم يكثر في كلام إلا أفسده وفيه دلالة الاستكراه والتكلف ))<sup>(٢٠)</sup> في حين وقف آخرون من الغريب موقفاً آخر إذ عدوه من الفصاحة فهذا أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠هـ) له رأي في الغريب كما جاء في كتابه الموازنة بين شعرا أبي تمام والبحثري، فيقول: (وان يجعله (اي اللفظ الغريب) متفرقاً في تضاعيف الفاظه، ويضعه في مواضعه فيكون قد اتسع مجاله بالاستعانة به، ودل على فصاحته وعلمه، وتخلص من الهجنة ))<sup>(٢١)</sup>.

ولعل العلة في ذلك هو أن (( العربية لغة صحراوية وانها لم تخل من الفاظ كثيرة اتسمت بالثقل، وحين هجر الناس الصحراء ونزعوا الى الحواضر اختاروا من المادة

اللغوية بينها واسهلها وعمدوا الى كل شيء ذي أسماء كثيرة، فاختروا أحسنها سمعاً والطفها من القلب موقعاً)) (٢٢).

والحديث عن الألفاظ الغريبة في نهج البلاغة يجرنا إلى الحديث عن وجود الغريب في القرآن الكريم والحديث النبوي، وعلينا معرفة أن الغريب ليس المراد بغرابته؛ كونه شاذاً، أو نافراً، أو منكرأ<sup>(٢٣)</sup>، فالقرآن منزّه عن هذا جميعه، وكذلك الحديث الشريف بدليل أن الغرابة أو الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم وجه من أوجه الإعجاز. والقول نفسه في الحديث النبوي يعد: ((قمة شامخة في البلاغة، وهي الذروة الرفيعة في الفصاحة وقوة البيان، إذ هي قبس من لغة الوحي)) (٢٤) وقد قال النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنا أفصح العرب، بيد أي من قریش ونشأت في بني سعد بن بكر...)) (٢٥) وعلى هذا الأساس ((فالحديث النبوي أرقى الأساليب العربية صياغة بعد القرآن الكريم، ولم يتعمد الرسول في حديثه لفظاً غريباً أو تركيباً شاذاً وإنما كان لعلو نص الحديث، سبب كبير في عدّ بعضه غريباً، عند بعض اللغويين، وهذا الاعتقاد دفع بهم إلى أن يفرّدوا كتباً في إيضاح (غريب الحديث) كما فعل النضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)، أو أن يفيدوا من بلاغته وفصاحته في أنماط أساليب العربية كما صنع الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ). وقد أفاد أئمة الأدب واللغة والتفسير من كتب (الغريب) ونقلوا عنها)) (٢٦).

ولا ريب أن ما يقال عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وأحاديثه يقال عن أصحابه الكرام ((الذين كانت لغتهم مادّة أفاد منها علماء اللغة الكثير من أقوالهم العالية الفصاحة، يقربها علوّها، من الغرابة، فنقلوا منها ما شاء لهم النقل، وفسروا فيها ما طاب لهم التفسير. فكان لأقوال الإمام علي (عليه السلام) نصيب كبير في

هذا المورد تحفل بجمع بعض تلك الأحاديث كتب (غريب الحديث)؛ لأنّه تربي في حجر النبوة منذ ولادته في الكعبة، فشهد مطالع الرسالة الاسلامية من يومها الأوّل وتلقّى عن النبي مفردات الرسالة بداية وختاماً، وما بين ذلك ممّا نزل به الوحي من آيات الله جل جلاله فكان الإمام يتبع النبي (( إتباع الفصيل إثر أمّه... ))<sup>(٢٧)</sup>، لا يفارقه في سلّم أو حرب، فكان يصحبه صحبة الظل لصاحبه، فهو ريبّ وطالب، تعلّم من النبي أشياء كثيرة، ومن بينها اللغة إذ إنّها عادة مكتسبة، فكان أقرب الناس إلى فصاحته وبلاغته وأحفظهم لأحاديثه، فتكلّم بكلام وصف بالعصمة والحكمة، فكلّ مَنْ سمعه راقه ولهذا قال (عليه السلام): (( ونحن لأمرء الكلام، وفينا تَشَبَّتْ عُرُوفُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ ))<sup>(٢٨)</sup> ((... ))<sup>(٢٩)</sup>.

وخلاصة الكلام أن الغريب في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وصحابته الكرام ليس هو الوحشي الشاذّ، أو العامي المرذول، وإنّما هو؛ ما يمنح النصّ علواً في الفصاحة، وروعةً في التعبير، وجزالةً في الألفاظ، ولا يخرج (الغريب) في حديث الإمام عن هذه الصفة لأنّه في كلامه يترسّم أثر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديثه.<sup>(٣٠)</sup>

والمأمل في كتاب نهج البلاغة يجد أن الغريب قد وقع كثيراً فيه فلا تكاد تقع عينك على صفحة فيه إلا فيها ألفاظ غريبة تستحق الوقوف عند دلالتها وبيان معانيها، ولقد قام جمع كبير من العلماء الأفاضل بشرح كثير من تلك الألفاظ وبيان دلالاتها ومعانيها من ذلك كتب شروح ( نهج البلاغة )<sup>(٣١)</sup>، وفي الوقت الحاضر قدمت دراسات علمية مستفيضة في هذا الجانب ولعلّ من أبرزها وأكثرها توفيقاً ((غريب نهج البلاغة أسبابه، أنواعه، توثيق نسبه، دراسته)) وهي أطروحة دكتوراه حاول الباحث فيها وضع خطة متكاملة في هذا الموضوع شملت دراسته من زاوية

لغوية وبلاغية وسياقية للوصول إلى نتائج طيبة وثمرات نافعة.

لقد وضع أحد الباحثين معايير متعددة للكشف عن الألفاظ الغريبة في النهج لعل من أبرزها<sup>(٣٢)</sup>: المعيار الأول: أنَّ الغريب ما جاء بسبب بداوة صاحبه واعتياده الغرابة في الكلام، مما يكسبها غموضاً، لو حشَّيتها، وندرتهَا، ومادَّة تعابيرها، المتأتية من طبيعة الحياة في الصحراء.

المعيار الثاني: أنَّ غرابة الكلمة؛ ناتجة من كونها شاذة أو نافرة أو منكرة.

المعيار الثالث: الغرابة قائمة على فريدة النظم وغرابة ضمّ السياق.

المعيار الرابع: أنَّ اللفظة، لا تكون غريبة بلفظها، بل مستغربة في التأويل، وقد تكون حسنة بحيث لا يتساوى بها أهلها وسائر الناس في الفهم.

المعيار الخامس: ما اتفق عليه علماء غريب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فقد ورد في (النهج) تضمين كثير لآي القرآن الكريم والاقباسات لأحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان منها ما حققه العلماء بكونه غريباً.

المعيار السادس: بعد شقّة الزمن بيننا وبين نصوص (النهج) وخطبه، إذ بيّنت أنَّ الحكم على الغريب، يتأتى من غرابته في زمن قوله، وأنَّ ما هو غريب علينا، ونادر الاستعمال في عصرنا، لم يكن غريباً وقت قوله، إلاَّ أنَّ وجهة نظرنا هذه لا تتفق مع باحث حديث، إذ يرى أنَّ شيوع الألفاظ ومن ثم غرابتها يرجع إلى تباين الذوق بين القديم والحاضر.

ومهما يكن من أمر فإن المعيار الأول يسقط إذا علمنا أن ((الفصاحة أخذت عن الأعراب، إذ يتفق النحاة واللغويون على أنَّ اللغة الفصيحة، أخذت ممَّن خلُصت طبائعهم اللغوية، وصفت فطرتهم من القبائل التي لم تخالط من فسدت سليقتهم من الأعاجم، ولم تقترب من الحواضر؛ لأنَّ حواضر العرب كانت محطَّ قوافل التجارة

ومختلطاً لأقوام غير العرب؛...))<sup>(٣٣)</sup> أما المعيار الثاني الذي يفسر غرابة اللفظة بكونها شاذة تعني مخالفة القياس المستند على المطرد من السماع فيسقط لأن الإمام علي (عليه السلام) ممن يحتج بكلامه، وأما التنافر فيؤعز إلى استحسان الأذن لجرسه، واستساغة اللسان لنطقه، وكذلك اللفظة المنكرة لا مقياس له، إذا أرادوا بها الألفاظ التي تنبو عن الذوق، ولا تظمن عند سماعها النفس، فهي كلمة بذئية، فإن هذه الأمور محكومة بالسياق لا باللفظة، فلا تكون الكلمة بذئية بعد ذلك إلا عن طريق سياقها، فاللفظة الشاذة والمتنافرة والمنكرة لا محل لها في النهج.

أما المعيار الثالث يسقط حتماً لأنه يتعلق بموضوع المجاز والاستعارة والتشبيه وغيرها من الموضوعات البلاغية وهو ليس محل بحثنا.

وعليه فالغريب الوارد في نهج البلاغة (( غريب يصبُّ في باب الفصاحة لا غريب ينافر الفصاحة))<sup>(٣٤)</sup>. ولذا فإن (( الغريب على ثلاثة أنواع؛ غريب في المفرد، وغريب في التركيب، وغريب في النظم.))<sup>(٣٥)</sup> والذي يعيننا في بحثنا هذا ما يتعلق بالنوع الأول وهو الغريب في المفرد؛ لأن الثاني ميدانه النحو والثالث ميدانه البلاغة وأن الحكم على غريب نصّ معين، يُحكم عليه من خلوّ كلام العرب السابق عليه، والمعاصر له، منه ومن مثيله ولذلك (( فإن الحكم في غرابة نصّ قديم، ليس ذوقنا المعاصر، بل نصوص الشعر، والنثر السابقة له، وأعني بذلك؛ كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المجموع بين دفتي كتاب (النهج)، وليس لأحد أن يدّعي أنه سمع، أو وُضع بين يديه كلام العرب جميعهم، ليعرف ما سبق إليه الإمام مما لم يسبق، إذ (( لا يُحيط بكلام العرب إلا نبي))<sup>(٣٦)(٣٧)</sup>

وقد أمكن لأحد الباحثين المعاصرين رصّد ظواهر غريب اللفظ المفرد عبر ما ينوف على الألف والمئتين من ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) في (نهج البلاغة)

(( توزّعت على هذه الأصناف الثلاثة، كان أكبرها القسم الخاص بجدة الاشتقاق، وهو القسم الثالث، ثم يليه القسم الخاص بالندرة وهو القسم الأول، واختصّ القسم الثاني، وهو؛ غرابة المعنى الممنوح للفظه بالاستعمال، بأصغر قدر، ذلك أنّ جدة المعاني المضافة للألفاظ تتداخل بقدر كبير مع بحث التركيب، وبحث المعنى المجازي))<sup>(٣٨)</sup>

### المبحث الثاني

#### الغريب من الألفاظ والمعاني في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه)

تعددت الألفاظ المترادفة للفظه الغريب فكان منها اللفظ (الغريب النادر)<sup>(٣٩)</sup> والمراد منه هي ألفاظ جاءت غرابتها من ندرتها التي يمكن تحديدها بما يحمله مدلول الندرة من قلة الاستعمال لا غير. ومنها اللفظ (الغريب الشارد)<sup>(٤٠)</sup> والشواردهي الغرائب؛ التي لا تبلغ حدّ الشذوذ، وإنّما هي: ألفاظ مفرّقة على معانٍ طريفةٍ أو غير مألوفة. وقد استعملها الإمام (عليه السلام) في زمانه، أوّل مرة في معنى جديد يغيّر ما ألقه الناس قبله، ثم شاعت بعده وشُهر معناها الجديد كما في لفظه (مُنْدَحِق) في قوله (عليه السلام): ((أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ...))<sup>(٤١)</sup> وتعني (الطَّرْدُ وَالْإِبْعَاد)<sup>(٤٢)</sup> و (الدَّفْع)<sup>(٤٣)</sup> غير أنّ الإمام (عليه السلام) استعمل المفردة (مندحق) في معنى لم يكن متداولاً، ذلك هو الاتساع لأنّه بعيد عن معنى (الدفع) و (المنع) و (الإبعاد)، فهو حين يقول (مندحق البطن) فإنه يعني؛ عِظَمَ بطن الرجل، واندلاقها إلى الأمام وانبعاثها إلى الجانبين، فالرجل إذن على هذا الوصف، منبعج البطن ممتلئها وكأن فيها اتساعاً من جهاتها كلّها لا من جهة واحدة كما يوحي به لفظ الدفع، وقد أورد لفظه (مندحق) بمعنى الامتلاء<sup>(٤٤)</sup>.

ومنها (الحوشي) وقد يُقلب اللفظ فيسمى (الوحشي)، وهو أحد أنماط (الغريب)، والحوشي لاشكّ منسوب إلى (الوحش). واللفظتان لا تتعديان معنى نفور الكلمة عن الذوق العام وقلة استعمالها. ومنها (الغريب القليل) وكلها تخضع لمقياس (النادر)<sup>(٤٥)</sup>.

إن المتأمل في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكتاب الذي كتبه إلى عامله مالك الأشتر (رحمه الله) لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر وهو (( أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن ))<sup>(٤٦)</sup> كما وصفه الشريف الرضي يجد المتعة والفائدة المرجوة في كونها (( توجيهاً لأحد ولاته في ممارسة ما عُهد إليه من الأمور، حرصاً على سلامة سلوكه ومواقفه كمسؤول اجتماعي، أو كإنسان مسلم. وهذا ما جعل هذه الوثيقة من أهم المصادر التي تُستسقى منها المبادئ التي تُنير طريق الولاية في إدارة ما تَوَلَّوه، في كلِّ زمان، وفي كلِّ مكان ))<sup>(٤٧)</sup> ولذلك يعتبر (( إنَّ أفضل نموذج لتأسيس حكمٍ إسلاميٍّ عادل، أو للسير نحوه، هو نظام الحكم الذي أسسه النبي (صلى الله عليه وآله) في المدينة، والذي بنى عليه الإمام عليٌّ (عليه السلام) حكمه. ومن اليقين أنَّ مشروع عهد الإمام إلى مالك الأشتر يستطيع أن يشمل الواقع من كلِّ نواحيه، حيث هو دستورٌ للحكم العَلَوِي في أتمِّ النصوص عَرَضاً لصورة واضحةٍ للحكم الإسلامي. أضفْ إلى ذلك أنَّ التعابير والمسائل المطروحة في العهد هذا جاءت بصورةٍ لا تتقيّد بزمانٍ دون زمان، ولا بمكانٍ دون مكان، فالعهد يتحدّث حول حقائق ومفاهيم يصبو إلى تحقيقها كلُّ الأجيال في كلِّ مكان ))<sup>(٤٨)</sup> بمعنى أنه يتخطى عامل الزمان والمكان في كل بقاع المعمورة؛ فالكل بحاجة إلى تطبيقه بغض النظر عن الطائفة أو المذهب أو العقيدة.

ولاشكّ أن هذا العهد مكتوب من قبل الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه وهذا

يعني أن ألفاظه ومعانيه معلومة ومفهومة بين المتكلم والمخاطب أي بين المرسل والمتلقي، وتتضح من القراءة الأولى للعهد الذي كتبه الإمام علي (عليه السلام) لواليه مالك الأشتر النخعي (رضوان الله تعالى عليه) أن مفرداته سهلة يسيرة ومفهومة المعاني، ولكن عند تكرار القراءة لهذا العهد نجد أن هنالك مجموعة من الألفاظ الغريبة التي تستحق الوقوف عندها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى سنجد حتما دقة اختيار بعض المفردات لدقة معانيها وسياقاتها وإذا ما حاولنا احصاءها جميعها سيطول بنا المقام ولا يسعه هذا البحث لكثرتها وسنعرض إلى بعض منها لنثبت حقيقة ما ذهبنا إليه، ولنتبين حقيقة المعنى المراد منه دون غيره.

فالألفاظ الغريبة في النص وإن كانت متغايرة إلا أن سمات غرابتها قد تتشابه، بل لا بد لها من التشابه، وإلا؛ فإن مفهوم الغرابة سيتعدد بتعدد الألفاظ الغريبة وعليه فإن اللفظة تكون غريبة؛ إما بندرة الاستعمال وقلته، أو بغرابة المعنى الممنوح للفظ في الاستعمال، أو جدّة الاشتقاق بما لا يُعرف لمادة اللفظة فإن صاحب اللفظة يلجأ إلى طرق متعددة على أساسها؛ يكون كلُّ صنف من أصناف الألفاظ الغريبة هذه، وكلما ترددت هذه الطرق في كلِّ صنفٍ أمكن عدُّ المتردد ظاهراً بنفسها، وعن طريقه يمكنني ترشُّم ملامح أسلوب القائل<sup>(٤٩)</sup>.

وعلى هذا الأساس سنحاول تقسيم المفردات الغريبة التي وردت في العهد على قسمين يتعلق الأول بالألفاظ وتكون على محورين الأول يتعلق بالأسماء والآخر يتعلق بالأفعال وأما القسم الثاني فيتعلق بالمعنى الممنوح له في الاستعمال.

فمن جملة الأسماء التي نراها غريبة ووردت في عهد مالك الأشتر هي: ((الشرة، المسامة، الصغو، خلوف، بالّة، شكاة، دعة، التزيّد والتسقط، اللجاجة، الاستثثار،  
(التغابي)).

### أولاً: الأسماء الغريبة في العهد.

من الالفاظ الغريبة الواردة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لعامله على مصر وأعمالها مالك الأشتر (رضي الله عنه) التي يمكن أن نلاحظها تكون مقسمة على قسمين هما الأسماء والأفعال وسنعرض بعضاً منها تجنباً للإطالة، فمن غريب الأسماء لفظة (المساماة) في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((إِيَّاكَ وَمَسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشْبَهُ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيَهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ))<sup>(٥٠)</sup>

ففي النص يحذر الإمام علي (عليه السلام) ويستعمل لفظة (المساماة) وتعني المفاخرة ((قال أبو عمرو: المساماة المفاخرة...))<sup>(٥١)</sup> وهي مأخوذة من سما بمعنى السمو وهو العلو والارتفاع ((السُّمُوُّ الارتفاعُ والعلوُّ تقول منه سَمَوْتُ وَسَمَيْتُ مثل عَلَوْتُ وَعَلَيْتُ وَسَلَوْتُ وَسَلَيْتُ عن ثعلب وَسَمَا الشَّيْءُ يُسْمُو سُمُوًّا فَهُوَ سَامٍ ارْتَفَعَ وَسَمَا بِهِ وَأَسْمَاهُ أَعْلَاهُ ويقال للحسيب وللشريف قد سَمَا وإذا رَفَعْتَ بَصْرَكَ إِلَى الشَّيْءِ قَلْتَ سَمَا إِلَيْهِ بَصْرِي وَإِذَا رَفَعْتَ لَكَ شَيْءٌ مِنْ بَعِيدٍ فَاسْتَبْتَهُ قَلْتَ سَمَا لِي شَيْءٌ سَمَا وَسَمَا لِي شَخْصٌ فَلَانَ ارْتَفَعَ حَتَّى اسْتَبْتَهُ وَسَمَا بَصْرُهُ عِلَاهُ...))<sup>(٥٢)</sup> وهذا كله مروى عن الليث (ت هـ)<sup>(٥٣)</sup>

والمساماة التباري في الشيء والمفاخرة به والذي يؤكد ذلك قول ابن منظور: ((تَسَامَوْا أَي تَبَارَوْا... وفي حديث عائشة الذي رُوِيَ فِي أَهْلِ الْإِفْكِ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) وسلم) امرأة تُسَامِيهَا غَيْرُ زَيْنَبَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَمَعْنَى تُسَامِيهَا أَي تُبَارِيهَا وَتُفَاخِرُهَا... وفي الحديث قالت زينبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ أَي تُعَالِينِي وَتُفَاخِرُنِي وَهِيَ مُفَاعِلَةٌ مِنَ السُّمُوِّ أَي تُطَاوِلُنِي فِي الْخَطْوَةِ عِنْدَهُ وَمِنْهُ حَدِيثُ أَهْلِ أُحُدٍ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِسُيُوفِهِمْ يَتَسَامَوْنَ كَأَنَّهُمْ الْفُحُولُ أَي يَتَبَارَوْنَ وَيَتَفَاخِرُونَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَتَدَاعَوْنَ

بأسمائهم))<sup>(٥٤)</sup> ومساماة الله تعالى مباراته في السمو وهو العلو<sup>(٥٥)</sup> ولعلنا نلمح الدقة في اختيار لفظة المساماة دون المفاخرة والمباراة لأنها تختصان بالبشر وبالأشياء المادية الزائلة والزائفة وأما المساماة فهي تختص بالله خالق الخلق ومبدعه، فالحذر كل الحذر من التشبه بالله في جبروته وعظمته لأنه يذل كل جبار ويهين كل مختال؛ فهو درس تربوي وأخلاقي يعرضه الإمام في هذه الأسطر القليلة من كتابة هذا.

ومن الأسماء التي وردت في العهد، ونراها من الغريب النادر التي وردت في قول الإمام علي (عليه السلام): ((وَلَيْكُنْ أَثْرُ رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مَنْ جِدْتَهُ، بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسْعَ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هُمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ...))<sup>(٥٦)</sup>

وشرح ابن أبي الحديد هذا القول للإمام (عليه السلام) وذكر أن هذه الأوامر جاءت في الوصاية فيما يتعلق بأمراء الجيش بقوله: ((وأمره أن يكون أثر رؤوس جنوده عنده وأحظاهم عنده وأقربهم إليه من واساهم في معونته هذا هو الضمير الدال على أن الضمير المذكور أولاً للجند لا لأمراء الجند لولا ذلك لما انتظم الكلام. قوله من خلوف أهليهم أي ممن يخلفونه من أولادهم وأهليهم))<sup>(٥٧)</sup> وجاء في المعنى اللغوي لمادة هذه اللفظة (خلف) عن الليث (ت هـ) وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) قولهما: ((الليث الخَلْفُ ضِدُّ قُدَّامٍ. قال ابن سيده خَلْفٌ نَقِيضٌ قُدَّامٌ مؤنثة وهي تكون اسماً وظرفاً))<sup>(٥٨)</sup> وذكر ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في غريبه كلمة (الخلوف) بقوله: ((في الحديث والْحَيُّ خُلُوفٌ أَي قَدْ ذَهَبَ الرَّجَالُ وَبَقِيَ النِّسَاءُ))<sup>(٥٩)</sup> وقال في موضع آخر: ((قَوْلُهُ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ الْحَاءُ مَضْمُومَةٌ وَهُوَ تَغْيِيرُهُ بِالصَّوْمِ، وَسُئِلَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ قُبَلَةِ الصَّائِمِ فَقَالَ مَا أَرَبُكَ إِلَى خُلُوفٍ فِيهَا وَيَقَالُ يَوْمَ الضُّحَى مُخْلِفَةٌ لِلْفَمِ أَي مُغَيَّرَةٌ))<sup>(٦٠)</sup>

لقد وظف الإمام علي (عليه السلام) المعنى اللغوي لهذه اللفظة خير توظيف إذ استعمله بمعنى ما يخلفه الرجل من الأولاد والأهل، والخلف يكون ضد القدام وما يخلفه الشخص فهو ما يتركه خلفه من الأهل والولد. على الرغم من اختصاصها بالفم وأنها تأتي في معنى التغيير.

### ثانياً: الأفعال الغريبة في العهد.

من الألفاظ الغريبة التي جاءت على صيغة فعل سواء كان فعلاً ماضياً أو مضارعاً أو أمراً وفعلاً أسند إلى واو الجماعة أو نون التوكيد الثقيلة فهي كثيرة منها: (( ألصق (٢)، يُطْرُوكَ، أصحر، ثلموا، استوبلوا، تبجح (٣)، تغاب، ثمحكه، يطامن، يعيا، يتفاقم تطلّناً، تقوين، تطمحن. ))

وأول ما يطالعنا من الأفعال فعل الأمر (ألصق) وقد ورد مرتين في سياقين مختلفين الأول قوله (عليه السلام): (( وَالصَّقُ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى الْأَيُّطْرُوكِ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْ ))<sup>(٦١)</sup> وأما السياق الثاني فقوله (عليه السلام): (( ثُمَّ الصَّقُ بِذَوِي الْمُرْوَآتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ ))<sup>(٦٢)</sup>

والمراد من السياق الأول قوله: (( والصق بأهل الورع كلمة فصيحة يقول اجعلهم خاصتك وخلصاءك. قال ثم رضهم على ألا يطروك أي عودهم ألا يمدحوك في وجهك ولا يبجحوك بباطل لا يجعلوك ممن يبجح أي يفخر بباطل لم يفعل ))<sup>(٦٣)</sup>

أما المعنى العام للسياق الثاني فقوله: (( ثم أمره أن يلصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات أي يكرمهم ويجعل معوله في ذلك عليهم ولا يتعداهم إلى غيرهم وكان يقال عليكم بذوي الأحساب فإن هم لم يتكروا استحياوا. ثم ذكر بعدهم أهل الشجاعة

والسخاء ثم قال إنها جماع من الكرم وشعب من العرف من هاهنا زائدة وإن كانت في الإيجاب على مذهب أبي الحسن الأخفش أي جماع الكرم أي يجمعه كقول النبي [صلى الله عليه وآله وسلم] الخمر جماع الإثم والعرف المعروف.)) (٦٤)

وألصق من الألفاظ الغريبة التي ذكرها ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) في النهاية إذ يقول: (( في حديث قيس بن عاصم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فكيف أنت عند القرى؟ قال: ألصق بالناب الفانية والضرع الصغير أراد أنه يلصق بها السيف فيعزقها للضيافة وفي حديث حاطب [إني كنتُ امرأً ملصقاً في قريش] الملصق: هو الرجل المقيم في الحي وليس منهم بنسب)) (٦٥)

ووردت هذه اللفظة في عدة لغات منها ((لصق به يلصق لُصوقاً وهي لغة تميم وقيس تقول لست بالسين وربيعة تقول لزق وهي أقبحها إلا في أشياء نصفها في حدودها والتصق وألصق غيره... قال الراعي فقلتُ له ألصق بأبيس ساقها فإن نُجر العرْقوب لا يرقأ النَّسا... أراد ألصق السيف بساقها واعقرها...)) (٦٦)

ومن الأفعال التي وردت في العهد (يطامن)، وجاءت في سياق قول الإمام علي (عليه السلام): ((فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طَمَاحِكَ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ!)) (٦٧). والمراد بهذا الكلام ((ثم أمره عند حدوث الأبهة والعظمة عنده لأجل الرئاسة والإمرة أن يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على إعدامه وإيجاده وإماتته وإحيائه فإن تذكر ذلك يطامن من غلوائه أي يغض من تعظمه وتكبره ويطأطئ منه.)) (٦٨)

وجاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (سورة البقرة ٢٦٠)،

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ (آل عمران ١٢٦)، وفي آية أخرى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ (الأنفال ١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل ١٠٦)، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (النساء ١٠٣)، وأخيراً قوله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا﴾ (يونس ٧).

ويلحظ في سياق هذه الآيات أن القرآن الكريم استعمل هذه اللفظة في أكثر من صورة منها الفعل الماضي وقد أسند إلى تاء الفاعل وواو الجماعة ومنها الفعل المضارع الذي أسند إلى نون التوكيد الثقيلة ومنها اسم الفاعل للمذكر والمؤنث وغيرها ومن الملفت للنظر أن الإمام علي (عليه السلام) استعمل هذه اللفظة ولأول مرة على صورة فعل مضارع غير مسبوق للاستعمال ولعل هذا من باب الغريب النادر لقلّة الاستعمال؛ لأن المراد بالكلام هو الانخفاض والغض من غلوائه، وهو المعنى اللغوي الذي حدده ابن منظور (ت ٧١١هـ) بقوله: ((وَاطْمَأْنَنْتِ الْأَرْضُ وَتَطَأَمَنْتِ انخفَضتْ وَطَمَأَنَّ ظَهْرُهُ وَطَأْمَنَ بِمَعْنَى عَلَى الْقَلْبِ التَّهْذِيبَ فِي الثَّلَاثِي أَطْمَأَنَّ قَلْبُهُ إِذَا سَكَنَ وَاطْمَأْنَنْتَ نَفْسَهُ وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ إِلَى كَذَا)) (٦٩)

وأما من جهة بيان دلالة هذه اللفظة فقد قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): ((طمن: الطمأنينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج،...)) (٧٠) وذكر في موضع آخر ((واطمأن وتطامن يتقاربان لفظاً ومعنى)) (٧١)

ومن ألفاظ الغريب في الأفعال في المعنى الممنوح في الاستعمال التي ذكرت في العهد ونص عليها ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) لفظة (الضلع) في دعاء وارد عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((قوله أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَلَعِ الدِّينِ يعني ثقله حَتَّى يُمِيلَ صَاحِبَهُ عَنِ الاسْتِوَاءِ لِثِقَلِهِ)) (٧٢) وأما ما ورد في العهد فقول الإمام علي (عليه السلام): ((وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظَمَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا،

وَلَا ضَعَةَ أَمْرِي إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا. وَأُرْدُدُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ)) (٧٣)

وجاء في توضيح هذه اللفظة قول ابن أبي الحديد (( ثم أمره أن يرد إلى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب أي ما يئوده ويميله لثقله وهذه الرواية أصح من رواية من رواها بالطاء وإن كان لتلك وجه )) (٧٤)

وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ): (( وَالضَّلْعُ الْمَيْلُ وَضَلَعَ عَنِ الشَّيْءِ بِالْفَتْحِ يَضْلَعُ ضَلْعًا بِالتَّسْكِينِ مَالَ وَجَنَفَ عَلَى الْمَثَلِ وَضَلَعَ عَلَيْهِ ضَلْعًا حَافً وَالضَّالِعُ الْجَائِرُ وَالضَّالِعُ الْمَائِلُ وَمِنْهُ قِيلَ ضَلْعُكَ مَعَ فُلَانٍ أَي مَيْلُكَ مَعَهُ وَهَوَاكُ... وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَعَلْبَةِ الرِّجَالِ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَي ثَقُلَ الدِّينُ قَالَ وَالضَّلْعُ الْأَعْوَجُ أَي يُثْقَلُهُ حَتَّى يَمِيلُ صَاحِبُهُ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ وَالْإِعْتِدَالِ لثِقَلِهِ وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَأُرْدُدُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ أَي يُثْقِلُكَ )) (٧٥)

ومن صيغ بعض الأفعال الزوائد التي وردت في العهد (استكفأك) في قول الإمام علي (عليه السلام): (( فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَائِكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ. )) (٧٦)، ولفظة (واستنامتك) في قوله (عليه السلام): (( فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ. ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، )) (٧٧)

وجمع الصرفيون معاني صيغة (استفعل) فوجدوها ستة معانٍ (٧٨)، ولعل من أهمها: الطلب حقيقة ك (استغفرت الله)، ولذلك يقول سيبويه: (( هذا باب استفعلت تقول: استجدته أي أصبته جيداً، واستكرمته أي أصبته كريماً. واستعظمته أي أصبته عظيماً، واستسمته أي أصبته سميناً. وقد يجيء استفعلت على غير هذا المعنى... وتقول:

استعطيت أي طلبت العطية، واستعبته أي طلبت إليه العتي. ومثل ذلك استفهمت واستخبرت، أي طلبت إليه أن يخبرني؟ ومثله: استثرته. وتقول: استخرجته، أي لم أزل أطلب إليه حتى خرج.))<sup>(٧٩)</sup>، وذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ((وأما استفعل فيكون بمعنى التكلف، نحو تعظّم. واستعظّم وتكبر. واستكبر ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو: استوهب ويكون بمعنى فعل: قرّ. واستقرّ.))<sup>(٨٠)</sup>

وهاتان اللفظتان (استكفاك) و(استنامتك) جاءتا على وزن (استفعل) والمراد بالأولى طلب منك كفاية أمرهم لأن ((كفى يكفي كفاية إذا قام بالأمر، ويقال: استكفيت أمرأ فكفانيه، ويقال كفاك هذا الأمر أي حسبك، وكفاك هذا الشيء.))<sup>(٨١)</sup> وهذا ما أكده الدكتور صبحي الصالح في بيان معنى هذه الصيغة بقوله: ((واستكفاك أمرهم بمعنى طلب منك كفاية أمرك، والقيام بتدبير مصالحهم.))<sup>(٨٢)</sup>

أما لفظة (الاستنامة) فتعني السكون والثقة<sup>(٨٣)</sup>، وجاء في دلالة السياق ((أن يكون عارفا بنفسه فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره. ثم نهاه أن يكون مستند اختياره لهؤلاء فراسته فيهم وغلبة ظنه بأحوالهم فإن التدليس ينم في ذلك كثيرا وما زال الكتاب يتصنعون للأمرء بحسن الظاهر وليس وراء ذلك كثير طائل في النصيحة والمعرفة ولكن ينبغي أن يرجع في ذلك إلى ما حكمت))<sup>(٨٤)</sup>

### المبحث الثالث

#### الغريب من الاشتقاق في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه)

يتناول هذا المبحث الألفاظ الغريبة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لواليه مالك الأشتر من ناحية الاشتقاق الذي نعني به تبيان الغرابة للألفاظ لا على أساس معرفة جذرها اللغوي من السامع، أو القارئ، بل هي قد تكون معروفة لديها، جذراً لغوياً، ومادة معجمية، وهي حاضرة في ذهنيها، ولكن الصيغة الصرفية التي جاءت عليها يندر أن تجيء لمثلها، ولم يذكر الصرفيون لها هذه الصيغة.

#### أولاً: المصادر الغريبة في العهد.

بدأ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) العهد بقوله: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْترِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَاهُ مِصْرَ: جَبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا. أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا))<sup>(٨٥)</sup> فبعد أن بدأ أمير المؤمنين كتابه بالبسملة إذ إن هذا العهد كان ككتاب مستقل افتتحه بالبسملة، وإلا فليس في باقي كتبه ووصاياه وعهوده بسملة.

وكالعادة المعروفة في مخاطباته الرسمية أشار إلى أن هذا الكتاب موجه من عبد من عباد الله وهو في الوقت نفسه أمير للمؤمنين، وهي حقيقة أكد عليها الإمام علي (عليه السلام) في أكثر من رسالة وكتاب حين قدم العبودية على الإمارة ويدل دلالة واضحة على إقراره بالعبودية لله تعالى ويرى نفسه عبداً من عباد الله قبل أن يكون

أمير المؤمنين. ووجه كتابه هذا إلى أحد ولاته أولاً من أجل استحصال الضرائب وجبايتها من أهلها وقتال عدوها، ويأمره بتقوى الله وإتباع أوامره بتقديمه طاعة الله على غيره؛ لأنها من مستلزمات السعادة في الدنيا والآخرة، وأنه يشقى من خالف أوامر الله وفرائضه وسننه وقال (لا يشقى إلا مع جحودها)

ولعل أول لفظة غريبة تطالعنا في عهد مالك (رضي الله عنه) هي (الجحود) وهي مصدر وتعني في اللغة: ((الإنكار مع العلم))<sup>(٨٦)</sup> و((يقال جَحَدَهُ حَقَّهُ وَجَحَدَهُ بحقه وبابه قَطَعَ وَخَضَعَ))<sup>(٨٧)</sup> ويرى ابن منظور (ت ٧١١هـ) أن الجحود: ((نقيض الإقرار كالإنكار والمعرفة جَحَدَهُ يَجْحَدُهُ جَحْدًا وَجُحُودًا))<sup>(٨٨)</sup> و((جَحَدَهُ حَقَّهُ وَبِحَقِّهِ جَحْدًا وَجُحُودًا أَنْكَرَهُ وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى عِلْمٍ مِنَ الْجَاهِدِ بِهِ))<sup>(٨٩)</sup> وقولهم مرة (نقيض) ومرة (ضد) كما في قول الأزهري (ت ٣٧٠هـ) فيما رواه عن الليث ((قال الليث: الجحود: ضد الإقرار))<sup>(٩٠)</sup> يوحى بأنها من الألفاظ المتقابلة، ولكن الإقرار يقابله الإنكار ولا يقابله الجحود لأن اختيار الإمام (عليه السلام) واستعماله لهذه اللفظة دون غيرها كأمثال نفيها أو عدم إقرارها فضلاً عن كونها مصدراً بحد ذاته يدل على الحدث يجعله دالاً على الثبات والاستقرار، فالشقاء في هذه الحياة يكون مع الإنكار لهذه الأوامر مع العلم بها وهذه طامة كبرى في حياة الإنسان.

وجعل سيويه (ت ١٨٠هـ) هذه اللفظة من النادر الذي لا يقاس عليه وذلك بقوله: ((وقد جاء على فعلاً نحو الشكران والغفران. وقالوا: الشكور كما قالوا: الجحود. فإنما هذا الأقل نوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها، ولكن الأكثر يقاس عليه))<sup>(٩١)</sup> جاء ذلك في ((باب بناء الأفعال التي هي أعمال تعداك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها))<sup>(٩٢)</sup> وقال فيه أيضاً ((وقد جاء بعض ما ذكرنا من هذه الأبنية على فُعلول. وذلك: لزمه يلزمه لزوماً، ونهكه ينهكه نهوياً، ووردت وروداً،

وجحدته جُحوداً، شبهوه بجلوس جلوساً، وقعد يقعد قعوداً، وركن يركن ركناً، لأن بناء الفعل واحد.))<sup>(٩٣)</sup> وقد جعله ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في أبواب النفي إذ يقول: ((النفي ضد الإيجاب، نفيته نفيًا وأهل المنطق يسمونه سلبًا. صاحب العين: الجُحودُ: نقيض الإقرار جحدَه يجحدُه جحدًا،))<sup>(٩٤)</sup>

ولا شك أن معرفة السياق الذي وضعت فيه اللفظة وقت استعمالها لها بالغ الأثر في بيان دلالتها ووضوح معناها، نرى ذلك في سياق قول الإمام علي (عليه السلام) في عهده إذ يقول: ((وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ))<sup>(٩٥)</sup> وقوله ((ولا تقولن إني مؤمر أي لا تقل إني أمير ووال أمر بالشيء فأطاع.))<sup>(٩٦)</sup> أما الإدغال فهو ((الإفساد ومنهكة للدين ضعف وسقم))<sup>(٩٧)</sup>

واستعمل الإمام علي (عليه السلام) هذه اللفظة ووظفها في نص آخر من نهج البلاغة وفي خطبة خطبها بصفين في حق الوالي وحق الرعية بقوله: ((وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَاءُ أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتَرَكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالهُوَى وَعَطَّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عَدْلُ النُّفُوسِ فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عَطْلٍ وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فِعْلٍ فَهُنَالِكَ تَذَلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعَزُّ الْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ.))<sup>(٩٨)</sup>

فقد وردت كلمة (الإدغال) وهي من المصادر، والإدغال على ما يبدو أنها من الألفاظ المشتركة التي تكون لها عدة دلالات منها الفساد، والشجر الكثير الملتف وقيل هو اشتباك النبات وكثرته وقيل الدغل كل موضع يخاف فيه الاغتيال والجمع أدغال ودِغال<sup>(٩٩)</sup>.

وذكر سيبويه (ت ١٨٠هـ) ذلك في (( باب مصادر ما لحقته الزوائد من الفعل من بنات الثلاثة فالمصدر على أفعلت إفعالاً، أبدأً. وذلك قولك: أعطيت إعطاءً، وأخرجت إخراجاً. ))<sup>(١٠٠)</sup>

ووظف الإمام علي (عليه السلام) لفظة (الإدغال) وهي مصدر بمعنى الفساد ولذلك جاء مرة معلقاً بالجار والمجرور (في القلب) وأخرى (في الدين) لأن أخطر ما تمر به الأمة هو الفساد في القلب وكذلك الفساد في الدين (( وهو أن يدخل في الشيء ما ليس منه وهو الإبداع والتلبس. وبتفتح الهمزة: جمع الدغل - كجبل - وهو الفساد... ))<sup>(١٠١)</sup>

وقد ظهر في العهد لفظ (حدوة) والذي يبدو للوهلة الأولى أنها من المصدر الدال على المرة، وذلك في سياق قول الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((...فَإِنَّ تَعَاهِدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحْفَظُ مِنْ الْأَعْوَانِ...))<sup>(١٠٢)</sup> وذكر ابن أبي الحديد في توضيح هذه اللفظة ((وحدوة باعث، يُقال: حداني هذا الأمر حَدْوَةً على كذا، وأصله؛ سَوَقُ الإِبِلِ، ويُقال: للشَّمَالِ حَدْوَاءٌ؛ لِأَنَّهَا تَسُوقُ السَّحَابَ.))<sup>(١٠٣)</sup>

وظاهر غرابة التركيب في (حَدْوَةٌ)، أُنْهَاجَاتٍ عَلَى زِنَةِ (الْمَرَّةِ)، وليس الموضع موضع مرّة، ولكنّه موضع المصدر الدالّ على الحدث بعينه، لا بعدد مراته، والمعنى: (فإن تعاهدك في السرّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ...)، إذ ذكر الصرّيون قياس (فَعَلَّ) إذا كان متعدياً فمصدره على زِنَةِ (فَعَلَّ) إذ ذكر الخليل: ((حدا يحدو حَدْوًا، وأعرفه حُدَاءً - ممدود - إذا رجز الحادي، خلف الإبل وَحَدَا يحدو حَدْوًا، إذا تبع شيئاً))<sup>(١٠٤)</sup>. وقال ابن دريد: ((حدوتُ الإبل، أحدوها حَدْوًا))<sup>(١٠٥)</sup>، ولم يذكر ابن السكّيت (الحَدْوَةُ) في باب (فَعَلَّةٌ وَفُعَلَةٌ) ولا في باب

(فَعْلَةٌ وَفُعْلَةٌ وَفِعْلَةٌ) ولا في باب (فَعْلَةٌ وَفِعْلَةٌ)<sup>(١٠٦)</sup>. ولم نجد - في ما وقع بين يدي من المعاجم، والكتب - من أشار إلى (حدوة) ولو حتى بمعنى المرّة، إلا أن ابن أبي الحديد، يقول في معرض شرحه للكلام: (( وحدوة باعث، يُقال: حداني هذا الأمر حَدْوَةً على كذا، وأصله؛ سَوَقُ الإِبِلِ، ويُقال: (( لِلشَّمَالِ حَدْوَاءٌ؛ لِأَنَّهَا تَسْوِقُ السَّحَابَ)). ولا أدري من أين جاء بقوله: (حداني هذا الأمر...)) ولعلّه أراد (حَدْوَةٌ من حداني هذا الأمر حَدْوَةٌ) أي لبيان اشتقاقها وإلا فإنّ قوله: (يقال...)) يوهم بأنّ هذا التصريف مسموع عند العرب، ولم نجد له ذكراً في كتب اللغة<sup>(١٠٧)</sup>.

### ثانياً: الجموع الغريبة في العهد.

من الألفاظ التي وردت في العهد من الجموع ونرى أنها غريبة هي (الجمحات) التي وردت بصيغة الجمع في قوله (عليه السلام): (( فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكْفَلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَأَمْرَهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجُمُحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ))<sup>(١٠٨)</sup>.

وورد في المعجمات أن ((الجمحات من جمح الفرس براكبه ذهب يجري جرباً غالباً واعتزّ فارسه وغلبه، يقال: دابة ما بها رحمة ولا جمحة))<sup>(١٠٩)</sup> وعليه فإن الجمحات منازعة النفس إلى شهواتها ومآربها ونزعها بكفها.

وقد ذكر سيبويه هذا النوع من الجمع في ((باب جمع الاسم الذي في آخره هاء التأنيث زعم يونس أنك إذا سميت رجلاً طلحة أو امرأة أو سلمة أو جبلة، ثم أردت أن تجمع جمعته بالتاء، كما كنت جامعته قبل أن يكون اسماً لرجل أو امرأة على الأصل. ألا تراهم وصفوا المذكر والمؤنث، قالوا: رجل ربعة وجمعوها بالتاء: فقالوا ربعات ولم يقولوا: ربعون. وقالوا: طلحة الطلحات ولم يقولوا:

طلحة الطَّلحين. فهذا يجمع على الأصل لا يتغيّر عن ذلك، كما أنّه إذا صار وصفا للمذكّر لم تذهب الهاء.))<sup>(١١٠)</sup> وعليه فالكلمة التي استعملها الإمام (عليه السلام) جاءت على الأصل الذي وضعت له في اللغة.

### ثالثاً: المشتقات الغريبة في العهد.

جاء في العهد مجموعة لا بأس بها من المشتقات لعل من أبرزها ((الناكل، أشنأهم)) وسوف نستعرض بعضاً من تلك المشتقات ونبدأ أولاً في لفظة (الناكل) وهي اسم فاعل جاءت في سياق قول الإمام علي (عليه السلام): (( وَوَاصِلٌ مِنْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذُووُ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أفعالِهِمْ تَهْرُ الشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَلَا تَضْمَنْ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ))<sup>(١١١)</sup> وجاء هذا القول في سياق جملة من الأوامر التي وجهها الإمام علي (عليه السلام) في كتابه وتحديداً (( أمره أن يذكر في المجالس والمحافل بلاء ذوي البلاء منهم فإن ذلك مما يرهف عزم الشجاع ويحرك الجبان. قوله ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره أي اذكر كل من أبلى منهم مفرداً غير مضموم ذكر بلائه إلى غيره كي لا يكون مغموراً في جنب ذكر غيره.))<sup>(١١٢)</sup>

والمعنى المعجمي لهذه اللفظة هو الجبن والصراف عن الشيء جاء ذلك في لسان العرب بقوله: (( نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولاً نكص وجبن ) وَيَنْكُلُ نُكُولاً وَنَكَلٌ نَكَّصٌ يُقَالُ نَكَلَ عَنِ الْعَدُوِّ وَعَنِ الْيَمِينِ يَنْكُلُ بِالضَّمِّ أَي جَبَنَ وَنَكَلَهُ عَنِ الشَّيْءِ صَرَفَهُ عَنْهُ وَيُقَالُ نَكَلَ الرَّجُلُ عَنِ الْأَمْرِ يَنْكُلُ نُكُولاً إِذَا جَبَنَ عَنْهُ وَلِغَةِ أُخْرَى نَكَلَ بِالْكَسْرِ يَنْكُلُ وَالْأُولَى أَجُودُ اللَّيْثِ النَّكَلُ))<sup>(١١٣)</sup>

وهذه اللفظة وردت بصيغة مصدر آخر غير (نكول) الواردة في المعجمات في

القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ (المائدة ٣٨) وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ (البقرة ٦٦) ووردت مرة أخرى بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (المزمل ١٢) ولكن الإمام (عليه السلام) استعمل هذه اللفظة بصيغة اسم الفاعل وهي صيغة جديدة حاول الإمام استعمالها من باب تكثيف الدلالة لهذه اللفظة.

ومن المشتقات الأخرى في العهد لفظة (أشناهم) وهي أفعل التفضيل من الشنان ويلحظ ذلك في قوله (عليه السلام): (( وَلْيَكُنْ أَبَعْدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا أَلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّهَا عَلَيْكَ تَطْهِيرٌ مَا ظَهَرَ لَكَ ))<sup>(١١٤)</sup> فإنه استعمل لفظة (وأشناهم) التي يراد بها (( الشنائة مثل الشناعة البغض ))<sup>(١١٥)</sup> وهي مما نضعه في قائمة اسم التفضيل وغريب الوزن فيها ذلك أنها لم ترد بهذه الصيغة في القرآن إذ ورد قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ (المائدة ٢، ٨) وقرئَ بهما أي بفتح النون وإسكانها (( وشناناً وشناناً بالتحريك والتسكين أبغضه... فمن سکن فقد يكون مصدراً كليان ويكون صفة كسكران أي مبغض قوم قال الجوهري وهو شاذ في اللفظ لأنه لم يجيء شيء من المصادر عليه ومن حرّك فإنما هو شاذ في المعنى؛ لأن فعلان إنما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضربان والحققان ))<sup>(١١٦)</sup>

أما في التهذيب فقد ذكر أن (( الشنانُ مصدر على فعلان كالنزان والضربان وقرأ عاصم شنان بإسكان النون وهذا يكون اسماً كأنه قال ولا يجرمنكم بغيض قوم ))<sup>(١١٧)</sup> وفي التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر ٣) وقال الفراء في تفسير الآية: (( قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّ شَانِئَكَ أَيَّ

مُبَغِضَكَ وَعَدُوَّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)) (١١٨)

وجاء غريب هذه اللفظة من كونها جاءت على هذه الصيغة (أفعل) والمعروف لدى الصرفيين أنهم وضعوا عدّة شروط في صياغة اسم التفضيل، بلغت الثمانية؛<sup>(١١٩)</sup> منها لا يُصاغ من العيوب والخلال الظاهرة والألوان، عند البصريين، وأجاز الكوفيون صياغته، من نحو: (أسود منه) وغيرها، أما ما كان عيباً باطناً على (فعل)، فجائز عند البصريين؛ من نحو: (أبله منه)، و (أحمق منه). ولكن (أشناً) جاءت على وزن (أفعل) واستعملها الإمام (عليه السلام) من باب اختلاف الصيغة وندرة الاستعمال.

## الخاتمة:

- ١ . بعد هذه الجولة في الألفاظ الغريبة في عهد الإمام (عليه السلام) نخلص إلى عدة نتائج أبرزها:
- ٢ . ما نصت عليه المعجمات العربية في دلالة لفظة (الغريب) لا تخرج عن كونه الغامض في الكلام والابتعاد به والنأي عنه.
- ٣ . الغريب الذي وقع في نهج البلاغة هو غريب يصب في الفصاحة، لا غريب ينافر الفصاحة.
- ٤ . الغريب الذي وقع في عهد الإمام علي (عليه السلام) في الألفاظ والمعاني والاشتقاق.
- ٥ . ألفاظ الغريب التي ظهرت في العهد كانت موزعة ما بين الأسماء والأفعال.
- ٦ . وجد البحث كثيرا من الصيغ الصرفية فكان هنالك المصادر والجموع واسم الفاعل وأفعال التفضيل وغيرها.
- ٧ . قدّم البحث دراسة للغريب لجميع ما ذكر في العهد وحاول الكشف عن دلالتها ومعناها اللغوي وعن معناها في السياق الذي وضعت فيه مبينا وجه الغرابة فيها.
- ٨ . قد ترد ألفاظ غريبة ولا يفهم من غرابتها إلا إذا فهم معنى السياق الذي وضعت فيه.
- ٩ . استعمل الإمام (عليه السلام) بعض الصيغ وجاءت موافقة للمعنى الأصل في اللغة.

## ثبت المصادر

١. أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج: د. مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٢ م.
٢. الاشتقاق: لابن دريد، محمد بن الحسن، (ت ٣٢١هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٨ م.
٣. إصلاح المنطق: لابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، (ت ٢٤٤هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، مصر، ١٩٤٩ م.
٤. التطور اللغوي التاريخي: د. إبراهيم السامرائي، ط ٢، دار الأندلس، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.
٥. تهذيب اللغة: الأزهري (ت ٣٧٠هـ)
٦. الفهرست: لابن النديم (ت هـ)، ح رضا- تجدد، طهران ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م.
٧. البحث والمكتبة: تأليف الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة بغداد- بيت الحكمة، ١٩٨٨ م.
٨. بذور الدراسة الدلالية لألفاظ القرآن الكريم: د. سَعْدُ الكُردي مجلة التراث العربي- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- دمشق العدد ٦٦ - السنة ١٧ - كانون الثاني- يناير ١٩٩٧ - شعبان ١٤١٧.
٩. الرسالة: للشافعي، محمد بن إدريس، (ت ٢٠٤هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مصر، ١٩٤٠ م.

١٠. رواية اللغة: د. عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف بمصر - ١٩٧١ م.
١١. شرح الكافية: للرضي الأسترابادي، طبع على الحجر، طهران، د. ت. وطبع؛ مطبعة الرضي سنة، ١٢٧٥ هـ.
١٢. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن محمد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ)، بيروت، د. ت.
١٣. الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، حققه وقدم له مصطفى الشويمى، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.
١٤. عهد الإمام عليّ إلى مالك الأشتر لمؤلفه علي الأنصاري الناشر: دار سروش للطباعة والنشر - طهران، الجمهورية الإسلامية الإيرانية. الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
١٥. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، الكويت، ١٩٨١ م.
١٦. غرر الحكم ودرر الكلم: للآمدي، عبد الواحد بن محمد، (ت ٤٣٦ هـ)، صيدا، ١٩٣٠ م، وطبع مصر، تح: أحمد شوقي، د. ت.
١٧. غريب الحديث: ابن الجوزي (ت هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٥ م.
١٨. غريب الحديث: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد
١٩. الغريب فى اللغة العربية: محمد فلاح العثمان

٢٠. غريب نهج البلاغة أسبابه، أنواعه، توثيق نسبته، دراسته: تأليف د. عبدالكريم حسين السعداوي مكتبة الروضة الحيدرية
٢١. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، لابن الصباغ المالكي، علي بن محمد (ت ٨٥٥هـ)، النجف، ١٩٦٠م.
٢٢. الفهرست: ابن النديم محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨ || ١٩٧٨.
٢٣. القاموس المحيط: الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، ٢٠٠١م. وطبع بيروت في ١٤٠٣هـ.
٢٤. كتاب الدلائل في غريب الحديث، للسرقسطي، دراسة د. شاکر الفحام، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٢٥. كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، بعناية السيد محمد أمين الخانكي. طبعة الأستانة سنة ١٣٢٠هـ.
٢٦. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطباحي، وطاهر أحمد الزاوي، مؤسسة التاريخ العربي.
٢٧. كتاب سيبويه: أبي بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب/ بيروت.
٢٨. لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)،
٢٩. المحاسن و المساوي: للبيهقي، إبراهيم بن محمد، (ت قبل ٣٢٠هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦١م.
٣٠. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، للراغب الأصفهاني، الحسين ابن

محمد، (ت / ٥٠٢هـ)، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

٣١. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، دار الرسالة - كويت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٢. المخصص: ابن سيده الاندلسي (ت ٤٥٨هـ)،

٣٣. المصباح المنير: الفيومي

٣٤. المستدرک علی الصحیحین: للحاکم النیسابوری محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١٩٩٠م.

٣٥. مصادر التراث العربي: د. عمر دقاق، مكتبة دار الشرق، بيروت (بلا تاريخ).

٣٦. معاني القرآن: للفراء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) (١-٣) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وآخرين، القاهرة، ١٩٥٥-١٩٨٠م.

٣٧. معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري تحقيق: السيد معظم حسين الطبعة الثانية دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٣٨. المفردات في غريب

٣٩. الموازنة بين شعر ابي تمام والبحري: أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت ٣٧٠هـ)

٤٠. نهج البلاغة: تعليق الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثانية، مطبعة برستش، مؤسسة انتشارات أنوار الهدى، ١٤٢٤هـ.ق.

٤١. الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)

## الهوامش

١. العين / مادة (غرب).
٢. المصدر السابق.
٣. القاموس المحيط / مادة (غرب).
٤. المصدر السابق.
٥. لسان العرب / مادة (غرب).
٦. لسان العرب / مادة (غرب). وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ / ٢٨.
٧. التعريفات ٩٢.
٨. المصدر السابق.
٩. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ١ وما بعدها.
١٠. ثم تعاقبت كتب كثيرة في غريب القرآن، ومن الذين ألفوا فيه: أبو محمد يحيى ابن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢هـ) والنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ)، وقطرب (٢١٠هـ)، وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى (ت ٢١٣هـ)، وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ) والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ أو ٢٢١هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ومحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)، والمبرد (ت ٢٨٥هـ)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وثعلب (ت ٢٩١هـ)، والفضل بن سلمة (ت ٢٩١هـ)، وابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ).  
ينظر: البحث والمكتبة ١٢٨-١٢٩.
١١. طَبَعَتْهُ دار إحياء الكتب بالقاهرة سنة ١٩٥٨م بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر.
١٢. طَبَعَتْهُ مطبعة مجلس دار المعارف الإسلامية / تحت مراقبة: د. محمد عبد المعين خان، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.

١٣. طَبَعَتْهُ بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م. بتحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي.
١٤. ينظر في هذا كتاب البحث والمكتبة للدكتور نوري حمودي القيسي، والدكتور حاتم صالح الضامن.
١٥. ينظر: الفهرست ٥٢، رواية اللغة ٩٠-٩١، مصادر التراث العربي ١٣٧.
١٦. بُدور الدّراسة الدلالية لألفاظ القرآن الكريم - د. سَعْد الكردى - الفهرست: ٧٨، ٩٦. النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٤-٥. كتاب الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي، دراسة الدكتور شاكر الفحام: ٤ التطور اللغوي التاريخي: ٤٢.
١٧. أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ٣٥١.
١٨. غريب الحديث: لابن سلام ١ / ١ المقدمة.
١٩. المصدر السابق.
٢٠. كتاب الصناعتين ١.
٢١. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري ١ / ١٠٤.
٢٢. الوساطة بين المتنبي ٥، وينظر: الغريب في اللغة العربية محمد فلاح العثمان
٢٣. ينظر: سر الفصاحة ٢١٢ ٢١٤، والمثل السائر ٣٤.
٢٤. غريب الحديث ١ / ٢٧.
٢٥. الفائق في غريب الحديث ١ / ١٤١.
٢٦. ينظر: غريب نهج البلاغة وينظر المصادر التي ذكرها في هامش (٢٠ و ٢١ و ٢٢) من الصفحة نفسها. وقد ذكر الحافظ النيسابوري: (( فأول من صنف الغريب في الإسلام النضر بن شميل له فيه كتاب هو عندنا بلا سماع )) معرفة علوم الحديث ١ / ١٤٦.

٢٧. المحاسن والمساوي ١/ ٣٦-٣٧. وينظر: المستدرك على الصحيحين ٣/ ٤٨١،  
والفصول المهمة ١٤.
٢٨. محاضرات الأدباء ١/ ٨٩، وغرر الحكم ٨٢.
٢٩. غريب نهج البلاغة ١٦-١٧.
٣٠. ينظر: غريب نهج البلاغة ٢٢.
٣١. ينظر على سبيل المثال لا الحصر: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة:، ومنهاج  
البراعة في شرح نهج البلاغة: الحاج مير حبيب الله بن السيد محمد الملقب بأمين  
الرعايا (ت ١٣٢٤هـ)، وفي ظلال نهج البلاغة، منهاج البراعة (الراوندي)، وشرح  
نهج البلاغة (الحائري)، وشرح نهج البلاغة (الجعفري)، وشرح نهج البلاغة ابن  
أبي الحديد. وشرح كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) - عبد الوهاب، وشرح  
نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة  
تأليف الشيخ محمد باقر المحمودي.
٣٢. ينظر: غريب نهج البلاغة أسبابه ٢٢-٣٠.
٣٣. غريب نهج البلاغة أسبابه ٢٢.
٣٤. غريب نهج البلاغة ٢٥.
٣٥. المصدر السابق ٢٩.
٣٦. الرسالة: للشافعي ١٣. والنص هكذا ورد في المصدر: ((ولسان العرب أوسع  
الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي)).
٣٧. غريب نهج البلاغة أسبابه ٣٠.
٣٨. غريب نهج البلاغة أسبابه ١٠٢-١٠٣.
٣٩. ينظر: المصدر السابق ١٠٤.
٤٠. ينظر: المصدر السابق ١٠٦.

٤١. نهج البلاغة ٩٢. رقم الخطبة (٥٧).
٤٢. ينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر ١ / ٣٨٨، و (النهاية) (د/ح/ق): ٢ / ١٠٣.
٤٣. ينظر: العين، و (الصحاح)، و (الأساس)، و (اللسان) مادة (دحق).
٤٤. ينظر: غريب نهج البلاغة أسبابه ١٠٧.
٤٥. ينظر: المصدر السابق ١٠٨ وما بعدها.
٤٦. نهج البلاغة ٤٢٦، شرح نهج البلاغة ١٧ / ٣٠، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ٨ / ٤٧٤.
٤٧. كتاب في مقالة (عهد الإمام عليّ إلى مالك الأشر) شبكة الإمام الرضا (عليه السلام).
٤٨. المصدر السابق.
٤٩. ينظر: غريب نهج البلاغة أسبابه ١٠٢.
٥٠. نهج البلاغة ٤٢٨.
٥١. لسان العرب مادة (سما).
٥٢. لسان العرب مادة (سما).
٥٣. ينظر: تهذيب اللغة مادة (سما).
٥٤. لسان العرب مادة (سما).
٥٥. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ١٧ / ٣٤.
٥٦. نهج البلاغة ٤٣٣.
٥٧. شرح نهج البلاغة ١٧ / ٥٤. وينظر الصفحة ٥٢ من الكتاب نفسه.
٥٨. لسان العرب مادة (خلف).
٥٩. غريب الحديث ابن الجوزي ١ / ٢٩٧.

٦٠. المصدر السابق ١/ ٢٩٨.
٦١. نهج البلاغة ٤٣٠.
٦٢. نهج البلاغة ٤٣٣.
٦٣. شرح نهج البلاغة ١٧/ ٤٥.
٦٤. شرح نهج البلاغة ١٧/ ٥٣.
٦٥. النهاية في غريب الأثر ابن الأثير ٤/ ٢٤٩.
٦٦. لسان العرب مادة (لصق).
٦٧. نهج البلاغة ٤٢٨.
٦٨. شرح نهج البلاغة ١٧/ ٣٤.
٦٩. لسان العرب مادة (طمن).
٧٠. المفردات في غريب القرآن.
٧١. المصدر السابق.
٧٢. غريب الحديث ابن الجوزي ٢/ ١٦.
٧٣. نهج البلاغة ٤٣٤.
٧٤. شرح ابن أبي الحديد ٥٤-٥٥.
٧٥. ينظر: لسان العرب مادة (ضلع).
٧٦. نهج البلاغة ٤٢٨.
٧٧. نهج البلاغة ٤٣٧.
٧٨. ينظر: الكتاب ٢/ ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، وشرح الشافية للرضي ١/ ١١٠.
١١١. ومن معانيها الأخر هي: الصيرورة حقيقة ك (استحجر الطين)، أو مجازاً ك (إنَّ البُغاث بأرضنا يستنسر)، واعتقاد صفة الشيء ك (استحسن) واختصار حكاية ك (استرجع)، أي: قال: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، والشدة ك (استهتر)،

أي: اشتدَّ هتره، والمصادفة والوجدان كـ (استكرمته واستبخلته) أي وجدته

كريماً أو بخيلاً.

٧٩. الكتاب ٤ / ٧٠.

٨٠. الصاحبي في فقه اللغة ٢٢٣.

٨١. لسان العرب مادة (كفى).

٨٢. نهج البلاغة ٦٩٦.

٨٣. ينظر: نهج البلاغة ٧٠٠.

٨٤. شرح نهج البلاغة ١٧ / ٧٨.

٨٥. نهج البلاغة ٤٢٦-٤٢٧.

٨٦. تاج اللغة وصحاح العربية مادة (جحد).

٨٧. مختار الصحاح ٩٣.

٨٨. لسان العرب مادة (جحد).

٨٩. المصباح المنير ١ / ٧٢.

٩٠. تهذيب اللغة مادة (جحد).

٩١. الكتاب ٤ / ٨.

٩٢. الكتاب ٤ / ٥.

٩٣. الكتاب ٤ / ٥-٦.

٩٤. المخصص

٩٥. نهج البلاغة ٤٢٨.

٩٦. شرح نهج البلاغة ١٧ / ٣٣.

٩٧. شرح نهج البلاغة ١٧ / ٣٤.

٩٨. نهج البلاغة ٣٣٣-٣٣٤.

٩٩. ينظر: لسان العرب مادة (دغل).
١٠٠. الكتاب ٧٨ / ٤.
١٠١. نهج السعادة - الشيخ المحمودي ١٨٠ / ٢.
١٠٢. نهج البلاغة ٤٣٥.
١٠٣. شرح نهج البلاغة ٧٠ / ١٧.
١٠٤. العين مادة (ح دى).
١٠٥. الاشتقاق ٤٠٦.
١٠٦. ينظر: اصلاح المنطق ١٢٧-١٣٠، ١٣١-١٣٣.
١٠٧. ينظر: غريب نهج البلاغة أسبابه ١٤٩.
١٠٨. نهج البلاغة ٤٢٧.
١٠٩. أساس البلاغة ٦٣ (جمع)، ولسان العرب مادة (جمع).
١١٠. الكتاب ٣ / ٣.
١١١. نهج البلاغة ٤٣٤.
١١٢. شرح نهج البلاغة ٥٤ / ١٧.
١١٣. لسان العرب مادة (نكل).
١١٤. نهج البلاغة ٤٢٩.
١١٥. لسان العرب مادة (شناً).
١١٦. المصدر السابق.
١١٧. تهذيب اللغة مادة (شناً).
١١٨. معاني القرآن.
١١٩. ينظر: الكتاب ٢ / ٢٥١ ٢٥٢، شرح الكافية للرضي ٢ / ٢٣٥.

# الأمر وأنماطه الفنية

في عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشر (رضي الله عنه)

المدرس الدكتور حيدر عبد الحسين مير زوين

١٤٣٨ هـ

٢٠١٦ م





بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن والاهم الى يوم الدين.

وبعد يعد أسلوب الأمر أحد الأنماط التي تنتمي الى أسلوب الطلب وقد قسم النحاة الجمل العربية على قسمين جمل اسمية وجمل فعلية، وأما البلاغيون فقد قسموا الجمل على صنفين أما طلبية أو إنشائية ولهذا الأسلوب صيغ مختلفة يتردد عليها من ضمن سنن العرب في كلامها كما وضع الدارسون آليات محددة يدرس على أساسها هذا الأسلوب أو أي أسلوب آخر وبما أن أسلوب الطلب من أنماط علم المعاني الذي حده البلاغيون بأنه العلم الذي يدرس بغية الاحتراز من الوقوع في الأخطاء المعنوية ؛ فلا بد من تبني مجموعة أو منظومة أسلوبية تأخذ على عاتقها هذه المسؤولية.

وقد قسّمت البحث الموسوم بـ ((الأمر وأنماطه الفنية في عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشر)) على أربعة مباحث، سبقت بمقدمة وانتهت بخاتمة تبين أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فضلاً عن قائمتين إحداهما لهوامش البحث والأخرى لمظان البحث الرئيسة، وقد أطلقت على المبحث الأول: مفهوم مصطلحات البحث اللغوية والاصطلاحية وقد درس هذا المبحث لثلاثة محاور جاءت على النحو الآتي: (الأمر لغة واصطلاحاً، والأنماط لغة واصطلاحاً، والعهد لغة واصطلاحاً).

فيما وسم المبحث الثاني بـ: مضامين عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشر وتضمن هذا المبحث محورين الأول منهما: نبذة مختصرة عن حياة مالك الأشر، والثاني مضامين هذا العهد.

فيما أطلقت على المبحث الثالث: أسلوب الأمر وصيغته ودلالاته في اللغة العربية وقد قسم على محورين: ضم الأول: الأنماط الحقيقية فيما اشتمل الثاني على الأنماط المجازية

وتضمن المبحث الرابع دراسة لـ(أنماط الأمر ودلالاتها في عهد الإمام علي الى مالك الأشتر)

وقد استعان الباحث بمجموعة من المصادر التاريخية والأدبية واللغوية والدينية، ومصادر العقيدة كي ينجز هذا البحث المتواضع فهو لا يدعي الكمال في كل ما قام به وما بذله من جهد؛ لأن الكمال لله عز وجل والعصمة له وحده لا شريك له فإن أصاب فهو حسبه وإن أخطأ فجلل بني البشر خطائين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الباحث

## المبحث الأول

### مفهوم مصطلحات البحث اللغوية والاصطلاحية

أولاً: الأمر (لغةً واصطلاحاً):

هو المصدر من الفعل الماضي الثلاثي أمر، يأمر، أمراً واصطلاحاً: بمعنى الطلب أو الحال والشأن والسلطة<sup>(١)</sup> ومنه قوله تعالى: ((لله الأمر من قبل ومن بعد))<sup>(٢)</sup> والأمر: هو أحد أنواع الفعل ويمكن تقسيم الفعل على ثلاثة أنواع: (الماضي والمضارع والأمر)<sup>(٣)</sup>

ويمكن تعريف فعل الأمر بأنه لفظ يطلب به تنفيذ فعل في زمن الحال<sup>(٤)</sup> والأمر أسلوب بلاغي يعني طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام<sup>(٥)</sup>

ثانياً: مصطلح الأنماط الفنية في اللغة والاصطلاح:

النمط في اللغة: النمط لغة من الجذر الماضي نمط ينمط تنميظاً فهو نمط اسم فاعل ومنمط وهو اسم مفعول ويعني ظهارة الفراش وهو ضرب من البسط وهو أيضاً ثوب من الصوف وهو كذلك جمع من الناس اجتمعوا على أمر واحد<sup>(٦)</sup> وجاء في حديث الامام علي (عليه السلام): ((خير الناس هذا النمط الأوسط يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي))<sup>(٧)</sup>

أما في الاصطلاح: فالنمط هو طريقة أو أسلوب وقد يأتي بمعنى صنف أو نوع<sup>(٨)</sup>.

والفنيّة: مصدر صناعي من الفعل فنن والفن طريق ومسلك وقد يأتي بمعنى اللون<sup>(٩)</sup> ألا ترى قوله تعالى ((ذواتا أفنان))<sup>(١٠)</sup> نسبةً الى الفن وهي تعني التفنن في

استعمال اللغة لأجل الإبداع الجملي والجمالي الذي يتوخاه المتلقي

### ثالثاً: العهد في اللغة والاصطلاح

العهد في اللغة

والعهد لغة: مأخوذ من الفعل الماضي الثلاثي (عهد) ومضارعه يعهد والمصدر

عهداً<sup>(١١)</sup>

العهد اصطلاحاً أما اصطلاحاً فهو بمعنى الميثاق وقد يأتي بمعنى الوصية والأمر وهذا ما ذهب إليه الزبيدي في تاج العروس<sup>(١٢)</sup> وهذا المعنى يتناغم مع ما نريده وما يدل على ذلك قوله تعالى: (( ألم أعهد إليكم يا بني آدم ))<sup>(١٣)</sup>، وقوله: (( وعهدنا الى إبراهيم ))<sup>(١٤)</sup>، في حين يرى آخرون مثل الرازي في مختار الصحاح أن العهد هو الأمان واليمين والموثق والذمة والحفاظ فضلاً عن الوصية وعهد إليه أي فهم أي أوصاه ويحتج أصحاب هذا الرأي بقوله عز وجل: (( وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ))<sup>(١٥)</sup> ومنه اشتق العهد<sup>(١٦)</sup>

ثانياً: الأنماط الفنية: الأنماط بصيغة جمع التكسير على زنة أفعال ومفردها نمط وهو على معانٍ مختلفة منها: (( ظهارة الفراش، وضرب من البسط وثوب من صوف ))<sup>(١٧)</sup>، وقد تأتي بمعنى: (( جماعة من الناس أمرهم واحد ))<sup>(١٨)</sup> أما في المصطلح فهو طريقة أو أسلوب وشكل أو مذهب، وقد ترد بمعنى صنف أو طراز أو نوع من شيء<sup>(١٩)</sup>.

والفنية: مصدر صناعي وهو كل مصدر اتصل بالياء المشددة والتاء المربوطة والفرن: هو أسلوب وقد ورد في محكم التنزيل بقوله: (( ذواتا أفنان ))<sup>(٢٠)</sup>، والأفنان هنا بمعنى الألوان المختلفة.

## المبحث الثاني

### مضامين عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر

أولاً: نبذة من حياة مالك الأشتر

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك بن نخع<sup>(٢١)</sup> الكوفي، المعروف بالأشتر، ويكنى بأبي ابراهيم وبكباش العراق<sup>(٢٢)</sup> من صحابة أمير المؤمنين ومن أثبتهم ولد في سنة (٢٥ ق.هـ) في اليمن أدرك رسول الله. وهو من ثقة التابعين. وكان رئيس قومه.

وكان الإمام علي (عليه السلام) يثق به ويعتمد عليه، وطالما كان يُثني على وعيه وخبرته وبطولته وبصيرته وعظمته، ويفتخر بذلك.

أول حرب حضرها كانت في فتح دمشق فضلاً عن حرب اليرموك<sup>(٢٣)</sup>، وقد أصيبت عينه فيها فعرف لذلك بالأشتر<sup>(٢٤)</sup>

عاش مالك في الكوفة. وكان فارساً شجاعاً طويل القامة، عريض الصدر، عديم النظر في الفروسيّة. وكان لمزايه الأخلاقيّة ومروءته ومنعته وهيئته وأهّيته وحياته، أثر كبير في نفوس الكوفيّين<sup>(٢٥)</sup>.

نُفي مع عدد من أصحابه إلى حمص في أيام عثمان بسبب اصطدامه بسعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة. ولما اشتدّت المعارضة لعثمان رجع إلى الكوفة، ومنع والي عثمان الذي كان قد ذهب إلى المدينة آنذاك من دخولها. واشترك في ثورة المسلمين على عثمان، وتولّى قيادة الكوفيّين الذين كانوا قد توجّهوا إلى المدينة، وكان له دور

حاسم في الانقضااض على حكومة عثمان<sup>(٢٦)</sup>.

وقد أسند إليه الإمام علي (عليه السلام) عدة سلطات وهي:

١. جباية الخراج

٢. جهاد العدو

٣. استصلاح الأهل

٤. عمارة البلاد (٢٧)

توفي سنة ٣٩ هـ وهو في طريقه إلى مصر لأداء مهامه التي كلفه بها الإمام علي (عليه السلام)، وقيل إنه مات مسموماً<sup>(٢٨)</sup> فتأثر الإمام لوفاته كثيراً حتى ظن بعض النخعيين أن الإمام هو صاحب المصيبة.

ثانياً: نبذة مختصرة عن عهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الأشر/ وهو ذلك العهد الذي عهده به الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة المسلمين الى عامله على مصر مالك بن الحارث الأشر النخعي في سنة ٣٩ هـ ويتألف هذا العهد من أربعين فقرة منها: (السيرة الحسنة والعلاقة مع الرعية وعدم التكبر والانصاف، والعدل، والوشاة، والاستشارة فضلاً عن دور الوزراء وصفاتهم)<sup>(٢٩)</sup> علاوة على ذلك فإن هذا العهد قد احتوى على عدة مواضع نذكر منها: (صفات الوزراء المفضلين، ومحاسبة الوزراء فوائد إعطاء الحرية للمواطنين وحسن الظن بهم احترام العادات الاجتماعية وتحسينها المشاورون الكبار في القضايا الاستراتيجية، و تكوّن كل مجتمع في العالم من فئات وطبقات، و سياسة الحاكم مع القوات المسلحة، و سياسة الحاكم مع قادة الجيش، و سياسة الوزراء والولاية في القضايا المشتبهة، سياسة الحاكم مع القوة القضائية، و سياسة الحاكم مع ولاية المحافظات وكبار الموظفين، و جهاز المخابرات الخاص برئيس الدولة، و السياسة المالية والضرائب، و ديوان الحاكم أو الجهاز الخاص به)<sup>(٣٠)</sup>

### المبحث الثالث

#### أسلوب الأمر وصيغته ودلالاته في اللغة العربية

أولاً: الأنماط الحقيقية: وتأتي غالباً من خلال الصيغ الآتية

صيغة فعل الأمر كقوله تعالى: (( اذهب الى فرعون انه طغى ))<sup>(٣١)</sup> فأسلوب الأمر في هذه الآية يتمثل في فعل الأمر اذهب.

صيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر كقوله تعالى: (( ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم ))<sup>(٣٢)</sup>. فصيغة الامر تخضت في الفعلين المضارعين المجزومين بـ(اللام) وهما: (يتفقهوا وينذروا).

صيغة اسم فعل الأمر كقول العزيز الحكيم:

(( عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ))<sup>(٣٣)</sup>. فاسم الفعل عليكم أدّى الدور الذي يقوم به فعل الأمر والتقدير التزموا أنفسكم. صيغة المصدر النائب عن فعله، وهو كقوله تعالى:

(( وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا ))<sup>(٣٤)</sup>. فلفظة إحسانا نابت عن فعل الأمر المحذوف وعوض عنه بالمصدر النائب عن الفعل والتقدير (وبالوالدين أحسن إحسانا)<sup>(٣٥)</sup>.

#### ثانياً: أغراض الأمر المجازية

قد تخرج صيغ الأمر من معانيها الحقيقية الموضوعية لها من قبل النحاة الى أغراض أخرى<sup>(٣٦)</sup> أي إلى أغراض بلاغية وجمالية وهي:

الدعاء: وهو أسلوب طلبي من الأدنى شأنًا الى الأعلى مرتبة<sup>(٣٧)</sup>، وقد أطلق احمد

بن فارس عليه به (المسألة<sup>(٣٨)</sup>) كقوله تعالى: ((رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني))<sup>(٣٩)</sup>.

الالتماس عندما يكون الطرفان بالدرجة نفسها كقول امرئ القيس:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل<sup>(٤٠)</sup>

التهديد: وتستعمل في مقام الرفض بالمأمور به كما في قوله تعالى: ((اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير))<sup>(٤١)</sup>

التعجيز: وتستعمل الصيغة في مقام اظهار عجز من يرى أن في وسعه وطاقته أن يفعل أمراً وليس بوسعه أن يفعل<sup>(٤٢)</sup> كقوله عز وجل: ((ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين))<sup>(٤٣)</sup>

التسخير: ونقصد به جعل الشيء مسخراً منقاداً فالمأمور لاحول له ولا قوة في تغيير هذا الأمر كقوله تعالى: ((كونوا قردة خاسئين))<sup>(٤٤)</sup>، فهو ليس طلباً وانما صيرورتهم قردة بإذن الله<sup>(٤٥)</sup>.

التحقير والاستهانة/ كقوله تعالى: ((كونوا حجارة أو حديدا))<sup>(٤٦)</sup> فهو لا يطلب منهم أن يكونوا حجارة وانما من باب التحقير والاستهانة والاستصغار بهم (.)

التسوية بين حالتين: ومثاله في قول العزيز الرحيم: ((فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون))<sup>(٤٧)</sup>

التمني ومثاله قول امرئ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ      بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثل<sup>(٤٨)</sup>

فحصول انجلاء الليل هنا محال؛ لأن الليل ليس مما يخاطب ويؤمر وإنما تمني الشاعر انجلاءه حتى يسفر الصباح بديلاً عنه (٤٨).

الإرشاد: كقوله عز وجل: (( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن )) (٤٩)، فالأمر هنا جاء لغرض النصح والموعظة والإرشاد (٥٠).

## المبحث الرابع

### أنماط الأمر ودلالاتها في عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر

وتتمثل في قوله (عليه السلام): ((ثم اعلم يا مالك أي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم. وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هوأك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت.))<sup>(٥١)</sup>

فمن خلال النص السابق يمكن ان نورد أنماط الأمر وصيغها ودلالاتها من خلال الجدول الآتي:

أسلوب الأمر	نوعه	صيغته	دلالته
اعلم	حقيقي	فعل الأمر	يدل على التوصية
فليكن	حقيقي	لام الأمر المقترنة بالفعل المضارع المجزوم بسببها	يدل على التوصية
املك	أمر مجازي	صيغة فعل الأمر	يدل على التوصية
شح	أمر مجازي	صيغة فعل الأمر	يدل على التوصية

فقد خرجت اثنتان من ألفاظ الأمر في هذا المقطع الى الغرض الحقيقي ولفظتان الى صيغته المجازية المتمثلة بالفعل شح من شح يشح شحاً والشح بالنفس يختلف دلالياً عن الشح بالأشياء لأن الأول يتطلب ضوابط أصعب من الثاني فهو يقتضي

عصمة النفس عن الطمع ولزمها طاعة العقل البشري فالأول يعني مسك النفس البشرية والثاني يعني البخل.

أما الفعل الثاني الذي خرج الى غرض مجازي هو (املك) الذي يعني تارةً تملك الأشياء الظاهرية الملموسة كالنقود والأشياء المادية وتارةً أخرى يستعمل بمعنى القدرة على ضبط النفس وردعها قيادةً للعقل وردعاً للشهوات الأمارة بالسوء وهو ما تم استعماله في سياق العهد فقد اختلف معنى الأمر من الملك الحقيقي الى لزم النفس بدلالة السياق الذي وقعت فيه هذه اللفظة.

ومن المواضع الأخرى قوله (عليه السلام): ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفطر<sup>(٥٢)</sup> منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوهمهم، ووإلى الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم. ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. الأمر عليك وفوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفأك<sup>(٥٣)</sup> أمرهم وابتلاك بهم. ولا تنصبن نفسك لحرب الله<sup>(٥٤)</sup> فإنه لا يد لك بنقمته<sup>(٥٥)</sup>، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.))<sup>(٥٦)</sup>.

فقد تضمن النص المتقدم صيغتي الأمر الحقيقي (اشعر، واعطهم) فالأول أسند الى ضمير مستتر وهو الفاعل يعود على مالك والآخر مفعوله الضمير المتصل المبني وهو يعود على الرعية وكلا الفعلين بصيغة فعل الأمر المبني على السكون.

ومنه قوله في العهد نفسه: ((وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أهبه<sup>(٥٧)</sup> أو محيلة<sup>(٥٨)</sup> فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من

نفسك، فإن ذلك يطامن<sup>(٥٩)</sup> إليك من طمأحك<sup>(٦٠)</sup>، ويكف عنك من غَرْبك<sup>(٦١)</sup>، ويفىء إليك<sup>(٦٢)</sup> بما عزب<sup>(٦٣)</sup> عنك من عقلك إياك ومساماة<sup>(٦٤)</sup> الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى<sup>(٦٥)</sup> من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أدحض<sup>(٦٦)</sup> حجته وكان لله حرباً<sup>(٦٧)</sup> حتى ينزع ويتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.))<sup>(٦٨)</sup>. فقد وردت في هذا النص أربع صيغ للأمر ثلاث منها بصيغة فعل الأمر وهي على التوالي: (انظر، أنصف لمرتين، صيغة التحذير إياك) ثلاث منها تمثل الأمر الحقيقي وواحدة الأمر المجازي والصيغة المجازية تكمن في قوله (أنصف الله): فالإنصاف لا يراد منه إعطاء الحق المادي كما هو في التركيب الذي سبقه إنما يحتمل وجهين: الأول هو طاعة الله تعالى والالتزام بكتابه.

والوجه الآخر: يحتمل انصاف فقراء الله من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه لوجود القرينة وهو مجاز عقلي فحذف الفقراء وأقام لفظ الجلالة لفعالية فعل الأمر (أنصف) الذي أدى هذا المعنى.

ومن صيغ الأمر التي وردت في هذا العهد قوله (عليه السلام): ((وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها. فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك. فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك. وأطلق عن الناس عقدة كل حقد. واقطع عنك سبب كل وتر. وتغاب عن كل ما لا يصح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه

بالناصحين. ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.))<sup>(٦٩)</sup>.

فقد اشتمل النص أعلاه على ست صيغ من صيغ أسلوب الأمر أربع منها بأفعال الأمر وهي على التوالي: (استر، اطلق، اقطع، تغاب) وصيغة جاءت باسم فعل الأمر عليك والأخرى وردت بصيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر (وليكن) والأفعال الثلاثة الأولى جذورها ثلاثية وهي: (ستر، وطلق، وقطع) والفعل الرابع جذره خماسي وهو تغابى والأفعال الثلاثة تخص الناس الذين يحكمهم مالك الأشرى بينما الفعل الرابع يخص مالكا نفسه أي طريقة سلوكه لذا جاء بهذه الصيغة التي تشير الى التغافل والتغاضي عن تصرفات الآخرين وقد ورد هذا الفعل بمعنى المشاركة بين الحاكم والمحكوم.

ومن صيغ الأمر الأخرى قوله (عليه السلام): ((ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع، والصق بأهل الورع والصدق، ثم رُضُّهُمْ<sup>(٧٠)</sup> على أن لا يطروك، ولا ييجحوك<sup>(٧١)</sup> بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهوة، وتدني من الغرّة. ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.))<sup>(٧٢)</sup>

فصيغ الأمر في النص المتقدم جاءت بوساطة ثلاثة أفعال: الصق والزم المبنيين للمعلوم و رُضُّ المبني للمجهول المتصل بضمير جماعة الغائبين فضلا عن فعل المضارع المسبوق بلام الأمر (ليكن) ومعظم هذه الأفعال دلت على النصح والارشاد والوصية ونمطها أمر حقيقي

ومنه قوله (عليه السلام) أيضاً: ((إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها! والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم. وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين، وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالى: ((كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ))<sup>(٧٣)</sup>. وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط<sup>(٧٤)</sup> فيها عند إمكانها، أو اللجاجة<sup>(٧٥)</sup> فيها إذا تنكرت، أو الوهن<sup>(٧٦)</sup> عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه. وإياك والإستثار<sup>(٧٧)</sup> بما الناس فيه أسوة<sup>(٧٨)</sup>، والتغابي<sup>(٧٩)</sup> عما يعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك. وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ويتصف منك للمظلوم.))<sup>(٨٠)</sup>

النسبة الأكبر لصيغ الأمر الواردة في الفقرة أعلاه تمثلت في استعمال أسلوب التحذير بوساطة (إياك) التي تخللت النص في خمسة مواضع وغرضها حقيقي بحت يهدف الى الوصية والنصح ثم صيغة فعل الأمر في موضعين هما وضع وأوقع وصيغة الفعل المضارع الذي سبق بفعل الأمر (ليمحق) وغرض هذا الفعل الأمر الحقيقي الذي يؤدي غرض القضاء على شيء معين.

## الخاتمة

في نهاية هذه الرحلة المثمرة مع عهد الامام علي (عليه السلام) وأسلوب الأمر وأنماطه الفنية فقد توصل البحث الى مجموعة من النتائج تتمخض في النقاط الآتية:

١. استعمل الإمام علي (عليه السلام) أسلوب الأمر بنوعيه: الحقيقي والمجازي.
٢. ان النسبة الأكبر من أنماط الأمر المستعملة في هذا العهد كانت أنماط حقيقية.
٣. النسبة الأقل من الأنماط الفنية المستعملة هي أنماط مجازية.
٤. استعمل الامام علي (عليه السلام) الأمر الحقيقي والمجازي لأغراض رئيسة هي النصيح والارشاد والموعظة والوصية.
٥. استعمل الامام علي (عليه السلام) في ثلاث صيغ هي: ((صيغة فعل الأمر، وصيغة أسماء الأفعال، وصيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر)).
٦. غابت صيغة فعل الأمر النائب عن فعله في هذا العهد ويرى الباحث: أن السبب في غياب هذه الصيغة هو الحاجة الى التصريح أكثر من التلميح للضرورة القصوى والظروف التي كانت تحيط بالدولة.
٧. توزعت صيغ الأمر على الألفاظ الآتية:
  - صيغة فعل الأمر وترددت في سبعة عشر موضعاً.
  - اسم فعل الأمر (عليك) وتكررت في تسعة مواضع.
  - لفظة اياك وترددت لثاني مرات.
  - الفعل المضارع المسبوق بالفاء ولام الأمر (فليكن) وترددت لسبع مرات.

١. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (أمر).
٢. (سورة الروم، الآية ٦).
٣. ينظر: جامع الدروس العربية، المؤلف: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، منشورات: المكتبة المصرية صيدا || لبنان، الطبعة: ٢٨، ١٩٩٣م - ١٤١٤هـ، ٢٧٨ / ١ - ٢٧٩.
٤. ينظر: المصدر نفسه، ٢٧٨ / ١ - ٢٧٩.
٥. ينظر: جواهر البلاغة: ٦٩.
٦. ينظر: لسان العرب، (نمط).
٧. العقد الفريد: ٢٨٩ / ١.
٨. ينظر: لسان العرب، (نمط).
٩. ينظر: المصدر نفسه، (فن).
١٠. (سورة الرحمن: الآية ٤٨).
١١. ينظر: لسان العرب، مادة (عهد).
١٢. ينظر: تاج العروس، الزبيدي: مادة (عهد).
١٣. (سورة يس، الآية ٦٠).
١٤. (سورة البقرة، الآية ١٢٥).
١٥. (سورة التوبة، الآية ٨).
١٦. ينظر: مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، مادة (عهد).
١٧. لسان العرب، مادة (نمط).
١٨. تاج العروس، مادة (نمط).
١٩. ينظر: لسان العرب مادة (نمط).
٢٠. (سورة الرحمن: الآية ٤٨).

٢١. ينظر: شرح نهج البلاغة ٦ / ٣١٥ وسفينة البحار: ٤ / ٣٧٩.
٢٢. ينظر: الكنى والألقاب، ٢ / ٢٤.
٢٣. ينظر: شرح نهج البلاغة، ١٥ / ٩٩.
٢٤. ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ٥٦ / ٣٧٩.
٢٥. ينظر: تاريخ الاسلام، الذهبي، ٣ / ٥٩٤.
٢٦. ينظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري ٤ / ٣٣٢.
٢٧. عهد الامام علي بن أبي طالب لمالك الأشتر (وثيقة اسلامية ذات أبعاد قانونية، سياسية، اجتماعية، ادارية، اقتصادية، عسكرية)، ٥.
٢٨. ينظر: تاريخ الاسلام الذهبي، ٣ / ٤٤٨.
٢٩. عهد الامام علي لمالك الأشتر: ١٠.
٣٠. المصدر نفسه: ١٢.
٣١. (سورة النازعات: الآية ١٧).
٣٢. (سورة التوبة، الآية ١٢٢).
٣٣. (سورة المائدة، الآية ١٠٥).
٣٤. (سورة الإسراء، الآية ١٧).
٣٥. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): محمد بن عبد الرحمن بن عمر (جلال الدين القزويني)، ١٢٣.
٣٦. ينظر: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارهما البلاغية، الباحث: يوسف عبد الله الأنصاري، ١١١.
٣٧. مفتاح العلوم: المؤلف، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ٢٣٧.
٣٨. الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، ت: ٣٩٦هـ)، ١٣٨.

٣٩. (سورة طه: الآيات، (٢٤ || ٢٦)).
٤٠. ديوان امرؤ القيس بن حجر الكندي، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، ١٧٧.
٤١. (سورة فصلت: الآية ٤٠).
٤٢. ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف: السيد أحمد الهاشمي، ٧٨.
٤٣. (سورة آل عمران: الآية ١٩٣).
٤٤. (سورة البقرة: الآية ٦٥).
٤٥. ينظر: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارهما البلاغية، ٨٣.
٤٦. (سورة الاسراء: الآية ٥٠).
٤٧. (سورة الطور: الآية ٧).
٤٨. ديوان امرؤ القيس بن حجر الكندي، ١٧٧.
٤٩. (سورة النحل: الآية ١٢٥).
٥٠. ينظر: جواهر البلاغة، ٨٠.
٥١. عهد الإمام علي الى مالك الأشر: ١٥.
٥٢. يفرط: يسبق، ينظر: لسان العرب، فرط.
٥٣. استكفاك: أي طلب منك كفاية أمرك والقيام بتدبير مصالحهم، ينظر: لسان العرب، (كفى).
٥٤. حرب الله: كناية عن صفة الظلم والجور ومخالفة شريعة الله عز وجل.
٥٥. لا يدل لك: أي لا حول لك ولا قوة مقارنة بحول الله وقوته، (كناية عن صفة الضعف).
٥٦. عهد الامام علي: (١٦ - ١٧).
٥٧. الأبهة: العظمة والكبرياء، ينظر: المعجم الوسيط، (كبر).

٥٨. المَخِيلَة: الخيلاء والعجب.
٥٩. يطامن: أي يخفض منه، ينظر: لسان العرب، (خفض).
٦٠. طماح: على زنة فعال، وهي مصدر بمعنى الشوز والجماع، ينظر: المصدر نفسه، (نشز).
٦١. الغرَب: أي الحدة.
٦٢. يفيء: أي يعود الى رشده ووردت في محكم التنزيل: (( حتى تفيء الى أمر الله ))، ينظر: لسان العرب (عود).
٦٣. عزب: غلب، ينظر: لسان العرب، (غلب).
٦٤. المساماة: التنافس في السمو وهي مصدر ميمي من الفعل الثلاثي سما، يسمو، سموأً، ومساماة، ينظر: المصدر نفسه (سما).
٦٥. أي تميل اليه، ينظر: لسان العرب، (ميل).
٦٦. أدحض: أي أبطل، ينظر: لسان العرب، (دحض).
٦٧. من باب ذكر المصدر وإرادة اسم الفاعل أي محاربا وهو مجاز عقلي.
٦٨. عهد الإمام علي: (١٨ - ١٩).
٦٩. عهد الإمام علي: ٢١.
٧٠. أي عودهم على أن لا يبالغوا في مديحك، ينظر: لسان العرب، (رضا).
٧١. أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك لم تكن عملته، ينظر: لسان العرب، (بجح).
٧٢. عهد الامام علي: ٢٤.
٧٣. سورة الصف: الآية ٣.
٧٤. التسقط: التهاون، ينظر: لسان العرب، (هين).
٧٥. اللجاجة: الاصرار على النزاع، ينظر: لسان العرب (لجج).
٧٦. الوهن: الضعف، ينظر: لسان العرب (ضعف).

٧٧. الاستئثار: تحضيض النفس بالزيادة، ينظر: لسان العرب، (أثر).
٧٨. أسوة: أي متساوون في الحقوق والواجبات، ينظر: المصدر نفسه، (سوي).
٧٩. التغابي: التغافل، ينظر: لسان العرب، (غفل).
٨٠. عهد الامام علي: (٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠)

## المظان الأساسية للبحث (المصادر والمراجع)

١. أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارهما البلاغية، رسالة ماجستير، الباحث: يوسف عبد الله الأنصاري، بإشراف: أ.د صباح عبيد دراز.
٢. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): محمد بن عبد الرحمن بن عمر (جلال الدين القزويني)، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، مطبعة دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣. تاج العروس من جواهر النفوس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني المعروف بـ(أبي الفيض) الملقب بـ(مرتضى) الزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، منشورات: دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، بيروت، ٢٠١٠م.
٤. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) (المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، منشورات: دار الغرب الاسلامي، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء ١٥).
٥. تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري المعروف بـ(تاريخ الرسل والملوك)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (أبو جعفر الطبري)، الناشر: دار التراث لبيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.
٦. تاريخ مدينة دمشق تاريخ ابن عساكر: المؤلف/ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامه العمروري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ.

-١٩٩٥م.

٧. جامع الدروس العربية، المؤلف: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، منشورات: المكتبة المصرية صيدا لبنان، الطبعة: ٢٨، ١٩٩٣م - ١٤١٤هـ.

٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تأليف: السيد أحمد الهاشمي، علق عليه: محمد رضوان الدايه، منشورات: مكتبة الايمان مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ١٩٩٩.

٩. ديوان امرؤ القيس بن حجر الكندي، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، منشورات: دار المعرفة بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م.

١٠. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: المؤلف/ المحدث الشيخ عباس القمي (١٢٩٤ - ١٣٥٩هـ)، تحقيق: مجمع البحوث الاسلامية التابع للاستانة الرضوية المقدسة، منشورات: مؤسسة الطباعة والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة، ط ١، ١٤١٦هـ.

١١. شرح نهج البلاغة: تأليف/ ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد ابراهيم، منشورات: دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الأميرة، ط ١، ٢٠٠٧م

١٢. الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، ت: ٣٩٦هـ)، ط ٢، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤٢٨م.

١٣. العقد الفريد: المؤلف/ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: مفيد محمد قميحه، منشورات: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، عدد المجلدات ٩.

١٤. عهد الامام علي بن أبي طالب لمالك الأشر (وثيقة اسلامية ذات أبعاد قانونية،

سياسية، اجتماعية، إدارية، اقتصادية، عسكرية)، منشورات: مؤسسة الرياضي للطباعة والنشر (د.ت).

١٥. الكنى والألقاب: العلامة المحدث الشهير الشيخ عباس القمي، منشورات: مطبعة بيدار، قم - إيران، ط ٣، ١٤١٧ هـ، ج ١ و ج ٢ و ج ٣.

١٦. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، سنة النشر، ٢٠٠٣م (د.ت)، منشورات: دار صادر، بيروت، عدد الأجزاء (١٥).

١٧. مختار الصحاح: الشيخ الإمام زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ أحمد، منشورات: مكتبة لبنان للطباعة والتوزيع والنشر، ط ٥، ١٤٢٠ هـ.

١٨. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وإبراهيم أنيس وآخرون، تحقيق / مجمع اللغة العربية في القاهرة (ج.م.ع)، عدد الأجزاء / ٢.

١٩. مفتاح العلوم: المؤلف، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، منشورات: دار العلم للملايين بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.



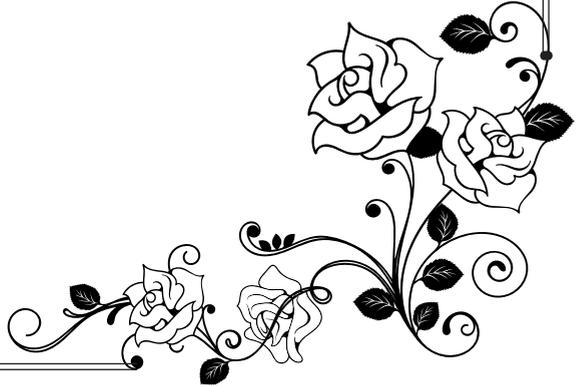
# الجمهور مركزا للخطاب

قراءة في عهد الامام علي (عليه السلام)

لمالك الاشر (رضوان الله عليه)

إعداد

ا.م.د هادي شندوخ حميد





## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين وصلى الله على محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين

وبعد:

لاتبدو مركزية خطاب الجمهور في رؤية امير المؤمنين (عليه السلام) هاجسا من الترف او المساءلة السطحية للواقع الاجتماعي، بل ان نزوعا من الباعث الإنساني المسؤول المتلاحق أفكارا ورؤى هو منهج علي (عليه السلام) في خلق المتوقع والمحتمل لفعل المجتمع وسلوكه، بفهم يضاعف دلالة القيمة الإنسانية ويؤطر وجودها بتلك الدقائق من التفصيلات والاشارات المنفتحة على افق تتكامل فيها الرؤية للحاكم حين تكون له سلطة على الجمهور وحين تغدو إمكانية الاختلاف مشروعة في مساحة الحوار باطار يؤنس لحقائق عدم التطابق في الرؤى بين الناس في الواقع المعاش أحيانا.

ومن ثم فان مركزية الجمهور في خطاب علي (عليه السلام) لا تنتج معنى احاديا ولا تفضي بالضرورة الى قراءة مطابقة متماثلة مع التصور الذهني الذي يبتغيه الناس في علاقتهم بالحاكم او فيما بينهم، بل ان تلك المركزية هي حيز كلامي يتعدد معناه وتنوع مقاماته وتتفاضل دلالاته حين تكون الصلة بين الحاكم ورعيته سائرة في منطق من التطور والإنتاج المثمرين لتحويلات سلوكية وثقافية في الواقع الاجتماعي. وهو ما اراده الامام (عليه السلام) في ممارسته الإجرائية عند خطاب مالك الاشرى رضوان الله عليه، في قالب من الاهتمام يستبطن الحفر في بواعث تلك التأسيسات

الاجتماعية المصنفة في سلم من الطبقات لها وجودها وشانيتها حين تكون في ثنائية تبادلية مع الحاكم، وحين يكون الحاكم سلطة واعية لا تتوخى تجريد الجمهور من وجوده وماهيته وحقوقه، بل أداة لاستشعار تصورات وهو اجس المجتمع وبتفصيل دقيق كاشف عن الفاعلية المؤثرة في كل طبقة من تلك الطبقات، بما لها من اثر وقرار لا يتماهى بمجرد المشورة، بل بما تمنحه من استراتيجيات يتكامل معها قرار الحاكم وسلطته.

من هذا المنظور حاول البحث مقارنة تلك المركزية في خطاب الجمهور من خلال عهد الامام (عليه السلام) لمالك، لدواع واشتغالات لها هيمنة تفرض انتخاب تلك الثيمة من الموضوع، فالقراءة الفاحصة لخطاب الامام (عليه السلام) في هذا العهد مقارنة بنصوصه الأخرى، تكشف عن منزع من التفرد والتمايز في الاشتغال على الجمهور في هذا العهد اكثر من غيره، فلم يحظ أي نص بمثل تلك الرؤية من الحفر والتفكيك لكل مكون او طبقة من طبقات المجتمع، حتى غدا القول ان ذلك العهد يمثل وثيقة دستورية لكيفية تأسيس علاقة الحاكم برعيته، أي ان الرعية او (الجمهور) هو مراد الخطاب في صناعة الامام (عليه السلام) بعيدا عن المحتوى الأيديولوجي او التمثلات العالقة بخصائص المجتمعات، فالهاجس هو ابتكارات تصورات بديلة لنمط قادر على مواكبة الاحداث والتطورات من الحاكم حين يكون منظوره فاعلا في تشخيص المجتمع ومعرفة اسرار التعاطي معه. وهذا ما توخاه البحث في تلك الإجرائية بمدخل ومبحثين، تلي ذلك هو امش البحث وخاتمته ومصادره.

مدخل أولي: أولاً: سلطة الجمهور في خطابات الامام (عليه السلام):

ينطلق هذا البحث في مقاربة قرائية تتوخى تحليل نص تراثي مكتنز له من الحضور التاريخي والسياسي والاجتماعي بمكان قديما وحديثا، حتى تعددت مقولات التلقي والقراءة له على وفق قبليات المتلقي وميوله المعرفية. مما شكل بالنهاية منطقة خصبة للحفر في مكوناته واسسه وتشكلاته، تساعد القارئ على استنطاق محمولاته وادواته في دائرة النوع والموضوع والتمثل النصي.

فعلى مستوى نوع النص يمكن القول ان هذا الخطاب المصنف وفق رؤية الجامع لنص النهج (الشريف الرضي) ورؤية الشراح انه يندرج في سياق الرسائل كقسيم يشارك الخطب والحكم التي تتكون منها نصوص الامام (عليه السلام)، بلا خلاف في ذلك، اما نوعه فانه الأقرب الى حقل الخطاب السياسي بوصفه توجيهات توثق لعلاقة الحاكم بالرعية سلوكا وتداولاً ورؤية وتخطيطاً، بثنائية تفترض حواراً بين الحاكم والوالي لا يصال رسالة الى مركز قصدي تلك الحوارية وهم الجمهور. سعياً في الترميم والتعاطي والاستجابة في تلك الارسالية التواصلية التي يسعى الامام (عليه السلام) بوصفه حاكماً الى تشييدها في المخيال المتلقي المتحرك من خلال مخاطبة الوالي الرمز الذي به تقوم أسس دعامة الحكومات واستقرارها.

اما لماذا تلك المركزية للجمهور في خطاب الامام (عليه السلام)؟ فلان الأسس التي تشكل منها مرجعيات الامام (عليه السلام) في نظره لطبيعة العلاقة بين السلطة والناس تفترض انهم شركاء في الحكم وانهم المقومون لعمل الحاكم وانهم الوسيلة في فلسفة الحاكم وصولاً الى مرادات المولى في حقيقة القيمومة على الناس وإدارة شؤونهم. ولعل تصريحاته الكثيرة (عليه السلام) تنبئ بتلك الفلسفة التي اعترض عليها الكثيرون ونشبت بسببها حروب اودت بعماد الدولة الإسلامية

وجعلتها منقسمة الى يومنا هذا جراء النظر الى أحادية السلطة وتغييب الجمهور عن دوره الحقيقي في تقييم الحاكم ومحاسبته والتصدي له.

فهو القائل (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا ائْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ اْخَطَامِ وَلَكِنْ لِنَرْدِ اْلْعَالِمِ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرِ اْلإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ اْمُظْلَمُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ اْلعُظْلَةُ مِنْ حُدُودِكَ))<sup>(١)</sup> ويتكشف الحدث الخطابي لمركزية الجمهور عند الامام (عليه السلام) اكثر حين يقارن الامرة بالنعل حين تكون فاقدة لقيمتها الحقيقية حيث انصاف الناس واحقاق العدالة: ((قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذِي قَارٍ وَهُوَ يُخِصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي مَا قِيَمَةُ هَذَا النِّعْلِ فَقُلْتُ لَا قِيَمَةَ لَهَا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أُدْفَعَ بَاطِلًا))<sup>(٢)</sup>، وهذا التأكيد على تلك المركزية نابع من تطور في فكرة استقرار الدولة وضرورة ترصين الحقوق الاجتماعية وتفعيل مبادئ المساواة بين افراد الدولة، وهو ما يقوله محمد عباس العقاد: (( كانت الظاهرة الكبرى في عصر علي -عليه السلام- ظاهرة اجتماعية خاصة به دون عصور الخلفاء من قبله ولم تكن في حقيقتها ظاهرة سياسية او حزبية او عسكرية على شدة القتال فيها وغزارة الدماء التي اريقت في حروبها))<sup>(٣)</sup>، لذلك تضمن الحدث الخطابي عند الامام (عليه السلام) في رؤيته بشكل عام او في عهده لمالك الاشر الذي مثل صورة خالصة لمركزية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، في ثنائية تبرز منزلة الجمهور كوجوده وعليه تقوم فلسفة الحكم. تلك التجربة الاجتماعية التي تقنن لحالة مثل من الاشتغال على استجابات الجمهور.

ويتمثل الامام (عليه السلام) صورة أخرى للواقع تنطلق من وعي الى فعل يروم اشعار المخاطب بمنهج العلاقة بين الحاكم والوالي إدراكا لما يمتلكه الجمهور

من صورة حقيقية لوجوده يقول: (عليه السلام): ((أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أَسْوَأَ هَئِمَّةٍ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَسْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمُرْبُوطَةِ هُمُّهَا عَلْفُهَا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ سُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يَرَادُ بِهَا، أَوْ أَتْرِكَ سُدْيً، أَوْ أَهْمَلَ عَابِثًا، أَوْ أَجَرَ حَبْلَ الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسَفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ))<sup>(٤)</sup>. وبذلك يمكن ان تتبلور مركزية الجمهور في خطابات الامام (عليه السلام) كمبدأ اولي له بواعثه ورؤيته ووظائفه ليس بوصف الامام حاكما فحسب بل هو تعزيز لحقيقة ماثلة يرتكن اليها الخطاب السياسي تعتمد تلك الثنائية من المحاور (الجمهور) بوصفه المتعين في دائرة الخطاب.

### ثانياً : سلطة الجمهور في الخطاب السياسي :

يقترح هذا المؤشر مقارنة محور الجمهور في الخطاب السياسي، بوصف الخطاب السياسي الهاجس الأكثر احتضاناً لمنظومة الجمهور (احتجاجياً وادائياً سلوكياً وتنظيراً واستجابة وغير ذلك)، من هنا فتواشج العلاقة يحتكم الى بؤرة مشتركة يندمج فيها الطرفان لإنتاج اوليات التشكيل والدلالة.

ولعل الخطاب السياسي مقترح اجرائي له محددات تقوم على سلسلة من المنطوقات المعجمية او المؤشرات التواصلية في سياق تداولي يتوخى حقولاً مقيدة تتضح في خطاب السلطة اكثر من غيرها على وفق ممارسات ادائية ومهارات من القول تؤثر الى تلك الملامح من الخطاب، حيث يقوم بها صاحب الخطاب بما يمتلكه من سلطة على من دونه منزلة في أسس الحاكمية لا في الأسس الإنسانية تتوخى الجمهور امراً وتكليفاً وامثالاً. وصاحب الخطاب هنا هو الامام علي (عليه السلام) حيث يرتكز في خطابه على منظومة عقدية تجعل له سيادة في إدارة أمور الناس باختلاف مرجعيات

تلك الحاكمة سواء اكانت بالنص كما يعتقد اغلب الشيعة او بالشورى كما ترى المذاهب الأخرى، فانه في كلا الحالين لاينطلق من فرضية بل من تكليف وأداء دور يقوم على فلسفة تأخذ الناس الى ما فيه رضا الله سبحانه من جانب وتحقيق مصالحهم من جانب اخر. فالسلطة التي يمتلكها الامام (عليه السلام) آلية يمارس فيها التوجيه كحقيقة واقعية يعيشها المسلمون في ظل البنية التكوينية التي نشأت عليها الدولة، من هنا فبؤرة الخطاب السياسي هي لازمة لمكانة الامام في موقعيته من الدولة وبلا شك ان تلك اللازمة تستهدف جمهورا له احواله ومزاجاته وحقوقه وخصائصه التي تبدو متنافرة أحيانا ومتواشجة أحيانا أخرى.

فتلك الفئة المخاطبة اذن تسمى بالجمهور حيث تكون هي قبلة الخطاب في تلك الثنائية الحوارية، وان كانت تلك المركزية للجمهور لها مساحة من الغياب والحضور استنادا الى فلسفة الحاكم واجرائيته في النظر الى السلطة باعتبارها أداة بناء او قمع كما يدون التاريخ تلك المقاربات من الحكم في الموروث الإنساني.

فهناك جمهور مغيب لا يمتلك سلطة البيان او المعارضة، فيغيب الاحتجاج عند ذلك نتيجة لهيمنة قوة الخطاب المتمثل تقنيات سلوكية تعمد الى سياستي اللجم وتكميم الافواه على وفق أيديولوجيا يشرعها الحاكم لضمان الوجود، كان تكون تلك الادلجة دينية او قهرية او غير ذلك، وهناك جمهور يقف على سلسلة من الجهات تتيح له المعارضة والمشاركة في التوجيه حين تكون هناك فلسفة تشرعن له ابداء الراي والحوار والمطالبة بالحقوق والانصاف انطلاقا من فهم واع يمهد لهم بذلك الظهور، وهذا كله يرتبط برؤية الحاكم الذي يفتح مساحة الحضور او التهميش.

ولعل قراءة عهد الامام (عليه السلام) لمالك الاشر تشير الى انه يمثل نسقا من تلك التساندية في ابراز منزلة الجمهور على وفق انساق تحاول تمين العلاقة بين طرفي

الحكم (الوالي والرعية) من جانب وتنشأ تأسيساً للعالم مركزية توطد حقوق الجمهور في تلك الحاكمة من جانب آخر. ففي حقوق الرعية على الوالي وحقوق الخاصة والعامة والضمان الاجتماعي واحترام الأمة والعطف على الرعية والاثار السلبية لاحتجاب الحاكم عن جمهوره والعدالة في توزيع الحقوق، كلها قرائن تؤكد تلك المركزية في ميزان الخطاب السياسي للحاكم الناجح. وشواهد ذلك قوله (عليه السلام): (( وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ. وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا، تَعْتَمِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ ))<sup>(٥)</sup> وقوله (عليه السلام): (( وَإِنَّ سَخَطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَقَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَلُ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ... مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ. فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ، وَمِيلُكَ مَعَهُمْ ))<sup>(٦)</sup> وقوله (عليه السلام): (( وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، فَمِنْهَا: جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا: كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا: قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا: عَمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا: أَهْلُ الْجَزِيَّةِ وَالْحَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا: التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا: الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ))<sup>(٧)</sup>. وقوله (عليه السلام): (( ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى، مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ: مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسِ (شدة الفقر) وَالرِّمْنِ (أصحاب العاهات)؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا. وَاحْفَظِ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ))<sup>(٨)</sup>. ولعل تلك الرؤية التي ترجح كفة الجمهور هي ما تميل إليه الدراسات المختصة بالجمهور: يقول غوستاف لوبون: ((التقاليد السياسية والتوجهات الفردية للملوك والحكام والمناقشات الكائنة بينهم لا تؤثر على مسار الأحداث الا قليلا وقد أصبح صوت

الجماهير راجحا وغالبا فهو الذي يملي على الملوك تصرفاتهم))<sup>(٩)</sup>

### المحور الأول: الأسس الأولية لملامح انتاج الخطاب

أولاً: السياق التاريخي: لعل فهم الواقع التاريخي في لحظة انتاج النص كفيل بإيضاح مقامات التكوين والإخراج للبنى النصية، وعهد بمثل تلك السعة والاحاطة والتوجيه لابد ان تكتنفه ظروف مقامية دشنت تخطيطا استراتيجيا لبلورته عند الامام (عليه السلام) ومن ثم تلقيه لمحرك الحدث المخاطب في النص (مالك الاشر) لتفعيل مبانيه المتعلقة بمركزية الجمهور حين تكون هناك سلطة حاكمة تريد احقاق الحق للطبقات المحكومة. فالمشهور ان هذا الكتاب كتبه الامام علي (عليه السلام) الى عامله على مصر (مالك الاشر) حين ولاه اعمال مصر سنة ٥٣٩هـ، وان كانت هناك شكوك أثيرت حول سنده وعدم مناسبة مضامينه لعصر الامام وهي إشكالات قد اجيب عنها من قبل الدارسين\*.

ولعل هناك مسكوتا عنه في مقامات تصدير النص، منها ما يتعلق ببواعث تأكيد الامام على تلك الإصلاحات التي تقوم بها الدولة لمالك في امارته لمصر، أي هل ان هناك دلائل من القصدية توخاها الامام في كشفه للطبيعة النفسية للمجتمع المصري حين امر مالكا بالتعامل معهم وفق انساق خاصة لم تكشف قبل ذلك في رسائله لولاته؟ ثم هل ان العهد ارسل لمالك ام كتب له مباشرة؟ فضلا عن حال الامام في تدوينه لتلك الوثيقة وفي أي وقت وغير ذلك من المتلازمات الظرفية الراهنة لتدوين النص؟.

قد تكون هذه الأسئلة هي منطلقات لتوليد دلالات باعثة كاشفة عن المحددات الرئيسة للغايات والمقاصد المبتغاة في ذلك الخطاب، وان كانت النية التي يعلنها النص تحتضن تأويلية تاريخية، فان مقامات الجمهور في ذلك النموذج لا تعدو ان تكون مؤشرا يستوجب التدقيق والحفر في بواعثه، فالمتتالية التاريخية تقودنا الى طبيعة الاحداث آنذاك، حيث النزاعات الراهنة في اطراف الدولة الإسلامية بين معسكري معاوية واتباع الامام (عليه السلام)، ومصر في تلك الفترة تمثل حالة من الخطر الاستراتيجي في إرساء عوامل الاستقرار من عدمه، فضلا عن انها لها طبائعها ماختلف فيه عن غيرها فقد حكمت بسياسات دونها التاريخ الإنساني من قبل فكانت محطة تستحق التأمل والتعاطي بدقة مع أهلها يقول (عليه السلام):

((ثُمَّ أَعْلَمَ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجَوْرِ وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ))<sup>(١٠)</sup> فالملحوظ ان صيغة الامر المشفوعة بالتأكيد متتالية لغوية تستميل الاثارة في تحريك المخاطب الى طبيعة المجتمع المكلف بإدارة شؤونهم وقيادتهم. وكما قيل: ((الخطاب السياسي خطاب اجتماعي يرتبط بالمجتمع السياسي الذي يوجه إليه ويحمل قيمه))<sup>(١١)</sup> وهذا يضعنا امام خطاب سياسي له بواعثه الاجتماعية تمت فيه المواجعة بين الملفوظ والسياق الاجتماعي لترهين النص بجملته من المؤكدات تستظهر مركزية الجمهور النوع لا المخاطب فحسب في ذلك الزمن.

ثانيا: السياق النفسي: تتجلى علاقة المتكلم بالمخاطب في صورة من حركة إجرائية تعتمد ممارسة اجتماعية ودينية وثقافية لإنتاج الخطاب، تقتضي في غايتها النهائية تشكيل دلالة من القصد الكامن في النص المتداول، والفعل القرآني الذي نروم بناءه في تلك العلاقة الخطابية هو التجاور النفسي بين المتكلم (الامام علي (عليه السلام)

والمخاطب (مالك الاشر) لما في ذلك من تفكيك لمحورية الباعث في ذلك الخطاب كنص أولا وكشخص محدد متلق لخطاب الامام (عليه السلام) ثانيا، لان الإجابة على ذلك تربط لنا بين النص وسياقه النفسي المتوفر على بلاغة في الخطاب استدعت هذا المتلقي دون غيره.

والحقيقة ان السرد التاريخي في هذا الصدد قد يخلق لنا مفتاحا من الفهم في تاشير تلك العلاقة السياقية النفسية بين الامام (عليه السلام) وبين مالك الاشر التي انتجت لنا ذلك العهد الذي شرح مرارا وتكرارا (١٢)، فالمالوف ان ظاهرة الاصحاب في التاريخ الإسلامي دونت كظاهرة لها وجودها ومبرراتها في تكوين الفكر الإسلامي اذ وردت جملة من الإشارات على لسان النبي (ص) بخصوص أصحابه لدلالات مقصودة تتوخى مسلكا تأثيريا في وجدان الأمة وكذلك امير المؤمنين (عليه السلام) فان هذا الفعل عنده يقوم على القصد والدلالة فإشارات مالك توزعت في اطار بياني يتوخى مكانة هذا الصحابي الجليل ايمانا وتقوى وصلابة وعقيدة، ففي بيان صحبته له وقربه منه يقول (عليه السلام): "كان الأشرلي كما كنت لرسول الله (ص)" (١٣) ويقول امير المؤمنين علي (عليه السلام) في كتاب له عندما وئى محمد بن أبي بكر خلفاً للأشر، موضحا سبب اختياره مالك الأشر لولاية "إن الذي كنت وليته أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً، فرحمه الله، فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون، أولاه الله رضوانه، وضاعف الثواب له" (١٤) ويقول (عليه السلام): "لله درّ مالك، لو كان من جبل لكان أعظم أركانه، ولو كان من حجر كان صليداً. أما والله ليهدن موتك عالماً، فعلى مثلك فلتبك البواكي" (١٥) ويقول عند فقدته حين سم على ايدي جنود معاوية "إننا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحسبه عندك، فان موته من مصائب الدهر، فرحم الله

مالكاً، فقد وفي بعهدده وقضى نحبته ولقي ربه، مع أنا قد وطننا أنفسنا أن نصبر بعد مصابنا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها من أعظم المصيبة<sup>(١٦)</sup> وبذلك فإن إنتاج الصورة النهائية لتلك العلاقة السياقية تطرح واقعا حقيقيا يمثل يقينية ثابتة عن افق المخاطب في ذلك العهد (مالك الاشر) بباله من مركزية في الايمان والعقيدة والقرب من بيت النبوة منهجا وسلوكا ونقمة على أعداء الحق والدين لامقايسة فيها مع الاخرين في ذلك التصور الذي كفه الامام بتلك الانساق الابلاغية عن مالك وحقيقته .

اما دلالات العهد ولماذا أوكلت تلك الوثيقة الدستورية لمالك دون غيره؟ فإن ذلك لا يخلو من نسق نفسي حتما بين الامام (عليه السلام) ومالك الاشر، يقول الشيخ المفيد (رحمه الله) في الاختصاص عن مالك الاشر أنه نموذج واقعي للانسان المتكامل ومن خاصّة أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)<sup>(١٧)</sup> من دون ان تكون العلاقة حبيسة النسق النفسي، فاعلم المعطيات تؤكد ان الفاعل المعرفي في المنظور السياسي لدى مالك كان على دقة وتصور عاليين، تقول بعض المصادر: ((أن الأشر كان من دهاء وعقلاء العرب، وأبطال الدهر وشجعانه، وسيّد قومه وخطيبهم وفارسهم))<sup>(١٨)</sup> فتوافر عوامل التكاملية في الذات فكرا ونزاهة عوامل تفضي الى ترابط في إنتاج خطاب فاعل مؤثر في الواقع وان كان الامام (عليه السلام) هو الفاعل والصانع للخطاب الا ان مالك هو المأمور في تحقيق تلك التمثلات الخطابية التي تمثل مكانة الجمهور وقيمتهم الحقيقة، ومن ثم فان هذا التأسيس لتلك المدونة التاريخية (وثيقة العهد) تبدو انها حالة قصدية لصيرورة حدث يقوم على الانتقاء والتشكيل ذاتا وموضوعا.

## المحور الثاني: تقنيات الاستعمال اللغوي في إنتاج الخطاب

أولاً: التقنيات الاسلوبية: ان عملية التواصل في النص المنطوق او المكتوب تتأسس بين المخاطبين، وفق نسق من الطابع التعاقدي في عملية الافهام و الحوار او الجدل، وفي منحى اخر تغدو العملية التواصلية سياقاً للتأويل، حينما تكون هناك رمزية في النص فيغيب تحصيل الفهم وإنتاج الدلالة في مركزية الخطاب الحوارى.

لذلك نرى ان الإبلاغ بوصفه تقنية لغوية يتوخى تنميظاً من الممارسة الاقناعية لخلق المقبولية عند المتلقي بالاستمالة او الاستدلال تارة او الحفر في المهيمنات التي تشكل ذهنية متلقي الخطاب تارة اخرى، فيصبح التواصل آلية للتساند والثقاف لا في افتراض المقاصد بل أداة لتعددية القراءة في تلك الممارسة القولية لإبراز أنماط الوعي المتحكمة والمستنطق لطبيعة النص بما له من أدوات او مرجعيات تؤمن دور قضايا إزاحة المختلف في تلك التركيبة من الخطاب.

والتحليل الفاحص للنص يؤمن مساحة من التقنين اللغوي في تحريك الجمهور من خلال القنوات التي أراد الامام(عليه السلام) منها إيصال رسالته اليهم عن طريق الحامل والوسيط المتمثل بهالك الاشتر، فظاهرة تنوع مراتب الخطاب في سلسلة لغوية مختلفة تمثل دوا كاشفة لمهيمنات تتوخى الاثارة والاقناع في عهد الامام(عليه السلام) لواليه.

من ذلك تنوع الخطاب في النظر الى تقسيم المجتمع الى طبقات يقول(عليه السلام): ((وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْحَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفِيقُ وَمِنْهَا أَهْلُ الْجُرْيَةِ وَالْحَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ وَكُلُّ

قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا))<sup>(١٩)</sup> من ذلك قوله (عليه السلام): ((فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزَيْنُ الْوَلَاةِ وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ نَقُومُ الرَّعِيَّةَ إِلَّا بِهِمْ ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ هَهُمْ مِنَ الْحَرَجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنَفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْكِتَابِ لِمَا يُحْكُمُونَ مِنَ الْمَعَاوِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَيُؤْتَمَتُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنَ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحْتَقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ))<sup>(٢٠)</sup> فالتدرج في التصنيف الطبقي بدءا بالجنود يعطي سمة دلالية يعتمدها أسلوب التقديم والتأخير فالعرب لا تقدم إلا بما كانت عنايته أهم وأوفر يقول سيبويه: ((كَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَقْدَمُونَ الَّذِي بَيَّانَهُ أَهْمُهُمْ وَهُمْ بَيَّانَهُ أَعْنَى؛ وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يُبَيِّنُهُمْ وَيَعْنِيَانَهُمْ))<sup>(٢١)</sup> وهو بلا شك نمط يقوم على كشف التنميط الأعلى لتلك الطبقة الاجتماعية (فالجنود) صمام أمان لحماية الدولة واستقرار مواطنيها لذلك يلحظ ذلك القصد من علة التقديم والتأكيد عليهم تفصيلا في مركزية مهمة من الخطاب. ثم يولي القادة العسكرية العليا مكانة خاصة منهم يقول (عليه السلام): ((فَقَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ وَلَا لِأَمَامِكَ وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مَنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمَنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ ثُمَّ الْصَقُّ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلُ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ))<sup>(٢٢)</sup> بمحورية تقوم على التعدد

في سمات تلك الفئة من طبقات المجتمع بمتتالية تقوم على الانتخاب والتوظيف المعتمدين على (افعل التفضيل) تارة (انصحهم، وانقاهم، وافضلهم) والتكرار في العطف بالواو والتكثيف في اعتماد الفعل المضارع والتوكيد، وكلها مؤشرات لا تقوم الا على دلالة تستجمع الثبوت والاشتراك والاستمرارية في تمثل تلك الصفات من الحاكمين كمنطق من التوجيه.

وإذا كان ((المتكلم هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة وبغرض تحقيق هدف فيه ))<sup>(٢٣)</sup> فان تأكيدات على تلك الطبقات الاجتماعية يأتي من فلسفة تقوم على يقين وتصور في أهميتها السياسية والاجتماعية.

من ذلك قوله عن طبقتي الخاصة والعامة ففي الطبقة السفلى، يقول (عليه السلام): ((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَنْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَأَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عِذْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مَلِمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ وَمَمْلُوكَ مَعَهُمْ))<sup>(٢٤)</sup> ويقول عن الطبقة السفلى (عليه السلام):

(( ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى، مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ: مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسِ (شدة الفقر) والزَّمَنِ (أصحاب العاهات) ؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا.

وَاحْفَظِ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ))<sup>(٢٥)</sup> اذ يظهر الترتيب كتنقية اسلوبية في منطق استحضار مركزية الجمهور في تلك الوثيقة الدستورية، فالخطاب: (( يعتمد نوعا من البناء المعتمد على الكلمات والتفكير ولا يتم هذا البناء على محض الصدفة بل لا بد من

احترام معايير المعمار وقواعده))<sup>(٢٦)</sup> وترتيب البناء هنا يقوم على المقارنة بين اسلوبين في التعامل مع الجمهور لتكون النهاية ترجيح كفة العامة من الناس فبهم تكون القوة ودوام عوامل الاستمرارية، يقول عزيز السيد جاسم: ((فمن يربح الفئات العليا يخسر ماتحتها في السلم الاجتماعي في حين ان من يربح القاعدة الاجتماعية العريضة يربح اغلبية المجتمع وقد لا يخسر كل الخاصة ثم ان العامة من الامة هم المصدر الدائم للواردات الاجتماعية المتجددة.. فيترتب على ذلك ان التعامل المبدئي مع عامة الامة يصبح حتما تعاملًا تاريخيًا بعيد المدى لانه ينطوي على عوامل الاستمرارية والثبات والقوة.. ويشخص ابلغ تشخيص خصائص الخاصة فافرادها اثقل على الوالي في الرخاء واقل معونة لهم في البلاء واكره للانصاف))<sup>(٢٧)</sup> ثم يأتي التوكيد بالتكرار مع الطبقة السفلى بلفظ الجلالة (الله الله) لاحداث مؤشر من التنبيه على أهمية تلك الطبقة التي لاحيلة لها الا عطف الحاكم وانصافه، لمزيد من العناية والترغيب في النظر والاهتمام بهم.

ثانيا: التقنيات الاقناعية: ولعل اكثر ما يحدد تلك التقنيات نوع الخطاب، والممارسة الواعية بمقاصد الرسالة المتوخاة من قبل المنشيء، وفي الخطاب السياسي، بلا شك ان الممارسة تقوم على حركة من الامتداد القصدي في تشكيل وعي المخاطب واستمالاته او تضليله في أدوات أخرى بعض الأحيان، على وفق اهداف الباث ونظرة الى السلطة كوسيلة او غاية في إدارة أمور الناس.

واستنادا الى سياسة امير المؤمنين (عليه السلام) في الحكم كما ترويه المدونة التاريخية، فان اول ما يلاحظ ان تقنيات الاقناع في مخاطبة الجمهور لا تتكلف الاجرائيات في التأثير والاستمالة بل، ان الطريقة هي تحريك منطقة الفطرة او اثارها الهاجس العقلي أحيانا، وهذا ما يلاحظ ويبرز بشكل جلي في عهده (عليه السلام) الى مالك، فالمتامل للنص يلتمس ان مركزية الجمهور عنده (عليه السلام) تقوم على ادراك واع بطبيعة

الجمهور واحتياجاته، لذا فالاساس عنده (عليه السلام) الاشتغال على حفريات البنى المكونة للنسيج الجمعي في رؤيته للحاكم والسلطة، فتاتي المخاطبة مقرونة بالتعاطي مع تلك السلوكيات والمكونات على ضوء منهج اختط وفق أسس متينة لها اثرها في احراز النتائج.

من ذلك ما يلحظ في الاستمالة العاطفية للجمهور حين يوصي مالكا بقوله: ((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللِّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَمُّ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْزَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطِيئَةِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)) (٢٨)

فالسعي المتواصل عند الامام بتلك الموجهات المركزية، يقود الى أسئلة تتوالد من النص تتكور عن اسرار تلك التأكيدات بالإلحاح عن فلسفة الاهتمام بالجمهور، فالمطلوب من صانع الحدث ان يقوم بما يلي: (الرحمة والمحبة واللطف والرفق والعفو والصفح) وهي قيم تخلق نموذجا لسياسة مثالية في التعامل بين الحاكم والرعية، وتؤثت لأداء مؤهل لقيادة ناجحة، وربما هذا النحو من الاقتراح الخطابى يعبر عن حقيقة تفكير العامة ومنظارها الى الحاكم، لذلك جاء الفهم العميق بتلك المكونات إجابة عن قلق حيرة الجمهور، وبالقدر الذي تبين به تلك المركزية للجمهور فان التقنيات المستعملة في اثاره المخاطب (الجمهور) شكلت تواصلا مشتركا في حصول مستوى معين من التفاهم بين الأطراف في تلك القيم المنصوص عليها، ولعل الذي يبرز منزلة الجمهور اكثر ان اطار الاشتغال على الوصايا المتعلقة بهم هي الأكبر والاوسع ورودا في تدوين النص، مع مزيد من التأثير في تركيب صورة بلاغية ذات

دلالة تؤمن مسارا من الاطمئنان عند الجمهور بان الحاكم ليس له الحق ان يكون كالسبع الذي يتجاوز على حقوقهم وامالهم.

ويقول (عليه السلام): ((وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرِعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُتُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمْ يَحْسُنْ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمْ يَسَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ))<sup>(٢٩)</sup> وهنا يقترن مفهوم التعاطي مع الجمهور بادوات لابد ان تكون حاضرة في مشهد حركة الامرة والإدارة، فالفاعل القرائي الجوهرى في تلك المعادلة هو حسن الظن بالرعية وهو الفهم الصحيح القابل للتصديق بوصفه التجربة الحقيقية لتطمين هاجس الرضا عند الجمهور. يقول ابن ابي الحديد: ((ان من احسن اليك حسن ظنه فيك، و من اساء اليك استوحش منك، و ذلك لأنك اذا احسنت الى انسان، و تكرر منك ذلك الاحسان تبع اعتقادك انه احبك، ثم يتبع ذلك الاعتقاد امر آخر، و هو انك تحبه، لان الانسان مجبول على ان يحب من يحبه، و اذا احبته سكنت اليه، و حسن ظنك فيك، و بالعكس من ذلك اذا أسأت الى زيد، لأنك اذا أسأت اليه و تكررت الإساءة تبع ذلك اعتقادك انه قد ابغضك، ثم يتبع ذلك الاعتقاد امر آخر، و هو ان تبغضه انت، و اذا ابغضته انقبضت منه و استوحشت، و ساء ظنك به))<sup>(٣٠)</sup> وفي ذلك كثافة لإنتاج تلك المشهدية بوساطة سلسلة من السلوكيات تمثل شبكة من المعاني الإنسانية المفتوحة في الواقع الاجتماعي حين تكون سياسة ينطلق بها الحاكم ويجعلها ثقافة تتحرك في الناس من خلال تعاطيه بها مع الناس، يقول احد الباحثين: ((يرى الاجتماعيون ان ذوي القلوب الرقيقة والعواطف الشريفة السامية يحاولون ان يخففوا الويلات والالام والبؤس عن الطبقات التعسة الشقية بالإحسان))<sup>(٣١)</sup> والأولى من هؤلاء في نظر الامام (عليه

السلام) هم الحكام في تعاملهم مع الجمهور بتلك الطريقة والأسلوب.

وفي نص آخر يقول (عليه السلام): ((وَأَمَّا بَعْدُ فَلَا تُطَوِّكَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رِعْيَتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيْقِ وَقَلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَضْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَيَبْخُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيَشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكُذِبِ وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَا احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبٍ حَقٌّ تُعْطِيهِ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْئِدِيهِ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيُّسُوا مِنْ بَدْلِكَ مَعَ أَنْ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَثْوَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةٍ مَظْلَمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ))<sup>(٣٢)</sup> وهنا الامام (عليه السلام) في اطار تمكين حيز التواصل يستثمر الطاقة التي يتمتع بها الحاكم من سلطة ومال واعوان قد تكون أدوات تمويه وخداع وايقاع في فخ الترف واللهو والاحتجاب عن الناس، لان تنصرف كل تلك الوسائل في طريق تضعيف العلاقة بالجمهير وفق تفاعلية وحوارية وديمومة لما في ذلك من اثار تقود الى زعزعة الدولة وانهارها ومن ثم سحق الجمهور وانقلابه على فلسفة الدولة وحكمها.

وهنا تم الاشتغال في تلك الاستمالة على المنزع النفسي عند الجمهور، كون (الجمهور) يؤمن بقبول فكرة عدم احتجاب الوالي عنهم والنظر في مصالحهم واحتياجاتهم، لذلك جاء الميثاق باستظهار سمات الاحتياجات المنبثقة من واقعهم ومن سجاياهم النفسية، وبطريقة تقوم على الاثارة من خلال تقنيات الاجمال والتفصيل فالاحتجاب مثل مفهوما مجملا ليأتي بعد ذلك تفصيل اثار ذلك المجمل ونتائجه الوخيمة على الواقع لأنه يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَضْغُرُ عِنْدَهُمْ

الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيُشَابُّ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ . ويتوافر خطاب الامام (عليه السلام) في عهده على تقنية أخرى تقوم على الاستمالة بالتقريظ، بوصفه أسلوباً يستعمل عادة من اجل الشروع في التأثير على المخاطب من خلال الاشتغال على ما يحركه وجدانا وصولاً الى ما يمكن التوغل به الى قناعات المخاطب ومن ثم تحريكها وفق مسار المتبغى والمقصد.

ولعل تقريظ بعض الطبقات من الجمهور في خطاب الامام لم يكن عملاً اعتباطياً بل هو اجراء لضمان تأييد تلك الفئات وما تشكله من اثر في استقرار الممارسة السياسية للدولة، او ما تمنحه من توافق لموجهات الحاكم في تعاطيه السياسي مع الناس، يقول احد الباحثين: ((تقريظ الجمهور الحقيقي او المستهدف احد الاستمالات الأكثر شيوعاً في الخطاب السياسي بوجه عام))<sup>(٣٣)</sup>، يقول (عليه السلام): ((وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالزَّمُّ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ)) ( ) فمن الجمهور يكون المحسن والمسيء ولكل منهم قوة وتمثل في تشكيل مساحته، داخل المجتمع لذلك اوجد الامام (عليه السلام) فلسفة للتعاطي مع ذلك النسيج لا تمثل رؤية للحاكم فحسب بل هو تمييز لتلك الطبقة من فئات المجتمع على وفق معطيات الاحسان والإساءة وصولاً الى الاقتراب الحقيقي من إيجاد الجمهور الأمثل الصانع لمبادئ الوعي والايان. من خلال الاشتغال على اهل الاحسان وبيان قيمتهم الحقيقية في المجتمع، وفي ذلك أيضاً تحييد لأهل الإساءة في مشاركتهم لأهل الاحسان في الحقوق والامتيازات والقيم. لاسيما ان المعطيات الثقافية في عصر الامام (عليه السلام) مثلت تدخلاً في تلك القيم فمنهم المؤيد ومنهم المحايد ومنهم الرفض واغلبهم يبحث عن مساحة حضور في الدولة الجديدة ولو كان مسيئاً بعيداً عن تعاليم وسياسة علي (عليه السلام) في الحكم.

ويؤكد الامام (عليه السلام) في نص آخر على طبقة اخرى: ((ثُمَّ الصَّقُّ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ ثُمَّ نَفَقَدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ))<sup>(٣٤)</sup> ففي المقام الأول تبدو العناية منصبه على تحفيز الاهتمام بتلك الطبقات وفق أولويات في الذكر، لما لهم من آثار في تشكيل الحقيقة النوعية للمجتمع كرما وقيما وعرفا (ذوو المروءات والاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة) اذ ان كل طبقة منهم تشغل حيزا من المنظور الانجازي في توطيد التماسك الاجتماعي وتعميق استقرار هيكلية الدولة، لذلك توخاهم الامام (عليه السلام) واكد على الالتصاق بهم لانهم مناط الارتقاء ونواته اجتماعيا.

و في سياق المدح والتقريظ لطبقة الجنود يقول (عليه السلام): ((وَلَيْكُنْ أَثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسْعُهُمْ مِنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِي يَكُونُ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.))<sup>(٣٥)</sup> مبديا (عليه السلام) اهتماما واسعا وعميقا ليس بالجنود بشكل عام بل هناك خصوصية لمن امتلك ايثارا في المواساة والنبيل، لانجاز وظائف عملية تتمثل بتحقيق غاية الانسجام بين معسكر الجيش دفعا للخلاف والتفرقة اللذين يوديان بالهزيمة والانكسار المعنويين ومن ثم ضياع الرسالة والمبدأ.

وفي سياق تأسيس وظيفة تراتبية تتشكل منها سلطة الدولة من خلال إقرار الاصلاح في الحاكمية والقيادة، يقوم الامام (عليه السلام) بالدفع الى تقنين معيار

يمكن ان يكون مقياسا يتجاوز مساحة الزمن التاريخية، ليكون أداة تنفيذ واحتكام يرجع اليها عند القيام بتولية من هو اهل للقيادة والممارسة في عملية إدارة شؤون الناس وتلبية احتياجاتهم وهو اجسهم.

يقول (عليه السلام): ((ثُمَّ اخْتَرْنَا لِحُكْمِ بَيْنِ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورَ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَلَا يَحْضُرُ مِنَ الْفَيءِ،؟ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، فَهَمَّ دُونَ أَقْصَاهُ))<sup>(٣٦)</sup> فيبيح الامام (عليه السلام) احقية التولية لأفضل الرعية على وفق تأسيسات تتمخض عنها عوامل الاختيار، بعيدا عم الممارسة التي تقوم على الاهواء والانتخاب للأقربين بلا احراز لتلك الأفضلية من المواصفات. وبذلك فان اغلب تلك الإشارات من الاهتمام بطبقات المجتمع المنصوص عليها في خطابه (عليه السلام) تستلهم منظومة تقوم عليها فكرة الدولة، وهي القيام على تساند من العلاقة التبادلية بينها وبين الجمهور دون تغييب او تهميش او تشكيل لأحادية في الراي على حساب تلك الفئة الواسعة من الناس. فالانفتاح بالاختيار والتواصل والتقييم كلها تقنيات لا تنحصر في انها كيانات نصية بل هي خطاطة عمل تشتغل على بث تلك الاواصر في النسيج الاجتماعي لان مستودع حركة الدولة وقيمومتها يقوم على مركزية الجمهور في أي تصور يريد الديمومة والتفاعلية والاستقرار.

ويشكل إعادة بناء الخطاب في صيرورة تقوم على التناص الديني وهو: ((تداخل نصوص دينية مختارة - عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية))<sup>(٣٧)</sup> لتفعيل الحضور والتأكيد على كيان الجمهور في ذلك الإنتاج، فالتضعيف بالإحالة الى تلك التمثلات له دور في إضفاء تكتيف المعنى الدلالي المراد في اخراج النص وانتاجه على وفق قصدية متينة، لان

تعدد الأصوات للفاعل النصي سواء من القران او من الحديث النبوي يقود الى حالة من التعضيد الدلالي في امر الموضوع المتحدث عنه، من ذلك يقول (عليه السلام): ((وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوْ التَّزْيِيدَ فِيهَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزْيِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمُقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ})).<sup>(٣٨)</sup> فالعلاقة هنا تكشف عن استراتيجية تبلور في إضفاء نوع من السلوك على الحاكم ان يتعاطى به مع الجمهور لانه المن على الرعية والمبالغة في الفخر واخلاف الوعد هو من المقت السيء الذي أكدته السماء في الكتاب المجيد، وتلك تقنية توفر إجرائية اقناعية تحقق مستويين من الابلاغية الأول تعزيز آصرة المكاشفة في التعاطي مع الجمهور بلا من او تزيد او كذب والثاني، استثمار التبليغ السماوي في تأكيد تلك الموجهات السلوكية التي تعزز قيمة الجمهور في منظار الحاكم.

وهو استدعاء لا يخلو من مرجعيات تقوم على استحضار النص القرآني كعرف درج عليه المخيال العربي، ايمانا بقداسته وتأثيره وإقناعيه الكبرى لمتلقيه يقول ابن وهب: ((وكل خطبة لم توشح بالقران او الامثال توصف بالشوهاء))<sup>(٣٩)</sup>

ويقول (عليه السلام) في نص آخر مستثما الحديث النبوي الشريف: ((وَاجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفْرَغُ هُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ "لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ" ))<sup>(٤٠)</sup>

فالتناص مع مضمون الحديث النبوي يوحد فكرة تتظافر فيها الدلالات لإنتاج معنى التركيز والاهتمام بالضعفاء من الامة، فالضعفاء ان تعالى عليهم الحاكم فذلك

فيه تعرية لما أراده الله من حقوق لهم تقوم على الإنسانية والرفاة بعباده، وهنا ينتقل الامام (عليه السلام) الى توزيع تلك الثقافة في رؤية الحكام بوصفها منهجا نبويا يعبر عن الانفتاح والتسامي في تحقيق اقتراب حميم من تلك الطبقة من الجمهور بسياسة تقوم على التواضع والتقرب بهم الى الله سبحانه.

## هوامش البحث

- ١ . نهج البلاغة: ٢٣١
- ٢ . م.ن: ٥٥١
- ٣ . عبقرية علي: ٥٣
- ٤ . نهج البلاغة: ٥٦٢
- ٥ . م.ن: ٤٧٤
- ٦ . م.ن: ٤٧٥
- ٧ . م.ن: ٤٧٨
- ٨ . م.ن: ٤٨٦
- ٩ . سيكولوجية الجماهير: ٩١
- ١٠ . نهج البلاغة: ٤٧٣
- ١١ . الخطاب الإعلامي: محمود عكاشة: ٦٢
- ١٢ . الراعي والرعية:
- ١٣ . شرح نهج البلاغة: ٣٢ / ٨
- ١٤ . نهج البلاغة: ٢٣١
- ١٥ . م.ن: ٤٧٧
- ١٦ . بحار الانوار: ٦٧ / ٨
- ١٧ . الاختصاص: ٥٦
- ١٨ . مجالس المؤمنین: ٢٨٩ / ١
- ١٩ . نهج البلاغة: ٤٧٨

٢٠. م.ن: ٤٧٨/٤٧٩
٢١. الكتاب: ٣٤/١
٢٢. نهج البلاغة: ٨٨
٢٣. استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: ص ٤٥.
٢٤. نهج البلاغة: ٤٧٥
٢٥. م.ن: ٤٨٦
٢٦. الحجاج في الخطابة النبوية: ٢٧
٢٧. علي سلطة الحق: ٤٥٢
٢٨. نهج البلاغة: ٤٧٤
٢٩. م.ن: ٤٧٧
٣٠. شرح نهج البلاغة: ٢٢١/٨
٣١. الراعي والرعية: ٢٤٣
٣٢. نهج البلاغة: ٤٨٨
٣٣. اطار مقترح لتحليل خطاب تراثي: ١٤
٣٤. نهج البلاغة: ٤٧٧
٣٥. م.ن: ٤٨٠
٣٦. م.ن: ٤٨١
٣٧. التناص نظرياً وتطبيقياً: ٤٦
٣٨. نهج البلاغة: ٤٩١
٣٩. البرهان في وجوه البيان: ١٥٣
٤٠. نهج البلاغة: ٤٨٧

## الخاتمة

١. مثل الخطاب حركة من التواصلية بين طرفي الخطاب (الامام(عليه السلام) ومالك الاشر) لانتاج انساق من الموجهات تحتضن الجمهور وتمنحه المركزية في رؤية الحاكم.
٢. انفتاح الخطاب على الجمهور في عهد الامام لصانع الحدث (مالك الاشر) لم يكن ترافا فكريا بل لقواعد حاكمة في التفكير السياسي والعقدي والاجتماعي في منظومة علي(عليه السلام).
٣. تعدد الاستهداف والقصد في خطاب طبقات الجمهور على وفق سمات ومحددات من المؤشرات الموضوعية واللغوية يمثل نتاجا واحاطة بسياق اجتماعي له مؤثراته في تكوين رؤية الدولة واستقرارها.
٤. بين البحث حمولة من المتواليات الدلالية لم تقف عند ضبط المفاهيم في الطبقات الاجتماعية، بل ان التساند والتقابل في التفصيل والترتيب والتقديم انساق اثبتت قدرتها على اشباع المعنى وتحريك المخاطب صوب نافذة المقصودين بالخطاب من تلك الطبقات.
٥. ايراد مركزية الجمهور في تلك الثقافة الخطابية دليل على تناسق وانسجام بين موضوع الخطاب السياسي واستجابات الجمهور، فالانتاج المباشر في معاينة خطاب الجمهور ضمن نطاق الفعل السياسي كفيل بخلق لغة إجرائية مؤثرة في المتلقي.
٦. تلاقي ملامح الأسس الأولية في تشكيل خطاب الامام وفق سياقات خلقت التفاتات مثيرة في تقنين تلك الموجهات الخطابية من خلال السياق النفسي

والتاريخي اللذين اثبت من خلالهما بواعث تلك السردية والحميمية في ذلك الاجراء القائم على السعة والاحاطة والقرب من المخاطب.

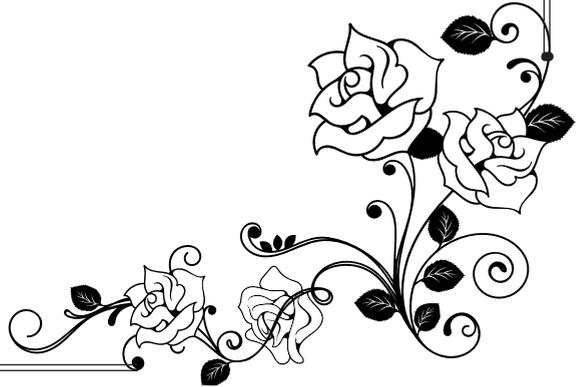
٧. استحضرت المقاربة الخطابية في تحديد مركزية الجمهور تقنيات اسلوبية واقناعية حققت نمطا من الفاعلية والتاثير في الاجراء والممارسة من خلال اليات (العطف والترتيب والتفضيل والتقديم والتاخير والعلاقات النصية بالتفصيل والاجمال والتقريظ والتناص).

## المصادر

١. الاختصاص: الشيخ المفيد، دار العلم للملايين، د.ت.
٢. استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبدالهادي ظافر الشهري، ط ١، دار الكتاب الجديدة، بيروت ٢٠٠٤،
٣. اطار مقترح لتحليل خطاب تراثي، عماد عبد اللطيف، منشورات مخبر تحليل الخطاب، العدد ١٤، ٢٠١٣
٤. بحار الانوار: العلامة المجلسي، دار الكتب العلمية بيروت. د.ت
٥. البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، تحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر.
٦. التناص نظرياً وتطبيقاً، أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع/ عمان، الطبعة الثانية ١٩٩٨.
٧. الحجاج في الخطابة النبوية، عبد الجليل العشراوي، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط ١ ٢٠١٢.
٨. الراعي والرعية، توفيق الفكيكي، دار الغدير، ط ١ ١٤٢٩
٩. سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة هشام صالح، دار الساقى، بيروت، ١٩٩١.
١٠. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، تحقيق محمد ابي الفضل إبراهيم، بيروت. ١٩٧٩.
١١. عبقرية الامام علي، عباس محمود العقاد، دار التربية للطباعة والنشر، ٢٠٠١
١٢. علي سلطة الحق، عزيز السيد جاسم، منشورات الاجتهاد، ط ١ ٢٠٠٠.
١٣. الكتاب، لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
١٤. نهج البلاغة، محمد عبدة، منشورات ذوي القربى، ط ١ ١٤٢٧.

# السَّبْكُ النَّصِيّ فِي الْعَهْدِ الْعُلُوّيِّ الإِحَالَةُ أَنْمُودَجاً

م. د. ظافر عبّيس الجياشي  
جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)





## مقدمة

الإحالة من الوسائل المهمة في السبك النصي، وظاهرة من الظواهر النحويّة التي تخرج عن إطار الجملة المفردة إلى العناية بالجوانب الدلالية والتواصلية في النصوص، وأداة ذات أثر فاعل في ربط أجزاء النص وسبكه، فهي تقع في أساس كلّ منظومة فكرية، وقد رأى اللسانيون ضرورة دراستها في إطار لسانيات النص؛ لأنها من أهمّ وسائل السبك، ومن المعايير المهمة التي تسهم بنحو فعّال في الكفاءة النصيّة، وهي من أكثر وسائل السبك انتشاراً في نصوص العهد العلوي المبارك، إذ لا تكاد تخلو فقرة أو جملة من ضمير، أو عنصر إشاري، أو موصول، يربطها بمواطنٍ أخرى في النص، لذلك فهي من أهمّ عوامل سبك النصوص التي تقف وراء خلق نصيّتها.

وبناء على ما ذكر وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع، بما ظهر له من ملامح جلية في العهد المبارك وقف عندها وحللها. واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة، وثلاثة مباحث، جاء الأول بعنوان: معنى النص، والثاني: معنى السبك، والثالث: معنى الاحالة، وتناول أقسامها، وعناصرها المتمثلة ب(الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة)، بعدها سجل الباحث خلاصة لأهم نتائج البحث.

## المبحث الأول

### معنى النص

إنّ النظر إلى النصّ هو افراز حتميٍّ لمجموعة من التحوّلات المعرفيّة، والمنهجية التي حدثت في نظريّة اللغة، وأصولها، ومستوياتها، ووظائفها، والفلسفة العلميّة الكامنة وراءها<sup>(١)</sup>؛ إذ تطوّر النسق المعرفيّ اللغويّ عبر الزمن حتى وصل إلى لسانيّات النصّ<sup>(٢)</sup>، فبعد أن وقفتْ جُلّ البحوث اللسانيّة عند حدود الجملة، ونظّرتْ إليها على أنّها الوحدة الكبرى للتحليل، تطوّر البحث اللسانيّ، وأثبتتْ محدوديّة هذا النوع من الدراسات، وقصوره في تحليل اللغة<sup>(٣)</sup>، إذ لحظ الباحثون أنّ البشر عندما يتواصلون لغويّاً لا يبارسون ذلك في جُمْلٍ منعزلة<sup>(٤)</sup> بل ((في تتابعات مجاوزة للجملة مترابطة متماسكة))<sup>(٥)</sup>، فأدركوا أنّ وصف الكلام بالوقوف عند الجملة الواحدة وصفٌ غيرُ كافٍ، ولا بدّ من الانتقال إلى وحدة أخرى؛ هي النصّ<sup>(٦)</sup>، فأشار عدد من العلماء إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة الواحدة في الدراسات اللغوية، وتعدُّ هذه الإشارات البذرة الأولى في ظهور هذا الاتجاه في الدرس اللغويّ المعاصر، فقد كان ظهوره في اللسانيات الغربية بعد إرهاصات قدّمها (هيالمسلاف)، و(هاريس)، إذ عدّ الأوّل النصّ قسماً أكبرَ قابلاً للتحليل، وتجاوز الثاني الجملة واعتنى بتحليل الخطاب<sup>(٧)</sup>، ثمّ توالى بعدها الدراسات والبحوث والمقالات التي خصّصتْ هذا العلم - النصّ - بالدراسة، فتعدّدت تعريفاته، وتشعبتْ مفاهيمه.

والفرق بين نظامي الجملة، والنصّ، هو أنّ: ((نظام الجملة يوضّح كيفية ارتباط المفردات الواحدة بالأخرى في أبنية معيّنة، أمّا لسانيّات النصّ؛ فتبحث فيما فوق الجملة... ويتجاوزها إلى أفكار كليّة))<sup>(٨)</sup>.

وتعددت تعريفات النص باختلاف المرجعيات والمنطلقات المعرفية والغايات والإجراءات لأصحابها، فمنها ما كان بنيوياً، ومنها ما كان سيميائياً، وبعضها ما كان اجتماعياً، وبعضها الآخر ما صدر عن لسانيات النصّ وتحليل الخطاب ويلحظ ذلك عند النصّيين أنفسهم<sup>(٩)</sup>، وهو ما دعا بعض علماء النصّ إلى تصنيف تعريفات النصّيين على ثلاثة أصناف<sup>(١٠)</sup>: صنفٍ اعتمدتْ تكوّن النصّ من بنى سطحية، وثانٍ يرى أنّ مجال النصّ هو الدلالة والمضمون، وثالثٍ دمج بين الصياغة والدلالة وعدّها وسيلةً تتحقق بها استقلالية النصّ.

فذهب (برينك) إلى أنّ النصّ ((تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءاً أصغيراً ترمز إلى النصّ، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنّها وحدة مستقلة نسيماً))<sup>(١١)</sup>، وهو تعريف يوضح النصّ بالجملة، فهو تتابع من الجمل، والجملة جزء منه وثمة علاقة بينها وبين الأجزاء الأخرى المكوّنة للنصّ<sup>(١٢)</sup>.

وحده (فاينرش) بأنّه ((كلُّ ترابط أجزاءه من جهتي التحديد والاستلزام، إذ يؤدي الفصل بين الأجزاء إلى عدم وضوح النصّ، كما يؤدي عزل أو إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم تحقق الفهم، ويفسر هذا بوضوح من خلال مصطلحي (الوحدة الكلية) و(التماسك الدلالي) للنصّ))<sup>(١٣)</sup>.

وقد أشار هاليداي، ورقية حسن إلى أنّ ((كلمة نصّ Text تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة، أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة، ويظهر واضحاً هذا التركيز على أن النصّ يتضمن المكتوب والمنطوق على أن يكون وحدة متكاملة دون تحديد حجمه طولاً أو قصرًا))<sup>(١٤)</sup>.

وقد وضع د. عثمان أحمد أبو زيد بعد أن ذكر تعريفات النصّ في ضوء الاتجاهات

والمدارس المختلفة تعريفاً للنص، هو أنه: ((نظامٌ كَلِّي ينطوي على أبعاد دلالية ومحمولات معرفية تشكل وحدة تواصلية في فضاء نصي مركب من مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مجريات لغوية ومعطيات إنجازية خاضعة للدلالة العميقة المنتجة له، ولإطار التلقي المفترض في مرحلة الإنتاج))<sup>(١٥)</sup>.

إلا أن أهمَّ هذه التعريفات هو تعريف (دي بوجراند) و(دريسلر) ويعني أن النص: ((حدث تواصلية يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير))<sup>(١٦)</sup>.

وهذه المعايير هي<sup>(١٧)</sup>: السبك (Cohesion) أو الربط النحوي، والحبك (Co-herence) أو التماسك الدلالي، والقصد (Intentionality) أي هدف النص، والمقبولية (Acceptability) وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص، والإخبارية أو الإعلام (Informativity) أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه، والمقامية (Situationality) وتتعلق بمناسبة النص للموقف، والتناص (Intertextuality) ويختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى، أو تداخله معها. وقد صُنِّفت هذه المعايير على النحو الآتي<sup>(١٨)</sup>:

١. ما يتصل بالنص: (السبك، والاتحام (الحبك)).
٢. ما يتصل بمستعمل النص: منتجاً أو متلقياً، (القصد، والقبول).
٣. ما يتصل بالسياق المادي، والثقافي المحيط بالنص: (الإعلام، والمقامية، والتناص).

ويؤكد الدكتور سعيد بحيري أن (دي بوجراند ودريسلر) لا يعنيان ضرورة تحقق هذه المعايير كلها في نص ما كي يوصف بالنصية، وإنما تتحقق النصية بوجودها، وأحياناً تتكون نصوص بأقل قدر منها<sup>(١٩)</sup>. ويُعدُّ هذا التعريف ثمرة جناها دي

بوجراند من التعريفات السابقة على تعريفه، وهو شامل لجميع الجوانب التي أُهملَ بعضها فيما سبقه من الحدود؛ لذلك آثر عدد من الدارسين<sup>(٢٠)</sup> هذا التعريف على غيره؛ لأنه ((يراعي المتحدث، أو المرسل والمستقبل، ويراعي كذلك السياق، وكذا يراعي النواحي الشكلية والدلالية...))<sup>(٢١)</sup>، وهو ما يذهب إليه الباحث مع من ذهب.

## المبحث الثاني

### معنى السبك

السبك: أوّل وأهمّ المعايير النصية السبعة التي ذكرها (دي بوجراند)<sup>(٢٢)</sup>، والتي يجبُ توافرها في النصّ كي يحكمَ له بالنصّيّة، وقد نال عناية كبيرة من قبل اللسانيين النصيين فهو جوهرى في تشكيل النص وفهمه وتفسيره، فيعمل على جعل الكلام مفيداً، ويعمل على ثبات النص واستقراره، بعدم تشتت الدلالة الواردة في نص معين، ويقوم بتنظيم بنية المعلومات داخل النص مما يساعد في عملية فهم النص؛ عبر متابعة خيوط الترابط المتحركة داخل النص التي تمكّن المتلقي من ملء الفجوات، ويرى (فان دايك) أن السمات الشكلية في النص تحدد بنيته الدلالية<sup>(٢٣)</sup>.

فالسبك هو: ((خاصية دلالية للخطاب؛ تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجُمْل))<sup>(٢٤)</sup>. وقيل بأنّه: ((ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ / خطاب ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللغويّة الشكلية التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء خطاب، أو الخطاب برمته))<sup>(٢٥)</sup>، فهو يدرس إحكام علاقات الأجزاء<sup>(٢٦)</sup>؛ أي: ((يقف على مجموع الإمكانيّات المتاحة في اللغة؛ لجعل أجزاء النصّ متماسكة بعضها ببعض))<sup>(٢٧)</sup>، وأهمّ ما

يحققه السبك في النصّ صفة الاطراد، والاستمراريّة في ظاهره، فإننا نجد في كلّ مرحلة من مراحل النصّ نقاط اتصال بالسابقة<sup>(٢٨)</sup>. إذن هو ذو طبيعة خطيّة أفقيّة شكلية، يُعنى بالتتابع والترابط الجُملي للنصّ، والإجراءات المستعملة في توافر الترابط بين عناصره الظاهرة، فضلاً عن تحقيقه استمراريّة الوقائع في النصّ؛ مما يساعد القارئ على متابعة خيوط الترابط المتحركة عبره، ويقود إلى الانسجام النصّي، فيظهر النصّ ككلّ واحدٍ، يُسهّم في تماسكه عدد من الروابط، أهمّها الروابط السطحيّة التي تؤدّي إلى الروابط العميقة للبنى النصّيّة السطحيّة<sup>(٢٩)</sup>.

أما أهم وسائل واشكال السبك، فهي:

- الاتساق الصوتي؛ ويشمل: السجع، الجناس، التنعيم.
- الاتساق المعجمي؛ ويشمل: التكرار، المصاحبة المعجميّة.
- الاتساق النحوي؛ ويشمل: الإحالة، الحذف، الربط. وسيقتصر بحثنا على الاحالة بما يناسب المقام والموضوع. وسيتمّ بحثها من وجهة نظر نصيّة في هذا البحث، وإسهامها في تحقيق السبك بين مكونات النصّ.

## المبحث الثالث

### معنى الإحالة

الإحالة وسيلة مهمة من وسائل السبك النصي، وظاهرة من الظواهر النحويّة التي تخرج عن إطار الجملة المفردة إلى العناية بالجوانب الدلالية والتواصلية في النصوص، وأداة ذات أثر فاعل في ربط أجزاء النص وسبكه<sup>(٣٠)</sup>، ثم إن دراسة العلاقات الإحالية في النص تثير البنية الدلالية فيها بشيوع صيغها في النص بالقدر الذي يجعل منه وحدة مسبوكة منسجمة فهي تقع في أساس كلّ منظومة فكرية، ف((اللغة نفسها نظام إحاليّ، إذ تحيل إلى ما هو غير اللغة))<sup>(٣١)</sup>. وقد رأى (فان دايك) ضرورة دراسة الإحالة في إطار لسانيّات النصّ<sup>(٣٢)</sup>، فهي من أهمّ وسائل السبك، ومن المعايير المهمّة التي تسهم بنحو فعال في الكفاءة النصيّة<sup>(٣٣)</sup>.

وقد عرّف بعض علماء النصّ الإحالة بأنّها: العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات<sup>(٣٤)</sup>، ومنهم من ذكر أنّها علاقة ((بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات))<sup>(٣٥)</sup>، وهذه العلاقة علاقة دلالية تخضع لقيّد دلالي هو وجوب التطابق بين العنصر المحيل والآخر المحال إليه<sup>(٣٦)</sup>، وتحدّث بوساطة قسم من الألفاظ تسمى (العناصر الإحالية)، وهي ألفاظ لا تمتلك دلالة مستقلة ولا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه في أجزاء أخرى من الخطاب؛ من أجل تأويلها<sup>(٣٧)</sup>.

ويمكننا القول: إنها ((عملية ذات طبيعة تداولية، تقوم بين المتكلم، والمخاطب في موقف تواصل معيّن، يحيل فيه المتكلم المخاطب إلى ذات معيّنة))<sup>(٣٨)</sup> بإحالة لفظة مُستعملة إلى لفظة متقدّمة عليها<sup>(٣٩)</sup>، لذلك فصل أحد الباحثين في تعريفها فقال: ((إنّ الإحالة هي علاقة بين عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي بحيث يتوقّف تفسير الأوّل على الثاني؛ ولذا فإنّ فهم العناصر الإحالية التي يتضمّن نصّ ما يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه))<sup>(٤٠)</sup>.

ويتضح من هذا أنّ الإحالة علاقة دلالية بين عنصرين تشير إلى عملية استرجاع المعنى الاحالي في النصّ مرة أخرى من طريق مجموعة من الكلمات، يُسمى الأوّل مُحيلاً، والثاني مُحالاً إليه، والأوّل ليس له معنى مستقلّ في ذاته، ويمكن معرفة دلالته بالرجوع إلى العنصر الثاني الذي يقع في أجزاء أخرى من النص، كالضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة ونحوها، أو قد يكون خارجياً يفهم من المقام، وبذلك يتمّ استرجاع المعنى الدلالي مرة أخرى. فالمحال قد يكون داخل الجملة نفسها، فنحصر وظيفة الإحالة هنا في ربط عناصر الجملة، ومن ثمّ تقلّ نسبة وجود الإحالة، ((وكلما كان المحال إليه بعيداً اتّسع الربط ليتحول إلى ربط نصّي))<sup>(٤١)</sup>، فهي تقوم بمدّ شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النصّ، فتجتمع عناصره مشكّلة كلاً واحداً<sup>(٤٢)</sup>، فضلاً عن ذلك تُجنّب المتكلم التكرار المشتّت للذهن؛ فيتحقّق بذلك الاقتصاد في اللغة، فهي تختصر هذه العناصر الإحالية، وتجنّب مستعملها إعادتها.

### اقسام الاحالة

للإحالة أقسام متعدّدة، تبعاً للزوايا التي يُنظر منها إلى الإحالة، وتشارك في عملية الإحالة مجموعة من العناصر، تبدأ بالمتكلم، ثم اللفظ المحيل، والمحال إليه، والعلاقة

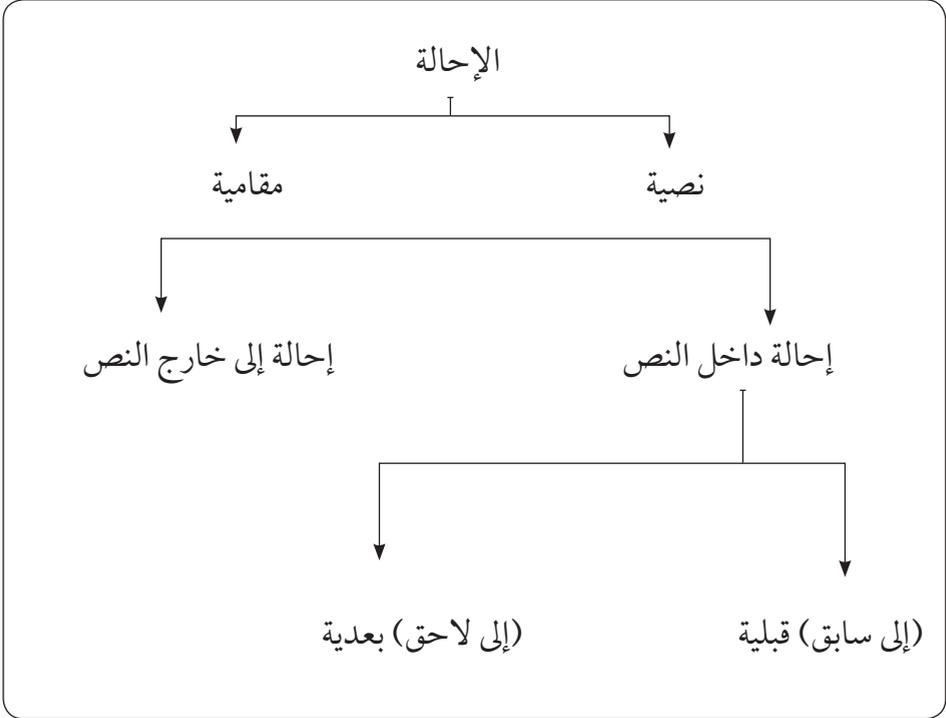
بين اللفظ المحيل، والمحال إليه<sup>(٤٣)</sup> ومن أكثر أقسام الإحالة تداولاً بين الباحثين نوعان<sup>(٤٤)</sup> هما:

١. **إحالة نصيئة**: وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في النص، ويتفرّع عن هذه الإحالة نوعان: إحالة على سابق، وتسمى (قبليّة)، وهي تعود على مفسّر سبق التلفّظ به، وهي الأصل في العربية<sup>(٤٥)</sup>، وتمثّل أكثر أنواع الإحالة دوراناً في الكلام<sup>(٤٦)</sup>، وإحالة على لاحق، وتسمى (بعديّة) وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، وهذا النوع قليل لا يتعدى مواضع معينة، إذ إنّه من ((الأكثر صعوبة أن نتصوّر كيف يمكن التصرّف بالنسبة للعود إلى متأخّر، عندئذٍ يتحتّم للفظ الكنائي أن يُركم، حتى تأتي العبارة المشاركة له في معنى الإحالة))<sup>(٤٧)</sup>.

وبهذا تتحدّد نوعيّة الإحالة قبليّة، أو بعديّة، وكلتا الإحالتين القبليّة، والبعديّة، متّفقة من حيث الطبيعة، ومختلفة من حيث صور الإجراء؛ إذ تقومان على صورة خاصة من الإحالة غير المباشرة بالنسبة إلى ضرب خاص من العناصر اللغويّة، تتمثّل في قصور العنصر عن الإحالة بمفرده إلى مرجعه، أو خارجه، ولا يكون ذلك إلاّ بالأتكاء على عنصر آخر يعضّده في القيام بهذه الوظيفة، لكنّ الإحالة القبليّة تقوم على تقدّم العنصر المتكأ عليه، أمّا الإحالة البعديّة فإنّها بخلاف ذلك، تقوم على تأخّر ذلك العنصر<sup>(٤٨)</sup>.

٢. **إحالة مقاميّة**: وهي إحالة عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، نحو إحالة ضمير المتكلم، الذي يوجه المخاطب إلى عنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم.

ويمكن الاستعانة بالمخطط الآتي لتوضيح أقسام الإحالة السابقة<sup>(٤٩)</sup>:



أما عناصر تتحقّق الإحالة، فتتحقّق الإحالة داخل النصّ بمجموعة من العناصر النحويّة، التي من وظائفها الأساسيّة الربط بين الجُمْل، وأهمّها: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة<sup>(٥٠)</sup>.

### أولاً / الإحالة بالضمائر

الضمير من أعرف المعارف لكنّه مبهم لا يُفهم إلّا بما يرتبط به<sup>(٥١)</sup>، فهو (( الاسم المتضمّن للإشارة إلى المتكلّم، أو المخاطب، أو إلى غيرهما بعد سبق ذكره))<sup>(٥٢)</sup> وإذا كان الضمير من المبهمات في ذاتها، فالواجب البحث عن الظاهر الذي يفسّر المضمّر، أي تحديد المشار إليه (العنصر الإشاري) الذي يقيم علاقة الربط مع الضمير

المحيل (العنصر الإحالي)<sup>(٥٣)</sup>، وتُعدُّ الإحالة بالضمير أهمُّ مُعطيات النص التي تُسهمُ في نصيَّته وكفاءته، وله مهامٌ عدَّة منها: الاختصار، وأمن اللبس بالتكرار، وإعادة الذكر<sup>(٥٤)</sup>، إلا أنَّ تركيز الدراسات النصيَّة كان على أثره في ربط الجُمْل بعضها ببعض داخل النصِّ، فهو ((على وجه العموم فارغ الدلالة، بمعنى أنَّ دلالاته في المعجم تمثل صفراً، ومن ثم لا يقوم بوظيفته إذا استُعْمِل منفرداً، بل لا بدَّ له من تركيب يعمل به، كالحرف الذي يحتاج إلى مجرور، فهو يحتاج إلى تركيب يستطيع به أن يقوم بوظيفته، وليس المراد بالإبهام في الضمير التنكير، بل إنَّ وقوع الضمائر على كلِّ شيء من حيوان، وجماد، أو غيرهما، هو مدار الإبهام في الضمائر))<sup>(٥٥)</sup>، فهي تمثل العصب الرئيس في بناء النصِّ، فيها يتبدَّى سبكه، وبها يمكن تلقّيه، ومن دونها يغدو مفكِّكاً، إذ تقوم بوظيفة الرابط بين أجزاء النصِّ بنحو عام<sup>(٥٦)</sup>.

وقد قسّمَ محمد خطابي الضمائر على<sup>(٥٧)</sup>:

وجوديَّة مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن... إلخ. وهي ضمائر (التكلمين، والمخاطبين، والغائبين).

وضمائر الملكية أو الضمائر المتصلة مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا... إلخ.

ومن زاوية السبك ميّز الباحثان هايلداي ورقية حسن بين نوعين من الضمائر: الأوَّل ما سَمِّيَاه بـ(أدوار الكلام)، وتندرجُ تحته كل الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، وتكون الإحالة فيها مقامية خارج النصِّ، والثاني ما أطلقا عليه (أدواراً أخرى)، ويخلفُ هذا النوعُ من الضمائر أثراً مُهمَّاً في اتساق النصِّ، فهي تربطُ أجزاءه، وتصلُّ بين أقسامه، وتندرجُ ضمنها ضمائرُ الغيبة إفراداً وتثنية وجمعاً<sup>(٥٨)</sup>.

وقد حقَّقتِ الضمائرُ السبك بين العناصر المكوِّنة لنصوص العهد المبارك ؛

فتكرأرها في أكثر من موضع، وعودتها على مرجع واحد يخلق شبكة إحصائية تربطُ الجمَلَ، وتغني عن إعادة لفظ المحال إليه.

ومن أمثلة ذلك قوله (عليه السلام): (( وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا فَاَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ.

وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلَا تُسِرَّ عَنِّي إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُودِحَةً وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْعِيرِ)) (٥٩).

نوع الإحالة	العنصر المُحِيل	الإحالة	المحال إليه
نصيّة - قبليّة	الضمير المستتر (أنت)	أَشْعِرُ	مالك الأشتر (رضي الله عنه)
=	الضمير المتصل (الكاف)	قَلْبِكَ	
=	الضمير المستتر (أنت)	لَا تَكُونَنَّ	
=	الضمير المستتر (أنت)	تَغْتَنِمُ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	لَكَ، لَكَ، لَكَ	
=	الضمير المستتر (أنت)	فَأَعْطِهِمْ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	عَفْوِكَ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	صَفْحِكَ	
=	الضمير المستتر (أنت)	مُحِبُّ	
=	الضمير المستتر (أنت)	وَوَرَّضِي	
=	الضمير المتصل (الكاف)	يُعْطِيكَ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	فِيَّانِكَ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	عَلَيْكَ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	فَوْقَكَ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	وَلَاكَ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	اسْتَكْفَاكَ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	اِبْتَلَاكَ	
=	الضمير المستتر (أنت)	لَا تُنْصِبَنَّ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	نَفْسِكَ	
=	الضمير المتصل (الكاف)	لَكَ، بِكَ	
=	الضمير المستتر (أنت)	لَا تُنْذِمَنَّ	
=	الضمير المستتر (أنت)	لَا تَبْجَحَنَّ	
=	الضمير المستتر (أنت)	لَا تُسْرِ عَنَّ	
=	الضمير المتصل (التاء)	وَجَدْتَ	
=	الضمير المستتر (أنت)	لَا تَقُولَنَّ	
=	الضمير المتصل (الياء)	إِنِّي	
=	الضمير المستتر (أنا)	فَأَطَاعُ	

## ومن النظر الى الجدول السابق يتبين الآتي:

١. جميع الضمائر الواردة في الجدول تحيلُ إلى نواةٍ واحدةٍ هي لفظة (مالك الأشر) (رضي الله عنه))، وفي وحدة النواة، وكثرة الضمائر التي تُحيلُ إليها تحقيقُ لسبك النص ووحدة الدلالية، وزيادة في قوة الربط وقدرة الإحالات على السبك، ودعمٌ لسمة النصية<sup>(٦٠)</sup>، وهذه ظاهرة بارزة في الاحالة النصية، إذ إن أهم عنصر إشاري في النص يرتبط به أكبر عدد من العناصر الإحالية وقد سماها د. الزناد بـ ((السلمية الإحالية))<sup>(٦١)</sup>.

٢. كلُّ الإحالات الواردة في هذا الجدول إحالات نصية قبلية، وفي هذا تأكيداً لما قاله بعض الباحثين من أن هذا النوع هو الأكثر دوراناً في الكلام<sup>(٦٢)</sup>.

٣. للضمائر المتصلة الغلبة على غيرها، فقد تجلّت وسائل الإحالة على نحو واضح في ظاهر النص؛ إذ بلغ عدد الضمائر التي أسهمت في تحقيق السبك على مستوى النص (٣٠) ضميراً، منها (١٨) ضميراً متصلاً، و(١٢) ضميراً مستتراً، وهذا التوزيع للضمائر جاء مطابقاً لما أقرّه النحويون القدماء، من أن الضمير المتصل له الغلبة في الحضور على غيره؛ ((لأنه أكثر وأسير في الاستعمال))<sup>(٦٣)</sup>، يُضاف إلى ذلك أن ((الضمير إذا اتصل فلربما أضاف إلى الخفة والاختصار عنصراً ثالثاً هو الاقتصار، وهذه العناصر الثلاثة هي من مطالب الاستعمال اللغوي))<sup>(٦٤)</sup>.

٤. كشفت هذه الضمائر عن دلالة النص الكلية، وعملت على ربط أول نسيج النصّ بآخره ربطاً أفقياً<sup>(٦٥)</sup>، وقد صنع هذا الربط جسوراً كبرى للتواصل بين أجزاء النص التي تُفصّح عن معناها، وتجمع شتاتها - على الرغم من تباعدها - وحدة المرجع المفسر.

٥. لا يخلو النصّ من ضمائر تحيل إلى غير المحور الرئيس (مالك الأشتر رض)، إذ يكون لها مرجعية مستقلة، ويمكن ملاحظة ذلك في قوله (عليه السلام): (المحبة لهم واللطف بهم... عليهم... أكلهم فإيهم... منهم... لهم... أمرهم... بهم). إذ جاءت الألفاظ لتحيل إلى الرعية، وبعض الألفاظ أحالت إلى الله سبحانه وتعالى في قوله: (أن يعطيك الله من عفوه وصفحته... بنقمتيه... عفوه ورحمته) وحقّ عود الضمير على هذا النحو السبكي، والاختصار، بوضوح في النصّ.

وقد مثل هذا المقطع أول شيء أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) به مالكا الأشتر أراد منه أن يكون خطاباً موجهاً لجميع حكام المسلمين، وغير المسلمين من خلال شخص واحد أراه أن يكون حاكماً على مصر، وهو مالك الأشتر، الصديق الصدوق للإمام علي (عليه السلام). أوصاه أن يكون محباً للرعية، محترماً لمشاعر الناس من أي فئة كانوا، سواء كانوا مسلمين أم من أهل الأديان الأخرى، ولا يخفى أن في ذلك تثبيتاً لإنسانية الإسلام واحترامه لمشاعر الناس، وتقوية لبنية النظام والحكومة، ثم أوصاه أن يعفو ويصفح عمّن أساء واجترأ عليه، أو على خاصته، وليس في قواميس الأديان ومذاهب السياسة مثل ما سنه (عليه السلام) من الرفق بالرعية على اختلاف ميولها وأديانها، فليس للوالي إلا اللطف والمبرّة بها، وأن لا يشمخ عليهم بولايته ويكون سبغاً ضارياً عليهم، وعليه أن لا يجاسبهم على ما صدر منهم من علل أو زلل، ويمنحهم العفو والرضا، وعدم التبجح بعقوبة انزلوها على أحد، وليس له الاعتزال بالسلطة والغرور بالحكم، فإن في ذلك مفسدة للدين ومفسدة للمواطنين، وعليهم أن ينظروا إلى قدرة الله، إلى عليهم فإنه المالك لهم، لتنعم البلاد بالأمن وتسود فيها. ومثال الاحالة النصية البعدية على متأخر قول الإمام (عليه السلام): ((اعلم أنه

لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُتُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَتَرَكَ اسْتِكْرَاهَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ)) (٦٦).

فالضمير الهاء في (إنه)، احالة على جملة (حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ)، فهي التي تفسره، وفي هذه الحالة تنتقل دلالة الضمير من الاحالة على الاسم الظاهر الى الكناية عن مضمون الجملة الواقعة بعده، إذ تؤدي وظيفة التفسير له، وتسمى حينئذ عند النحاة بـ(ضمير الشأن)، قال ابن يعيش: ((اعلم أنهم إذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية، أو الفعلية، فقد يُقدِّمون قبلها ضميراً يكون كنايةً عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير، وتفسيراً له ويُوَحِّدون الضمير؛ لأنهم يريدون الأمر والحديث؛ لأنَّ كلَّ جملة شأنٌ وحديثٌ، ولا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفضيم والتعظيم)) (٦٧). فالقصد من هذا الضمير شدَّ الانتباه بالإبهام الى ما يليه رغبة في تعظيم شأنه، ليصبح ذهن السامع في غاية التنبه والترصد لما سيبين الضمير.

ومثال الاحالة المقامية قوله (عليه السلام): ((اخْتَرْتَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّماً بِمَرَاجِعَةِ الْخُصْمِ وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ انْتِصَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وَأَوْلَيْكَ قَلِيلٌ)) (٦٨).

لم يبين الامام الحاكم بعينه وشخصه، بل وضع له خصائص وصفات إن وجدت كان الواجب اختياره ويترك للمقام الحالي آنذاك الكشف عنه واختياره، ومثلت الضمائر المتصلة والمستتره العائدة إليه شبكة من أحداث الترابط الشكلي تبعه احداث التماسك الدلالي، مع قصدية في تحقيق الغاية التي يسعى الامام لإبرازها وهي انتخاب

الحكام غير خاضع للمؤثرات التقليدية، وإنما يكون عن دراسة جادة للحاكم نفسياً وفكرياً وإدارة ومعرفة بشؤون الحكم والإدارة على ضوء الشريعة المقدسة، وما كانت لتبرز على هذا النحو من السبك والدقة والانسجام، لو لم تسهم الضمائر مساهمة فاعلة في النص.

فظهر أن الإحالة المقامية زادت من وحدة النص، واكسبته صفة الاستمرارية والسبك بوجود العنصر المحال إليه؛ لأن الإحالة في هذا النوع أحد طرفيها لا يظهر على سطح النص، ولا يحدث الربط بين ركنيها إلا بالتوصل إلى المفقود، فاستحضاره إذن يفضي إلى الترابط والسبك، بخلاف الإحالة النصية التي يوجد طرفا الإحالة داخل النص فيحصل الربط بينهما مقالياً.

### ثانياً / الإحالة بأسماء الإشارة

تعدّ أسماء الإشارة من المبهمات كما نصّ النحويون على ذلك<sup>(٦٩)</sup>، فقد عدّها سيبويه من المبهمات؛ لأنّها تقع على كل شيء<sup>(٧٠)</sup>. فمثلها كمثل الضمائر لا تفهم إلا إذا رُبطت بما تُشير إليه<sup>(٧١)</sup>؛ إذ إنّها من المعاني اللغوية غير القائمة بذاتها، وتُصنّف من المعارف الاستعمالية، وليست من المعارف الوضعية؛ أي: أسماء الأعلام، إذ يجتمع فيها الإبهام والتعريف<sup>(٧٢)</sup>، أمّا الإبهام فشأنه شأن إبهام الضمير، وكونه من المعارف؛ إذ لا بدّ من أن يرد اسم الإشارة في سياق تركيبّي، يحضر فيه أطراف الخطاب حضوراً عينياً، أو حضوراً ذهنياً؛ من أجل إدراك مرجعيّتها<sup>(٧٣)</sup>، وتُصنّف في اللغة بحسب معايير كثيرة، نحو: العدد، والجنس، وبعد المرجع عن المرسل، أو قربه<sup>(٧٤)</sup>، فلها وظيفة توضّح مدى قرب المشار إليه أو بعده من موقع المتكلم مكاناً وزماناً؛ لذلك جرى تقسيمها في اللغة العربية باعتبار المسافة<sup>(٧٥)</sup>، وجمهور النحاة على أنّ لها ثلاث مراتب: قُربى، ووسطى، وبعدي<sup>(٧٦)</sup>، غير أنّ علماء النص ذهبوا إلى أنّ هنالك

عدة إمكانيات لتصنيفها: إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غداً...)، والمكان (هنا، هناك...) (٧٧) أو حسب الإشارة المحايدة، وتكون بأداة التعريف، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...)، أو البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذا، وهذه...) (٧٨).

ولأسماء الإشارة أهميّة كبيرة في سبك النص واتساق أجزائه (٧٩)، ويمكن لها أن تحيل إحالة قبلية أو بعدية، بمعنى إنّها تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق أو العكس، فهي تحيل بشتّى أصنافها إمّا إلى عنصر إشاريّ قبل العنصر الإحاليّ، أو بعده، فتحقق السبك بين الجمل، كما يتمييز اسم الإشارة المفرد منها ((بما يسميه المؤلفان - هاليداي ورقية حسن - (الإحالة الموسعة)، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل)) (٨٠).

واركان أسماء الإشارة هي (٨١): معنى من المعاني اللغوية غير القائمة بذاتها، ولها

أركان:

المُشير ← المتكلم

المشار إليه ← الشيء في الخارج

المشار له بالمشار إليه ← المخاطب

المشار به ← عبارة الإشارة (اللفظ الذي تتحقق به)

عمل الإشارة ← الحاصل معنى وخارجاً من الإشارة).

وقسّم الدكتور سعيد بحيري الإحالة الإشارية بأسماء الإشارة، استناداً إلى تقسيم

الإشارة على نوعين حسيّة، ومعنويّة على نوعين:

النوع الأول: إحالة ذات مدى قريب، وتجري في مستوى الجملة الواحدة إذ لا

توجد فواصل تركيبية جملية.

**النوع الثاني:** إحالة ذات مدى بعيد، وهي تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص، وهي تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل<sup>(٨٢)</sup>، وهذا التقسيم هو ما سنعتمده في التطبيق على أمثلة مختارة من العهد الشريف.

مثال النوع الأول، قوله (عليه السلام): ((ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّعُوا أَمَانَتَكَ))<sup>(٨٣)</sup>.

فقد أحال اسم الإشارة (ذلك) إحالة قبلية على اسبغ الارزاق على أهل التجربة والنصيحة الذين ذكرهم الإمام قبل الاحالة ((وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَيِّنَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصْحُ أَعْرَاضًا وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا))<sup>(٨٤)</sup>.

وأركان الاحالة في هذا النص على النحو الآتي:

المشير ————— ← الإمام علي (عليه السلام).

المشار إليه ————— ← أهل التجربة والحياة.

المشار له بالمشار إليه ————— ← مالك الأشتر (رضي الله عنه).

المشار به ————— ← (ذلك).

عمل الإشارة ————— ← الإحالة إلى المشار إليه،

وربطه ب(اسباغ الارزاق على أهل التجربة)، والجمع بين أجزاء المحال إليه كلها. وبدا واضحاً ما لاسم الإشارة من أثر كبير ومهم في بناء النص العلوي وسبك أجزائه وانسجام معانيه، عندما أغنى عن إعادة التكرار للألفاظ التي أحال إليها.

ومثال النوع الآخر -احالة ذات مدى بعيد- قوله (عليه السلام): ((وَلَا تُقَطِّعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقَدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَثْوَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَزْمِ الْحَقُّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وَاقْعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُدْرِكَ وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ)) (٨٥).

وردت في النص عدة احالات عن طريق اسم الإشارة (ذلك)، فأحال الأول الى اقتطاع الارض للمقربين من الحاكم، واعطاء العقود لهم، وعمل الصفقات بينهم،

واحال الثاني والثالث الى لزوم الحق والصبر عليه، واحال الرابع الى العاقبة المحموده  
لمتبع الحق والمنصف أهله، واحال الخامس الى دفع التهم الموجه من الرعية إليه  
ومكاشفتهم بالواقع الصحيح.

فهذه الاحالات شكلت مفصلاً أساسياً في عقد صلة وثيقة بين أجزاء النص،  
وجعلها منسبكة ذات وسائل متلاحمة، فقد ربطت عناصر الجملة، الواحد منها  
بالآخر، وتجاوز ذلك الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص، فربطت بين عناصر  
منفصلة متباعدة من حيث التركيب النحوي، متصلة أشد الاتصال من حيث الدلالة  
والمعنى، وإذا ترابطت أجزاء الملفوظ فإنه سيكتمل نصاً<sup>(٨٦)</sup>.

لقد كان أمر الإمام حاسماً في شؤون خاصة الولاية وبطانتهم، فقد سد عليهم جميع  
ألوان الطمع والتلاعب بأموال الدولة، فأراد إنصاف الناس والاطلاع على شؤونهم  
بشكل مباشر، وحذر عامله من خاصته وبطانته، وما يقع لهم من استغلال للنفوذ  
واستئثار وتداول وقلة إنصاف للناس في المعاملة، وأمره بردع هؤلاء والامتناع  
عن أن يحملهم على رقاب الناس ويمكنهم من الاستئثار بالنعم دونهم والإذلال  
لهم، وأضاف الإمام يأمره بإتباع الحق ولزومه، ثم أكد على الرفق بالرعية ومراعاة  
عواطفها، وإذا ظنت به حيفاً فعليه أن ينطلق إلى ساحتها، ويقدم لها الاعتذار، والحجة  
القاطعة على أمانته، وبهذه الصراحة المخلصة تطمئن القلوب اليه وتثق به النفوس،  
وبهذا المهمل يروض نفسه بالتواضع للحق والعدل.

### ثالثاً / الإحالة بالأسماء الموصولة

تعدّ الاسماء الموصولة من ضروب المبهمات ؛ لأنّها، كالضمائر وأسماء الإشارة،  
تقع على كل شيء من حيوان وجماد وغيرهما<sup>(٨٧)</sup>، فهي أسماء ناقص الدلالة لا يتّضح  
معناها إلا إذا وصل بصلتها<sup>(٨٨)</sup>، وسمي الاسم الموصول بذلك؛ لأنّه يوصل بكلام

بعده هو من تمام معناه، وهذا ما أكده النحويون المتقدمون، قال ابن يعيش: ((معنى الموصول أن لا يتم بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده، تصله به لِيَتَّ اسماً، فإذا تمَّ ما بعده، كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة))<sup>(٨٩)</sup>، وهذا المعنى يُعدُّ من المبهات التي يُزال الإبهام عنها بالتركيب الذي يلحقها، فالأسماء الموصولة ((تشارك بقية الأدوات الاتساقية الإحالية في عملية التعويض، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها جاءت تعويضاً عما تُحيل إليه)<sup>(٩٠)</sup>، فهي تقوم بالربط والسبك من خلال ما يأتي بعدها من صلة الموصول (التي تضع ربطاً مفهوماً بين ما قبل (الذي) وما بعده، إذ إن تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقى قبل ذكر اسم الموصول)<sup>(٩١)</sup>.

ويُعدُّ (دي بوجراند) أول من أشار إلى الاسم الموصول بوصفه ((وسيلة من وسائل الإحالة))<sup>(٩٢)</sup>، وأيده الزناد بقوله: ((أتمها من الألفاظ الإحالية التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود إلى عنصر، أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب))<sup>(٩٣)</sup>.

وتمارس الأسماء الموصولة وظيفتها في تحقيق السبك النصي، وممن لفت الانتباه إلى وظيفة الربط في الاسم الموصول د. تمام حسان؛ إذ قال: ((لم يُشر من قبل إلى هذا النوع من الربط... وما ألفت النظر هنا، فهو ما في الموصول من طاقة الربط بين أوصال الجملة، أو السياق القائم على أكثر من جملة... والدليل على أن الموصول رابط، أنه كما قال البلاغيون، حل محلّ الضمير، فلو عدلت عن الموصول واستعملت الضمير المطابق له لحدث الربط المطلوب))<sup>(٩٤)</sup>، فالاسم الموصول من الأدوات التي تشدّ من التلاحم النحوي بين ما تقدّم ذكره، والعلم به، وما يُراد من المتكلم أن يعلم به، أو أن يضمّه إلى ما سبق من العلم به<sup>(٩٥)</sup>، إذ تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض أو تربط بين الجمل، كذلك تربط النص بسياقه المقامي الذي قيل فيه<sup>(٩٦)</sup>، وبذلك فهي

تؤدي وظيفة السبك النصي.

والموصلات من العناصر الإحالية<sup>(٩٧)</sup> التي تقوم على مبدأ التماثل والتطابق بينها وبين ما تعوضه<sup>(٩٨)</sup>، ويظهر هذا المبدأ في اسم الموصول المختص مثل: (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي... إلخ)، أمّا الموصلات العامة (من، وما،...) فإنّ فكرة التطابق والتماثل لا تنطبق عليها<sup>(٩٩)</sup>.

مثال ذلك قوله (عليه السلام): ((إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِأَشْرَارِ قَبْلِكَ وَزَيْرًا وَمَنْ شَرَّ كَهْمٍ فِي الْأَثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّلْمَةِ))<sup>(١٠٠)</sup>.

ورد في هذا النص إحالتان بالاسم الموصول، كلاهما بالموصول (مَنْ)، فالمحيل هو الموصول، والمحال إليه هو السابق المعوّض، كما هو واضح في المخطط الآتي:

شر الوزراء → مَنْ ← كان للأشرار وزير  
 شر الوزراء → مَنْ ← شركهم في الاثام.

يظهر من المخطط اعلاه أنّ الاسم الموصول الأول قد أحال إلى الاسم الظاهر (شر الوزراء)، وأحال الثاني إلى الاسم ذاته، فعوّض كل منهما عمّا يسبقه، واكتسب دلالتة منه، ويلحظ أنّ كلاّ منهما يرتبطُ بصلته سبكيًا من جهة، ويصنعُ ربطاً مفهوميًا بين هذه الصلة والمحال إليه الذي يسبقه من جهة أخرى<sup>(١٠١)</sup>، من خلال اشتراك الاسم الموصول بالاسم الذي قبله، وجملة صلة الموصول التي بعده، في جعل النص على مستوى واحد من السبك والتناسك يُدرِّكه المتلقي حال النظر إليها.

ومثال ذلك أيضاً، قوله (عليه السلام): ((اجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغُ هُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَتَجْلِسُ هُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضِعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ))<sup>(١٠٢)</sup>.

التواضع لله → الذي ← خلقك.

حَقَّقَ الاسم الموصول وصلته مع حالته على سابق الربط السبكي من الربط المفهومي بين ما قبل (الذي) وهو (التواضع لله) وما بعدها، وهو (خلقك)، إذ ربط أجزاء الجملة بعضها ببعض، وربط النص بسياقه الذي قيل فيه كما هو واضح في المخطط اعلاه.

الزم الامام مالكا بتخصيص ساعات من وقته للمحتاجين عنده، يتفرغ لهم فيه، ويرفع عنهم كلفة المراسيم بتتحية الحرس والجنود، لإزالة الرهبة عن نفوسهم، حتى يكلموه بغير تلجلج ولا ارتباك، بعد أن يتبسط معهم ويحتمل منهم السداجة والعي ويبعد عنهم الضيق والأنف، ففي ذلك رحمة من الله ساقها اليه، وذخر له في يوم الحساب والجزاء، وهذا منتهى العدل الذي أسسه رائد الحضارة والعدالة في الإسلام. وبعد ذلك يمكن أن نخلص إلى أن الإحالة من أكثر وسائل السبك انتشاراً في نصوص العهد العلوي المبارك، إذ لا تكاد تخلو فقرة أو جملة من ضمير، أو عنصر إشاري، أو موصول، يربطها بمواطنٍ أخرى في النص، لذلك فهي من أهمِّ عوامل سبك النصوص التي تقف وراء خلق نصيَّتها.

## نتائج البحث

١. إنَّ وصف الكلام بالوقوف عند الجملة الواحدة وصفٌ غيرُ كافٍ، ولا بدّ من الانتقال إلى وحدة أخرى؛ هي النصّ؛ لأنّ نظام الجملة يوضّح كيفيّة ارتباط المفردات الواحدة بالأخرى في أبنية معيّنة، أمّا لسانيّات النصّ؛ فتبحث فيما فوق الجملة ويتجاوزها إلى أفكار كليّة، وهو افراز حتميٍّ لمجموعة من التحوّلات المعرفيّة، والمنهجية التي حدثت في نظريّة اللغة، وأصولها، ومستوياتها، ووظائفها، والفلسفة العلميّة الكامنة وراءها.
٢. يعد السبك أوّل وأهمّ المعايير النصية السبعة التي ذكرها (دي بوجراند) في النصّ كي يحكم له بالنصّيّة، وقد نال عناية كبيرة من قبل اللسانيين النصيين فهو جوهرى في تشكيل النص وفهمه وتفسيره.
٣. ظهر أن السبك في نصوص العهد العلوي المدروسة عمل على ثبات النص واستقراره، بعدم تشتت الدلالة الواردة فيه، وتنظيم بنية المعلومات داخله مما ساعد في عملية فهم النص؛ عبر متابعة خيوط الترابط المتحركة داخله، فهو خاصية دلالية للخطاب؛ تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجُمْل، فضلاً عن تحقيقه استمراريّة الوقائع في النصّ؛ مما يساعد القارئ على متابعة تلك الخيوط المتحركة عبره، ويقود إلى الانسجام النصّي، فيظهر النصّ ككلٍّ واحدٍ.
٤. الإحالة من الوسائل المهمة في السبك النصي، وظاهرة من الظواهر النحويّة التي تخرج عن إطار الجملة المفردة إلى العناية بالجوانب الدلالية والتواصلية في النصوص، وأداة ذات أثر فاعل في ربط أجزاء النص وسبكه، فهي تقع في أساس كلّ منظومة فكريّة، وقد رأى اللسانيون ضرورة دراستها في إطار لسانيّات

النص؛ لأنها من أهم وسائل السبك، ومن المعايير المهمة التي تسهم بنحو فعال في الكفاءة النصية.

٥. مثلت الاحالة بالضمير في العهد العلوي أهم مُعطيات النص التي تُسهم في نصيته وكفاءته، وقد حققت الضمائر السبك بين العناصر المكوّنة لنصوص العهد المبارك، فهي تمثل العصب الرئيس في بنائه، فيها يتبدى سبكه، وبها يمكن تلقّيه، ومن دونها يغدو مفككاً، إذ تقوم الاحالة بمدّ شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع عناصره مشكّلة كلاً واحداً، فضلاً عن ذلك تُجنب المتكلم التكرار المشتت للذهن؛ فيتحقق بذلك الاقتصاد في اللغة؛ لأنها تختصر هذه العناصر الإحالية، وتُجنب مستعملها إعادتها.

٦. كثرة الضمائر التي تُحيل إلى وحدة النواة ((مالك الاشر))؛ لتحقيق السبك النصي ووحده الدلالية، وزيادة قوة الربط وقدرة الإحالات على السبك، ودعم لسمّة النصية، إذ إن أهم عنصر إشاري في النص يرتبط به أكبر عدد من العناصر الإحالية، وقد صنع هذا الربط جسوراً كبرى للتواصل بين أجزاء النص التي تُفصح عن معناها، وتجمع شتاتها على الرغم من تباعدها - وحدة المرجع المفسر.

٧. حققت أسماء الاشارة أهميّة كبيرة في العهد العلوي في سبك نصّه واتساق أجزائه، إذ أمكن لها أن تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق أو العكس، فهذه الاحالات شكلت مفصلاً أساسياً في عقد صلة وثيقة بين أجزاء النص، وجعلها منسبكة ذات وسائل متلاحمة، فقد ربطت عناصر الجملة، الواحد منها بالآخر، وتجاوز ذلك الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص، فربطت بين عناصر منفصلة متباعدة من حيث التركيب النحوي، متصلة أشدّ الاتصال من حيث الدلالة

والمعنى، وإذا ترابطت أجزاء الملفوظ فإنه سيكتمل نصاً.

٨. مارست الأسماء الموصولة وظيفتها في تحقيق السبك النصي في العهد العلوي، فهي تقوم بالربط والسبك من خلال التلاحم النحوي بين ما تقدّم ذكره، والعلم به، وما يُراد من المتكلم أن يعلم به، أو أن يضمّه إلى ما سبق من العلم به، إذ تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض أو تربط بين الجمل، أو النص بسياقه المقامي الذي قيل فيه، وبذلك فهي تؤدي وظيفة السبك النصّي.

## هوامش البحث

١. ينظر: نحو النصّ، إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زيد: ٣٥.
٢. ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصّ، صلاح فضل: ١٤.
٣. ينظر: لسانيات النصّ بين النظرية والتطبيق، ليندة قياس: ٩.
٤. ينظر: لسانيات النصّ عرض تأسيسي، كريستين آدمستيك: ٤٩.
٥. مدخل الى علم النصّ، زيتسلاف واورزنيك، ٣٦-٣٧، وينظر، مدخل الى علم اللغة النصّي، فولفجانج
٦. هاينه، ديتير فيهفيجر، ترجمة صالح شبيب العجمي: ٢٢.
٧. في اللسانيات ونحو النصّ، ابراهيم محمود: ١٩٦.
٨. ينظر: أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش: ١ / ١٨٣.
٩. الدرس النحوي النصّي في كتب إعجاز القرآن، أشرف عبد البديع: ٧١.
١٠. ينظر: نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١٣ - ٣٠.
١١. ينظر: المصدر نفسه: ٢٠ - ٣٠.
١٢. علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري: ١٠٣.
١٣. ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣، ونحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي: ٢٢.
١٤. علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٠٨.
١٥. نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٢٢.
١٦. نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية: ٣٠.
١٧. نحو أجرومية للنصّ الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج ١٠، العدد ١ و ٢، يوليو ١٩٩١م: ١٥٤،

- وينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٤٦.
١٨. ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ١٠٣ - ١٠٧، ونحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٤، وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٤٥ - ١٤٦، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي ابراهيم الفقى: ١ / ٣٣ - ٣٤.
١٩. ينظر: النص والخطاب والاجراء: ١٠٦.
٢٠. ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٤٦.
٢١. ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٤، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١ / ٣٤، ونحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ٢٨.
٢٢. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١ / ٣٤.
٢٣. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣ - ١٠٥.
٢٤. ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة سعيد حسن بحيري: ٢٧٥.
٢٥. بلاغة الخطاب وعلم النص: ٤٤.
٢٦. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي: ٥.
٢٧. ينظر: السبك في العربية، محمد سالم أبو عفرة: ٤.
٢٨. أصول تحليل الخطاب: ١ / ١٢٤.
٢٩. ينظر: بلاغة النص، جميل عبد المجيد: ١٦.
٣٠. ينظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، سعد مصلوح: ٢٢٩.
٣١. ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١ / ٧١.
٣٢. نسيج النص، الأزهر الزناد: ١١٥.
٣٣. ينظر: دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري: ٩٩.

٣٤. ( ينظر: الإحالة في نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٢، وعلم لغة النص، عزّة شبل: ١١٩.
٣٥. ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٦.
٣٦. النص والخطاب والإجراء: ١٧٢.
٣٧. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧.
٣٨. ينظر: المصدر نفسه: ١٧، ونسيج النص: ١١٨.
٣٩. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل: ١٣٨.
٤٠. ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، نعمان بوقرة: ٨١.
٤١. قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، د. محمد محمد يونس علي: ٥٨.
٤٢. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النصّ النثريّ: د. حسام أحمد فرج: ٨٦.
٤٣. ينظر: نسيج النص: ١٢١، وعلم لغة النص: ١٢، ونظرية علم النص: ٨٤.
٤٤. ( ينظر: الإحالة في نحو النص: ١٢.
٤٥. ( ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧، ونسيج النص: ١١٨ - ١١٩، وأصول تحليل الخطاب: ١ / ١٢٥، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٧ - ١١٨، والترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل ياسر البطاشي: ١٦٥ - ١٦٦.
٤٦. ينظر: قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب: ٦٠.
٤٧. ينظر: نسيج النص: ١١٩، والمعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي: ١٠٣.
٤٨. النص والخطاب والإجراء: ٣٢٧.
٤٩. ينظر: أصول تحليل الخطاب: ٢ / ١٢١٣.
٥٠. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧، ونحو النص اتجاه جديد في

- الدرس النحوي: ١١٨، ولسانيات النص بين النظرية والتطبيق: ٢٨.
٥١. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧، وأصول تحليل الخطاب: ١٢٦، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٨، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الثري: ٨٣.
٥٢. ينظر: دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة: ١٣٤.
٥٣. مفتاح العلوم، السكاكي، ١٩٠.
٥٤. ينظر: دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة: ١١٤.
٥٥. ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة: ١٥٣.
٥٦. الاتساق في الصحيفة السجادية، حيدر فاضل (رسالة ماجستير): ١٢٥، وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٥ / ٥٨.
٥٧. ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد: ٢١٤.
٥٨. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨.
٥٩. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨.
٦٠. نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق صبحي الصالح: ٤٢٧-٤٢٨.
٦١. ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١ / ٢٠٣، وقضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب: ٦٠، ٦٢.
٦٢. ينظر: نسيج النص: ١٣٤.
٦٣. ينظر: المصدر نفسه: ١١٩، والمعايير النصية في القرآن الكريم: ١٠٣.
٦٤. الخصائص، ابن جني: ٢ / ١٩٤.
٦٥. البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان: ١ / ١٣٧.
٦٦. ينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق: ١٠٩.
٦٧. نهج البلاغة: ٤٣١.

٦٨. شرح المفصل: ٣ / ١١٤ .
٦٩. نهج البلاغة: ٤٣٤-٤٣٥ .
٧٠. ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: ١ / ٢٦٧ هامش ٢، وأصول تحليل الخطاب: ١٠٥١ / ٢ .
٧١. ينظر: الكتاب، سيبويه: ١ / ١٢٥ .
٧٢. ينظر: شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترابادي: ٢ / ٤٧٩، ونسيج النص: ١١٨ .
٧٣. أصول تحليل الخطاب: ٢ / ١٠٦٩ .
٧٤. ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري: ٨٠ .
٧٥. ينظر: المصدر نفسه، ٢٨٦، والإحالة في نحو النص: ٢٠-٢١ .
٧٦. ينظر: نسيج النص: ١١٨، وقضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب: ٧٣ .
٧٧. ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢ / ٤٧١ - ٤٨٤، وشرح ابن عقيل، ابن عقيل: ١٣٥ / ١٣٦ - ١٣٦، وهمع الهوامع، السيوطي: ١ / ٢٤٧ .
٧٨. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩ .
٧٩. ينظر: المصدر نفسه: ١٩، وأصول تحليل الخطاب: ١ / ١٢٨ .
٨٠. ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩، ونحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١١٩ .
٨١. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩ .
٨٢. ينظر: أصول تحليل الخطاب: ٢ / ١٠٦٢ - ١٠٦٣، ونحو النص، اطار نظري ودراسات تطبيقية: ١١٩ .
٨٣. ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٥٠-١٥١ .
٨٤. نهج البلاغة: ٤٣٥ .

- ٢٣١
٨٥. المصدر نفسه: ٤٣٥.
٨٦. نهج البلاغة: ٤٤١.
٨٧. ينظر: نسيج النص: ١٢٤، ودراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٥١.
٨٨. ينظر: شرح المفصل: ٢ / ٣٧٢.
٨٩. ينظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١ / ١١٩.
٩٠. شرح المفصل: ٢ / ٣٧١.
٩١. الإحالة في نحو النص: ٢٦.
٩٢. المصدر نفسه: ٢٦.
٩٣. النص والخطاب والاجراء: ٥ / ٣٢.
٩٤. نسيج النص: ١١٨.
٩٥. مقالات في اللغة والادب، د. تمام حسان: ١ / ٢٠٠.
٩٦. ينظر: في اللسانيات ونحو النص: ٢٣٠.
٩٧. ينظر: مقالات في اللغة والأدب: ١ / ٢٠٠.
٩٨. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢.
٩٩. ينظر: نسيج النص: ١١٨.
١٠٠. ينظر: الإحالة في نحو النص: ٢٦.
١٠١. نهج البلاغة: ٤٣٠.
١٠٢. ينظر: الإحالة في نحو النص: ٢٦.
١٠٣. نهج البلاغة: ٤٣٩.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الكتب المطبوعة

١. - الإحالة في نحو النصّ، أحمد عفيفي، د.ط، كتب عربية، د.ت.
٢. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
٣. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، ط ١، كلية الآداب منوبة || تونس بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٤. بلاغة الخطاب وعلم النصّ، صلاح فضل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.
٥. بلاغة النصّ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية: د. جميل عبد المجيد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.
٦. البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ط ٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٧. الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل ياسر البطاشي، ط ١، دار جرير، عمّان || الأردن، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٨. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٩. الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، د. أشرف عبد البديع

- عبد الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
١٠. السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، د. محمد سالم أبو عفرة، تقديم: د. محمد العبد، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠ م.
١١. شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
١٢. شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٨ هـ)، تصحيح وتعليق: د. يوسف حسن عمر، ط ٢، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٦ م.
١٣. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكّية، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط ١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٤. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، ط ١، الشركة المصرية العالمية للنشر لـ لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧ م.
١٥. علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، تقديم: د. سليمان العطار، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
١٦. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون ا. فان دايك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، ط ٢، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
١٧. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، ط ١، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت لـ الكويت، ٢٠٠٣ م.
١٨. في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم محمود خليل، ط ٢، دار المسيرة للنشر

- والتوزيع والطباعة، عمّان - الأردن، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٩. قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، د. محمد محمد يونس علي، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت || لبنان، ٢٠١٣م.
٢٠. قضايا اللغة العربيّة في اللسانيّات الوظيفيّة، بنية الخطاب من الجملة إلى النصّ، د. أحمد المتوكّل، د ط، دار الامان للنشر والتوزيع، الرباط، د ت.
٢١. لسانيّات النصّ عرض تأسيسيّ، كريستين آدمتيسك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، ط ١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٢٢. لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.
٢٣. مدخل إلى علم اللغة النصّيّ، فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، ترجمة: صالح شبيب العجميّ، د ط، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٤. مدخل إلى علم النصّ، مشكلات بناء النصّ، زيتسيسلاف اورزنيك، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، ط ١، مؤسّسة المختار للطبع والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٥. المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النصّ وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة، د. نعمان بوقرة، ط ١، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالميّ، عمّان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
٢٦. معاني النحو، د. فاضل صالح السّامرائي، ط ٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، ١٤٢٠هـ || ٢٠٠٠م.
٢٧. المعايير النصّيّة في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣٢هـ || ٢٠١١م.

٢٨. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، حققه  
وقدّم له وفهرسه: د. عبد الحميد هندراوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت  
- لبنان، ١٤٢٠ | ٢٠٠٠م.
٢٩. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، ط ١، مكتبة  
زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.
٣٠. نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، د. عثمان حسين أبو زنيد، ط ١،  
عالم الكتب الحديثة، إربد، ٢٠١٠م.
٣١. النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس  
حسن، ط ١، مكتبة المحمّدي، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣٢. نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ط ١، المركز  
الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
٣٣. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراندي، ترجمة: د. تمام حسان،  
ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٤. النص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد، تقديم: د.  
صلاح رزق، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٣٥. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، ط ١،  
الشركة المصرية العالمية للنشر | لونجمان، الجيزة - مصر، ومكتبة لبنان  
ناشرون، بيروت | لبنان، ١٩٩٧م.
٣٦. نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص الشري، د. حسام أحمد فرج،  
تقديم: د. سليمان العطار، ود. محمود فهمي حجازي، ط ١، مكتبة الآداب،  
القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٧. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٨. نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) جمع أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي، (ت: ٤٠٦هـ) ضبط نصّه وابتكر فهارسه، د. صبحي الصالح، ط/٤، الناشر: دار الكتاب المصري - القاهرة، ودار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- الرسائل الجامعية

١. الاتساق في الصحيفة السجادية، دراسة في ضوء لسانيات النصّ، حيدر فاضل العزاوي (رسالة ماجستير)، مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

- البحوث المنشورة

١. نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج ١٠، العدد ١ و ٢، يوليو ١٩٩١م.

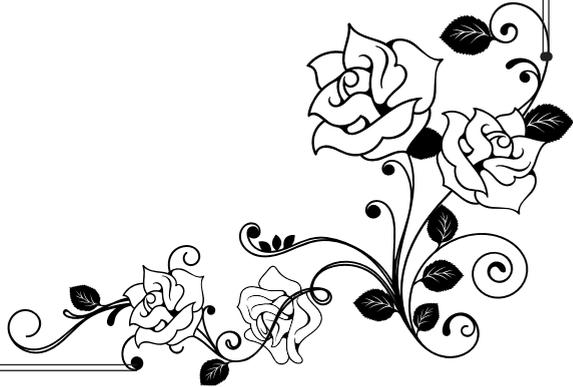
# المكونات الإعلامية وأثرها في ابعاد الخطاب

دراسة لسانية في عهد الإمام علي (عليه السلام) (ملاك  
الاشتر) (رضي الله عنه)

د. حامد بدر عبد الحسين

م.م: حسن رحيم حنون

جامعة بابل / كلية الدراسات القرآنية





## المخلص:

تعد الإعلامية إحدى معايير لسانيات النصّ التي وضعها العالم اللغوي اللساني (روبرت دي بوجراند)، ويستعملها علماء اللسانيات في مباحث التداولية، والحجاج، فالإعلامية تشارك في الكشف عن ابعاد الخطاب وموضوعاته، فيعالج هذا المعيار بمكونات البلاغة لما لها من وظيفة تداولية تهتمّ بالمقاصد الفكرية والعاطفية وما يتفرع عنها، وعلاقة هذه المقاصد بأجناس الخطاب وتكوينه، فالبلاغة تنقل المتلقي من أسلوب إلى أسلوب وهذا يكون أحسن، تطرية لنشاط السامع، وأيقاظا للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وللإعلامية مكونات أخرى لها دلالة عميقة كالحذف والرتبة والقرينة والمطابقة ودلالة المشتقات والصيغ الصرفية والصوت و الأساليب اللغوية، وغيرها من تراكيب اللغة وظواهرها الفاعلة في إنتاجية النصّ المؤثر، فهي تهتم بخطاب النص وتكشف عن بنيته العميقة ثم تفسر مكوناته، فهي تبين مقاصد المتكلم ومدى تأثيرها على المتلقي وعلى هذا الأساس تسعى هذه الدراسة لبيان احد معايير اللسانيات الحديثة في عهد الإمام علي (عليه السلام) مالمك الأشتر (رضي الله عنه)، لأنه يحتوي على لغة سامية ذات بنية زاخرة بالوان مكونات الإعلامية.

الكلمات المفتاحية: - اللسانيات - الإعلامية - الخطاب - النص - المتكلم || المتلقي -

## المقدمة

تعني الإعلامية: مدى التوقع الذي تحظى به أحداث الخطاب في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول، ومن المظاهر التي تسهم في ارتفاع مستوى الكفاءة الإعلامية في الخطاب لدى العلماء العرب القدامى هو اتساع المعنى، إذ يعرفه (ابن رشيق، ت ٤٦٣ هـ)، بقوله: (( أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى؛ وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى)) (١)، وسبب ارتفاع مستوى الكفاءة الإعلامية لهذه النصوص التي يتسع فيها المعنى هو كثرة الاحتمالات للمعنى واللفظ.

وللإعلامية مظهر آخر ذكره (الجرجاني، ت ٤٧١ هـ) في فصل (معنى المعنى)، إذ يقول: ((وإذ قد عرفت هذه الجملة، فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: (المعنى)، و(معنى المعنى) تعني بالمعنى المفهوم من ظاهرة اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة و(بمعنى المعنى)، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر)) (٢)، ويفهم من هذا القول إن للنص بنية ظاهرة والبحث فيه يخلق معنى آخر جديد بالاعتماد على قرائن وأساليب، ولذلك يرى: عز الدين إسماعيل ((إن معنى المعنى هو تعقد شبكة من العلاقات المتبادلة بين عدد من العناصر اللغوية وغير اللغوية، وإن تحققه - من ثم - فضلاً عن إدراكه يقتضي تآزر الأدوار التي تؤديها هذه العناصر من أجل أن تلتقي جميعاً في ذلك الموقع المركزي منها)) (٣).

ويعدّ معيار الإعلامية مهماً جداً في تحفيز التواصل بين النصّ والمتلقي، وجعله أكثر تشويقاً، ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك وإلى الملل، بل إلى رفض النصّ في بعض الأحيان (٤)، لذا يعدّ مدى التوقع الذي تحظى

به وقائع النصّ المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم مقابل المجهول وسائل تبعد الملل عن القارئ وخاصة عندما يتلقى مستعملو النصّ نصّاً يرونه خارج المتوقع والمحتمل و خارج الاعتياد اللغويّ عندهم، فكلما زاد عدد البدائل الممكنة في نصّ ما ارتفعت القيمة الإعلامية لاستعمال أيّ منها (٥)، لذا تعمل على الارتقاء بالنصّ إلى المستوى الذي تتفاعل فيه اللغة والعقل والمجتمع بصورة فعالة ومعبرة (٦)، وقسم البحث على:

المبحث الأول: المكونات التركيبية (الأفعال الاعلانية، الأبنية السطحية للتركيب، الأبنية العميقة للتركيب، أبنية المطابقة).

المبحث الثاني: المكونات التصويرية (الكناية، المجاز، الاستعارة، البديع)

الخاتمة، قائمة المصادر.

## المبحث الأول

### المكونات التركيبية

تحتوي الإعلامية على مجموعة من الظواهر التركيبية التي تكشف عن المعاني المبتغاة من النص، لذلك تشكل هذه المكونات احد الجوانب الأساسية لكفاءة النص اللغوي وتعبيراته عن مقاصد الخطاب.

#### أولاً: الأفعال الاعلانية.

تعد هذه الأفعال احدى تقسيمات (اوستن) لأفعال الكلام، فيطابق محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أديت أنا فعل تعيينك رئيساً للوفد أداءً ناجحاً فأنت رئيس الوفد، وإذا أديتُ فعل إعلان الحرب أداءً ناجحاً، فالحرب معلنة، فهي تحدث تغييراً في الوضع القائم (٧).

نجد هذه الأفعال الاعلانية التداولية في قول امير المؤمنين (عليه السلام) (( هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الاشر في عهده إليه، حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، عمارة بلادها)).

إن المتكلم الذي ينتج الخطاب ينجز نشاطاً خاصاً، أي ممارسة لغوية أو قصداً أو هدفاً اجتماعياً، فقد ينتج المتكلم خطاباً ليلبغ السامع معلومات معينة، وليحفز السامع على عمل فعل، أو ليشجعه على انجاز نشاط، أو ليقنع السامع، أو ليضع لديه احاسيس جمالية معينة (٨)، ففي هذا الكلام المبارك من الإمام (عليه السلام) إلى مالك الاشر (رضي الله عنه) يتضمن الكثير من المؤثرات الإعلامية التي تشد ذهن المتلقي للخطاب، فالفعل (أمر) مركز الخطاب الذي استندت عليه الأوامر الأخرى فهو يكشف عن الأمور الآتية:

الصحابي الجليل مالك الأشتر مؤهل لقيادة مصر فالإمام (عليه السلام) لديه معرفة سابقة بقدراته الإدارية والعسكرية ووافق من عدالته لأهل مصر فهو من ابرز أصحاب الإمام (عليه السلام)، وبهذه الأوامر وهذا العهد اصبح مالك الاشر مكلّف شرعيًا من خليفة المسلمين ليكون واليًا على مصر.

وهذا الخطاب أمر من الخليفة ووصي الرسول ﷺ لكافة المسلمين أن يلتزموا بهذه الأوامر؛ لأن كلام الإمام المعصوم من بعد كلام الله والرسول وبذلك لا يختلف عنهما (القرآن الكريم والحديث الشريف) بالاطار العام لكن بالمضامين اكثر توسعا.

### ثانياً : التراكيب السطحية .

يتكون النص من تراكيب سطحية وأخرى عميقة، فالسطحية تتضمن مجموعة من الوسائل الظاهرة للمتلقي كالتكرار والحذف والتضاد والترادف والاشترك والربط، فالتراكيب السطحية ذو طبيعة أفقية شكلية، يُعنى بالتتابع والترابط الجُملي للنصّ، والإجراءات المستعملة في توافر الترابط بين عناصره الظاهرة، فهي تؤديّ إلى الربط بين اللبني النصّية (٩).

١ . التكرار: يعد التكرار من التشكيلات الإعلامية المؤثرة في المتلقي، فقد عرفه (السليجاسي، ت٤٧٠ هـ) ((إعادة اللفظ بالعدد، وعلى الإطلاق المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعداً، خشية تناسي الأوّل، لطول العهد به في القول)) (١٠). وللمحدثين تعريفات للتكرار يمكن أن نلاحظ في ضوءها البعد الإعلامي منهم تمام حسان: ((و للتكرار أكثر من صورة فقد يكون تكراراً للفظ، وقد يكون تكراراً للمعنى، كما قد يكون التكرار لمطلع الجملة لأداء غرض أسلوبى ما والتكرار إنّما يكون للتذكير أو للتعرف الذي كان غرض الأدوات)) (١١)، بينما وصفه الازهر الزناد بالإحالة ((وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة، يتمثل في تكرار

لفظ، أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص، قصد التأكيد، وهو إجابة تكرارية)) (١٢)، وللتكرار أنواع كثيرة عند المحدثين وسنكتفي بذكر نوعين:

- التكرار المحض أو التام: ويقصد به تكرار الكلمة نفسها (١٣) ونجد هذا النوع في اقوال الإمام علي (عليه السلام) (( وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء، إلا ما رحم الله)).

قال الإمام (عليه السلام) في موضع آخر (( وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت ))، ثم قال (عليه السلام) (( لا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يد لك بنقمته ولا غنى بك من عفوه ورحمته)).

إبانة هذه الأقوال المباركة عن تكرار اللفظ العام (النفس) بسياقات متنوعة ففي القول الأول إبانة عن أمر الإمام (عليه السلام) لمالك بان يكفي نفسه عن الشهوات عند منازعة النفس له، والثاني و شح بنفسك) عما لا يحل لك: الشح: البخل، و المراد: لا تسمح لها بالاسترسال في المحرمات، فإن الشح بالنفس الأنصاف: العدل، منها فيما أحببت: من الرذائل، أو كرهت: من الفضائل، و المراد: أخذها على طريق الاستقامة والسداد، والثالث (لا تنصبن نفسك لحر الله) في مقام الظلم للعباد والمعنى لا تنصبن نفسك بالحرب لعباده، وإدخال الأذى عليهم، فإنه لا يدي لك: لا طاقة لك بدفعها.

نلاحظ قد عبرت النفس عن معاني متنوعة بتداخلها مع السياقات، فهذه المركبات تعد ذات اعلامية عالية التأثير في المتلقي فيقف في كل مرة إمام تعبیر جديد.

- التكرار المترادف: فهو تكرار المحتوى بوساطة تعبيرات مختلفة، ويعمد إليه المتكلم لخلق حركة بين عناصر الخطاب فلا تتكرر الأسماء بذات الصيغ ولكن بصيغ مماثلة نحوياً ومغايرة شكلاً، ويسمى أيضاً بالتكرار غير الصريح، أو

التكرار بالمعنى، فهو دلالة عدة كلمات مختلفة، ومنفردة على المسمى الواحد، أو المعنى الواحد دلالة واحدة<sup>(١٤)</sup>.

قال الإمام علي (عليه السلام) ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتم أكلهم، فأنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق))، يتضمن هذا القول المبارك معاني سامية ذات البعد الإنساني الذي لا يفرق بين الدين أو العرق أو اللون، فالإنسانية هي الرابط المشترك بين الناس، ف(الشعار): الثوب الذي يلي البدن، والمراد: عاملهم بمتهى الرحمة و المودّة، واللفظ بهم: أرأف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً: المولع بأكل اللحم والمراد: لا تشتد وتتمر عليهم، فالشراء اللغوي الذي تضمنه قول الإمام (عليه السلام) يدل على عنايته بالمتلقي لذا نجد كل الالفاظ المتنوعة اشتركت بدلالة واحدة وهي الرحمة والرفق وعدم ظلم العباد.

٢. التضمّام ((الارتباط المعتاد لكلمة في اللغة بكلمات أخرى معينة في الجمل))<sup>(١٥)</sup>، وهذا الارتباط يعتاد مستعمل اللغة وقوعه في استعماله اليومي المستمر للغة، إذ يمكنه أن يتوقع ورود كلمة معينة في النصّ عبر ذكر كلمة أخرى فيه<sup>(١٦)</sup>، وعرفه (أولمان) بأنها: ((الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة بكلمات أخرى معينة وهذه العلاقة الرابطة بين زوج من الألفاظ متعدّدة جدّاً))<sup>(١٧)</sup>، وعرفه (محمد خطابي) بأنها ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بهذه العلاقة أو تلك))<sup>(١٨)</sup>، إذ هناك ((أزواج من الكلمات متصاحبة دوماً، بمعنى إذا ذكر أحدها يستدعي ذكر الآخر ومن ثم يظهران دوماً معاً))<sup>(١٩)</sup>، ونكتفي ببعض علاقات التضمّام.

- التضادّ بأنواعه المختلفة يعني الجمع بين كلمتين متضادّين تماماً<sup>(٢٠)</sup>، ومن ذلك

قوله (عليه السلام): (( وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله و تعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين و هو للظالمين بالمرصاد))، نجد التضاد بين لفظتا (المضطهدين و الظالمين)، فإن النعمة ستسلب و سيسرع العقاب، و ذكر أحد المتضادين يدعونا إلى أن نستدعي ذكر الأخرى، فالضد أكثر حضوراً في البال عند ذكر ضده فالتضاد الموجود يوسع للمتلقى زاوية النظر بين المتضادات فالجمع بين وحدتين متقابلتين يمتاز بالتعبيرية و القدرة على الإيحاء و إثارة الانفعال و تمثيل التباين السطحي و العميق في الصورة و الحدث، فإن استحضار المسمى و مقابله من أهم الوسائل اللغوية الأسلوبية لنقل الإحساس بالمعنى و الفكرة، و الموقف نقلاً صادقاً<sup>(٢١)</sup>.

- علاقة الأجزاء بعضها مع بعض الآخر، و من ذلك قوله (عليه السلام): (( وأن ينصر الله سبحانه بقلبه و يده و لسانه؛ فإن، جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، و إعزاز من أعزه))، ان التناسق بين هذه الالفاظ يشكل روعة جمالية تؤثر في المتلقي فضلاً عن سهولة فهم المتلقي لهذا القول و لم يحتج النص إلى سياقات أخرى لفهمه و إدراك مغزاه لو ضوح دلالة الألفاظ و علاقتها المباشرة بالإنسان؛ لأنها جزءاً منه.

٣. الربط: يقوم ((بإنشاء علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة أو ضمير بارزٍ عائد، و تلجأ العربية إلى الربط إما لأمن اللبس في فهم الانفصال بين المعنيين، و إما لأمن اللبس في فهم الارتباط بين المعنيين، فالربط هو الحلقة الوسطى بين الارتباط و الانفصال))<sup>(٢٢)</sup>، و للربط انواع كثيرة نذكر منها:

- الربط الإضافي: إضافة معنى التالي إلى السابق، و قد أطلق عليه الدكتور (تمام حسان) (الربط الجمعي)<sup>(٢٣)</sup>، فالربط بهذا المفهوم تطرق إليه (الجرجاني) في أثناء

حديثه عن العطف، قائلاً: ((ولا يكون العطف في الكلام حتى يكون المعطوف والمعطوف عليه مجموعاً برابط يجعل من ضمهما أمراً مُمكنًا))<sup>(٢٤)</sup>، وتمثله الأدوات (الواو، أو) والتعبيرات (بالمثل، وأعني، وكذلك، وفضلاً عن ذلك وبالإضافة إلى ذلك ومثلاً ونحو)<sup>(٢٥)</sup> ف(الواو) تفيد معنى التشريك، و(أو) تعطي معنى البديل<sup>(٢٦)</sup>.

قال الإمام علي (عليه السلام) ((أنصف الله و أنصف الناس من نفسك، و من خاصّة أهلك، و من لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم و من ظلم عبادة الله كان الله خصمه دون عباده، و من خاصمه الله أدحض حجته، و كان الله حرباً حتى ينزع أو يتوب)).

يتضح الاتصال بين هذه الجمل بسبب وجود (الواو) التي تربط بينهما، فالعطف خلق توافقاً دلاليًا في المعنى، ثم أن الربط له دور رئيس في إفهام متلقيه عبر تشابك التسلسل الكلامي واللغوي، فيربط بين معاني الكلمات المتجاورة وكذلك الجمل المتجاورة ويكون حسنًا ذلك الربط إذا كانت الكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحمًا سليماً، فالربط يحدد الأجزاء المراد تحليلها، من أجل أعادته بناء مكونات الخطاب<sup>(٢٧)</sup>.

- الربط الاستدراكي: يعني تعقيب الكلام بنفي ما توهم منه ثبوته، أو إثبات ما يتوهم منه نفيه<sup>(٢٨)</sup> ويستعمل اللسانيون النصيون مصطلح وصل النقيض حيث تكون العلاقة بين الأشياء متنافرة أو متعارضة في عالم النصّ، ويتمثل بالأداة (لكن، بل)، فالمعنى الأساسي لعلاقة الاستدراك هو عكس التوقع<sup>(٢٩)</sup>.

قال الإمام علي (عليه السلام) ((إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدنى لنعمة، ولا أعظم لتبعية، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة... والله سبحانه

مبتدئ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تُقَوِّينَ سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قودَ البدن))، نجد في هذه الوصايا توافر أداة الربط بين الجملتين وهي (لكن) التي أدت إلى الربط عن طريق ربط الجملتين ومخالفة معنى الجملة الثانية من الجملة الأولى كما في مخالفة (مما يضعفه ويوهنه) والمراد به اضعاف سلطانك في حال مخالفة هذه الوصايا، ثم جاء الاستدراك بـ(بل يزيله وينقله)، فكشف الخطاب عن مكون اعلامي ذات دلالة وهو التوكيد على إزالة الحكم إذ سفكت دماء الناس، فهذه الأدوات يترابط الخطاب بين الجمل ويرتبط ترتيبها بطبيعة النص من حيث شكله وموضوعه، فالعطف يجمع عددا من الجمل على مستوى في نسق متزامن.

### ثالثا : التراكيب العميقة .

١ . تراكيب الاجمال والتفصيل : هذه العلاقة شديدة الصلة بالبنية العميقة؛ لأن التفصيل يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله<sup>(٣٠)</sup>، نحو قوله (عليه السلام) (( ولا تنقض سنة سالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها والوزر بما نقضت منها))، ابتداءً قول الامام (عليه السلام) بقول مجمل (ولا تنقض سنة سالحة)، ثم فصل القول بالسنة الصالحة (عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت عليها الألفة، وصلحت عليها الرعية)، فعلاقة الإجمال والتفصيل عملت على توضيح ما غمض من معانيه وتؤكد وظيفتها من تلاحم العناصر المتباعدة للنص وضمان ارتباطها ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في الأجزاء اللاحقة منه وهذا كله مكون إعلامي مؤثر في

توضيح الخطاب لمتلقيه<sup>(٣١)</sup>.

٢. ترايب العموم والخصوص: في بعض النصوص ترد ألفاظ وقضايا عامة تنمو بتتابع النصّ وتتلاحم فيما بينها مما يعطي النصّ حيوية تجعله في حالة تفاعل وتأثير، فالخطاب قام بين لفظ عام وآخر خاص أو محدد وهذا يخلق نصّاً دلاليّاً<sup>(٣٢)</sup>، مع الكشف عن المضمون الرابط بين العلاقة، والثعالبي أطلق على هذا النوع (الكليات) ومثل له بلفظ (كل) وما تضاف إليه<sup>(٣٣)</sup>.

قال الإمام علي (عليه السلام) ((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتزاً، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فغن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قيدٍ استرعت حقه؛ فلا يشغلنك عنهم بطرّاً))، ورد في هذه العهد المبارك اللفاظ تدل على العموم ك(من): فهي مبهمة وعبارة عن ذات من يعقل، وتحتل الخصوص والعموم، فتضمن هذا اللفظ العام (المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى)،

٣. الترايب الترتيبية: انتظام الجمل في النصّ دليل على تماسك الخطاب الذي خلقه النص، ثم الروابط المكونة لذلك النص تنسج الخيوط التي يتوصل بها الفكر لتنظيم عناصر عالم الخطاب<sup>(٣٤)</sup>، فالأدلة اللغوية في النصّ تؤدي إلى التعبير عن المفاهيم مثل الأشياء أو الأحداث وهذا يخلق ترابطاً بين العبارات المتتالية<sup>(٣٥)</sup>.

قال الإمام علي (عليه السلام) ((واعلم أن الرعية طبقات بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله ومنها كُتّابُ العامة والخاصة ومنها

قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجارة وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمي الله له سمه))، جاء الترتيب في هذا القول المبارك وفقاً لرؤية صائبة من بيت الوحي والرسالة ومن ولي الله ووصي الرسول الأعظم وخليفة المسلمين، إذًا هذا الرؤية شاملة لأصناف الدولة وطبقات المجتمع ففي كل طبقة يضع الامام (عليه السلام) شروطاً لها ويبين ما تحتاجه من مقومات النهوض بها.

فالإعلامية كشفت لقارئ هذا الخطاب الترتيب والتصنيف الناتج عن حكمة وادراك واسع لإدارة الدولة والتشخيص الصحيح لمعالجة كل ضعف في طبقات المجتمع فإنه خطاباً شاملاً يراعي فيه الإمام (عليه السلام) أصناف المتلقين.

#### ٤. التراكيب الاستقصائية (الإضافة): تخلق هذه التراكيب إعلامية مبتغاها

الوصول إلى المعنى المنشود من الخطاب مثلاً: أن المادح لا يدع شيئاً إلا وقد ذكره مبالغة أو احتراًساً من التقصير<sup>(٣٦)</sup>، فتؤدي هذه العلاقة إلى حصول معنى جديد في كل جملة حيث يمثل فصلاً تكونه جملة مشاهد متكامل لتعطي نسقاً للخطاب<sup>(٣٧)</sup>، وتتضمن بنيات متوازية سواء لمشارك واحد أم لأكثر من مشارك و-المشارك- هو فاعل الحدث في المتواليات الجمالية في علاقة الإضافة<sup>(٣٨)</sup>.

قال الإمام علي (عليه السلام): (( فالجنودُ، بإذن الله، حُصونُ الرعية، وزينُ الولاية، وعزُّ الدين، وسبلُ الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، قم لا قيام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يَقَوُّونَ به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكونُ من وراء حاجتهم))، فالإمام (عليه السلام) يذكر الجنود ثم يستمر خطابه بذكر جمل المدح لهم فيجد المتلقي نفسه إمام تراكيب إعلامية عميقة المعنى في كل جملة حتى يصل الخطاب إلى المعنى الكلي هو (وليس تقوم الرعية إلا بهم) نستشف

من هذا الخطاب إن الإمام (عليه السلام) يعد المؤسسة العسكرية إحدى أركان الدولة إذ بها تحفظ الشعوب كرامته واستقرارها.

#### رابعاً: أبنية المطابقة

للمطابقة تأثيراً في تشكيل مكونات الإعلامية التي تتوزع بين أبنية الخطاب، وأجزائه المتصلة بروابط تساعد على خلق معانٍ جديدة في كل مراحل الخطاب، فالمطابقة، مجموعة من العناصر اللغوية التي تؤدي وظائف متماثلة أو متشابهة، أو تدل على معانٍ نحوية، كالأعراب، والعدد من أفراد وتثنية وجمع، وكالتنكير والتعريف، وكالجنس من تذكير وتأنيث، وكالشخص من تكلم وخطاب وغيبة.

- المطابقة بضمير الشأن، ويؤتي لتعظيم الأمر وتفخيم الشأن ومن ذلك قوله: (عليه السلام) ((وليس شيءٌ أَدعى إلى تغييرِ نعمهِ اللهُ وتعجيلِ نعمتهِ من إقامةٍ على ظلمٍ، فإن الله سميعٌ دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد))، طابق ضمير الشأن (هو) لفظ الله جل جلاله ومطابقاً له في التذكير والافراد.

- المطابقة بين الضمير المتصل ومرجعه بالجمع، كقوله (عليه السلام): ((فولَّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيئاً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويبنوا على الأقوياء))، فالضمائر في اللفاظ (أنصحهم، أنقاهم، أفضلهم) تطابق المرجع (جنودك) في التذكير والجمع.

- المطابقة بين الضمير المتصل ومرجعه بالأفراد، كقوله: (عليه السلام) ((إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يُنزل كل جبارٍ، ويهين كل محتالٍ))، مطابقة بين الضمير في اللفظ (عظمته، به، جبروته) مع لفظ الجلالة (الله).

- إذاً المطابقة بين الاسم المحال والمحال إليه، تخلق ترابطاً بين أجزاء الخطاب،

فالشخص يميز بالضمائر بين التكلم والخطاب والغيبة والعدد ويميز بين الاسم والاسم والصفة، وعلى هذا المعنى يشكل تأثيراً على ابعاد الخطاب.

### المبحث الثاني: المكونات التصويرية.

#### أولاً: المجاز.

يشكل المجاز اهم مكونات الإعلامية؛ لأنه يشمل على أساليب التعبير الغير المباشر الذي يكون في معظم الأحيان أوقع في النفوس وأكثر تأثيراً من التعبير المباشر، فينتج استعمال المجاز للمتكلم ابتكار معاني جديدة وصور بديعية، فهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، والعلاقة هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي<sup>(٣٩)</sup> فهو ينتقل بذهن السامع إلى آفاق جديدة ذات أبعاد جديدة والتخطي معه إلى صور رائعة ومشاهد متناسقة لا تتأتى بالاستعمال الحقيقي ويحمل إعلامية تصوّر حيوية النصّ في ضوء انفتاحه للمتلقي، مما يديم العملية الوظيفية التفاعلية بين المتلقي وبين النصّ، وخلق نوع من التقارب بينهما<sup>(٤٠)</sup>.

١. الاستعارة: وهي ((استعمال لفظٍ ما في غير وُضع له في اصطلاح به التخاطب، لعلاقة المشابه، مع قرينة صارفةٍ عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التخاطب))<sup>(٤١)</sup>، ومن ذلك قوله (عليه السلام): ((ثمَّ اللهُ اللهُ في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا، واحفظ ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من علات صوافي الإسلام في كل بلد)).

البؤسى: بضم أوله - شدة الفقر.

الزمنى: بفتح أوله - جمع زمين وهو المصاب بالزمانة || بفتح الزاي - أي العاهة ويريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الأسباب.

القانع: السائل.

المعتر: بتشديد الراء - المتعرض للعطاء بلا سؤال

غلات: ثمرات.

صوافي الإسلام - جمع صافية - وهي أرض الغنيمة

استعار الإمام (عليه السلام) هذه الكلمات وأراد بها معاني أخرى، إذ صرح بها بذات اللفظ المستعار.

وفي الاستعارة المكنية، التي لم يصرح المتكلم باللفظ المستعار، وإنما ذكّر فيها شيئاً من صفاته أو لوازمه القريبة أو البعيدة (٤٢)، كقول الإمام (عليه السلام): ((وأوقفهم في الشبهات، واخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشُّفِ الأمور، واصرمعهم عن اتضاح الحكم))، استعار الإمام (عليه السلام) كلمة (الشبهات) وأراد بها: ما لا يتضح الحكم فيه بالنص، وفيها ينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة على أصل الصحيح، وهذا فيه تعبير عن تشريع القوانين في المحاكم، استعار كلمة (تبرماً) والمعنى أن تكون أقلهم مللاً وضجراً، واستعمل (اصرمعهم) والمعنى أقطعهم للخصومة وامضاهم، فأبانت الاستعارة عن أصدق تعبير تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه وتصور المنظر للعين وتنقل الصوت الأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محسوساً هذه المعنى حقيقة الإعلامية في النص<sup>(٤٣)</sup>، فالاستعارة مكون إعلامي مؤثر يرسم البعد الخطابي لقصد المتكلم، لما فيها من استثارة لإعجاب المتلقي وتملك انتباهه وتؤثر فيه، ولا سيما حينما

تكون استعارة غريبة غير متداولة ولا يتنبه لاصطيادها إلا فطناء البلغاء، فنجد عهد الإمام (عليه السلام) لمالك (رضي الله عنه) خطاب لكافة طبقات الناس ويفهمه كل المتلقين.

٢. المجاز المرسل: هو الذي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي استعمل اللفظ للدلالة به عليه أمرًا غير المتشابه<sup>(٤٤)</sup>

قال الإمام (عليه السلام) ((واعلم - مع ذلك - أن في كثير منهم ضيقًا فاحشًا وشحا قبيحًا، واحتكارًا للمنافع وتحكمًا في المبيعات، وذلك باب مضرّة للعامة))، فالاحتكار للبضائع والمبيعات وحرمان الناس منها الا بمبالغ كبيرة، هذا سيولد مضار للدولة ولعامة الناس، وهذا إطلاق المسبب وإرادة السبب، وفائدة هذا المجاز الدلالة على المعنيين مع كمال الإيجاز.

ويتضمن كلام الإمام (عليه السلام) كثير الكثير من المجاز ومن ذلك ((أنصف الله وأنصف الناس...، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خصمه الله ادحض حجة، وكان الله حربًا ينزع أو يتوب))، (من ظلم عباد الله) مجاز مرسل، علاقته العموم، فان المراد من منه هو مالك (رضي الله عنه). ووجدنا الصيغة الخبرية المسوقة للدلالة بها على إنشاء الأمر أو النهي، ومن ذلك قوله (عليه السلام): ((ولا تدخلن في مشورتك بخيالاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جبانًا يضعفك عن الأمور، ولا حريصًا يزين لك الشرّة بالجور، فإن البخل والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الضن بالله))، فالصيغة موضوعة للنفي الخبري وقد استعملت في النهي عن هذه الأمور مجازًا، والعلاقة المسببية لأن حصول النفي في الواقع مسبب عن البخل والحرص سوء الضن، لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لأخباره بما تتضمنه، فظاهره أمر، ومعناه خبر.

## ثانياً: الكناية.

((ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره، وهي: مصدر كنيت، أو كنوت بكذا، عن كذا، إذا تركت التصريح به، واصطلاحاً: لفظ أريد به غيرُ معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى))<sup>(٤٥)</sup>

قال الإمام (عليه السلام): ((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتهادى في الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه))، في هذا القول المبارك جاءت الكناية عن موصوف، إذ ذكر الإمام (عليه السلام) صفات رجل القضاء منها لا يكون ماحقاً لجوجاً - أصر على رأيه - ولا يستمر ويسترسل بالزلة، ولا يعيا في المنطق، وعليه الرجوع إلى الحق، فالكناية احدثت ترابط بين الألفاظ والكلمات التي تدل على تصورات وتحكمها علاقات القرابة ثم تؤثر في مجالات الوعي البشري وتشكل إعلامية الخطاب في توسع الدائرة الوجدانية للمتلقي الذي يستطيع استشفافها من خلال السياق الفني<sup>(٤٦)</sup>.

## ثالثاً: التعريض:

((أعراض الكلام ومعارضه ومعارضه، كلام غير ظاهر الدلالة على المراد))<sup>(٤٧)</sup>، وفي التعريض مزيد من إخفاء يجعله أكثر قبولاً حينما يكون التصريح مثيراً لغضب، أو نقد، أو اتهام أو عدلٍ وتلويم، أو يكشف أمراً يجب ستره عن الرُّقباء، فيقوم التعريض مقام الألباز والرمز الخفي<sup>(٤٨)</sup>.

قال الإمام (عليه السلام): ((ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محابة وأثرة فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً،

وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً)).

في هذا القول المبارك تعريض لاختيار الموظفين لتولي مناصب الدولة وقدد وضع الإمام (عليه السلام) معايير لاختيارهم، ثم إشار الإمام (عليه السلام) إلى الاختيار من أهل البيوت الصالحة والقدم في الإسلام، فهذه إشارة لكل القادة عليهم التحقق من اختيار الموظف لمنصب ما، فالنظر في دينه وأخلاقه وأصله مهم،

#### رابعاً: التشبيه.

((عقد مماثلة بين أمرين، أو: أكثر، قصد اشتراكهما في صفة: أو: أكثر، بأداة: لغرض يقصد المتكلم للعلم))<sup>(٤٩)</sup>، و للتشبيه (( روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة: وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفاً ونُبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي مُتَشَعِب الأطراف مُتَوَعِر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدوى))<sup>(٥٠)</sup>.

قال الإمام علي (عليه السلام): (( وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق))، يحمل قول الإمام (عليه السلام) صورة بليغة تشبيهية متمثل بالسبع الضاري الذي يغتنم أكلهم، فشبه الإمام (عليه السلام) القائد الذي ينتهز الفرص للانقضاض على رعية وسلب حقهم بأنه سبعا ضارياً،

التشبيه يعد مكون إعلامي يبين عن بعد خطابي هو (( يزيد المعنى ووضوحاً، ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحدٌ عنه))<sup>(٥١)</sup>، فالصور التشبيهية ذات جمال يُرضي أذواق المتلقين ويمتعهم، ويقدم لهم لوحات

جمالية مختلفة، تؤثر في النفوس وتعبّر عن مراد المتكلم<sup>(٥٢)</sup>

قال الإمام (عليه السلام): (( ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، وجباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يُزين لك الشره بالجور، فإن البخل والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الضن بالله)).

شبه الإمام (عليه السلام) المستشار البخيل بأنه يعدل القائد عن الإحسان بالبدل ويخوفك لو بذلت، وشبه المستشار الجبان بأنه يزين لك الحرص، ثم شبه البخل والحرص طبائع متفرقة. فهذا التشبيه مؤكد مفصل ذكر فيه وجه الشبه ولم تذكر فيه أداة التشبيه،

فالأنواع السابقة للتشبيه ابانة عن شحذ ذهن المتلقي وتحريك طاقاته الفكرية، أو استرضاء ذكائه، لتوجيه عناية، حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكير، وتقديم أفكار جديدة ودقيقة وهي مما يحتاج بيانه عن طريق التشبيه كلاماً كثيراً بأخصر عبارة، وهنا يكمن جوهر الإعلامية الفعالة ذات الكفاءة الإنتاجية العالية المؤثرة في تشكيل ابعاد الخطاب<sup>(٥٣)</sup>.

### خامساً: البديع.

علم يعرف به الوجوه كتحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميته وتحسين الكلام والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتسكوه بهاءً، ورونقاً، بعد مطابقتها لمقتضى الحال مع وضوح دلالاته على المراد لفظاً ومعنى<sup>(٥٤)</sup>، ويتضمن عهد الإمام (عليه السلام) الكثير من المحسنات البديعية، منها المعنوية كالآتي:

١. التورية: إن يذكر المتكلم في النص، أحدهم ظاهر قريبٌ يتبادر إلى الذهن وهو غير مراد والآخر بعيد فيه نوع خفاءٍ وهو المعنى المراد، يُورَى عنه بالمعنى القريب ليسبق الذهن إليه ويتوهمه قبل التأمل، وبعد التأمل يتنبه المتلقي فيدرك المعنى

الآخر المراد<sup>(٥٥)</sup>.

قال الإمام (عليه السلام): (( والصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على ألا يُطروك ولا يبجحوك بباطلٍ لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدثُ الزهو وتدني من العزة ))، نجد التورية في هذا القول المبارك تحمل معنيين، الأول: يمالك (رضي الله عنه) كون قريباً جداً من أهل الورع والصدق وعبر الإمام (عليه السلام) الفعل المتعدي لصق تعبيراً مبالغاً عن القرب من هؤلاء الناس، والمعنى الثاني، رغم انهم أهل ورع وصدق بمدحهم المبالغ لك وتعظيم عمل لم تفعله، فهذه الأمور تسبب لك العجب.

٢. الطباق: يعني الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، ومن ذلك قوله (عليه السلام): (( فلا تطولن احتجاجك عن رعيتهك... والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتاجوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل... وليست على الحق سماتٌ تعرف بها ضروبُ الصدق من الكذب ))، في هذا النص أمثلة من الطباق:

- المقابلة بين (فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير)، والمقابلة بين (ويقبح الحسن، ويحسن القبيح)، نلاحظ أن في كل من الجملتين طباقاً، وأن في الجملتين معاً مقابلة، فالصغير في الأولى يضاد الكبير، والعظيم يقابل في الثانية الصغير، وكذلك في القول النص الثاني، يقبح يضاد الحسن في الجملة الأولى، وفي الجملة الثانية، يحسن يقابل القبيح، وجاء هذا التقابل في الثانية على الترتيب الذي جاء في الأولى.

- الطباق بين (الحق، الباطل)

- الطباق بين (الصدق، الكذب).

فالعنصر الجمالي للطباق في الخطاب يشكل استدعاء بين الأفكار في الاذهان، فهي المقابلات أقرب تخاطراً إلى الأذهان المتلقي من المتشابهات، ويزيد على ذلك تشكل جانباً مهماً من مكونات الإعلامية.

٣. مراعاة النظرير: هي ((الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين، وأما بين أكثر، ويلحق بمراعاة النظرير، ما بني على المناسبة في "المعنى" بين طرفي الكلام يعني: ان يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى))<sup>(٥٦)</sup>

قال الإمام (عليه السلام): ((ولا تدفعنَّ صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضى، فإن في الصلح دعةً لجنودك، وراحة من همومك، وأمنًا لبلادك))، فابتدأ القول بالصلح، ثم استمر بالبدعة (راحة، أو سكينه، أو رغد عيش) الجنود وراحة من الهموم ثم جاءت الخاتمة بالأمن للبلاد كل ذلك لمناسبة لما ابتدأ به القول، إذ ترتب على الصلح باقي الفوائد التي وردت بعده،

٤. الاستخدام: ((ذكر لفظ مشترك بين معنيين، يراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير، أو إشارة، بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثنائيهما غير ما يراد بأولهما))<sup>(٥٧)</sup>، نحو قوله (عليه السلام): ((إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا اعظم لتبعة، وانقطاع مُدّة، من سفك الدماء بغير حقها))، ذكر الإمام (عليه السلام) في بداية القول المبارك تحذير وتنبه لسفك الدماء بغير حلّها، فاختم القول بجملة من سفك الدماء بغير حقها، فأحاله الضمير على الدماء، فسفك الدماء بغير حقها ينتج عنه زوال النعمة... الخ، فالاستخدام يؤدي إلى معنيين أحدهما، مجاز في القول، والآخر تقدير ذكاء المتلقي وارضائه، مما يشكل كفاءة إعلامية تسهم في بلورة خطاب ذات بعد دلالي<sup>(٥٨)</sup>، ثم نبحت في القسم الثاني المن المحسنات البديعية الأخرى (اللفظية) ومنها:

٣. الجناس: يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى<sup>(٥٩)</sup>، نحو قوله (عليه السلام): ((فلا تُقَوِّينَ سلطانك بسفكِ دمِ حرامٍ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه سلطانك، بل يزيله وينقله... وإن ابتليت بخطاءٍ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة))، نجد الجناس بين بين (يضعفه ويوهنه)، (يزيله وينقله)، (سوطك أو سيفك)، وهذا النوع من جناس القلب، وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف (اختلاف الكل).

٤. السجع: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وهو في النثر كالقافية في الشعر، من ذلك قوله (عليه السلام): ((واجعل لذوي الحاجات منك قسمًا تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسًا عامًا فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعدهم جندك وأعوانك، من أحرسك وشرطك))، نجد السجع المتوازي في قول الإمام (عليه السلام) المتمثل بـ(شخصك، خلقك) (جندك، أعوانك، أحرسك، شرطك)، وهو الذي تكون الكلمتان الأخيرتان من السجعتين متفتحتين في الوزن وفي الحرف الخير منهما مع وجود اختلافٍ ما قبلها.

٥. رد العجزُ على الصَّدر: ((عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالباً، أو معنوية نادرة، تحصل بها الملازمة والتلاحم بين كل كلام))<sup>(٦٠)</sup>، ومن ذلك قوله (عليه السلام): ((وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك))، وهذا النوع ما وفق آخر كلمة من الكلام بعض كلمات صدره.

٦. ائتلاف اللفظ مع المعنى: ((ألفاظ المعنى يلائم بعضها بعضاً ليس فيها لفظة

نافرة عن اخواتها، غير لائقة بمكانها، كلها موصوف بحسن الجوار))<sup>(٦١)</sup>.

قال الإمام علي (عليه السلام): (( ما أنتَ فيه من سلطانك أبهةً أو مخيلةً، فانظر إلى عظم ملكِ الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك،

فإن ذلك يُطامنُ إليك من طمأحك، ويكف عنك من غرابك، ويفي إليك بما  
عزب))

جاء في هذه النص تلاؤم بين اللفظ المختار والمعنى المراد به، فاختار  
الإمام (عليه السلام) لفظة (ابهة) وتدلل على العظمة والكبرياء ولفظة (مخيلة)  
التي تدل على الخيلاء والعجب، مناسبة لقوله (عليه السلام) انظر لملك الله،  
والمعنى كل التكبر والعظمة والخيلاء لا تساوي شيئاً إمام ملك الله العظيم، ثم  
استمر التناسق بين مفردات النصّ وصولاً إلى قوله قدرته منك على ما لا تقدر  
عليه ناسب لفظ (يطامن) ومعناه يخفض ذلك من طموحك إمام عظمة الخالق،  
وحاء بلفظة (ويفي)، (عزب) ومعناه يرجع إليك بما غاب عنك عقلك من  
ملك الله وقدرة سبحانه.

ولو تتبعنا ذلك لوجدنا هناك بعض الأمثلة المحتوية على ذلك إلا أننا اكتفينا  
في عرض هذه الأمثلة لبيان مدى مساهمتها في تماسك النصّ لفظياً ومعنوياً مع  
مساعدتها ببعض وسائل الاتساق الأخرى.

### خامساً: الأيجاز.

يعني التعبير عن المراد بكلامٍ قصيرٍ ناقصٍ عن الالفاظ التي يؤدي بها عادة في  
متعارف الناس، مع وفائه بالدلالة على المقصود<sup>(٦٢)</sup>، ومن ذلك:

١. ايجاز القصر: يعني إثبات الحكم للمذكور في الكلام ونفيه عما عداه، أو هو  
تخصيص أمرٍ بأمر، أو هو تخصيص شيءٍ بشيءٍ بعبارة كلامية تدل عليه<sup>(٦٣)</sup>، فهو  
من الأساليب التي عني بها البلاغيون وذلك لما يضيفه من قوة التأثير وجمال  
التعبير<sup>(٦٤)</sup>، كقوله (عليه السلام): ((أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، وأتباع ما  
أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا

مع جحودها واضاعتها)) في هذا النص قصر إضافي وهو ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين، نحو ما علي الإقائم، أي أن له صفة القيام لا صفة القعود، فخص الإمام (عليه السلام) السعادة بطاعة الله، وبجحودها وإضاعتها يشقى الانسان وهو كلام خاص لمالك (رضي الله عنه) يتضمن معنى العموم إلى كافة الناس، فالطرف الآخر في عملية الاتصال هو المتلقي فالوظيفة التي تقابله هي الوظيفة الإلهامية وتمثل في العبارات التي يطلقها المرسل (المتكلم) لإثارة انتباه المرسل إليه (المستمع)، لطلب القيام بعمل ما، ويأخذ بوساطتها النص قيمته التداولية.

٢. إيجاز الحذف: يكون قصر الكلام فيه بسبب استعمال حذف بعضه اكتفاء بدلالة القرائن على ما حذف، نحو قوله (عليه السلام): (( ثم اعلم يا مالك، أي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك، من عدلٍ وجورٍ)).

تضمن هذا النص محذوفاً متمثلاً بـ(مصر)، كون مالكاً أرسله الإمام علي (عليه السلام) والياً عليها، ثم كشف قوله (عليه السلام) (( وجهتك إلى بلاد... من عدلٍ وجورٍ)) دلالة ذات بعد خطابي يجذب انتباه المتلقي بحكم التفكير بالتاريخ البعيد لحكام هذه البلاد من جورٍ مثله فرعون وعد مثله يوسف (عليه السلام)، فالحذف يعد اختصاراً واقتصاداً في التعبير، وتحقيق المطلوب بظهور المعنى المراد لدى المتلقي، لذلك يشكل الحذف أهم مكون إعلامي يرفع كفاءة النص.

## سادساً: الاطناب.

(( كون الكلام زائداً عما يُمكن أن يُؤدي به من المعاني في معتاد، لفائدة تقصد ))<sup>(٦٥)</sup>، ونجد هذا المكون المؤثر في قول الإمام (عليه السلام): (( وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، واجتمعها لرضي الرعية، فإن سُخط العالمة يححف برض الخاصة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنةً في الرخاء وأقل معونة له في البلاد، وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاق، وأقل شُكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عن المنع، وأضعف صبر عند ملهات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين والعدّة للأعداء، والعامّة من الأمة؛ فليكن صغوك لهم وميلك معهم ))، في هذا النصّ إطناب، يتضمن توجيه مالك لأساسيات قيادة البلاد وأهمها العدل بين الناس، فعندما يعدل القائد بين رعية الخاصة وعامّة الناس، يرضى عليه العامّة وعكس هذا الأمر يخلق سُخْطاً عند العامّة، وعلى القائد العادل ان يقلل شكره عند إعطائه للرعية لأن هذا واجبه اتجاه شعبه، وأهم ركيزة تجعل القائد ناجحاً هي جعل جمع المسلمين هم عماد الدين وليس خاصة، فعليه ان يميل للعامّة من الأمة، فذكر الإمام (عليه السلام) هذه الطائفة من وجبات القائد اتجاه شعبه، فكلُّ واحدة منها تضمن مجموعة من الصفات، وعلى هذا المعنى إقامه لإمام (عليه السلام) الأدلة دون زيادة في الألفاظ عند ذكر كل واجب.

## الخاتمة

الإعلامية متأصلة الجذر في النصّ العربي؛ لأنها تشارك في الكشف عن ابعاد الخطاب وموضوعاته.

أظهرت الدراسة عن لغة سامية ذات بنية عميقة لها دلائل متنوعة الأهداف في عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الاشر (رضي الله عنه)، فتضمن هذا النصّ المكونات المختلفة للإعلامية.

تضمن العهد المبارك التراكيب السطحية كالحذف والتكرار والربط، وكذلك التراكيب العميقة كالإجمال والتفصيل والعموم والخصوص، فساهمت هذه الظواهر عن إخراج نص ذات مستوى عالٍ من السبك والأسلوب الراقى في معناه.

أوضح النصّ المكونات التصويرية كالمجاز والكناية والتعريض والتشبيه والإيجاز والاطناب وغيرها من الأساليب التي ساهمت على الارتقاء بالنص إلى المستوى الذي تتفاعل فيه اللغة والعقل والمجتمع بصورة فعالة ومعبرة.

## الهوامش

١. العمدة في محاسن الشعر: ٩٣ / ٢.
٢. دلائل الإعجاز: ٢٦٣.
٣. قراءة في (معنى المعنى) عند عبد القاهر الجرجاني: ٤٠.
٤. ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ، إلهام أبو غزالة: ٣٣.
٥. ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ، د. الهام أبو غزالة: ١٨٥.
٦. ينظر: النصّ والخطاب والأجراء: ٨.
٧. ينظر: افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود احمد نخلة، ٨٠.
٨. ينظر: علم لغة النص: ٤٨.
٩. ينظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٢٩.
١٠. المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع: ٤٧٧ - ٤٧٨.
١١. مقالات في اللغة والأدب: ١٨٩ / ١.
١٢. نسيج النصّ: ١١٩.
١٣. ينظر الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للخاطب: ٦٦.
١٤. ينظر: المزهرة: ٤٠٢ / ١.
١٥. المعنى وضلال المعنى: ١٢٢.
١٦. ينظر: نظرية علم النصّ: ١١١.
١٧. البديع بين البلاغة العربية: ١٠٧.
١٨. نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٣.

١٩. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية: ١٠٧.
٢٠. ينظر: إشكالات النصّ: ٣٦٦.
٢١. ينظر: إبداع الدلالة: ٧١.
٢٢. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١.
٢٣. ينظر: النصّ والخطاب والإجراء: ٣٤٦.
٢٤. دلائل الأعجاز: ٢٢٥.
٢٥. ينظر لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣.
٢٦. ينظر: علم لغة النصّ، عزة شبل: ١١١.
٢٧. ينظر: الأبداع الموازي (التحليل النصّي للشعر): ١٥.
٢٨. ينظر: حاشية الصبان: ١ / ٤٢٣.
٢٩. ينظر: علم لغة النصّ، عزة شبل: ١١١-١١٢.
٣٠. ينظر: بلاغة النصّ مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ١٧.
٣١. ينظر: لسانيات النصّ النظرية والتطبيق: ١٤٤-١٤٥.
٣٢. ينظر: النصّ والخطاب والأجراء: ١٩٥ - ٣١٤.
٣٣. ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٦٢٢.
٣٤. ينظر: نسيج النصّ: ٦٧.
٣٥. ينظر: اللسانيات، جان بيرو: ١١٧.
٣٦. ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢ / ٥٠.
٣٧. ينظر: لسانيات النصّ، د. أحمد مداس: ٨١.

٣٨. ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية ١٤٤ .
٣٩. ينظر: اسرار البلاغة: ٢٤٩، جواهر البلاغة: ٢٥١ .
٤٠. أصول البيان العربي: ٣٨، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: ١٠٣ .
٤١. البلاغة العربية أساسها علومها: ٢٢٩ .
٤٢. المصدر نفسه: ٢٤٣ .
٤٣. ينظر: البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: ١٠٩ .
٤٤. ينر البلاغة العربية أساسها وفنونها: ٢٧١ .
٤٥. جواهر البلاغة: ٢٨٦-٢٨٧ .
٤٦. ينظر: اتجاهات البحث اللساني: ٣٦ .
٤٧. البلاغة العربية: ١٥٢ .
٤٨. ينظر: المصدر نفسه: ١٥٤ .
٤٩. جواهر البلاغة: ٢١٩ .
٥٠. المصدر نفسه: ٢١٩ .
٥١. الصناعتين:
٥٢. ينظر البلاغة العربية: ١٦٧ .
٥٣. البلاغة العربية: ١٧٠ .
٥٤. ينظر: جواهر البلاغة: ٢٩٨ .
٥٥. ينظر: البلاغة العربية: ٣٧٣ .
٥٦. جواهر البلاغة: ٣٠٤ .

٥٧. جواهر البلاغة: ٣٠١.
٥٨. ينظر: البلاغة العربية: ٤٠١.
٥٩. ينظر المصدر نفسه: ٤٨٥.
٦٠. بديع القرآن: ٣٦/٢.
٦١. المصدر نفسه: ٦٧.
٦٢. ينظر: البلاغة العربية: ٢٦.
٦٣. ينظر: علوم البلاغة البيان، المعاني البديع: ١٥٠، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٢٣.
٦٤. ينظر: بلاغة التركيب دراسة في علم المعاني: ٢١٨.
٦٥. ينظر البلاغة العربية: ٦٠.

## روافد البحث

١. إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي (مدخل لغوي أسلوبي)، د. محمد العبد، ط ٢، جامعة عين شمس، مكتبة الآداب، ١٤٢٨هـ || ٢٠٠٢م.
٢. الأبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)، محمد عبد اللطيف حماسة، دار غريب للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠١.
٣. اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيش، ترجمة، سعد مصلوح، وفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط ٢، ٢٠٠.
٤. أسرار البلاغة في علم البيان، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٥. أشكال النص دراسة لسانية نصية، جمعان بن عبد الكريم، الدار البيضاء، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩.
٦. أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير الناشر: دار المؤرخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٧. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود احمد نخلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-مصر، ٢٠٠٢.
٨. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤)، تحقيق، حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.
٩. البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النصّيّة، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٨.

١٠. البلاغة أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١١. البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، د. محمد بركات، دار البشير للتوزيع والنشر، عمان، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٢. بلاغة النص مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. جميل عبد المجيد، درار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٣. بلاغة التركيب دراسة في علم المعاني، د. توفيق الفييل، مكتبة الآداب القاهرة، ١٩٩١.
١٤. الترابط النصي في ضوء تحليل الخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
١٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩.
١٦. حاشية الصبان على شرح الأشموني في شرح ألفية ابن مالك، ومعها شرح الشواهد للعيني، الصبان محمد بن علي (ت ١٢٠٦هـ)، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٧. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، هـ - ٢٠٠١م.
١٨. الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
١٩. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، د. هادي نهر، دار الأمل، اربد-الأردن، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

٢٠. علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان، ط ٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

٢٢. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: ٢٢٩.

٢٣. لسانيات النصّ النظرية والتطبيق: ١٤٤ - ١٤٥.

٢٤. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

٢٥. لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس، ط ٢، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، ٢٠٠٩م.

٢٦. اللسانيات جان بيرو، ترجمة: الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الأفاق، الجزائر، ٢٠٠١م.

٢٧. اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة (دراسة تحليله نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته)، د. حافظ إسماعيلي علوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٩م.

٢٨. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

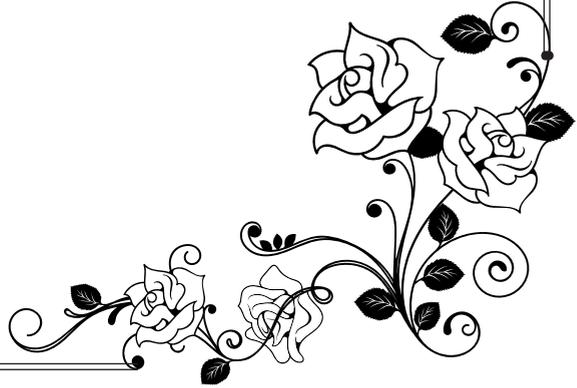
٢٩. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط ٣، ٢٠٠٧م.

٣٠. مقالات في اللغة والآدب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١،  
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣١. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد قاسم السلجاسي (ت ٥٧٠٤هـ)،  
تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
٣٢. نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي مكتبة زهراء الشرق،  
مصر، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٣. نسيج النص بحث ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي  
العربي - بيروت ط١، ١٩٩٣م.
٣٤. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب،  
القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
٣٥. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، دار مكتبة لبنان  
ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٣٦. نظرية علم النص - رؤية منهجية في بناء النصّ الثري، د. حسام أحمد فرج،  
مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

# دلالات توصيل الخطاب بالصيغة الأمرية

في عهد الإمام علي عليه السلام بمالك الاشر  
دراسة في ضوء لسانيات التداول

أ.د. نادية هناوي سعدون  
الجامعة المستنصرية





## مدخل / التداولية ولسانيات التوصيل

التداولية علم يختص " بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب ويفسره المستمع أو القارئ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة" ١ وهو يعتمد على الطبيعة التي بها يتم التعاضد في الموضوعات والمباني التي تجعل الخطابات زاخرة بالأبعاد التداولية التي يدركها المتلقي سامعا أو قارئا ويستوعب معانيها التي قصدها المتكلم أو الكاتب.

وكل هذا يتأتى من اتساعية المنظور التواصلي الذي يقصده المتكلم ويبنى خطابه للآخر عليه.. لتتخذ في المفهوم التداولي للتواصل الكتابي تعادلية: الكاتب / الكتاب / المكتوب له.

وبهذه الأطراف تتحقق عملية التوصيل اللساني للمضامين وإدراك غاياتها وبلوغ المراد من وراءها سواء أكانت أفعال انجاز أو أفعال كلام واستلزام أو إشارات استدراك وتنويه أو صفات تفضيل أو محادثة.. الخ.

وتتضمن التداولية حل المسائل من وجهتي نظر المتكلم والمخاطب الأول المتكلم من ناحية التصور والتخطيط والآخر المخاطب من ناحية التأويل<sup>٢</sup> باعتبار أنه " يفسر التلفظ بالعبرة في محاولة تعيين القوة الانجازية أو التداولية.. بواسطة صياغة الافتراضات والقيام بتحقيقها والتأكد منها"<sup>٣</sup>

ولا بد لأي متكلم أن يستعمل استراتيجيات لسانية في التداول هي عبارة عن علاقات توصيل تتشكل بين الصيغ القولية والقوالب اللغوية وتتضافر كلاميا ضمن مقام معين يحدده سياق حال ما، ليتم إنتاجها بتوفر الحافز أو المثير على شكل أبنية معرفية مخزونة في ذهن المتكلم وتستدعى من مرجعية مستمدة من ذخيرة مخزونة لديه.

وإذا ما علمنا أن النظرية التداولية "في طور تكوينها الكامل لا ينبغي أن تصاغ صياغة حوارية بل يجب أن تنتج افتراضات يمكن أن تخضع للاختبار التجريبي"؛<sup>٤</sup> فستكون الاستعمالات اللسانية المخزونة والتي تستدعى عند الكلام متضمنة استعمال التعبيرات الاشارية أو التأشير الذي هو "مصطلح تقني يستعمل لوصف أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح التعبير الاشاري"<sup>٥</sup> وكذلك استعمال التعبيرات الوصفية والاسمية بالضمائر أو أسماء الإشارة البعيدة والقريبة أو بالظروف الزمانية والمكانية، وهو ما يتطلب التحديد ومعرفة القصد ليتم الترابط التداولي بين أسماء الأشياء وصفاتها.

وهناك استعمالات لسانية أخرى هي عبارة عن تعابير وظيفية تتوقف مدلولاتها التوصلية على السياق وعلى قصد المتكلم، ولكي تحقق تلك التعبيرات وظائف تداولية توصل المتكلم بالمتلقي؛ فلا بد من وجود الافتراض المسبق الذي هو موجود عند كل متكلم ويتبعه الاستلزام..

وبحسب أدبيات النظرية التداولية فإن الافتراض المسبق هو "شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام أي ان الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس في الجمل أما الاستلزام فهو شيء ينبع منطقيا مما قيل في الكلام"<sup>٦</sup>

وقد يستدعي الاستلزام الاستدراك لما هو متداول من صيغ لسانية بين المتكلمين والمتلقين بوجود أفعال الانجاز التي تسمى أيضا أفعال الكلام وهي لا تتحقق إلا بوجود متكلمين ومتلقين.

وما يهمننا في هذا المقام من أصناف الأفعال الانجازية صنف الأفعال الطلية بصيغة الأمر التي تمتاز بالقوة الوظيفية سواء أكانت توظيفها على المباشرة والحقيقة أم

على غير المباشرة والمجازية..

وتتحدد قوة تداولية فعل الطلب الأمري بناء على طبيعة الطلب كأن يكون تقريراً بالتصريح أو إيجاء بالتلميح ولا يمكن أن يكونا معاً إذ لو تمت "مساواة منهنج التصريح مع جميع الصيغ الامرية المباشرة.. سيكون هذا مضللاً لأن الصيغ الامرية يستعملها المتعارفون دون تفسيرها على أنها أوامر.. فقولنا: "رجاء من فضلك تستعمل لتلطيف الطلب وتسمى وسائل التلطيف"<sup>٧</sup>

وكان ابن فارس قد أشار إلى أن الامر "إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً ويكون بلفظ افعل وليفعل"<sup>٨</sup> وترتبط أفعال الطلب الامرية غير المباشرة عموماً "بتهديب أعم.. يفوق ما يتطلبه الفعل المباشر"<sup>٩</sup> ولهذا تتحقق فيها تداولية أكثر سعة بسبب ما تتحملة من أبعاد دلالية ذات سمات بلاغية.

### كتاب العهد وتداولية الصيغ الامرية

يعد كتاب العهد الذي كتبه الإمام علي عليه السلام إلى مالك الاشر النخعي واليه على مصر وأعمالها أطول العهود وأجمعها للمحاسن<sup>١٠</sup>.

وهذا الكتاب بمثابة دستور حياتي يصلح لتنظيم أحوال البلاد والعباد في كل أوان وفي أي مكان لانه يجمع مسائل الحياة جميعها ويعلم الحكام أساليب الإدارة ويمكنهم من الحكم والقيادة ليعرفوا كيف يسيرون الناس ويديرون أمورهم بالعدل والإحسان.

والكتاب أيضاً وثيقة تربوية ومدونة روحية وأخلاقية تحمل العبر والعظات والدروس الموجهة لمن هم مسؤولون أمام الله في تولى أمور الرعية وإداراتها بحزم لا يخلو من الرحمة وبتوازن يحقق التألف.

وإذ يمثل كتاب العهد أنموذجا راقيا للخطابات السياسية ودستورا اجتماعيا راقيا لتنظيم الأمور الإدارية والحياتية؛ فإنه أيضا يعد مدونة أدبية رفيعة لما تحمله من وظائف تداولية تحقق غايات تواصلية بسبب ما تحفل به من الصيغ البلاغية العالية والأساليب المتميزة فصاحة وبيانا والتي أسهمت إسهاما مهما في تعميق مغزى العهد ومدلولاته شكلا ومضمونا.

وفي المدونة العهدية صيغ أمرية طلبية هي ليست مجرد أفعال منجزة على المباشرة والحقيقة أو قائمة على المجاز وعدم المباشرة؛ بل هي مقولات تشيد على بيان من الإبانة وعبارات توضح الأمر بميزان من الدقة والعمق حتى إذا ما اقتطع فعل ما من سياقه النصي الذي جاء فيه افضى إلى تغيير الدلالة أو حرفها عن عائدة القول فيها. ولصيغة الطلب وقع مؤثر وفاعل على المخاطبين فإذا كان الطلب رائقا شفافا سلسا بلغ ذلك المتلقين المخاطبين فترك فيهم أثرا مريحا ولطيفا وإذا كان الطلب صادقا قويا حمل المتلقين المخاطبين على استنهاض همهم وإعلاء جذوتها وإذا كان فعل الطلب ناهرا هادرا كان حربيا أن يوَلِّد في نفوس المخاطبين هولا ويترك في جوانحهم أثرا يحملهم طوعا لا كرها على السمع والطاعة والانجاز والإقرار.

وهذا ما كانت العرب تنشده من استعمال فعل الأمر في خطاباتها المنطوية على دلالات قولية ذات غايات براغماتية تتحدد تبعا لطبيعة الفعل الامرى الموظف؛ فإن افترضنا أن الخطاب كان مباشرا فحينذاك سيكون محملا بطلب محتم الانجاز، لا يقبل التأويل أو التأجيل أو المهادنة أو التسويق وبلا ادنى تهاون او تماد كأن يقول القائل افعل كذا فلا يكون من المقول له إلا السمع والطاعة من غير تقليل ولا تكثير وبلا تقديم ولا تأخير ومن دون اشتراط التفكير او النقاش أو التدبر.

وإن كان الخطاب بفعل الأمر يتجاوز الغرض المباشر إلى أغراض غير مباشرة

فستتعدد حينذاك تداولية فهمه عند المتلقين ومديات إدراكه، كأن يقال (عليك نفسك) ليعرف المستمع أو القارئ أن ليس مطلوباً منه الرد المباشر بنعم أو لا، لأن المقصود ليس مباشراً؛ بل هو مجاز يتطلب أمداً زمنياً مناسباً تأملاً في الطلب وتدبراً وتقليباً على كل الوجوه ليحدد المقصود ومن ثم يتم انجاز الفعل وتنفيذه.

### تداولية صيغ الأوامر المباشرة

للأمر أربع صيغ طلبية فأما أن يكون الفعل صحيحاً مسكناً أو معتلاً مجزوماً أو يكون الطلب اسم فعل أمر أو مصدرًا نائباً عن فعل الأمر أو مضارعاً مقروناً بلام الأمر.. وفي الحالات كلها يكون العامل المخاطب مستتراً عن الظهور تقديره (أنت) وإذا كانت الوظائف مباشرة في تداولية صيغ الطلب هذه؛ فإنها تتطلب انجاز الفعل على وجه الاستعلاء الذي يمارسه الأمر ووجه الإلزام الذي يتوجب على المأمور القيام به.

وتتلخص وظائفية الطلب المباشر في توصيل الانتباه للسامع بغية حمله على الانصياع والتنفيذ بعد توفر الأسباب والظروف الملائمة التي تهيئ له الإتمام لفعل الانجاز بلا لبس أو تأجيل أو بالعكس وذلك حين يتعذر على المأمور الأداء لعدم وجود الظروف الملائمة فيرفض التنفيذ أو يؤجل القيام به.

وفي كلا الحالين فإن الوظيفة الاتصالية ستكون محققة لتداولية فعل الانجاز بالأمر ما دام المأمور قد تلقى الأمر وعرف المقصود منه أو أدرك المطلوب منه عمله وبغض النظر عن كونه قام بالمطلوب أو لم يقم لكون التداولية ستظل رهناً بالمخاطب/ المأمور لا بالمخاطب الأمر بينما تظل الوظيفة التواصلية مرهونة بهما معاً.

وهذا ما يجعل تداولية الأمر بصيغته المباشرة تداولية محصورة أو محدودة وهو ما توضحه الترسيمة الآتية:

الأمر (افعل كذا) المأمور (لا افعل) = المتحقق توصيل = تداول سالب

(رفض، عصيان، تمرد، تغاضي)

الأمر (افعل كذا) المأمور (نعم افعل) = المتحقق توصيل = تداول موجب

(قبول، انصياع، تسليم، تنفيذ)

وما بين الإجابة بـ(لا) أو (نعم) تتحدد عملية التداول بالرفض أو القبول وقبل ذلك تتبين فاعلية الخطاب ومديات التأثير على المأمور بوصفه متلقيا حقيقيا، فالأعلى يأمر وما على الأدنى إلا أن يتلقى ما يؤمر به لينفذ أو لا ينفذ وهذا يعني أن التوصيل سابق على التداول.

وعادة ما يكون هذا الصنف من التداول المباشر للطلب بين الأشخاص العاديين الذي يعملون في ميادين الحياة المختلفة من قبيل الرئيس والمرؤوس والضابط والجندي والمعلم والتلميذ والمدير والموظف ورئيس العمل والعامل وغيرهم.

وليس غريبا أن يطغى على أحاديثنا وأقوالنا هذا الصنف من الطلب بفعل الأمر لتكون الوظيفة المباشرة هي التوضيح والمباشرة اعني في اللحظة الآتية نفسها التي يتم فيها إرسال فعل الأمر أو على الافتراضية اعني في اللحظة الاتصالية التفاعلية التي تتحقق فيها عملية التوصيل بشكلها الرقمي / التقني كأن يكون على شكل اتصال منقول بالصوت فقط او محمول بالصورة والصوت معا.

وعادة ما تصلح تداولية الطلب بالأمر على المباشرة والتصريح مع المرؤوسين الذين يتلقون الأوامر على وفق ضوابط عادة ما تكون لصالح الرئيس تسانده في تعزيز مكانته وتمكنه من تحقيق مركزية منصبه ونفوذه بما يمتلكه من وسائل صارمة

في العقاب والترهيب ولعل اقرب الميادين التي يغلب فيها هذا اللون من التداولية الميدان العسكري فالضابط يلفظ ( استعد استرح ) والجندي ينفذ بالحركة والصوت بلا تردد وبطريقة دراماتيكية كمشهد معتاد ويومي يتكرر باستمرار.

ووفقا للنظرية الحوارية او التفاعل الكلامي فإن الخطاب يكون جسرا ممدودا بيت شخصين محددين اجتماعيا وبينهما التلفظ بأطرافه: متلفظ ملفوظ متلفظ إليه ١١، وقد رأى تودوروف أن كل ملفوظ يحمل في ذاته آثار تلفظه وفعل انتاجه الدقيق بناء على سلسلتين: الاشارات الى هويات المتحدثين والى المعطيات الزمكانية للتلفظ والاشارات الى سلوك المتحدث او المخاطب<sup>١٢</sup>، ولما كانت لوضعية التداول اللساني لفعل الامر أطراف أربعة<sup>١٣</sup>:

متكلم/ أنا قوة الكلام/ فعل أمر مخاطب/ أنت تلفظ/ أن تفعل

فإن العملية التداولية ستستدعي على المستوى الكتابي وليس اللساني لصيغة الأمر، أن يقوم المأمور بإتمام تداولية التوصيل الكتابي من خلال معادلة ذات ثلاثة أطراف هي:

آمر/ الكاتب أمر/ مكتوب مأمور/ مكتوب إليه

وعادة ما تصلح الوظائفية التداولية المباشرة لاستعمال أفعال الأمر في الحالات التي تقتضي قصر المدة الزمنية ما بين الأمر والمأمور فضلا عن تقاربهما في الرقعة المكانية ليكون احدهما مقابلا الآخر على الحقيقة.

## تداولية صيغ الأمر غير المباشرة

تداول الخطاب بالأمر على وجه المجاز والخروج به عن معناه الأصلي الحقيقي إلى معان أخرى مجازية إنما يتم فهمه بناء على سياق الكلام.

وعلى هذا الفهم يتوقف تداول الفعلية الامرية لتتخذ طابعا تلميحيا مبنيا على قصدية التأويل المدلولية الفعل الانجازي وبما يفترض تعدد دلالات الخطاب الطلبي من خلال حمله على الأوجه البلاغية كلها كاستعارات أو تشبيهات أو كنيات أو توريات.

وتعد صيغ الامر كلها فاعلة في هذه التداولية غير المباشرة كونها تنفادى القسر والإجبار متجهة صوب الإغراء والتحييب..

وهي صالحة للمتلقين ذوي المكانة المرموقة من زاوية المهات ذات البعد الجماعي التي توكل إليهم، كأن تتهدد الجماعة أو تتعرض إلى مأزق خطير أو تمر بظروف قاهرة. ومن زاوية أخرى تناسب أولئك المتلقين الذين يتمتعون بمستوى أدبي رفيع من البلاغة والبيان جنبا إلى جنب تميزهم بالمنزلة المجتمعية المتأتية من الإحساس العالي بالمسؤولية حرصا ودراية.

وبسبب أهمية هذه الصيغة التداولية غير المباشرة فقد كثر استعمالها في القرآن الكريم بصور عديدة. ولما كان الإمام هو القرآن الذي يمشي على الأرض لذلك تعالقت او تناصت كثير من صيغ الأمر لديه مع التوظيف التداولي في القرآن الكريم. ولقد كان للنقاد العرب القدماء دور مهم في بيان كيفية تعدد دلالات الفعل الواحد بحسب مطان استعمالها ومن هؤلاء أبو هلال العسكري والباقلاني<sup>١٤</sup> ولابن فارس بن زكريا قول في ذلك وهو الذي نفى الترادف في اللغة لان لكل مسمى دلالية والشيء إذا كثرت مسمياته فان له معان بحسب تلك المسميات نحو السيف والحسام

## والأدغال<sup>١٥</sup>.

وهذا ما سعت النظريات البراغمية اليوم إلى دراسته موجهة الانظار صوب التداول وقصدية الخطاب الادبي من خلال معرفة كيفية تنوع المعاني واثرها في توصيل الدلالات ومشروطية السياقات التي يكون فيها للبعد النفسي أثر في الكشف عما يمور في النفس من مشاعر، مع الدقة في التعبير عنها تبعاً لمقامات القول وأحواله وبما يحقق الإجلال للكاتب/ الأمر.

ولقد امتازت تداولية أفعال الأمر في كتاب العهد؛ بأنها تجاوزت الصيغ المباشرة للطلب بفعل الأمر متعدية التداول من الأعلى إلى الأدنى لتدخل منطقة الإلماح والإيحاء بالمجاز منتقلة من التوضيح والتصريح إلى اتساعية التعميم والشمول والتدليل والسبب أن الذي أريد توصيله إلى المأمور لا يتحدد انجازه الفعلي كاستعلاء وإلزام؛ بل يتحدد على التداول للمجاز.

وهذا ما أخرج مدونة العهد من أن تكون مجرد وثيقة تخص زماناً معيناً ومكاناً محدداً إلى وثيقة خالدة صالحة لكل زمان ومكان وقد حوت من النصح والإرشاد والتعليم، ما لا غنى عنه لأي امرئ يسعى إلى إفادة مجتمعه بوعي وإدراك وبنفس مجبولة على فعل الخير والسير على طريق الاستقامة والتقوى.

ولذلك لم تكن تداولية الطلب في مدونة العهد على وجه واحد لا ثاني له أو على صيغة بعينها؛ بل هي ذات أوجه عديدة وصيغ تتجاوز التوصيل المباشر متجهة صوب التداول العام وباعتماد الخطاب الأحادي الموجه للمفرد المذكر وفي أحيان قليلة بصيغة الأمر ذي الخطاب الجماعي أو الشائبي.

وتظل الوظائفية الامرية رهنا بسياق الكلام الصادر من المرسل / الأمر إلى المرسل إليه/ المأمور، وبما يفترض تنوع صيغ التداول ما بين التوظيف الحقيقي والتوظيف

المجازي للطلب الإنشائي.

ولقد انماز كتاب العهد أنه لم يحو كل الصيغ المجازية التي تستعمل في الطلب الإنشائي بفعل الأمر، مما كان القدماء البلاغيون قد حصروها وبينوا مواضعها. فلقد تجنب الكتاب الصيغ التي تقتضي تعالي الكاتب/ الأمر وتدني المأمور او تتطلب أن يتمنى الأول من الآخر القيام بالطلب تمنيا أو تعجيزا عن قيام المأمور به أو بتهديده بالقسر أو التسويف أو التكذيب والتحسر أو بالتسخير الذي فيه الالهانة والتحقير وغيرها من الدلالات التي خلا الكتاب من تداولها.

ولا غرو أن يخلو العهد أيضا من تداولية الطلب بالأمر على نية التضرع أو الالتماس والدعاء لأن هذا ما لا يكون إلا بين الخالق الموصوف بالربوبية والوحدانية والصمدانية الذي ملك القلوب واستعبدها والمخلوق الذي لا ينطلق في خطابه للباري ومنادته له ومطالبته بالاستجابة والقبول إلا من موضع الدنو والخشوع والرجاء والخوف والإذعان.

وفي ما سيأتي تحديد لساني تواصلية لدلالات الخطاب الطلبي بصيغة الأمر مما كان كتاب العهد قد تضمنها ل يتم تداولها على الحقيقة تارة وتارة أخرى على المجاز..

### ١ - دلالة الوجوب بالإنذار والتنفيذ /

تتمثل دلالة الوجوب في حالة تداول فعل الانجاز الامري على المباشرة والحقيقة وهو ما يقتضي إلزام المأمور بالتنفيذ سمعا وطاعة كاقضاء وقسر، ليغدو التداول ضروريا وحتميا لا يقبل التأجيل أو الإبدال حيث لا تراجع عن الاداء ولا تعليل ولا نقاش، وفي أي حال كان عليها المأمور.

ويطلق سيرل على الافعال الكلامية ذات الوظائفية التداولية المباشرة اسم العبارات التقريرية<sup>١٦</sup> وأن إنجاز فعل الكلام "هو تأدية الفعل بأن نقول شيئا ما"<sup>١٧</sup>

وفي الأغلب تقتضي دلالة الوجوب والإلزام تداول فعل الأمر تداولاً حقيقياً يستوجب الحسم والحزم والصرامة قوله عليه السلام (ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتداول وقلّة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال..)<sup>١٨</sup> فتداولية الفعل الانجازي (احسم) تستدعي الوجوب لا محالة. وكل ما هو خلاف الحسم والقطع بإزاء البطانة وفي أي شكل وبأي لون فإنه محرم محذور البتة.

ومثلما أوجب الإمام عليه السلام الحسم والقطع بشأن الحاشية، كذلك أوجب الحزم مع العدو (.. فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن)<sup>١٩</sup> وقد يكون الوجوب متمثلاً في الأمر بالإنصاف وإحقاق الحق وذلك في قوله عليه السلام (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك)<sup>٢٠</sup> أو عدم المهادنة في التحلي بالأخلاق القويمة والصفات الحميدة (أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك)<sup>٢١</sup> والوتر هو العداوة " أي احلل عقدة الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم واقطع عنك أسباب الأوتار أي العداوات بترك الإساءة إلى الرعية"<sup>٢٢</sup>

وتدلل صيغة الفعل (أردد) على الحزم والوجوب إذ لا مناص من الرجوع إلى الله ورسوله في الملهمات صغيرها وكبيرها (وأردد إلى الله ورسوله ما يضلّك من الخطوب ويشته عليك من الأمور)<sup>٢٣</sup> كما أن اشتقاقية المفعول المطلق من الفعل الطلبي (فانظر في ذلك نظراً بليغاً) تؤدي دورها في تحقيق تداولية أكبر لمعنى الوجوب.

وربما تكون صيغة التداول بفعل الأمر واجبة على الحقيقة لا المجاز بالفعل لمنع (فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه واله منع منه) وأن في تكرار الطلب بالفعلين (امض / اجعل) ما يوجب التنفيذ (وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما

فيه واجعل لنفسك في ما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت<sup>٢٤</sup>

ومن دلالة الوجوب الإخلاص في الأداء والإيفاء في التقرب إلى الله تعالى (وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ)<sup>(٢٥)</sup>

ولا غرو أن التزام الحق واجب والحسم له مطلوب عند من تمتع بالصبر والاحتساب لله لتكون عاقبته الحسنى (وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة)<sup>(٢٦)</sup>

ولا مناص من التزام أوامر الله تعالى وأوامر رسوله الكريم بالفعل الانجازي بصيغة اسم فعل الأمر (عليك) ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاصلة أو اثر عن نبينا صلى الله عليه واله أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في إتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسك عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها)<sup>٢٧</sup>

وليس شيء يستوجب الإيفاء ورعاية الذمة والأمانة ومغالبة النفس والهوى مثل الوفاء بالعهد (فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت)<sup>٢٨</sup>

ومن تداولية الوجوب على غير المباشرة أن يرد الطلب بقصد التحذير والاعتبار والتخويف والترهيب بلا تهديد أو وعيد ولكن تعظيماً لله وتقديساً له. ومن ذلك قوله عليه السلام محذرا المأمور من خيانة الأعوان له مشيراً عليه بتتبع أخبار الرقباء

(وتحفظ من الأعوان فان احد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك)<sup>٢٩</sup>

وقد تتخذ دلالة الوجوب التحذير في التعامل مع الآخرين وضرورة أخذ الحيطة والتنبه للمكيدة (واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة)<sup>٣٠</sup> وتكون في تداولية التحذير (فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك)<sup>٣١</sup>، إلزاما للمأمور بالاعتبار لأخذ العبرة والعظة والدرس من الذين سبقوه ليتعظ ويتعلم..

ولعل اكثر ما يتوجب فيه التحذير انما تأتي في معرض الحديث عن سوء العاقبة (فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك)<sup>٣٢</sup> ومن الدلالات الطلبية التي تم تداولها على المباشرة والوجوب ما جاءت على نية الإخبار مما كان الإمام عليه السلام قد نقله عن الرسول صلى الله عليه واله من توصيات مقدسة ومن ذلك قوله عليه السلام: (وقد سألت رسول الله صلى الله عليه واله حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال: "صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً")<sup>٣٣</sup> ليكون هو المأمور هنا.

## ٢- دلالة المناصحة والإرشاد

وقد يخرج الطلب عن معناه الحقيقي بالوجوب على نية الإلزام ومقصدية التنفيذ إلى الطلب بمعان أخر تفهم من السياق لتحدد على وفقها دلالات التداول للمكتوب.

ومن ذلك دلالة التداول الطلبي القائم على نية الارشاد وإبداء الرأي وتقديم التوجيه وإسداء النصح من طرف الأمر/ الكاتب قاصدا التوعية والتذكير للمأمور من دون وجوب ولا ترهيب ولا إجبار فعلى سبيل المثال يرد فعل الأمر (اشعر) على

سبيل المناصحة بغية إيجاد نوع من الأمان والاطمئنان ما بين الأمر والمأمور (واشعرُ قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم والطف بهم)<sup>٣٤</sup>

والمعرفة والدراية لا تتأتى؛ إلا إذا عرف الأمر خصائص المأمورين وصفاتهم كلا على حدة (ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى..)<sup>٣٥</sup> أو (فانظر في ذلك نظرا بليغا)<sup>٣٦</sup> وإذ ينصح الإمام بوصفه المخاطب الأمر واليه بوصفه المأمور فإنه إنما ينصحه ويرشده وكأنه يناصح نفسه شاعرا بالرعية مشاركا معه الرحمة والمصالحة والتواصي والتوئدة والتراحم، ولذلك يردف عليه السلام الطلب بـ(اشعر) بالفعل (فأعظهم) مناصحا واليه بالصفح والعتو (فأعظهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحته)<sup>٣٧</sup>

وقد يتضمن النصح الإعانة على الانجاز وهذا ما يدل على روح الإيثار التي تتمتع بها الإمام عليه السلام معرفا مالك الاشر بالطرق الموصلة لها موضحا له مسالك الخير للرعية فينصحه (فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح)<sup>٣٨</sup> أو يذكره بأهمية المداراة للمعايب والتكتم عليها بالستر وعدم الفضح (فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعتك)<sup>٣٩</sup> وليس خافيا ما ينطوي عليه هذا الطلب من بعد أخلاقي وتربوي كبير.

ولا تخلو المناصحة من الإغراء كتجيب مجالسة العلماء والفقهاء والتزود منهم بالعلم والخلق (وأكثر مدارس العلماء ومنافئة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك)<sup>٤٠</sup> وفي موضع آخر استعمل الدلالة ذاتها لكن بفعل الأمر الصق (والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك)<sup>٤١</sup> فملازمة ذوي الورع تقرب الانسان من التواضع أما إذا أحب الإطراء منهم له فذلك سيستدعي الزهو والزهو يقرب من التكبر والعجب، ولذلك يتبع

تلك النصيحة بقوله عليه السلام (..وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه)<sup>٤٢</sup>

ومن النصح التوصية بذوي الاحساب وتفقد أحوالهم وان تكون رأفة الوالي بهم كرافته بالوالدين (ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما)<sup>٤٣</sup> وكذلك العامة (وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم)<sup>٤٤</sup>

ويحض عليه السلام واليه على ضرورة الاهتمام بذوي الحاجات الذين يفتقرون إلى تفرغ المسؤول للنظر في مظالمهم.. ولقد خصص الإمام عليه السلام لهم مساحة مهمة من خطابه الطلبي ناصحا ومرشدا (واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعده عنهم جندك وأعوانك)<sup>٤٥</sup>

ومن الطلب إرشادا وتعلينا توجيه المأمور إلى أن يضع الأمور والأعمال في مواضعها التي تناسبها (فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه)<sup>٤٦</sup> وأهمية التوسع والإكمال في الكرم والعطاء لعمال أموره بما يزيد الصلاح في نفوسهم (ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم)<sup>٤٧</sup> وعادة ما يستدعي الإرشاد باتجاه انجاز الطلب الإعجاب والمباهاة.

### ٣- دلالة الاختيار والترجيح

وهذه الصيغة عكس السابقة لأنها تكون بمرونة التأرجح بين الشروع بالتنفيذ وعدمه ليتخير المأمور منها ما يراه مناسباً وبما يحقق فعل الانجاز (فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة في ما يكون منك مما كره الله لأولياءه واقعا ذلك من هواك حيث وقع)<sup>٤٨</sup> أو يأتي التخيير على سبيل النظر والاختبار (وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة)<sup>٤٩</sup>

وقد يختار الكاتب للمكتوب إليه خياراً يرجحه على خيارات أخرى متاحة أمامه فالنظر في عمارة الأرض واستثمارها أهم وهو مرجح على خيار النظر في التصرف بما تنتجه هذه العمارة من خير ونماء (وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج)<sup>٥٠</sup> واختيار الهناءة مع الإعطاء والعذر مع المنع مفضل وأكثر ترجيحاً من مجرد الإعطاء أو مجرد المنع (وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وأعذار)<sup>٥١</sup>

ويكون حسن الظن هو المرجح المطلوب من المأمور تنفيذه لان به حسن البلاء والعكس صحيح (فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلاً)<sup>٥٢</sup>

وقد يتخذ الاختيار والترجيح مأخذ التسوية ومذهب التوازن وعند ذلك سيكون أمام المأمور خياران فأما أن يتداول الفعل بالانجاز بالايجاب أو يتداوله باللاايجاب ولا يترتب على ذلك اية نقيصة أو تهاون كون الترجيح هو المراد من الطلب وبحسب المقام فمثلاً أن تحقق الإحسان بالرعية سيتطلب تفقد حالها والتعرف على أحوالها وأمورها اما بشخص المأمور نفسه ليكون الانجاز ايجابيا بالاثبات او بغياب المأمور

ليكون الانجاز سالبا بالنفي (وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك)<sup>٥٣</sup>  
 وبالقياس بالميزان يتوكد عدم الإجحاف بحق البائع والمبتاع سماحة وعدلا  
 (وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع  
 والمبتاع)<sup>٥٤</sup> ومن يحتكر وينهب فلا بد من التنكيل به وعقابه لكن باتزان من غير  
 إسراف (فمن قارف حكرة بعد نهبك اياه فنكل به وعاقبه في غير اسراف)<sup>٥٥</sup>  
 أو بالاتزان في التساهل في تطبيق الأوامر أو الضوابط أو المقتضيات مع بعض  
 الفئات المستضعفة التي تستدعي من المسؤول الرعاية الخاصة (واحفظ الله ما  
 استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي  
 الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى)<sup>٥٦</sup>

وكذلك في تقسيم وقته ليجعل لهم منه نصيبا وهذا ما يوصله الى الرفعة  
 بالتواضع (واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم  
 مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك)<sup>٥٧</sup> ويتبع ذلك اتساع صدره لهم فلا يضجر  
 من هذا ولا يغضب من ذاك (ثم احتمل الخرق منهم والعبي ونح عنك الضيق  
 والأنف)<sup>٥٨</sup>

وبالموازنة والعدالة والتسوية يتحقق رضا الله تعالى وهذا ما يبتغيه الأمر والمأمور.  
 ولقد كان الإمام أكثر أصحاب رسول الله التزاما بالعدل والإنصاف ولذا قلده صلى  
 الله عليه واله القضاء في اليمن.

وبالتوازن يتحقق للوالي/ المأمور إدراك الصحيح من الزائف وتبيان الحق من  
 الباطل باستعمال صيغة الطلب باسم فعل الأمر (عليك) (فإنما عليك تطهير ما ظهر  
 لك والله يحكم على ما غاب عنك)<sup>٥٩</sup> بما يستطيع إدراكه ويتمكن منه وما خلا ذلك  
 فمرده إلى الله تعالى ليحكم فيه (فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب

عنك) ٦٠

أو قوله عليه السلام (... وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه إليه) ٦١ والنفوس تتفاوت في قدرتها على أداء الافعال وانجازها تناصبا مع قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) ٦٢

ويقتضي الاتزان ترجيح الأمور على خيرها وهو عادة ما يكون في أوسطها باستعمال ليكن) وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية) ٦٣ وإذا ما غفل عن أمر ما، كان إبراز الخطأ وبيان العذر فيه هو المرجح (وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرِكَ واعدل عنكَ ظنونهم باصْحارك) ٦٤

#### ٤- دلالة الجواز والقبول

إذا كان فعل الانجاز للطلب لا يقتضي الإلزام فعندذاك سيكون إتمامه مرتبطا بالتوافق اقتناعا ورضا بين الكاتب/ الأمر والمكتوب إليه/ المأمور من دون تحريم أو حظر .

وبالجواز والقبول تتحقق إباحة الاختيار عند تداول الطلب بالأمر كما في قوله عليه السلام (ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختيارا ولا تولهم محاباة وأثرة فأنها جماع من شعب الجور والخيانة) ٦٥

والتذكير بأهمية الثواب والإطراء في شد عزيمة الجند على القتال يقتضي ترك تحديد دلالة ذوي البلاء في القتال ليقدرها المأمور بتقديره الخاص فينبني عليها حال كل واحد من الجند كيف أبلى ومتى وأين؟ (فامسح في أمالهم وواصل في حسن الشاء

عليهم وتمديد ما أبلى ذوو البلاء منهم..<sup>٦٦</sup>

وبذلك يتوصل الوالي/ المأمور حتما إلى بلوغ تداولية الفعل الانجازي (فافسح) بإجازة تميز " ما صنع أهل الأعمال العظيمة منهم فتحديد ذلك يهز الشجاع أي يحركه للإقدام ويجرض الناكل أي المتأخر القاعد"<sup>٦٧</sup>

ثم ينتقل عليه السلام من الكلام في فئة الجند إلى الكلام في فئة ذوي الاحساب والنجدة فيجيز للمأمور أن يقرب إليه من يراه منهم صالحا (ثم الصق بذوي الاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والساحة..<sup>٦٨</sup>)

لينتقل بعدها الى الكلام في العمال متيحاً لواليه النظر في أمورهم وأن يختار منهم من يمكنه من أداء المهمة الموكلة إليه مستعملاً فعلي الأمر (تفقد وابعث) ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم)<sup>٦٩</sup> وليس في اختيار أفضلهم محاباة أو ميل؛ بل هو من باب التشاور والإجازة.

ويذكر بعدها عليه السلام الخراج ليأمر واليه بالصلاح تاركاً له غير فارض انتقاء الوسيلة التي تمكنه من بلوغ هذا الإصلاح (وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم)<sup>٧٠</sup>

وبعدها يأتي الجواز في تداولية أفعال النظر والتولية والتخصيص (ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم وخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائذك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتزئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاً)<sup>٧١</sup>

فقوله عليه السلام (ثم انظر)" انتقال من الكلام في أهل الخراج الى الكلام في الكتاب جمع كاتب"<sup>٧٢</sup> وهذا الترتيب في الانتقال بالكلام من فئة الجند إلى طبقة العمال

الى مجمع الكتاب انما يشير الى أن التداولية لصيغة الخطاب بالامر انما تنتقل من الالم الى المهم باستعمال حرف العطف (ثم) ودلالاتها على الترتيب بتراخ لاتباعها حرف العطف بالفاء ودلالته على السرعة في التتابع والتعاقب تلاحقا وتواترا بالفعل (قول) فالنظر متبوع بسرعة التولية مجيزا عليه السلام غير موجب على الوالي مالك الاشر تخصيص من يثق بهم لحمل الرسائل التي هي غاية في السرية.

وأن القول باجمعهم برأي الشيخ محمد عبده - " متعلق باخصص أي ما يكون من رسائل حاويا لشيء من المكائد للأعداء وما يشبه ذلك من أسرارك فاخصصه بمن فاق غيره في جميع الأخلاق الصالحة ولا تبطره أي لا تظغيه الكرامة فيجرؤ على مخالفتك في حضور ملاء وجماعة من الناس ذلك بمنزلتك منهم"<sup>٧٣</sup>

ويلحق العطف بالفاء عطف آخر متلاحق بلا فاصل ( فاعمد لأحسنهم كان في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجهها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يشنت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغايبت عنه ألزمته)<sup>٧٤</sup>

وانجازية تداول فعلي الأمر ( اعمد/ اجعل) تتحدد جوازا لا وجوبا تحليلا لا تحريما في تقليد رئاسة دائرة من دوائر الاعمال لمن هو أهل لها مقتدر " على ضبطها لا يقهره عظيم تلك الاعمال ولا يخرج عن ضبطه كثيرها وإذا تغايبت إي تغافلت عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لاصقا بك"<sup>٧٥</sup> بمعنى أن هذا الوالي الذي قد اتاحت له مساحة من الاجازة والاباحة، سيتحمل وزر ما يختار، مصيبا كان الاختيار أو مخفقا...!!

ويتنقل عليه السلام من الكلام في الكتاب إلى الكلام في طبقة التجار والصناع (ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب

بماله والمترفق ببدنه)<sup>٧٦</sup> مخيراً الوالي في التعامل معهم من باب أن التجار والصناع عادة ما يكونون مسالمين طائعين لا يتمردون ولا يعصون مؤكداً عليه السلام أهمية تفقد أمور هذه الطبقة (وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك)<sup>٧٧</sup>، مذكراته أيضاً بأن من هؤلاء من يتمكن الجشع والشح من نفسه فيدفعه إلى الاحتكار والمضرة (واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة)<sup>٧٨</sup>

### ٥- دلالة التفويض

وفي هذه الدلالة يتوقف تداول الطلب على ما يتصوره المأمور/ المسؤول وما يتحسب له في كيفية إدراكه للموقف المطلوب انجاز الفعل فيه.

وهي تخالف دلالة الجواز والقبول كونها لا تعطي المأمور حرية الاختيار والتعيين؛ بل هي تتطلب منه الانجاز بحتمية إتمام الفعل وليس بجوازية الخيارات في التنفيذ كما في قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم (فاقض ما أنت قاض)<sup>٧٩</sup>

وبهذا التصور يغدو المسؤول مفوضاً إليه البت في الأمور وتقليبها على الوجه الذي يجده جديراً بالاختيار مرتئياً الوصول إلى الخير والفلاح، ومما ورد في كتاب العهد عن صيغة الطلب بالأمر بدلالة تفويض أحدهم قيادة الجيش قوله عليه السلام (فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك وأنقاهم جيياً وأفضلهم حلماً...) <sup>٨٠</sup> فالإمام عليه السلام يميز لواليه اختيار قائد للجيش بلا فرض أو إلزام بتعيين أحدهم والسبب تلك التوافقية والقناعة حول الصفات التي سيتحلى بها هذا القائد والمتمثلة بالطاعة والنقاء والأمانة.

وليس ذلك فحسب بل يتبع جوازية تداول هذا الفعل الانجازي ضرورة ألا يفرض على المأمور/ الوالي متابعة من يوليه على الجيش فرضاً بل يبيح له ذلك

ليعرف كيف يتعامل ذلك القائد مع الجند وما الطريقة المثلى لاختيار الأفضل منهم (وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو..)<sup>٨١</sup>

وقد شرح الشيخ محمد عبده دلالة الأمر (وليكن) فقال: "فليكن أفضل رؤساء الجند من واسى الجند أي ساعدهم بمعونته لهم وأفضل عليهم أي أفاض وجاد من جدته والجدة بكسر ففتح الغنى والمراد ما بيده من أرزاق الجند وما سلم إليه من وظائف المجاهدين لا يقدر عليهم في الفرض ولا ينقصهم شيئا مما فرض لهم بل يجعل العطاء شاملا لمن تركوهم في الديار من خلوف الأهلين جمع خلف بفتح فسكون من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال"<sup>٨٢</sup>

وفي الكلام عن القضاة يتحول الطلب إلى شكل تفويض بانتقاء القاضي الذي يتسم برحابة النفس وحسن الخلق فلا يستطيع ان يمحكه أو يغضبه الخصوم (ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم)<sup>٨٣</sup> "أي لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه"<sup>٨٤</sup>

ويترتب على تفويض الوالي بتولية احدهم أمر القضاء أن يدعمه بالمال ويوسع له فيه لكي يتمكن القاضي من العمل والعطاء وبما يحفظ له هيئته ومنزلته ويأمن من الاشرار (ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك)<sup>٨٥</sup>

ولا يقتصر انجاز الطلب بالتفويض على المهام الجسيمة؛ بل يشمل ايضا المهام التي تعد ثانوية وليست بالاهمية نفسها التي تكون عليها المهام الاساسية ومن ذلك تفويض أحدهم رعاية أناس لا تتاح للوالي رؤيتهم او الاطلاع على احوالهم

او الفقراء" أي اجعل للبحث عنهم اشخاصا يتفرغون لمعرفة احوالهم يكونون ممن تثق بهم يخافون الله ويتواضعون لعظمته لا يانفون من تعرف حال الفقراء ليرفعوها اليك<sup>٨٦</sup>

ويكون في فعلي الامر (تفقد وفرغ) دلالة تفويض بانابة اهل الخشية والورع عنه في (تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال فرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع)<sup>٨٧</sup> ويتوقف فعل الانجاز (التمام في التفويض) بحسب ما يرفعه هؤلاء من الامور الى الوالي (فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه وتعهد اهل اليتيم وذوي الرقة في ممن لا حيلة له)<sup>٨٨</sup>

### دلالة الإخبار

فرّق ابو هلال العسكري بين الخبر والأمر في أن الأمر لا يتناول الأمر لأنه لا يصح أن يأمر الانسان نفسه<sup>٨٩</sup> لكن يمكن أن يكون للأمر دلالة الخبر ومن ذلك استعمال فعل الامر (اعلم) ليغدو الأمر مخبراً والمأمور هو المقصود بالاخبار ومما ورد في مدونة العهد من هذه الدلالة التداولية النصوص الآتية:

(واعلم انه ليس شيء ادعى إلى حسن ظن راع برعيتيه من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم)<sup>٩٠</sup>

(واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة)<sup>٩١</sup>

( اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك.. )<sup>٩٢</sup>

وجدير بالإشارة إلى أن دلالة الامر بالإخبار تأتي أيضا بصيغة المضي (أمر) وهو ما افتتحت به مدونة العهد ليكون بمثابة ابتداء يمهد لفحوى الكتاب بانسياب وبلا مباشرة (أمره بتقوى الله وإيثار طاعته وإتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد إلا بإتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه.. وأمره ان يكسر نفسه من الشهوات وينزعها عند الجمحات فان النفس إمارة بالسوء إلا ما رحم الله)<sup>٩٣</sup>

فقوله عليه السلام (أمره) وتكرارها مرة أخرى يجعل للقول الأول دلالة انجاز الطلب بالامر بحتمية المضي في الفعل (أمر) والدلالة الثانية توكيد ما تم توكيده في الدلالة الأولى بهدف قطع أي شك في مدلولية توصيل الفعل بين الأمر/ القائل والمأمور/ المقول له.

وقد ترد دلالات اخرى تفيد معنى الطلب لكن بصيغة النهي بلا الناهية او بالالفاظ المنصوبات على التحذير<sup>٩٤</sup> والاعراء والتخصيص والدعاء (وأنا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة ان يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه والى خلقه.. وان يحتم لي ولك بالسعادة والشهادة وأنا إليه راغبون) فكان له عليه السلام ذلك حقا.

## الخاتمة

تنطوي صيغة الطلب في تداول الأفعال الامرية المنجزة في كتاب العهد على توحد عقائدي بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بوصفه الكاتب/ الأمر وواليه الاشر النخعي بوصفه المكتوب إليه/ المأمور.

وليس بين أفعال الانجاز في المدونة العهدية إلافروق في الأبعاد التداولية والتي تبين عن معناها للقارئ حين يدركها مستوعبا مدلولات الطلب فيها وهذا ما تتيحه الوظيفة التداولية بناء على قصدية الفعل الانجازي بالحقيقة او المجاز.

ولقد تواترت دلالات افعال الانجاز في الخطاب بصيغة الطلب مشتملة على ابعاد تداولية ووظائف تواصلية استلزاما وافترضا وبما يجعل كتاب العهد وثيقة شاملة تامة حافلة بالغايات والمعاني.

ومن الدلالات التي نتجت عن تداولية أفعال الانجاز الطلبية: الوجوب والالزام والجواز والنصح والارشاد والتفويض والترجيح والاختيار والتوازن والاختبار ولقد انطوت وراء رصد كل واحدة من هذه الدلالات مقصدية الترابط الجدلي بين وظائفية الالفاظ باسانيدها التركيبية وبين السياقات التي وردت فيها وتعابيرها التأشيرية.

## الهوامش

١. التداولية (براغماتية) تأليف جورج يول، ترجمة الدكتور قصي العتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت طبعة أولى، ١٩/٢٠١٠.
٢. ينظر مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ٥١ / ٢٠١٣
٣. م.ن/ ٥٧
٤. م.ن/ ٢٩٦
٥. التداولية (براغماتية) / ٢٧
٦. م.ن/ ٥١
٧. م.ن/ ١٠٣
٨. ينظر: الصاجبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تأليف ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، علق عليه ووضع حواشيه احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٣٨ / ١٩٩٧
٩. التداولية (براغماتية) / ٨٣
١٠. وهذا ما كان الشريف الرضي قد قدم به للكتاب ينظر: نهج البلاغة للامام علي بن أبي طالب عليه السلام، شرحه الامام الاكبر الشيخ محمد عبده، خرّج مصادره الشيخ حسين الاعلمي، الجزء الثالث، شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، الطبعة الثانية. ٢٠١١
١١. نقد النقد رواية تعلم، تزفتان تودوروف، ترجمة د. سامي سويدان، مراجعة ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ / ٨٤.

١٢. الشعرية، تزيطان طودوروف، ترجمة شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الاولى، ١٩٨٧/٤٣
١٣. مبادئ التداولية / ٢٣٨
١٤. ينظر: الفروق اللغوية، لابي هلال العسكري، تحقيق محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٧٧ وينظر: اعجاز القران، لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد احمد صقر، دار المعارف، الطبعة الاولى، د.ت.
١٥. ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية / ٩٧-٩٨
١٦. مبادئ التداولية / ٢٣٥
١٧. مبادئ التداولية / ٢٦٠
١٨. م. ن / ٥٩١
١٩. م. ن / ٥٩٢
٢٠. نهج البلاغة، الجزء الثالث / ٥٧٤
٢١. م. ن / ٥٧٥
٢٢. م. ن / ٥٧٥ هامش رقم ٣.
٢٣. م. ن / ٥٨١
٢٤. م. ن / ٥٨٩
٢٥. م. ن / ٥٨٩-٥٩٠
٢٦. م. ن / ٥٩١
٢٧. م. ن / ٥٩٥-٥٩٦.
٢٨. م. ن / ٥٩٢

٥٨٣ / م. ن. ٢٩

٥٩٥ / م. ن. ٣٠

٥٧٣ / م. ن. ٣١

٥٧٢ / م. ن. ٣٢

٥٩٠ / م. ن. ٣٣

٥٧٢ / م. ن. ٣٤

٥٨٢ / م. ن. ٣٥

٥٨٢ / م. ن. ٣٦

٥٧٢ / م. ن. ٣٧

٥٧٢ / م. ن. ٣٨

٥٧٥ / م. ن. ٣٩

٥٧٧ / م. ن. ٤٠

٥٧٦ / م. ن. ٤١

٥٧٦ / م. ن. ٤٢

٥٧٩ / م. ن. ٤٣

٥٧٤ / م. ن. ٤٤

٥٨٨ / م. ن. ٤٥ وينظر: هامش رقم ٦ ص ٥٨٨

٥٩٥ / م. ن. ٤٦

٥٨٣ / م. ن. ٤٧

٥٧٦ / م. ن. ٤٨

- ٥٨٣ / م.ن. ٤٩  
٥٨٤ / م.ن. ٥٠  
٥٨٩ / م.ن. ٥١  
٥٧٧ / م.ن. ٥٢  
٥٨٦ / م.ن. ٥٣  
٥٨٧ / م.ن. ٥٤  
٥٨٧ / م.ن. ٥٥  
٥٨٧ / م.ن. ٥٦  
٥٨٨ / م.ن. ٥٧  
٥٨٩ / م.ن. ٥٨  
٥٧٥ / م.ن. ٥٩  
٥٧٥ / م.ن. ٦٠  
٥٨٨ / م.ن. ٦١  
٦٢. الآية ١٨٦ سورة البقرة  
٥٧٤ / م.ن. ٦٣  
٥٩١ / م.ن. ٦٤  
٥٨٣ / م.ن. ٦٥  
٥٨٠ / م.ن. ٦٦  
٦٧. م.ن. / هامش رقم ٤ ص ٥٨١  
٥٧٩ / م.ن. ٦٨

٦٩. م. ن / ٥٨٣

٧٠. م. ن / ٥٨٣-٥٨٤

٧١. م. ن / ٥٨٥

٧٢. م. ن / ٥٨٥ هامش رقم ٢

٧٣. ينظر: م. ن / ٥٨٥ هامش رقم ٣

٧٤. م. ن / ٥٨٦

٧٥. م. ن / ٥٨٦ هامش ٢ و ٣

٧٦. م. ن / ٥٨٦

٧٧.

٧٨. م. ن / ٥٨٦-٥٨٧

٧٩. الآية ٧٢ سورة طه

٨٠. م. ن / ٥٧٩

٨١. م. ن / ٥٨٠

٨٢. م. ن / ٥٨٠ هامش رقم ١

٨٣. م. ن / ٥٨١

٨٤. م. ن / ٥٨١ هامش رقم ٦

٨٥. م. ن / ٥٨٢

٨٦. م. ن / ٥٨٨ هامش رقم ٣

٨٧. م. ن / ٥٨٨

٨٨. م. ن / ٥٨٨

٨٩. ينظر: الفروق اللغوية / ٤٢-٤٣

٩٠. م. ن / ٥٧٧

٩١. م. ن / ٥٧٧، ٥٧٨

٩٢. م. ن / ٥٧٢

٩٣. م. ن / ٥٧١-٥٧٢

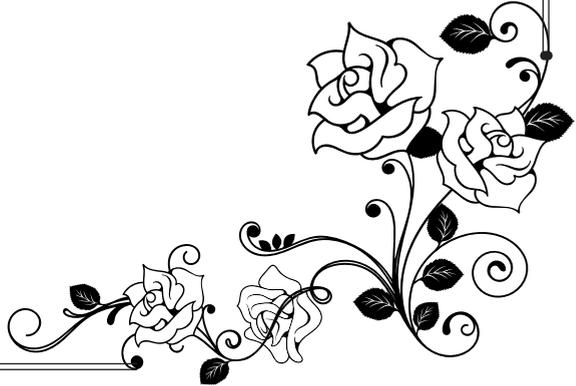
٩٤. ينظر: م. ن / ٥٩٣-٥٩٦ (واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء) (واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد في ما كان من فعلك) (واياك والعجلة بالامور قبل اوانها..) (واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون) (اياك والدماء وسفكها بغير حقها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها)



أسلوبية التوازي الصوتي في عهد الإمام علي (عليه السلام)  
إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه)

-مقاربة تطبيقية-

د. أحمد عبدالعال سعيد  
أستاذ الأدب العربي القديم  
كلية التربية / جامعة واسط





## ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الآلية التي يعمل بها التوازي الصوتي في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر، وتسليط الضوء على أهم أنماطه وبيان إمكاناته التأثيرية والجمالية، ذلك أن التوازي الصوتي في هذا العهد يتعدى حدود التشكيل والإثارة الصوتية إلى تكوين بنية نصية ذات قيمة جوهرية من حيث التوظيف والعلاقات السياقية والاشتغالات النصية: صوتاً وبنياً ودلالة، مما أسس لفرادته عن الخطابات الأخرى (نثراً أو شعراً). من ذلك أنه يشتغل في بنية متنامية تمتد على مساحة واسعة من الخطاب، ليغطي فقرات كاملة ومستقلة، أو قد ينبني في صورة دائرية تواصلية، فضلاً عن أنماط التوازي الصوتي الأخرى التي يشترك فيها مع أشكال الخطاب الأخرى. بما يكشف أن التوازي الصوتي من أهم الأنساق التعبيرية التي انبنى عليها خطاب العهد.

## مهاده نظري:

يعدّ التوازي من المفاهيم اللسانية الحديثة التي انتقلت إلى ميدان النقد الأدبي من طريق كتابات (رومان ياكبسون)، الذي تحدث عن المصطلح وتمثلاته في النصوص الإبداعية في ضوء نظرة شمولية فاحصة تجمع بين اللسانيات والشعرية، إذ رأى في التوازي عنصراً تأليفاً ((يحتل المنزلة الأولى بالنسبة للفن الأدبي))<sup>(١)</sup>. وعلى الرغم من أن محاولته قد سبقت بأخرى مشابهة تتعلق بالحديث عن المصطلح أو ما يقرب منه إلا أنها كانت محاولات جزئية ترتبط بجوانب محددة من اشتغالات المصطلح. إذ أفاد ياكبسون من الأثر السابق عليه لـ (فوكس) و(هوبكنس) و(بيسيلي)<sup>(٢)</sup> ولكنه

تجاوز الرؤية الجزئية إلى رؤية أشمل، يتمظهر فيها التوازي بوصفه تقنية بنائية فاعلة، تُفسَّر في ضوءه القيم الإبداعية أو الشعرية في النص. إذ يبرز في (( نسق من التناسبات المستمرة

على مستويات متعددة: في مستوى تنظيم وترتيب البنى التركيبية وفي مستوى تنظيم وترتيب الأشكال والمقولات النحوية وفي مستوى تنظيم وترتيب الترادفات المعجمية وتطابقات المعجم التامة. وفي الأخير، في مستوى تنظيم وترتيب الأصوات والهياكل التطريزية)) (٣). والتوازي على أساس هذا الفهم (( عنصر بنائي مركزي يقوم على تكرار أجزاء متساوية ترتبط ببنية النص )) (٤) في مستوياتها المتعددة: الصوتية والتركيبية والدلالية. وهذا التكرار يأتي في (( تأليف ثنائي )) (٥) تتماثل فيه الأجزاء وتتشابه في عناصرها من دون أن تتطابق، لأنه يلتزم الخصائص البنائية ذاتها في التشكيل، ومن ثم فهو (( تكرير بنية تملأ بعناصر جديدة )) (٦) على وفق دوبراند وجفرسون. على أن هذا التأليف الثنائي قد يتسع ليؤلف وحدات بنائية أكبر ثلاثية أو رباعية أو أكثر، بمعنى أن المفهوم قد تم وصفه في جهود ياكسون بأبسط تمثلاته النصية.

وفي محاولة تأصيل المفهوم في النقد العربي، هناك شبه إجماع على أن التوازي مفهوم جديد إذا ما قورن بالمفاهيم المتواضع عليها في البلاغة العربية، تلك المفاهيم وإن كان بعضها يقترب منه، إلا أنها لا تشكل معادله التام. ذلك أن التوازي بديل لساني حل محل المفاهيم التي تختزل كل أشكال التوازن والتناظر البلاغية (٧)، كما أن تلك الأشكال التي تم الربط بينها وبين التوازي تضيء جانبا محدودا من اشتغالات المصطلح ولا تتعداها إلى استيعاب الجوانب الأخرى التي استوعبها التوازي.

ومع ذلك فإن أشكال: (الجناس، والتسميط، والتكرار، والترصيع، والتصدير، والترديد، والتقسيم، والتشطير، والمشاكلة، وغيرها من فنون البديع) وإن كانت

تقتصر على جانب محدد (صوتي) فهي تمثل جذورا تراثية رائدة في إدراك خاصية التوازن الصوتي في النص التراثي، مما (( ينقل الدائرة النقدية القديمة في النظر إلى (التوازي) من محور الغياب إلى محور الحضور))<sup>(٨)</sup> وإن كانت بطاقات محدودة. لأن هذه المحاولات كانت تردد هذه الأشكال في صور جزئية منفصلة عن بعضها لم تتح لها أن تبلور في نظرة أشمل تعي الخاصية البنائية التي قام عليها التوازي، (( وليست هذه الحالة خاصة بالبلاغة العربية بل هي طابع البحث القديم في التوازي، كما يذهب الى ذلك ياكسون، الذي يرى أن مبحث

التوازي مبحث لا يعدو عمل القدماء فيه ملاحظات واعدة سرعان ما نسيت، إذ لم تتح لها فرصة التطوير))<sup>(٩)</sup>.

إن التوازي في أوضح حدوده هو (( تماثل أو تعادل المباني أو المعاني، في سطور متطابقة الكلمات أو العبارات، قائمة على الأزواج الفني وترتبط ببعضها، وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة، أو المتوازية))<sup>(١٠)</sup>. وبلحاظ هذه الخصائص فإن التوازي يُعنى برصد مظاهر الانتظام في البنيات النصية على أساس من العلاقة المتماثلة، في الشعر أو النثر، فإذا كانت (( بنية الشعر هي بنية التوازي المستمر))<sup>(١١)</sup>، فإن (( هناك أنماطا من النثر الأدبي تتشكل وفق المبدأ المنسجم للتوازي))<sup>(١٢)</sup>، وطبقا لهذا التصور يبدو التوازي في مظهرين:

الأول: ملازم للغة الشعرية، التي تتألف من منظومة متكررة من المقاطع المتوالية المتتالية المتوازية وهو ما يبدو بوضوح في البنية الإيقاعية.

والثاني: يشير إلى ألوان من التقابل كوسيلة دقيقة منسجمة، وسائدة في اللغة، وبذا يصير التوازي مبدأ من المبادئ الفنية<sup>(١٣)</sup>، التي تمتد في الشعر والنثر.

إن التوازي يتغلغل في نسيج النص الإبداعي، ويتحقق في مستوياته التعبيرية

كافة، إلا أنه في المستوى الصوتي أكثر ظهوراً<sup>(١٤)</sup>؛ ولذا فإن تناول (التوازي الصوتي) في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشرع يعني (إجرائياً) الوقوف عند أكثر أشكال التوازي وضوحاً في هذا العهد.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن التوازي الصوتي لا يعمل بمعزل عن أشكال التوازي الأخرى التي قد تظهر في النص، بل هي تنصهر جميعاً في بوتقة النص الكلية بقصد السمو بالغاية التأثيرية والجمالية، ولذا فإن هذا التحديد بالمستوى الصوتي غايته بحثية، فمن وظائف التوازي الصوتي ووظائفه متعددة هو تعضيد البنيات النصية الأخرى التركيبية والدلالية من أجل خلق بنية نصية نابضة قادرة على إدهاش الملقى وإثارته وإقناعه.

### أنماط التوازي:

يمثل العهد خطاباً شمولياً يكتنز بالأبعاد الفكرية المختلفة: السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وهو ما يتبدى في هذه الصورة التنظيمية للعلاقة التواصلية بين السلطة والرعية؛ ومن وراء ذلك هذا

القانون التنظيمي لمعالم المجتمع الإنساني في ظل الحكومة الإسلامية الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان اللذين ولد فيهما إلى مديات إنسانية أبعد. وإذ يستعين العهد باللغة في أداء ذلك فإنها تحقق ذلك عبر وظيفتين: إفهامية تعتمد الوضوح والدقة لإنجاز فعل التوصيل وترسيخ الدلالة، وجمالية تعتمد مجموعة من التقنيات اللغوية التي تعمق الأفكار وتستقطب المتلقي وتعضد الوظيفة الإفهامية. ومن هذه التقنيات التوازي الصوتي، الذي يلفت انتباه المتلقي في مجموعة من التماثلات الصوتية التي تغطي مساحة واسعة من لغة العهد.

إذ وصل عدد العبارات المتوازية صوتياً في العهد إلى مائة وثمان وتسعين (١٩٨) عبارة، تنوعت في بنائها بين التوازي التام الذي جاء في (١٣٢) عبارة أي بنسبة ٦٦، ٧٪ والتوازي غير التام الذي تجسد في (٦٦) عبارة أي بنسبة ٣٣، ٣٪.

وتأمل هذه النسبة يفضي إلى أن العهد يميل في تشكيل لغة الخطاب إلى خلق لون من التنظيم الخاص، للارتقاء بمستوى اللغة وطاقتها الأدائية والتأثيرية، وذلك بزيادة مستوى التناسب اللفظي والتجانس الصوتي.

ومن نماذج التوازي التام قول الإمام علي (عليه السلام) في خطابه الأشتر: ((وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده))<sup>(١٥)</sup>. أما التوازي غير التام فيمثل قوله عن الفرائض: ((لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها))<sup>(١٦)</sup>

إذ نلاحظ في التوازي التام أن ثمة تماثلاً بين العبارتين (وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده)، (وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده) في عدد العناصر وبنائها الصوتي بل إن أكثر العناصر تكررت بذاتها مما رفع من الفاعلية الصوتية في العبارتين، إذ يشعر المتلقي أنه بإزاء بناء تركيبى وصوتى متوازن، يتلقاه بانسيابية وبصورة منتظمة على الرغم من أنه تحقق في عناصر لفظية كثيرة، عشرة<sup>(١٧)</sup> عناصر في كل عبارة، مما يدل على قدرة على إحكام الصياغة والتعامل مع أسرار اللغة. بينما في التوازي غير التام تتباين العناصر اللغوية بين العبارتين إذ غاب الفاعل (أحد) عن العبارة الثانية لظهوره دلالياً فيها، وفي الوقت نفسه زيد عنصر لغوي جديد وهو الاسم المعطوف (وإضاعتها) مما أسهم في توسيع المعنى ونمو العبارتين دلالياً، لإظهار هذا التعارض التام بين (الاتباع) و(الإضاعة)، ومع هذه الزيادة اللغوية والدلالية إلا أن ذلك لم يفسد الألفة الموسيقية، لأن الزيادة (إضاعتها) وردت

بصياغة صوتية متقاربة لقوله (اتباعها).

إن أنماط التوازي الصوتي تتعدد في العهد بحسب طبيعتها الوظيفية والعلائقية، ولذلك فإن خطة البحث في تناولها ستعتمد على طبيعة التوازيات المرصودة فيه، إذ احتوى على عدة أنماط هي: التوازي المتنامي، والتوازي المتضاد، و التوازي التأليفي، والتوازي الدائري.

١- التوازي المتنامي: وهو تنمية لنواة صوتية بإركام قسري أو اختياري في عدة توازيات جديدة، ضمنا لانسجام الخطاب<sup>(١٧)</sup> بمعنى أن هناك نواة معنوية ذات صورة صوتية متوازية يمنحها المرسل إمكانية التفصيل لتتفتح عن توازيات نصية جديدة.

وهذا النمط من التوازي يمتلك خصوصية في العهد لأنه من التقنيات البنائية التي ينفرد بها إذ لانجده -بحسب اطلاع الباحث- في الخطابات الأخرى، وربما يعود ذلك إلى أنه يتطلب مهارة فائقة وخصوصية في التأليف، تتجاوز التوازي الأصل إلى إحداث توازيات متراكمة تمتد في فقرة كاملة قد تتألف من عدة أسطر، ولذا يؤدي هذا النمط وظيفة مزدوجة: الأولى الجمع بين الجزئيات وتوحيدها، والثانية: (( الوظيفة التداولية المعبر عنها بالاهتمام بالخطاب، أي لفت أسمع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها))<sup>(١٨)</sup>. ومن صور هذا النمط قوله (عليه السلام): (( وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة ))<sup>(١٩)</sup>

تمثل لفظة ( أحب ) بؤرة مركزية في هذا النص التوجيهي، إذ انعكست صيغتها الصرفية في التوافقات الصوتية الثلاثة بعدها ( أوسطها في الحق، وأعمها في العدل،

وأجمعها لرضى الرعية). هذه التوافقات تتحد في المقطع الأول (أوسطها، أعمها، أجمعها)، كما تتحد الأولى والثانية منها في المقطع الثاني (في الحق) (في العدل) إذ تحقق توافقا إيقاعيا منتظما، ((فعلى الرغم من أن هذه المقاطع لا تنتهي بنهايات (سجعات) موحدة إلا أنها تحقق ضربات متعادلة في المقاطع))<sup>(٢٠)</sup>. بيد أن نهاية المتواليات الثلاثة (لرضى الرعية) أحدثت مخالفة وسكونية إيقاعية، سرعان ما يتصاعد أداء النص صوتيا وداليا بعدها، لتمثل نقطة توقف آنية، يتبدل الحديث معها من العلاقة بين الحاكم والرعية إلى الحديث عن الرعية نفسها وعن طبقاتها ليتفتق النص عند هذه النقطة عن توازٍ متنامٍ جديد، إذ ينتهي الأمر إلى موقفين مختلفين ومتعارضين تماما، ولكنها متناسبين أداء وصوتا، فقد اتفقت العبارتان بشكل كامل في عدد الكلّيات وفي عدد حروف كل كلمة - تقريبا - وفي نهاية كل جملة بحرف السجع نفسه (التاء)، وبالنحو الآتي:

إن ←→ إن  
 سخط ←→ سخط  
 العامة ←→ الخاصة  
 يجحف ←→ يغتفر  
 برضى ←→ مع رضى  
 الخاصة ←→ العامة

ومن النصوص التي تحقق هذا النمط من التوازي قول الإمام (عليه السلام) في الحث على اختيار بدائل عن الوزراء الأشرار: ((وأنت واجد منهم خير الخلف، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممن لم يعاون ظلما على ظلمه، ولا آثما على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة،

وأحنى عليك عطفًا، وأقلّ لغيرك إلفًا)) (٢١).

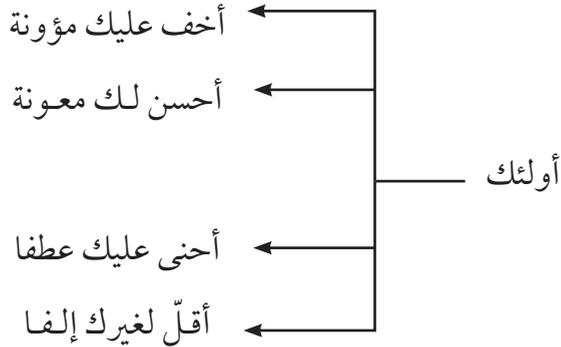
إذ يخلق النص فضاء صوتيا متناميا من خلال سلسلة من التناظرات الإيقاعية المتوازنة التي تأخذ بعضها برقاب بعض في صورة تفاعلية مثلت أعلى درجات الانتظام الصوتي، وهو ما ظهر في توازيات ثلاثة. يبدأ الأول منها بقوله:

له مثل آرائهم ونفاذهم ←  
 ممن ←  
 ليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم ←

إذ يكتسب هذا التوازي ألفة صوتية وإن كانت ثمة مخالفة صوتية في عناصره الأولى ( له ) و ( ليس عليه )، لأن الضمير ( الهاء ) الذي ناب عن المخاطب ظل متحركا في البنية، ولأن النص أضاف عنصرا صوتيا جديدا ( آثامهم ) في المتواليّة الثانية آزر المماثلة الصوتية ورفع من طاقتها. بينما يظهر التوازي الثاني في مماثلة صوتية تكاد تغيب عنها أي مخالفة سوى ذكر ( لا ) في الجملة الثانية وهو قوله:

ظالما على ظلمه ←  
 لم يعاون ←  
 ولا آثما على إثمه ←

ليتنامى التوازي بعد هذا في صورة من المماثلة التامة في أربعة توافقات، ترتبط كل اثنتين منها بتقفية واحدة:



ومما يلاحظ في النص أنه اعتمد بناء صوتيا مختلفا في كل نسق من أنساق التوازيات الثلاثة، مما يعكس تعددية وتباين التوازيات المستعملة فيه، هذا التلوين الصوتي جاء لإحداث تناسب بين المبنى والمعنى، وكذلك لشحن النص بطاقات صوتية متراكمة تمدّه بفاعلية تأثيرية تتجاوز الوعي بالدلالات الظاهرة إلى أخرى متخفية، يشعر بها المتلقي عبر هذه الإيحاءات الصوتية، ومن هنا يمكن القول: إن التوازي الصوتي ينطوي على منحى إيجائي ينشر الظلال ويعمق الدلالة ويسمح بتعالق الصور وتوالدها في نسق من التناظر، وهو ما يبدو في الصورتين (أحنى عليك عطفًا) و (أقلّ لغيرك إلفًا)، بحيث يأتي السياق المتوازي على هيئة لوحة مكتملة الظلال والألوان، يتمازج فيها الصوتي والدلالي.

٢- التوازي المتضاد: تشابه بين طرفين متعادلين ومتتالين على مستوى البنية الصوتية، ولكنهما متقابلان تقابلا ضديا من حيث العناصر اللغوية<sup>(٢٢)</sup>. وهذه البنية المتضادة تظهر بوصفها مكونا صوتيا تعالقا تتأسس وفقها بعض خطابات العهد الفكرية والوجدانية. فمن أهم الأصول المنهجية المتبعة في العهد اعتماد العقل والاستدلال والكشف كآلية متبعة لإرساء مشروع، وتعزيد هدفه في التأثير، وهو ما يبدو في أحيان كثيرة في رؤية جدلية تعرض الأمر على وجوهه المتعارضة بحثا عن الحقيقة اليقينية، وهذا الاستدلال يتخذ طابعا تقابليا في

الغالب، ويظل حاضر بقوة في تناول العديد من الظواهر والقضايا التي تبدو مسaire ومصاحبة لكل زمان ومكان، فالعهد وإن كان يتوجه في خطابه إلى متلق محدد (مالك الأشر الحاكم الجديد) إلا أنه في عمومته يفتح على أفق التلقي العام الذي تحضر فيه كل إدارة متميزة، وذلك لأن العهد استند إلى الحقائق المعرفية الثابتة في النفس الإنسانية والمستوحاة من روح الإسلام ومبادئه، وهي - بالتأكيد- صالحة للناس في كل زمان ومكان. وهذا النسق من التوازي في نص العهد من عناصره الاستدلالية التي ضمنت لتتجاه قوة حجائية وإقناعية<sup>(٢٣)</sup>. ويمكن أن نقف على بعض صورته، ومنها قول الإمام في عدم المساواة بين (المحسن والمسيء): ((فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان وتديبا لأهل الإساءة على الإساءة)). فالجملتان المتوازيتان (تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان) و (تديبا لأهل الإساءة على الإساءة) اتفقتا صوتا وتركيبا ودلالة، وهذا التعاضد لصور التوازي الثلاث، صعد من حركية النص باتجاه التعارض، فتكرار الملفوظات صوتيا (أهل الإحسان) و (أهل الإساءة) وتكرار (الإحسان والإساءة) فضلا عن توازيها ركز في مخيلة المتلقي هذه الصور المتناقضة، بل إن النص فعّل من ذلك حينما اختار لكل من الإحسان والإساءة (أهلا)، ليجعل من هذه الصفة ملازمة لكل صنف، زاد من رسوخ مبدأ التعارض بين الطرفين وضرورة الأخذ بميزان العدل بينهما مجيء التوازي مؤكدا ب(إن). ومن أمثلة هذا التوازي أيضا قول الإمام (عليه السلام) في العناية الشديدة بشؤون الرعية: ((فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه)).

إذ رسم هذا القول صورتين متوازيتين للمنفعة، بأسلوب مركز ومكثف، نجح في تنظيم المتضادات ومراعاة ترتيبها. ففي النص مماثلة صوتية بين الملفوظات (اليسير - للجسيم) و(موقعا - موضعا) و(ينتفعون - يستغنون)

و( به - عنه ) بيد أن بينها مفارقة دلالية، عززت من العلاقة الجدلية داخل النص. فاليسير يباين الجسيم ولذلك فإن ما يتصل بهما جاء متباينا أيضا، وقد يبدو أن ( موضعا ) و( موقعا ) متقاربان في المعنى إلا أن تعلق كل واحد منهما بمستوى معين للمنفعة منحهما فارقا دلاليا دقيقا. ومما يلفت الانتباه في النص أنه قدّم المهم (اليسير) وأخر الأهم (الجسيم) مما يعني أن التوازي قد لا يلتزم بالمواصفات المعيارية ويتخذ طابعا انزياحيا، غايته هنا العناية بالمتقدم ولفت الأنظار إلى أهميته أيضا، إذ لا يمكن تصور تلبية (اليسير) دائما، أي إن العهد ينطوي على رؤية متوازنة في تفحص شؤون الرعية وتلبية حاجاتها جميعا الأساسية منها والثانوية بما يخلق حياة أمثل.

٣- التوازي التألفي: هو التوازي الذي تكون فيه الجملة الثانية وأحيانا عدة جمل متتالية مكملة أو ملحقة بالجملة الأولى<sup>(٢٤)</sup>. بما يعين على إتمام المعنى وبلورته في إطار بنية صوتية منسجمة، ويمكن أن نرصد هذا النمط من التوازي في الفقرة الآتية من العهد: (( أنصف الله وأنصف الناس ؛ من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك ))<sup>(٢٥)</sup>.

فالجملة الثانية ( أنصف الناس ) متوازية صوتا ودلالة مع الجملة الأولى ( أنصف الله ) وربما كان لتكرار ( أنصف ) أثر في ذلك إذ لم يكتف النص بها مرة واحدة، وإنما كررها لتحقيق قيمة إيقاعية وقيمة دلالية لكي لا يساوي النص بين إنصاف الله وإنصاف الناس، وهذا التوازي التألفي إيضاحي استدعى مكملات جديدة، جاءت بصيغ متوازية، فكأنه ينطوي على سؤال مؤداه: أنصف الله وأنصف الناس ممن؟ لتأتي المكملات الجديدة في نسق من التوازي الثلاثي تكشف عن ذلك وتجليه. وهذه التوازيات الثلاثة ذات ملامح صوتية متماثلة على الرغم من أن الثانية والثالثة

منه ضُمَّت عناصر لغوية جديدة، ألا أن ذلك لم يفسد سمة التناسب الصوتي فيها، لأن الإضافة في الجملة الثانية اقتصرت على عنصر واحد ( خاصة )، أما الجملة الثانية التي اشتملت على أكثر من إضافة ( من لك فيه هوى ) فما حفظ الخاصية الصوتية المنسجمة فيها إن الإضافة الجديدة لم تتخلَّ عن (الكاف) في ( من لك ) الذي مثل النهاية المسجوعة في هذه التوازيات الثلاثة.

إن هذا التوازي ((يشعر المتلقي إزاءه بقيم دلالية، وطاقات جمالية نابعة من مستويات التناسب اللفظي... الذي ينهض بالنص، وينظم الفاعلية الإيقاعية التي تعمق المعنى، وتزيد من فاعلية الجرس الموسيقي المؤثر))<sup>(٢٦)</sup> الذي يبدو في صورة منتظمة مؤتلفة أكثر من أنماط التوازي الصوتي الأخرى في العهد إلى درجة أنه يكاد يدخل النص الذي يرد فيه في بنية صوتية متطابقة، ويظهر ذلك في حث الإمام للأشتر بأن يختار لعبادته: (( أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله، إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية ))<sup>(٢٧)</sup>.

فقد ضمَّ هذا النص أنموذجين للتوازي التأليفي ذي العلاقات الثنائية، اللذين يتوقف تمام المعنى فيهما على العلاقة الثانية. وقد جاءت الجملتان في كل نسق من هذه الأنساق المتوازية متماثلة تماثلاً تاماً في عدد الكلمات وتطابق الحرف الأخير من كل كلمة تقريباً. وبالنحو الآتي:

- أفضل تلك المواقيت
- أجزل تلك الأقسام
- صلحت فيها النية
- سلمت منها الرعية

مما يمنح النص فاعلية صوتية منسجمة تبعث على هدوء الإرسال ووصول

النص في دفعات منتظمة إلى المتلقي، ولذا لا نبالغ إذا قلنا: إن هذا النص يدخل في تأليف شعري أكثر منه في تأليف نثري. ويمكن أن نطالع نصوصاً أخرى مشابهة في التوازي التألفي منها: ((املِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسُورَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرَبَ لِسَانِكَ))<sup>(٢٨)</sup>.

٤- التوازي الدائري: من خلال قراءتنا للعهد، وجدنا أنه يعتمد على نمط من التوازي الصوتي يمكن أن نطلق عليه (التوازي الدائري) الذي يعني أن تتألف الفقرة من توازيات صوتية عدة يتشاكل الأخير منها مع أنساق متقدمة الأمر الذي يؤلف توأصلاً صوتياً دائرياً، وهذا النمط يأتي في مواضع قليلة من العهد منها: ((وليس أحد من الرعية، أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإيصال، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملهات الدهر من أهل الخاصة))<sup>(٢٩)</sup>.

فهذا النص ضمّ مجموعة من الجمل المتوازية، إذ تتألف الجملتان الأولى والثانية منها ثم الثالثة والرابعة، لتأتي الجملة الخامسة بعد ذلك فتشكل من جديد نسقاً توافيقاً مع التوازي الأول، فقلوه: (وأقل شكراً عند الإعطاء) يماثل قوله: (وأقل معونة له في البلاء). وهو ما يصعد من الطاقة الإيقاعية في النص، ويكسر ما قد يترتب على ذلك من رتابة أو استمرارية ربما تنتهي به إلى الاعتيادية<sup>(٣٠)</sup>. ويمكن أن نرصد توازياً دائرياً آخر في النص فقلوه (من أهل الخاصة) يمثل عودة على نقطة البداية (من العامة)، فبين العبارتين علاقة صوتية ودلالية، وهذا التوافق بين نقطتي البداية والنهاية وازن النص وعمل على شد أجزاءه، وأضفى عليه طابعاً تشويقياً يجذب المتلقي الذي يتشوق في تلقيه البداية إلى معرفة النهاية. وبذلك يخرج التوازي الصوتي ((عن وصفه ظاهرة (صوتية) أو (شكلية) أو (جمالية) ليكتسب قواماً بنائياً وأسلوبياً يرفد النص بالتلاحم والترابط))<sup>(٣١)</sup>.

### ثبت المصادر

١. أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عبدالله خضر حمد، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن، ٢٠١٣م.
٢. البديع والتوازي، د. عبدالواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع الفنية، ط١، الاسكندرية، ١٩٩٩م.
٣. بنية التكرار في شعر أدونيس، د. محمد مصطفى كلاب، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج ٢٣، ع١، ٢٠١٥م.
٤. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.
٥. التوازي التركيبي في ديوان فجر الندى لناصر لوحيشي، حلاب نور الهدى، رسالة ماجستير، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، الجزائر، ٢٠١٤م.
٦. الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري، د. علي عبدالإمام الأسدي، تموز للطباعة والنشر، ط١، دمشق، ٢٠١٣م.
٧. قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.
٨. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
٩. مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٧م.

١٠. المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النشر، نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ٢٠٠٨ م.
١١. المفكرة النقدية، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ٢٠٠٨ م.
١٢. الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠١ م.
١٣. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، مؤسسة المختار، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٦ م.
- ١٤.

## الهوامش

١. قضايا الشعرية، رومان ياكسون: ١٠٣.
٢. ينظر: المصدر السابق: ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨.
٣. قضايا الشعرية: ١٠٦.
٤. المفكرة النقدية، د. بشرى موسى صالح: ٥٣.
٥. قضايا الشعرية: ١٠٣.
٦. لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٢٩.
٧. ينظر: التوازي التركيبي في ديوان فجر الندى، حلاب نور الهدى: ١٨.
٨. المفكرة النقدية: ٥٥.
٩. الموازنات الصوتية، د. محمد العمري: ٣٥.
١٠. البديع والتوازي، د. عبدالواحد حسن الشيخ: ٢٤.
١١. قضايا الشعرية: ١٠٥، ١٠٦.
١٢. المصدر السابق: ١٠٨.
١٣. ينظر: البديع والتوازي: ٨.
١٤. ينظر: المفكرة النقدية: ٥٤.
١٥. نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده: ٤٢١.
١٦. المصدر السابق: ٤١٦.
١٧. ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح: ٢٥.
١٨. لسانيات النص: ١٧٩.

١٩. نهج البلاغة: ٤١٨ ٤١٩.
٢٠. المستويات الجمالية في نهج البلاغة، نوفل أبو رغيف: ٨٦.
٢١. نهج البلاغة: ٤٢٠.
٢٢. ينظر: مدارات نقدية، فاضل ثامر: ٢٣١، أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عبدالله خضر حمد: ٢٦٠.
٢٣. ينظر: الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري، د. علي عبدالإمام الأسدي: ١٥٢.
٢٤. ينظر: مدارات نقدية: ٢٣٢.
٢٥. نهج البلاغة: ٤١٨.
٢٦. بنية التكرار في شعر أدونيس، د. محمد مصطفى كلاب: ٨٨.
٢٧. نهج البلاغة: ٤٣١.
٢٨. نهج البلاغة: ٤٣٥.
٢٩. المصدر السابق: ٤١٩.
٣٠. ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة: ٩٥.
٣١. المفكرة النقدية: ٥٦.



اسلوبية الحجاج في عهد الامام علي (عليه السلام)

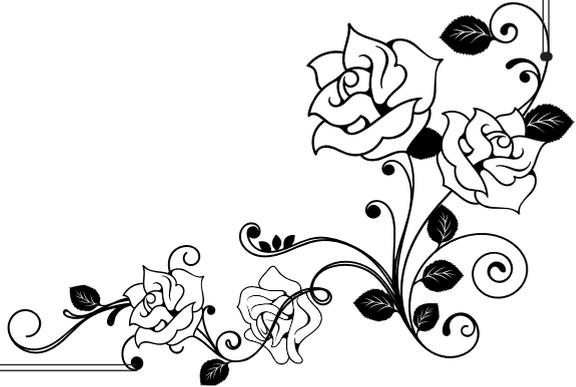
لمالك الاشر (رضي الله عنه)

أ.م.د. اسراء خليل فياض

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

م.د. آيات عبد جوني

كلية الاداب/ الجامعة المستنصرية





## توطئة :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.... وبعد

يمتاز اسلوب امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) بالبلاغة والفصاحة والاقناع فضلا عن جمالية السياق اللفظي والتركيبي والتصويري والايقاعي، فهو سيد البلغاء يمتلك زمام الكلمة وسر ابداعها في خطبه وشعره ومؤلفاته برمتها. ومن هنا كانت الرغبة في دراسة اسلوبية الحجاج في واحد من مآثره الخالدة وهو العهد الذي وجهه الى والي مصر مالك الاشر. فبعد ان قرأنا العهد وما فيه من مضامين ادارية وقضائية متعددة تمثلت من خلال موضوعات جانبية متفردة في هذا العهد القضائي والوصايا الادارية التي تخوض في صميم العمل القضائي فضلا عن خوضه في جوانب النفس الانسانية وما تشعر به ازاء الحاكم في مختلف تصرفاته وبتة في الامور وحكمته التي تنطلق من نفس بشرية تخاطب النفس البشرية المخاطبة. وجدنا قضايا حجاجية متعددة يحتاج اليها المحتوى النصي السياقي بموضوعاته المختلفة تمثلت من خلال الالفاظ والتراكيب والصور والايقاع. وعلى هذا الاساس كان البحث بمحاور متعددة. جاء المبحث الاول ليسلط الضوء على العهد وموضوعاته في نظرة شمولية تعريفية ومن ثم جاء المحور الثاني في مفهوم الحجاج ومضامينه التعريفية، وجاء المحور الثالث ليخوض في الاساليب والتراكيب الحجاجية في العهد، وكان المحور الرابع خاصا في حجاجية الصورة في تشخيصها وتجسيمها ورسمها الابداعي، ولا بد لنا من الاشارة الى اننا في محوري التراكيب والصور اعتمدنا المنهج التحليلي الفني فعرجنا من خلال التجليل الى ايقاعية الاصوات ودلالة الالفاظ ان تطلب الامر ذلك بما ينسجم والسياق النصي. ثم خاتمة البحث التي عرضنا فيها النتائج البحثية. وفهرس بالهوامش ومصادر البحث.

### المحور الاول: التعريف بالعهد ومضامينه الموضوعية

لاشك قبل ان نعرف بالعهد ومضامينه الموضوعية علينا ان نتحدث قليلا عن المؤلف او المرسل (الامام علي عليه السلام) ونتحدث عن المرسل اليه المباشر او المتلقي المباشر او المخاطب المباشر (مالك الاشتهر) وقلنا المرسل اليه المباشر لان هناك متلقي او مرسل اليه ضمنى او خارجي وهو القارئ من اي زمان ومكان، وبعدها نتحدث عن الرسالة (العهد) ومضامينه الموضوعية المتعددة.

#### اولا: المؤلف او المرسل (الامام علي بن ابي طالب عليه السلام)

هو علي بن ابي طالب، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة بن لؤي، بن غالب. بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن الحزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. ومن القاب، امير المؤمنين، اسد الله الغالب، يعسوب الدين، ولي الله الاعظم، المرتضى، حيدر، الكرار، ومن الكنى التي عرف بها: ابي تراب، ابي الحسن، ابي زينب. ابي الحسين، ابي السبطين. (١)

ابوه عمران وقيل اسمه عبد مناف، ويكنى بابي طالب، وهو شيخ البطحاء، وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف ولقد كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنزلة الام. (٢)

ولد يوم الجمعة ١٣ رجب بعد عام الفيل بثلاثين عاما، ايام سلطنة خسرو وبرويز من ملوك الفرس، وكان محل ولادته في مكة المكرمة وفي جوف الكعبة المعظمة، عاش ٦٣ سنة. وكانت مدة امامته ٢٩ عاما من سنة ١١ هجرية الى سنة ٤٠ هجرية. (٣)

تزوج من سيدة نساء العالمين بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السيدة فاطمة الزهراء البتول (عليها السلام). استشهد يوم الاثنين او الاحد ٢١ رمضان

وقيل ليلة الجمعة ٤٠ هجرية. وكان سبب شهادته ضربة الملعون عبد الرحمن بن الملجم المرادي بالسيف المسموم على رأسه وهو في المحراب يصلي صلاة الفجر في مسجد الكوفة، وقد دفن في النجف الاشراف في العراق<sup>(٤)</sup>.

وكان (عليه السلام) معروفاً بشمائله الاصيلية وابرزها الشجاعة والبلاغة، وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب مقابله فهو مبارز احدا الاقتله، ولا فرق، اذ يقول عن نفسه (ما بارزت احدا الا وكنت انا ونفسي عليه)، ومن الشواهد البارزة على شجاعته التي لاتضاهى مبيته في فراش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فوقى الرسول وفداه بروحه<sup>(٥)</sup>.

وعرف فارساً شجاعاً في واقعة بدر حيث بارز الوليد بن عتبة حتى ارداه قتيلاً وشارك عمه الحمزة في قتل عتبة واشترك هو والحمزة في قتل شيبه<sup>(٦)</sup>.

اما عن بلاغته فهو سيد البلغاء فالنص عنده ينقل الافكار بصدق تام فهو كان قادراً في فنونه البلاغية المبدعة، وكان فصيحاً فكلامه اشرف الكلام بعد كلام الله تعالى وابلغه واغزره مادة وارفعه اسلوباً، وهو يقدم النص الوصفي بقدرة رائعة ويستنتق الصفات واهبا اياها المقدرة على ان تستعرض نفسها، وقد تميز بقوة ملاحظته النادرة وذاكرة قوية تغذي الفكر والخيال<sup>(٧)</sup>.

ونحن في هذا المقام لانريد الاطالة في سيرته (عليه السلام) لانه اشهر من نار على علم وقد كتب في سيرته الجليلة المجلدات الكثيرة، ونكتفي بهذه النبذة المبسطة عن سيرته العظيمة (عليه السلام).

## ثانياً: المتلقي النصي ( المرسل اليه ) وهو مالك الاشر:

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة النخعي، ولقب بالاشتر لان احدى عينيه (شترت) اي شقت في معركة اليرموك، ولد ما بين سنة (٢٥\_٣٠) قبل الهجرة، عاصر مالك الاشر النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه لم يره ولم يسمع حديثه وقال عنه الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) انه المؤمن حقاً، وهذه الشهادة مابعدھا شهادة بالاكيد. ومالك الاشر من المجاهدين الذين شاركوا في حروب الردة، والفتوحات الاسلامية وله الدور المميز في معركة اليرموك التي نشبت بين المسلمين والروم سنة ١٣ هجرية.<sup>(٨)</sup>

وكان الاشر لسان صدق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لما اصاب الدولة الاسلامية من الانشقاق والفتن، وكان مواليا لامير المؤمنين ولم يفارقه قط لاقبل توليته الخلافة ولا بعدها اذ كان جنديا وفيما مخلصا له، وبعد خلافته (عليه السلام) سنة ٣٦ هجرية جعله واليا على مصر وارسله الى مصر، استشهد مالك الاشر سنة ٣٧ هجرية بعد ان دس له السم معاوية عن طريق رجل من اهل الخوارج فاستشهد ودفن في مصر<sup>(٩)</sup>

وبعد ان تحدثنا عن المرسل والمرسل اليه (النصي)، نقول ان المتلقي الضمني او القارئ الضمني شاخصا من خلال القراءة لهذا الاثر الجليل الذي مازال عالقا في الاذهان وسيبقى دستوراً ارشاديا لكل والي الى يوم يبعثون، وها نحن اليوم نرى الاف البحوث تكتب عن هذا الاثر الخالد والجليل. وجاء الدور الان لتحدث عن الرسالة النصية او مضمون ومحتوى العهد بصورة موجزة من خلال الاستعراض الموجز لموضوعاته.

### ثالثا: مضامين العهد (الرسالة النصية) :

تألف العهد من ثلاثة واربعين موضوعا اداريا وتصب هذه الموضوعات في صميم العمل القضائي والاحكام الادارية وكانت مواضيعها كالاتي: (١٠)

اولا: الامر بالتقيد بالقانون وضبط النفس

ثانيا: اخذ العبرة ممن سبقه في الحكم

ثالثا: العمل الصالح والرحمة بالناس والعفو

رابعا: اطاعة القانون وعدم التكبر

خامسا: العدل والانصاف وتجنب ظلم العباد

سادسا: سحق الناس

سابعا: المخبر والواشي

ثامنا: المستشار البخيل والجبان

تاسعا: عدم استخدام مسؤول سابق خائن لشعبه

عاشرا: استخدام الثقة الصادقين

حادي عشر: الاحسان وحسن الظن

ثاني عشر: ادامة العمل الجيد السابق

ثالث عشر: مجالسة العلماء والخبراء

رابع عشر: الاجهزة الامنية والقضاء

خامس عشر: مراعاة التجار والكسبة

سادس عشر: مراعاة المستضعفين من الناس

سابع عشر: قيادة الجيش

ثامن عشر: رعاية وجهاء الناس

تاسع عشر: صفات قادة الجيش ورعايتهم للجنود

عشرون: العدل والتواصل مع الناس

احدى وعشرون: اختيار المدراء والقضاة

اثنان وعشرون: اختيار الولاية (المحافظين)

ثلاث وعشرون: مراقبة اعمال المحافظ والمسؤولين المقربين

اربع وعشرون: متابعة الضرائب واعمار البنى التحتية

خمس وعشرون: توفير الخدمات للناس اولاً ثم الضرائب

سادس وعشرون: اختيار السكرتير والجهاز الاداري والمالي

سابع وعشرون: التجارة والصناعة

ثامن وعشرون: منع الاحتكار ومعاقبة المحتكر

تاسع وعشرون: رعاية ذوي الدخل المحدود من الناس

ثلاثون: رعاية الايتام والمسنين

احدى وثلاثون: لقاء المسؤول المباشر مع الناس وآدابه

اثنان وثلاثون: اجابة المسؤولين في درجة اسفل

ثلاث وثلاثون: جدولة العمل اليومي وبذل الجهد

رابع وثلاثون: امامة الناس في الصلاة وبساطتها

خامس وثلاثون: اطالة الاحتجاب عن الناس

سادس وثلاثون: الحذر من الحاشية ومراقبتهم

سابع وثلاثون: الركون الى السلم والصلح ومنع الحرب

ثامن وثلاثون: الحفاظ على العهد مع العدو

تاسع وثلاثون: صفة وثيقة العهد

اربعون: حفظ حرمة دم المواطن

احدى واربعون: النهي عن المنة واعجاب المسؤول بنفسه

ثاني واربعون: نهي المسؤول عن التسرع والاستئثار

ثالث واربعون: الاتعاظ بسلوك الحكومات السابقة

اربع والابعون: الامام علي (عليه السلام) يذكر مالكا بوصية الرسول (ص)

خمس واربعون: يدعو لنفسه ومالك بالتوفيق وعاقبة الشهادة

ولاشك ان الامام علي (عليه السلام) في تلك المضامين لم يدع صغيرة ولاكبيرة

في امور الولاية والحكم الا وذكرها ضمن هذه المضامين الموضوعية والتي تضم بين

سطورها الاسلوب البلاغي المقنع والرصين وذلك ما دعانا الى البحث في قضية

الحجاج الاسلوبي في تلك المعاني السامية.

## المحور الثاني: مفهوم الحجاج

الحجاج هو تقديم الحجج المؤدية الى نتيجة معينة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية ومعنوية داخل الخطاب. وبعبارة اخرى يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الاقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها بمثابة النتائج التي تستتج منها. (١١)

ويعد الحجاج من اهم النظريات التي تهتم بها التداولية الى جانب نظرية التلفظ وافعال الكلام، وهو يرتكز اساسا على دراسة الاسلوب الذي ينسجه المتكلم للتعبير واقناع المتلقي بالموضوع او الرسالة النصية التي يريد ايصالها الى المتلقي المباشر وغير مباشر بمختلف الطرائق الاسلوبية كالاشارات والعبارات والحجج، اذ لا يمكن لاي مخاطب شاعر او كاتب ان يستغني عن هذا الاسلوب الذي يستهوي المتلقي، ومصطلح الحجاج له جذور عميقة في البلاغة اليونانية عند سقراط وافلاطون وارسطو. (١٢)

والحجاج هو الحججة والبرهان، وقيل الحججة مادو فع به الخصم، والتجاج التخاصم وجمع الحججة حجج وحجاج وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحججة. والحجة هي الدليل والبرهان ومنه تخرج لفظة الحجاج مرادفة للجدل. (١٣)

وتذهب معظم التعاريف الاصطلاحية للحجاج الى ان الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما، متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لاقناع الغير والمستمع له حق الاعتراض عليه ان لم يقتنع، والصفة الثانية للحجاج هي كونه جدلي لان هدفه اقناعي، والحجاج عملية تواصل مع الاخر من اجل التأثير وهذا التأثير ينتج من خلال استعمال وسائل مختلفة، ويعتمد الحجاج اساسا على مرسل ومرسل اليه، والدور الكبير في هذه العملية يعود الى المرسل نظرا لما يبذله

من جهود ذهنية للحصول على حجج مقنعة وعلى المرسل ان يكون بارعا في اختياره لهذه الحجج نظرا لتفاوتها في درجات الاقناع. (١٤)

ويعد البيان من اهم الاساليب الاقناعية فضلا عن الاساليب التركيبية والبنى الايقاعية فهناك الكثير من الاليات الحجاجية والاسلوبية التي تسهم في تعزيز الدور الاقناعي في النص كالاتناب والفصل والوصل والتكرار والنفي، فضلا عن ادوات الربط التي تسهم في تعزيز المعنى وتقويته والتضاد والترادف، ولاننسى الاستعارة ودورها الهام في الحجاج حيث تعد الاستعارة الحجاجية بانها تمثيل ناتج عن الانصهار بين عناصر الصورة الحجاجية. (١٥)

ووفقا للنظريات النقدية الحديثة اصبحت بنية الحجاج تعالج معالجة لسانية محظة وفق المرسل والمرسل اليه (المتلقي)، والرسالة (النص او الخطبة)، وتقسم وظائف الحجاج الى: القناع الفكري الخالص اولا، والاعداد لقبول أطروحة ما ثانيا، والدفع الى العمل ثالثا. (١٦)

والحجاج هو "حرية وحوار عقليين، ولا يمكن الاستغناء عن الاطر المكونة له والمحيطة به ولاسيما الاستدلال والخطابة." (١٧)

ولانريد ان نفصل القول اكثر في هذا التنظير عن الحجاج ومفهومه. لان الغرض من البحث هو الدراسة التحليلية الاجرائية والتي سنتناولها في المحاور القادمة.

### المحور الثالث: حجاجية التراكيب والاساليب

شكلت الاساليب النحوية والبلاغية تقنية حجاجية في مختلف مضامين العهد وبمواضع مختلفة تنسجم والسياق الحجاجي الابلاغي المقنع ولايفوتنا القول اننا نجد ان الاسلوب الحجاجي توالد من اساليب متعددة ولكننا حين نقسم دراستنا الى محاور غرضنا تسلسط الضوع على الاسلوب الاساس الذي شكل الهيمنة الحضورية في السياق النصي ومن ثم نهرج الى الاساليب الاخرى الموشحة مع هذا الاسلوب الاساس او المهيمن. فمن اسلوبية القصر في تعزيز النص الحجاجي قوله وهو يأمره بطاعة الله واتباع او امره اذ يقول: «امرہ بتقوى الله، وایثار طاعته، واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه، وستته، التي لايسعد احد الا بتباعها، ولايشقى الامع جحودها، واضاعتها» (١٨)

فمن خلال توظيفه لاسلوبية القصر الذي هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص (١٩) وبشكل متواز تقسيمي فضلا عن الصورة التجسيمية المتجسدة من خلال تجسيمه للفرائض الدينية بالاتباع والجحود فتلك الثنائية جسدت ذلك الابداع الاسلوبي الحجاجي الذي بني على القصر ثم توالدت منه الفنون البلاغية الاخرى كالتقسيم والتضاد والاستعارة لتكتمل الصورة الحجاجية.

فلايسعد احد الا بتباعها = ولايشقى الامع جحودها واضاعتها

وقد وظف الامام علي (عليه السلام) الجمل الخبرية التوكيدية كثيرا في بناء النص الحجاجي ومن ذلك قوله "ثم أعلم يا مالک اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك. من عدل وجور، وان الناس ينظرون من امورك في مثل ماكنت تنظر فيه من امور الولاية قبلك، ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم، انما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده" (٢٠)

فالنص قائم على التقريرية والاسلوب التوكيدي الخالي من المجاز وقد اعتمد السياق الحجاجي على التكرار التوكيدي ومن خلال اسلوبية الاطناب المتحققة في التكرار المعنوي بقوله "وان الناس ينظرون من امورك في مثل ماكنت تنظر فيه من امور الولاية قبلك، ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم، انما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده" (٢١)

وقد حققت اسلوبية الوصل، ثم الفصل المتحقق في الجملة الاخيرة من خلال (ما) التي كفت ان عن العمل لتحقيق اسلوبية التوكيد المتواصل في هذا السياق النصي مما عزز الابداع الاقناعي الحجاجي التوجيهي المتضمن في هذا النص.

وقد اتخذ الامام علي (عليه السلام) من النص القرآني والحديث النبوي الشريف وسيلة وحجة ودليلا اقناعيا برهانيا اذ تأتي "فاعلية هذا الاخذ في دعم النص الخطابي وتأكيده بمصدر الاحتجاج الاول وهو القرآن الكريم" (٢٢)

وبمصدر الاحتجاج الثاني وهو الحديث النبوي الشريف، اذ يأتي الامام بالنص القرآني كاملا غير محور أو مقتبس ليكون خطاب المرسل مدعوما بحجة وبرهان لا يمكن الحياد عنه من جهة ومن جهة اخرى تكون ابلاغية النص متيسرة مقبولة لدى المتلقي. «واردد الى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب، ويشتبه عليك من الامور، فقد قال الله سبحانه وتعالى لقوم احب ارشادهم "يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول" (٢٣)، فالرد الى الله الاخذ من كتابه، والرد الى الرسول الاخذ بستته الجامعة غير المتفرقة. (٢٤)

فالنص القرآني يأتي متعالقا دلاليا ومعنويا ونفسيا مع حديث الامام وحثه لمتلقيه في رد ما يضلعه من الامور الجسام ويشتبه عليه من الامور الى الله سبحانه، والى

الرسول مبينا ان الرد الى الله يكون بمحكم كتابه والرد الى الرسول هو الاخذ بسنته الجامعة غير المفارقة فالنص القرآني جاء مكملا ومؤكدا لما اراد الامام ايصاله للمتلقي بوصفه بنية احتجاجية ووسيلة اقناعية فتطابقت مع مايقول الامام في تصوير امر نفسي فمفتاح الاقناع كامن في تعلم المتلقي من خلال المعلومات التي يقدمها القائم بالاتصال حتى يتغير البناء النفسي الداخلي للفرد، المستهدف (الاحتياجات، المخاوف التصرفات) مما يؤدي الى السلوك العلني المرغوب. (٢٥)

وفي حثه لملك وتحذيره من المن على رعيته يلجأ الى ختام خطابه بالنص القرآني اذ يقول: «اياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك، او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فان المن يبطل الاحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال سبحانه: (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)» (٢٦)

اذ جاءت الآية القرآنية بنية تفسيرية للمرسل اليه لما تقدم من خطاب، اما الحديث النبوي الشريف فنجده يلجأ اليه كوسيلة اقناعية غير مباشرة لخطابه، اذ يقول في الحديث عن الاحتكار: «واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع، وتحكما في البياعات، وذلك في باب مضره للعامة وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار، فان رسول الله منع منه» (٢٧)

فقد اشار الى منع رسول الله للاحتكار والنهي عنه، كما ورد في احاديث كثيرة منها ماورد عن ابن ماجه والحاكم عن ابن عمران، ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» (٢٨) وما روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) «من احتكر الطعام اربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه» (٢٩)

ومن الاحاديث النبوية التي احتج بها الامام بصورة مباشرة في خطابه وحديثه

عن المسؤول المباشر مع الناس وادابه اذ يقول: " واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرع لهم فيه شخصك. وتجلس لهم مجلسا عاما، فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتفقدك جندك، واعوانك من احراسك وشرطك، حتى يكلمك فتكلمهم غير متمنع، فاني سمعت رسول الله يقول في غير موطن "لن تقدر امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع" (٣٠)

اذ جاء الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف لاقتناع المخاطب بوجود هذا الصنف من ذوي الاحتياجات (المظلّمين) والذي يجب على مالك ان يجعل قسما منه يفرع لهم فيه شخصه بشروط ان يجلس لهم مجلسا عاما متواضعا لله، بشرط عدم تعرض الجند والاعوان والحراس والشرطة يكلمه فيكلمهم دون تردد. اذ ان مجيء الامام بوسيلة اقناعية وحجاجية، تؤكد خطابه في تقويم التكوين والسلوك.

وكذلك قوله في الامامة بالناس: "واذا اقامت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا، فان من الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم؟ فقال "صلي بهم كصلاة اضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيمًا" (٣١)

اذ يكون الاستدلال بالحديث النبوي الشريف بصورة مباشرة في "صل بهم كصلاة اضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيمًا" (٣٢) فهي تؤكد مسألة اخلاقية من جهة ومسألة اجتماعية ونفسية من جهة اخرى. فلا تكونن منفرا ولا مضيعا هنا اراد به الامام التوسط في الصلاة والظروف الصحية والنفسية، ومراعاة الاصحاب العلة والحاجة من جهة ودعوة للرحمة من جهة ثانية، فضلا عما تمتاز به من الاستمالة العاطفية "التاثير على وجدان المتلقي وانفعالاته، واثارة حاجاته النفسية والاجتماعية ومخاطبة حواسه، بما يحقق اهداف القائم بالاتصال" (٣٣) من خلال الاعتماد على النص القرآني والحديث

النبوي دعماً لذلك الاتصال بالمتلقي، فكلما كان الخطاب في حدود فهم المتلقي كان امر تحققه سهلاً.

ولاشك ان اسلوب النهي مع نون التوكيد كان له طاقة اسلوبية وحجاجية فاعلة في ردد النص بالرؤى والطاقت المعنوية المتعددة ومن ذلك قوله "ولاتنصبن نفسك لحرب الله (مخالفة شريعته بالظلم والجور)، فإنه لا يدي لك بنقمته (اي لا طاقة لك بها)، ولاغنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفوه، ولا تبجحن (تفرح بزهو) بعقوبة، ولا تسرعن الى بادرة (يبدر من الحدة عند الغضب) وجدت منها مندوحة (متسعا)، ولا تقولن: اني مؤمر (مسلط) امر فاطاع، فأن ذلك ادغال (ادخال الفساد) في القلب، ومنهكة (مضعفة) للدين، وتقرب من الغير (حادثات الدهر بتبدل الدول) (٣٤)

وبذلك نجد ان التكرار المتناوب لصيغة (لا الناهية مع فعل المضارع المضاف لنون التوكيد الثقيلة اسهم في ردد النص بشحنات اقناعية متعددة المعاني (لاتنصبن، لاتندمن، لاتبجحن، لاتسرعن، لاتقولن) فضلا عن التكرار التدويمي للفونيمات للصيغة الصرفية (لاتفعلن) تلك الصيغة التي وجهت الخطاب في سياق توجيهي اقناعي.

وتاتي الصيغة الشرطية فعل الشرط وجواب الشرط الموشحة بالتاكيد الخبري في قوله: "واذا حدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة (الكبرياء) او مخيلة (الخيلاء)، فأنظر الى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فأن ذلك يطامن (يخفض) اليك من طماحك (النشوز والجماح)، ويكف عنك من غربك (الحدة)، يفيء (يرجع) اليك بما عزب (غاب) عنك من عقلك." (٣٥)

فالصيغة الشرطية اذا وظفها الامام ليجسد خطابه للنفس البشرية عامة من خلال

مالك الاشر، وما يصيب تلك النفس من كبر وزهو، ثم يأتي بفعل جواب الشرط (فأنظر) ليحقق الحجاجية الاقناعية في ردع هوى النفس وكبرها وتيهها من خلال التأمل بدلالة القدرة، ثم تتوالى الافعال المضارعة مع ان التوكيدية (يخفض، يكف، يفئ) لتجسد صورة النفس بعد التأمل بدلائل القدرة الالهية. ولاشك ان هذا التكرار المتناوب لصيغة الفعل المضارع اسهم في ردد النص بالطاقات الاقناعية امتوازية التي اثرت الجانب الدلالي فكان السياق منسجما في صوته ودلالته.

ومن بديع الاقتباس اللفظي من القرآن الكريم قوله "اياك ومساملة (السمو) الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فأن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال" (٣٦) فالجبار والمختال الفاظ قرآنية وظفها الامام مع (ان) الناصبة باسلوب توكيدي خبري ليحقق الاقناع والحجاج الاسلوبي الفاعل.

ويتوالد الحجاج الاقناعي من مغبة الظلم وعواقبه الوخيمة من خلال تكرار (من) الاستفهامية عن العاقل، ومن خلال اسلوبية الوصل بالواو العاطفة التي اسهمت في ذلك الاثراء الحجاجي، ويتمثل ذلك بقوله "انصف الله وانصف الناس من نفسك، ومن خاصة اهلك، ومن لك فيه هوى (تميل اليه) من رعيتك، فانك الا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادة، ومن خاصمه الله ادحض (ابطل) حجته، وكان لله حربا حتى ينزع (يقلع عن ظلمه) ويتوب وليس شئ ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من اقامة على ظلم، فأن الله سميع دعوة المظطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد" (٣٧).

وتشكل (لا) بمختلف انواعها اداة فاعلة في رسم السياقات الحجاجية والاقناعية في العهد بمختلف مضامينه كما ذكرنا من قبل، ومن ذلك قوله في المستشار البخيل والجبان "ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل (الاحسان بالبذل

، ويعدك الفقر (يخوفك منه لو بذلت)، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره (اشد الحرص) بالجور، فأنبخل والجبن والحرص غرائز (طبائع متفرقة) شتى يجمعها سوء الظن بالله" (٣٨)

فكرر (لا) ثلاث مرات ليجسد الدلالات الحجاجية المتضمنة في النص حول البخل والجبان، ثم يختم النص بالجملة الخبرية والتوكيد (ان) الناصبة لبيان ان من يحمل تلك الصفات السلبية يسيئ الظن بالله جل وعلا.

وتترصف (لا) مع افعال التفضيل في بيان عدم استخدام مسؤول سابق خائن لشعبه اذ جاء "شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة (خاصته وحاشيته)، فأنهم أعوان الاثمة (المدنبن)، واخوان الظلمة وانت واحد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل اصارهم (الذنب والاثم)، واوزارهم (الذنوب) واثامهم، ممن لم يعاون ظلما على ظلمه، ولا آثما على أثمه، أو لئلك أخف عليك مؤونة، واحسن لك معونة، واحنى عليك عطفاً، واقل لغيرك الفا (الالفة والمحبة)، فأتخذ أو لئلك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك، واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لا وليائه، واقعا ذلك من هواك حيث وقع" (٣٩)

وكثيرا ما يوظف الجمل الخبرية باطار متواز وتقسيم صوتي يحقق الحجاجية والاقناع بشكل متناسق ترتيبى اذ يقول "وأكثر مدارس العلماء، ومنافئة (مجالسة) الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك، واقامة ما استقام به الناس قبلك. واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الابعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، منها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار

واهل الصناعات، ومنهم الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمي الله سهمه (نصيبه من الحق)، ووضع على حده وفريضة في كتابه او سنة نبية عهدا منه عندنا محفوظا. (فاستطاع التقسيم الخبري ان يثري النص بالمعاني الحجاجية للطبقات العامة والخاصة وتقسيماتها الوظيفية ومهامها الاجتماعية.

وتتوالى الجمل الخبرية في نسج المعاني الحجاجية وقد تأتي متواشجة مع اسلوب القصر لتحقيق ابلغ المعاني الحجاجية ومن ذلك قوله «وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله، فأن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم، ولاصلاح لمن سواهم الابهم، لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرج البلاد، واهلك العباد، ولم يستقم أمره الا قليلا»<sup>(٤٠)</sup>

فالحجاجية الابلاغية تمثلت في توظيف ان التوكيدية مع اسلوب القصر المتحقق بالاستثناء القصري ب(الا) وتكراره المتناوب في النص فضلا عن التوازي الصوتي بين الجمل (اخرج البلاد، واهلك العباد).

وحققت اسلوبية التوازي الصوتي الدور الفاعل والمميز في رفق السياق التركيبي بالشحنات الاقناعية" والتوازي هو مجموعة بناء في وحدة الوزن بغض النظر عن اختلاف دلالة كل بنية وهو من اشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول، والنغمة، والتكوين النحوي، بحيث تبرز عناصر متماثلة في موقع متقابلة في الخطاب"<sup>(٤١)</sup> ومن ذلك قوله "ولا يدعونك شرف امرى الى ان تعظم من ثلاثة ماكان صغيرا ولاضعة امرى الى ان تستصغر من ثلاثة ماكان عظيما"<sup>(٤٢)</sup>

فالتوازي هنا قائم على التشابه والتضاد بين وحداته وبين حياة الجنود وليحقق لنا التوازي قيمة اقناعية حجاجية جاءت الصيغة متشابهة بنائيا مختلفة دلاليا عبر التضاد

بين (شرف، ضعة) (وتعظم وتستصغر) (وصغيرا وعظيما)، اذ ان فاعلية التوازي قامت على النهي عن تعظيم ما يقويهم به وان عظم، وان لا يستحق شينا تعهدهم به وان قل. فالجمل الثلاثة شكلت نسقا متوازيا وفق البنية التكرارية المؤلفة من تكرار لا الناهية الجازمة والفعل المضارع المجزوم والمتصل بنون التوكيد الثقيلة مع شبه الجملة (الجار والمجرور)، اذ قام الامام باحداث نوع من الموازنة الصوتية التي تقوم على اساس الموازنة بين الالفاظ صوتيا مع اختلاف الدلالة.

الا ان الرابط الاساس بينها هو اسلوب النهي الذي تميزت به فاعلية الخطاب الحجاجي اذ احتوت على غلبة وقصد في احداث الموازنة بين الوحدات اللغوية التي تتكرر صوتيا بايقاع واحد في بنى متجاورة، اذ ان وظيفة التوازي هنا وظيفة احتجاجية لا يقاتع الرهبة في في نفوس المتلقين من خلال قوله "فانه لا يجترئ على الله الاجاهل" (٤٣)

ومن ذلك ايضا قوله «واياك والعجلة بالامور قبل اوانها، او التسقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت، او الوهن عنها اذا استوحشت، فضع كل موضعه، وواقع كل عمل موقعه» (٤٤)

عند قراءة النص سوف نجد ثلاث بنى متوازية: الاولى: اياك والعجلة بالامور قبل اوانها، او السقط فيها عند امكانها.

والثانية: او اللجاجة فيها اذا تنكرت، او الوهن عنها اذا استوضحت

والثالثة: فضع كل امر موضعه، وواقع كل عمل موقعه

## المحور الرابع: حجاجية الصورة

وظف الامام علي (عليه السلام) الاساليب البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية وتضاد لينسج منها السياق الحجاجي والاقناعي الذي ينسجم والنص المقول، ومن تلك الصور الحجاجية قوله: «وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه، فإنه، جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، واعزاز من أعزه»<sup>(٤٥)</sup>

فلاشك ان قوله (وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه) صورة كنائية تجسد النصر الالهي والعز الرباني الكامن في قلب المؤمن المنتصر وبيده ولسانه، فقلبه منتصر بذكر الله جهرا وخفيا، وبيده التي تكرم الفقير وتنال من الاعداء، ولسانه في حكمته وموعظته، ففي اليد والقلب واللسان تجاور دلالي يجسد نسبة تلك الصفات الى الموصوف، ثم يأتي بالجملة التوكيدية التقريرية التي تاكد تلك الصورة الكنائية الحجاجية موظفا اسلوبية التوازي او التقسيم الصوتي فضلا عن التكرار اللفظي للالفاظ (النصر والعز)، ليحقق من تلك الالفاظ وتكرارها والتكرار الفونيمي للفونيمات (النون، والصاد، والعين والراء والزاي) ولاشك ان تكرار تلك الفونيمات المجهورة اسهم في اثراء المعنى الاقناعي والحجاجي لمعاني النصر والعز.

وتتوالى الصور التجسيمية الاقناعية من خلال الاستعارات المكنية في قوله "فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح، فأملك هواك، وشح بنفسك (ابتعد) عما لايجل لك، فأن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببت وكرهت، واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاربا تغتتم أكلهم، فأتهم صنفان: اما أخ لك في الدين، واما نظير لك في الخلق"<sup>(٤٦)</sup>

فالصور الاستعارية (ذخيرة العمل الصالح، واملك هواك وشح بنفسك) جسدت صوراً تجسيمية مع الصيغة الامرية وتكرارها المتواتر الذي اسهم في تعزيز

المعنى الحجاجي، فضلا عن الاقتباس القرآني (لشح النفوس)، ومن ثم يوظف الامام الصيغة التشبيهية الموشحة بلا الناهية الجازمة لينسج مشبها به وهو صورة السبع الضاري الذي يأكل الاغنام.

ويوظف التشبيه في صيغة ذهنية منسجمة مع السياق النصي اذ يقول "فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه" (٤٧) ولاشك ان المشبه به وهي رغبة الانسان في عفو وصفح الخالق اسهم في رfd المعنى بالحجة والاقناع الفاعل.

وتترصف الصور الاستعارية التجسيمية مع التوازن الصوتي في التقسيم الجملي لتنبثق الدلالات الحجاجية والرؤى الاقناعية المنسجمة مع السياق النصي ويتمثل ذلك في قوله "وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق، واعمها في العدل، واجمعها لرضى الرعية، فأن سخط العامة يححف برضى الخاصة (يذهب برضاهم) وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة" (٤٨)

فقد جسم الامور من خلال قوله اوسطها واعمها واجمعها، ثم جسم السخط وجعله يححف، ووظف التوازي الصوتي بتقسيمه الجملي المتوازن للجمل مما حقق ايقاعا اثرى الدلالة الحجاجية، ووظف الفونيمات المجهورة ليحقق الشدة والصوت الفاعل الذي ينسجم والسياق النصي التوجيهي. ثم نراه يكمل ويفصل في حجاجه واقناعه حول الخاصة والعامة اذ يقول "وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، واكل معونة له في البلاء، واكره للانصاف، واسأل بالاحاف (الاحاح والشدة في السؤال)، واكل شكرا عند الاعطاء، وابطأعذرا عند المنع، واضعف صبورا عند ملات الدهر من اهل الخاصة، وانما عماد الدين، وجماع (جماعة)، المسلمين والعدة للاعداء، العامة من الامة، فليكن صفوك (الميل) لهم، وميلك معهم" (٤٩).

ولاشك ان صيغة اسم التفضيل (افعل) وتكرارها التندويمي رقد النص بالطاقات الحجاجية التراكمية التي اثرت النص بالدلالة والايقاع المتوازن في تقسيات صوتية بينت اهل الخاصفة وصفاتهم مع الوالي مقارنة بأهل العامة الذي وظف لوصفهم صيغة المبالغة (جماع) مع التكرار الصوتي للفونيمات الميم واللام والعين. ومن الصور الاستعارية التجسيمية قوله في المخبر والواشي "اطلق عن الناس عقدة كل حقد (احلل عقد الاحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم)، واقطع عنك سبب كل وتر (العداوة)، وتغاب (تغافل) عن كل ما لا يضح (يظهر) لك، ولا تعجلن الى تصديق ساع، فأن الساعي (النمام بمعائب الناس) غاش، وان تشبه بالناصحين" (٥٠).

فقد وظف الامام الصور الاستعارية المكنية في قوله (عقدة كل حقد)، (واقطع سبب كل وتر) ثم يبين صورة النمام من خلال تصوير ظاهره وباطنه فان تشبه الظاهر بالناصحين لكن باطنه نمام وغاش، ولاشك ان الصيغة الامرية لفعل الامر اسهمت ايضا جنبا الى جنب مع الطاقات التجسيمية الكامنة في الاستعارات المكنية في نسج السياق الحجاجي والاقناعي في النص.

ومن الصور الحجاجية قوله "وألصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم (عودهم) على الايطروك ولا يبحوك (يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك ولم تكن فعلته) بباطل لم تفعله، فأن كثرة الاطراء تحدث الزهو (العجب)، وتدني من العزة (الكبر)" (٥١).

فالتجسيم التصويري لاهل الورع والصدق بالفعل (الصق)، ثم يعزز تلك الصورة التجسيمية بالتوكيد الخبري ب(ان) التوكيدية والتجسيم التصويري للعزة والكبر ولاشك ان تلك الوسائل اسهمت في بيان الاسلوب الحجاجي الاقناعي الذي يثري السياق النصي بمعان ثرة.

ومن الصور الحجاجية ماتقوم على التضاد او لتقابل اللفظي الذي يفضي الى

صور حجاجية ومن ذلك قوله "ولا يكرن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فأن في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان، وتديريا لاهل الاساءة على الاساءة، والزم كلا منهم ما الزم نفسه. واعلم انه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن وال برعته من احسانه اليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ماليس له قبلهم (عندهم)، فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فأن حسن الظن يقطع عنك نصبا (التعب) طويلا، وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وان احق من أساء ظنك به لمن ساء بلاؤك (صنيعك وفعلك) عنده" (٥٢).

فالتقابل بين الاحسان والاساءة، وحسن البلاء وساء البلاء اسهم في رقد السياق النصي بالحجاج الفاعل الذي ينسجم والسياق المعنوي في هذا النص. فضلا عن اسلوبية التوازي او التقسيم الصوتي في خاتمة النص اثرى النص بالطاقات الياقاعية المتوازنة مما عزز الجانب الدلالي وطاقته الاقناعية.

ومن الصور الحجاجية قوله في مراقبة اعمال المحافظ والمسؤولين المقربين "ثم تفقد اعمالهم، وبعث العيون (الرقباء) من اهل الصدق والوفاء عليهم، فأن تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم (سوق لهم وحث) على استعمال الامانة، والرفق بالرعية. وتحفظ من الاعوان، فأن احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، واخذته بما اصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة" (٥٣) فابعث عيون الرقباء، واخبار العيون، وقلدته عار التهمة كلها صور تشخيصية وتجسيمية تجسد الابعاد الحجاجية في ذلك النص التوجيهي. ولا يخفى ملحروف العطف وتعاقبها السردى القصصي من اثر فاعل في الاستنطاق الحجاجي السردى.

ونعود ثانية الى التقابل اللفظي بين الالفاظ لدعم النص بالابداع الحجاجي الاقناعي ومن ذلك قوله "واما بعد، فلاتطولن احتجاجك عن رعتك، فأن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقله علم بالامور، والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور، وليست على الحق سمات (علامات) تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وانما انت احد رجلين: اما امرؤ سخت نفسك بالبذل (العطاء) في الحق، فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه، او فعل كريم تسديه، او مبتلى بالمنع، فما اسرع كف الناس عن مسالتك اذ ايسوا من بذلك، مع ان اكثر حاجات الناس اليك ما لامؤونة فيه عليك، من شكاة (شكاية) مظلمة، او طلب انصاف في معاملة" (٥٤)

فالمطابقة بين (الحسن والقبح، والصدق والكذب، والمظلمة والانصاف) اثرى النص بسياقه الموضوعي بالمعاني الحجاجية الاقناعية الابلاغية ولاشك ان توظيف حروف العطف الواو والفاء اسهم في تعزيز الاسلوب الحجاجي وبيان الفاعلية الاقناعية للنص.

## قائمة الهوامش والمصادر:

١. ينظر: الكافي، للشيخ ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكلبي، الملقب بثقة الاسلام المتوفى، سنة ٣٢٩ هجرية، طبعة دار الكتب الاسلامية، سنة ١٣٦٥ هجرية، طهران، ايران ٢ / ٢٥
٢. ينظر: شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد المدائني، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم/ دار احياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٩ م/ ٢٨
٣. ينظر: الكافي: ٢ / ٢٨
٤. ينظر الامام علي (عليه السلام ) للدكتور جواد جعفر الخليلي، تقديم الشيخ حسن السعيد، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام ) لاحياء التراث، بيروت / ٣٥
٥. ينظر: سيرة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام والخطبتان الخالية من الالف والخالية من النقطة/ علي محمد دخيل/ العتبة العلوية المقدسة/ قسم الشؤون الثقافية الفكلاية والثقافية/ ط ١ / ٢٠١٠ م / ١٨
٦. م.ن: ١٩
٧. م.ن: ١٩
٨. ينظر ينظر عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام ) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضي الله عنه )/ اعداد المستشار فليح سوادى/ تقديم وتمهيد/ هاشم محمد الباججي/ العتبة العلوية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ الاخراج الفني/ عبد الحسن هادي/ ٢٠١٠ / ٧
٩. م.ن: ٧

١٠. م. ن: ١٥-٣١

١١. ينظر: المنهاج في ترتيب الحجاج / تحقيق عبد المجيد التركي / ط ٢ / دار الغرب الاسلامي / ٤٢: ١٩٨٧

١٢. ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه / اعداد الاستاذة سامية الدريدي / كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / تونس / عالم الكتب الحديث / ط ٢ / ٢٠١١ م: ٣٢

١٣. لسان العرب / لابن منظور / دار صادر / بيروت / ١٩٧٠: مادة حج

١٤. ينظر: تقنيات الحجاج في نهج البلاغة / مؤيد آل صوينت / كلية الاداب / الجامعة المستنصرية: ٤

١٥. ينظر: الحجاج في شعر النقائض / دراسة تداولية / رسالة ماجستير / مكلي شامة / الجمهورية الجزائرية الديمقراطية / كلية الاداب للعلوم الانسانية / قسم الادب العربي: ٢٥ / ٢٠٠٩

١٦. م. ن: ٢٥

١٧. م. ن: ٢٥

١٨. عهد الامام علي: ١٥

١٩. ينظر: اساليب بلاغية / د. احمد مطلوب / ط ١ / وكالة المطبوعات / الكويت / ١٧٦ / ١٩٨٠، وينظر: علم المعاني د: قصي سالم علوان، د. ط / مطبعة جامعة البصرة / ١٥٩: ١٩٨٥

٢٠. العهد / ١٥

٢١. العهد / ١٥

٢٢. ينظر: الاستدلال في كتاب نهج البلاغة/ دراسة اسلوبية، فاطمة كريم رسن/

اطروحة دكتوراه، كلية التربية أبن رشد/ جامعة بغداد/، ٢٦١:٢٠٠٩

٢٣. العهد/ ٢١

٢٤. العهد/ ٢١

٢٥. ينظر: اساليب الاقناع في القرآن الكريم، د: معتمد بابكر مصطفى، الدوحة،

وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، ٢٠٠٣/ ط ١: ٧٨

٢٦. العهد: ٣٠

٢٧. العهد: ٢٥

٢٨. ينظر: وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي، محمد بن الحسن

بن علي: ط ٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاهياء التراث، رقم ١٤١٤

هجريّة: ٤٣٠

٢٩. م: ن: ٤٣٠

٣٠. العهد: ٢٦

٣١. العهد: ٢٧

٣٢. العهد: ٢٧

٣٣. ينظر: من اساليب الاقناع في القرآن الكريم: ٥٣

٣٤. العهد: ٢٧

٣٥. العهد: ١٨

٣٦. العهد: ١٨

٣٧. العهد: ١٧

٣٨. العهد: ١٨

٣٩. العهد: ١٨

٤٠. العهد: ١٩

٤١. قضايا الشعرية/ رومان ياكوبسن، ترجمة محمد الوالي مبارك/ ط ١/ دار توفال

للنشر/ المغرب/ ١٩٨٨/ ١٠

٤٢. العهد: ٢٠

٤٣. العهد: ٢٠

٤٤. العهد: ٢١

٤٥. العهد: ١٥

٤٦. العهد: ١٥

٤٧. العهد: ١٦

٤٨. العهد: ١٧

٤٩. العهد: ١٧

٥٠. العهد: ١٧

٥١. العهد: ١٨

٥٢. العهد: ٢٦

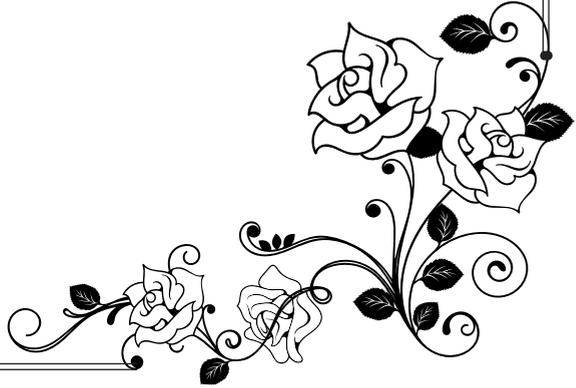
٥٣. العهد: ٢٤

٥٤. العهد: ٢٤



مقصدية التواصل في عهد الإمام علي (عليه السلام)  
لمالك بن الأشتر (رضي الله عنه)

أ. م. د. أناهيد الركابي  
كلية التربية / الجامعة المستنصرية





## ملخص البحث

## تمهيد للموضوع وبيان الأهمية :

مما لا يخفى على أحد أهمية عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك بن الأشتر النخعي (رضي الله عنه) ذلك الرجل الشجاع الذي ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن وقد ابتدأه (عليه السلام) بالبسملة ثم الأمر، شرع في هذا الأمر الواجبات التي ينبغي على مالك بن الأشتر القيام بها والأمور التي عليه مراعاتها وحقوق الرعية التي عليه تأديتها لأنه المسؤول عن هذه الرعية وحقوقها. وبين في هذا العهد أن العدل أساس الحكم فيجب على الحاكم والحكومة أن يكونوا في خدمة الناس ومهاراتهم وإلا تحولت الحكومة إلى منصب دنيوي يلهث وراءه كل باحث عن المال والجاه. ولأهمية هذا العهد تناولته الأقلام بالدراسة والتمحيص والتفسير والشرح وقد ترجم إلى كثير من اللغات العالمية لما يحتويه هذا العهد من معاني إنسانية سامية وعظيمة تخص مختلف شؤون الحياة وواجبات الحاكم والمحكوم فأكد (عليه السلام) جملة من القوانين والقواعد التي تدار وتحكم من خلالها الدولة وتراعي شؤون الرعية. وقد أكد العهد أيضاً على الحكم الناصح وإقامة العدل والمساواة بين الرعية وحفظ كرامة الإنسان وحقوقه والإبتعاد عن الطمع وحب الشهوات والالتزام بالذكر الحسن وعدم ظلم الآخرين وغيرها من المعاني الإنسانية السامية التي يحتويها هذا العهد ليكون دستور حكم ناضج وكامل في مصر.

كل ذلك تم بين الإمام علي ومالك عن طريق اللغة التي هي في جوهرها لا تعدو أن تكون وسيلة من وسائل تنظيم المجتمعات الإنسانية إذ إنها تساعد على الربط بين الأفراد والمجتمعات بل أنها وسيلة من وسائل التواصل إذ احتل هذا المصطلح

(التواصل) موقعاً مركزياً في الأبحاث والدراسات وفي عدة مجالات وهو من الموضوعات التي أولاها البحث اللساني عامة الأهمية القصوى سعياً منه للوصول الى طبيعته ولعله مصطلح يكتنفه الغموض لتداخله مع غيره من المصطلحات كالوصل والإيصال والإتصال والإبلاغ... الخ ولكون هذا العهد قد ظفر بقسط وافر من التواصل لاحتوائه على مظاهر وآليات التواصل وقع اختيارنا على العهد الذي كان بمثابة التواصل بين ثلاثة أركان رئيسية هي المرسل وهو الأمام علي (عليه السلام)، والمتلقي وهم الرعية والواسطة وهو مالك بن الأشتر (رضي الله عنه)

سبب اختيارنا الموضوع: من هنا يأخذ بحثي الموسوم: مقصدية التواصل في العهد دواعي وجوده ممثلة في رغبتي الملحة في تشريف دراستي بإمام الغر المحجلين ويعسوب الدين ولا سيما عهدا ترسم البحث في هيكل تنظيمي قوامه تمهيد ومبحثين وخاتمة ثم مظاناً بأهم مصادر البحث ومراجعته. في التمهيد عرفنا مفهوم التواصل لغة واصطلاحاً ثم عرفنا بشخصية مالك بن الأشتر وفي المبحث الأول درسنا مصطلح التواصل في التراث العربي عرضنا فيه آراء كوكبة من العلماء العرب وكيف كانت نظرتهم الى هذا المصطلح وكذلك آراء ونظرة بعض من اللسانيين الغربيين في تعريفهم للتواصل ثم المبحث الثاني الذي تضمن دراسة نماذج من العهد دراسة تواصلية وقد اعتمدت في دراستي هذه على مجموعة من المصادر العربية التراثية والحديثة فمن الحديثة اللسانيات ونظرية التواصل لعبد القادر غزالي واللغة والحواس لمحمد كشاش وغيرها.

وفي الختام أقول أسأل الله ان ينفعني ويسدد خطاي انه قريب مجيب وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

## التمهيد

### التواصل لغةً واصطلاحاً

مصطلح التواصل: (مشتق من الفعل وصل الذي جذره (و، ص، ل) خلاف الفصل والانقطاع)<sup>(١)</sup> والتواصل على وزن (تفاعل) لما يصدر من اثنين فصاعداً، و(تواصل) من (واصل) المتعدي إلى مفعول واحد، وبهذا سيكون (تواصل) مكتفياً بالفاعل لأن المقصود منه قيام الفعل بالفاعل، فلا ينظر إلى تعلق الفعل بالمفعول هنا، لأن وضع (تفاعل) لنسبته إلى المشتركين فيه من غير قصد إلى ما تعلق به.<sup>(٢)</sup> وفي المعجم الوسيط: ”وصل الشيء بالشيء وصلأً ومثله: ضمهُ به وجمعه ولامه، تصارماً<sup>(٣)</sup>

أما معجم (Lepetit Robert) فإنه يُعرّف التواصل بأنه: الإبلاغ ومسافة الاطلاع والأخبار أي نقل خبر ما من شخص إلى آخر، أو إقامة علاقة مع شخصٍ آخر<sup>(٤)</sup>

وعليه فالتواصل في اللغة هي إحدى صيغ الفعل التي توحى من معناها العام بمعاني الاقتران والترابط والالتئام والجمع والإبلاغ والتلاقي والاحتكاك، والتمازج، والتفاعل والتبادل والتلاحق والاتصال المثمر.

أما في الاصطلاح فيعرفه شارل كولي (Charles Cooley) بقوله: «التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، أنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان ويتضمن أيضاً تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون وكل ما يشمله آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان»<sup>(٥)</sup>

أذن نستطيع أن نتبين أن هناك فرقاً بين مصطلحي الإيصال والتواصل من حيث الدلالة، الاتصال من الفعل (أتصل، يتصل) نقول: أتصل المعلم بالمعلم، أي أقام معه صلة، ويفيد هذا المعنى أن الفاعل واحد وهو المعلم الذي قام بالمبادرة.

أما التواصل فهو من الفعل (تواصل - يتواصل) إذ نقول: تواصل المعلم والتلاميذ، ويفيد ذلك المشاركة لأن الفاعل أكثر من فرد واحد.

كما جاء في معجم (Dictionnaire des concepts) التواصل: "هو تبادل المعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية، سواء كان هذا التبادل قصدياً أو غير قصدي، بين الأفراد والجماعات"<sup>(٦)</sup>

أما مفهوم الخطاب فقد عرفه ابن منظور بقوله «مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً وهما يتخاطبان»<sup>(٧)</sup> ويبدو أن مفهوم الخطاب يقترب كثيراً من مفهوم الحوار عند ابن منظور وسوف نأتي عليه لاحقاً.

أما في المعجم الوسيط فالخطاب «أن يُفسر بالكلام دون بيان نوعه والخطاب بمعنى الرسالة»<sup>(٨)</sup> ويُحدد عند هارسن في الاصطلاح بأنه: «متوالية من الملفوظات ذات علاقة معينة، أما بنفينست فيرى أن الخطاب هو الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل»<sup>(٩)</sup>

أما مفهوم الحوار فقد قال عنه الزمخشري أنه مأخوذٌ من «حاورته، راجعتهُ الكلام، وهو حسن الكلام وكلمتهُ فما رد على محوره، وما صار جواباً أي ما رجع»<sup>(١٠)</sup>

أما ابن منظور فيرى أن الحوار هو من «الحَوْر بفتح الحاء وسكون الواو، وهو الرجوع من الشيء إلى الشيء، فيقال حار إلى الشيء، وعنه حوراً، ومحاراً ويحاره، وحووراً: رجع عنه وإليه، والمحاوره: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة»<sup>(١١)</sup>

أما الفيروزآبادي فيقول في معناه: «الرجوع كالمحار والمحارة، والحوور، والنقصان

والمحاورة والمحورة: الجواب كالحويز والحوار والحيرة والحويرة، مراجعة المنطق وتجاوزوا: تراجعوا الكلام بينهم»<sup>(١٢)</sup>

أما في الاصطلاح فأن الحوار (Dialogue) فهو شكل من أشكال التواصل بين جميع البشر حيث يحمل كل متحاور مجموعة من الأفكار يسعى لإيصالها للطرف الثاني وهو «طريقة من طرائق التعبير المختلفة وهو من أهم الأساليب التي نعتمدها في حياتنا اليومية لكونه وسيلة أساسية للتخاطب والتواصل»<sup>(١٣)</sup>

من خلال هذا العرض التفصيلي لهذه المصطلحات الثلاث (التواصل، الخطاب، الحوار) لغة واصطلاحاً نجد أن هذه المصطلحات تتفاوت معانيها دلاليًا، إلا أنها تنتمي في مجملها إلى حقل التواصل الذي يشمل أسلوب الحوار وأسلوب الخطاب «إذ أن كل منهما يقتضي الآخر بالضرورة، إذ لا يمكن أن نبلغ شيئاً ما دون وجود الآخر، ولا يكون هذا الأمر مستقبلاً أو سامعاً محايداً، بل يكون فاعلاً، أي سائلاً ومجيباً في الآن نفسه»<sup>(١٤)</sup>

فالحوار يُعدُّ جزءاً مهماً من أجزاء التواصل البشري لأن أي تداخل بين طرفين أو أكثر يتطلب الفعل وردة الفعل، من أجل غاية إخبارية أو اقناعية أو تواصلية أو حجاجية.

فالعملية التواصلية أذن تتشكل من مصطلحين رئيسين هما: مصطلح التفاعل (Interaction) ومصطلح التواصل (communication) ونعني بالتفاعل: «مشاركة طرفي الحوار في الكلام حول مضامين إنسانية معينة، أما التواصل فهو التبادل الكلامي بين شخص متكلم (Sujetparlant) ينتج ملفوظاً موجهاً إلى مخاطب (Lnterlocuteur) وهذا الأخير، يلتمس الاستماع أو الجواب الصريح أو المضمّر حين يكون الملفوظ»<sup>(١٥)</sup>

## عناصر العملية التواصلية

للتواصل مجموعة من العناصر تتآزر فيما بينها لتشكيل العملية التواصلية وهي:

المرسل: وهو شخص أو مجموعة من الأشخاص تريد أن تتصل بالآخرين وفق طريقة معينة من طرائق الاتصال سواء أكانت لغوية أو غير لغوية ولكي يتمكن المرسل من إنجاز رسالته لا بد أن يراعي التحكم في لغته إضافة إلى مراعاة البيئة المحيطة به لأنه «مصدر الخطاب المقدم إذ يعتبر ركناً حيوياً في الدائرة التواصلية، وهو الباعث الأول على أنشاء خطاب يوجه إلى المرسل إليه في شكل رسالة»<sup>(١٦)</sup> الرسالة: وهي «عملية فك الرموز التي تنتقل في الصوت إلى المعنى فتنتقل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه»<sup>(١٧)</sup> وتتضمن الخطاب الذي يود المرسل إيصاله إلى المخاطب وهي مجموعة من العناصر اللغوية المادية والمعنوية التي يصوغها المرسل لكي يوجهها إلى المرسل إليه أي أنها ثمرة العملية التواصلية بين (المرسل والمرسل إليه) وهي تتخذ عدة أشكال فقد تكون كلاماً شفويّاً أو إيجائياً عن طريق الإشارة وقد تكون كتابة. إذن هي النص الكلامي أو الشفوي أو الرمزي. القناة: «وهي الوسيلة التي تنتقل عبرها الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه وهي التي تسمح بقيام التواصل بين المرسل والمرسل إليه وعبرها تصل الرسالة من نقطة معينة إلى نقطة أخرى»<sup>(١٨)</sup> وقد تكون لفظية أو كتابية أو رمزية.

المرسل إليه: وهو «الجهة التي توجه له الرسالة من المرسل ولا بد من أن يكون المرسل إليه مؤهلاً لفهم الرسالة»<sup>(١٩)</sup> أي أن المرسل إليه هو متلقي الرسالة حيث يتلقى ما يوجهه إليه المرسل ثم يقوم بعملية فك رموزها باعتبار الإشارات المخزونة في ذاكرته وهذا يعتمد على ثقافته وتجاربه إذ أن قيام التواصل مرتبط أصلاً بوجود مخاطب يتفاعل معه المرسل ومن خلال معرفته للمرسل إليه تكون طريقة الخطاب.

السنن: وهو «نسق القاعدة المشتركة بين الباعث والمتلقي، والذي بدونها لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول»<sup>(٢٠)</sup> أي أن وجود السنن المشتركة بين المرسل والمرسل إليه يبين قصدية المتكلم ويعين السامع على الفهم ومن ثم تستمر العملية التواصلية وإذا جهل المتلقي السنن فإن عملية التواصل لا تتم أصلاً.

السياق: وهو وضع ما يتحدث عنه المرسل من موضوعات في سياق معين، حيث يتشكل السياق الاتصالي ويتضمن المكونات الفكرية والاجتماعية للمرسل والمرسل إليه إذ تظهر الرسالة داخل سياق معين من خلاله يتوصل المتلقي إلى قصد الملقى ليستمر التواصل بينهما. إذ «ينشأ السياق نتيجة تطبيق إجراءات تأسيس محددة وفق بروتوكول مقبول بالإجماع ونتيجة وجود إمكان متاح لأي كان من أجل متابعة هذا التطبيق متى عن له ذلك»<sup>(٢١)</sup>

وقد وضع جاكسون خطاطة صغيرة يوضح بها هذه العناصر التي لا يستغني عنها التواصل اللفظي»<sup>(٢٢)</sup>



## المبحث الأول

### مفهوم التواصل بين العرب والغرب

أشار النقاد العرب القدامى إلى مصطلح التواصل إشارة غير مباشرة عند تعريفهم للغة والبلاغة والبيان، فهذا ابن سنان أشار إلى مصطلح التواصل في قوله: «ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمل لفهمه... والدليل على صحة ما ذهبنا إليه... أن الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني»<sup>(٢٣)</sup>

ففي هذا النص إشارة صريحة إلى التواصل من خلال توجيه رسالة من المتكلم إلى السامع عبر قناة هي الكلام غاية المتكلم هي إرسال هذه الرسالة إلى السامع عن طريق الكلام وهذا يعني أن عملية التواصل تقوم على عناصر أربعة عند الخفاجي هي ( المتكلم، السامع، الرسالة، القناة) و «وهكذا تجد أن حاجة الإنسان إلى اللغة شرط من شروط تواصله مع الآخرين»<sup>(٢٤)</sup>

وكذلك يظهر مفهوم التواصل عند ابن سنان في قوله «يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء فهم الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع» وهنا يركز الخفاجي على الوظيفة الإفهامية للغة فهي فهم وإفهام بين السامع والمتكلم.

أما العسكري فيشير إلى مصطلح التواصل عند تعريفه البلاغة فيقول «البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه من نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن»<sup>(٢٥)</sup>

نفهم من هذا النص أن العسكري في تعريفه هذا يركز على تواصل المتكلم مع نفسه أولاً وتفكيره وبعد أن يفهم المعنى يحاول إيصاله إلى المتلقي.

أما ابن المقفع « البلاغة أسم لعانٍ... منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع.... ومنها ما يكون خطأً»،<sup>(٢٦)</sup>

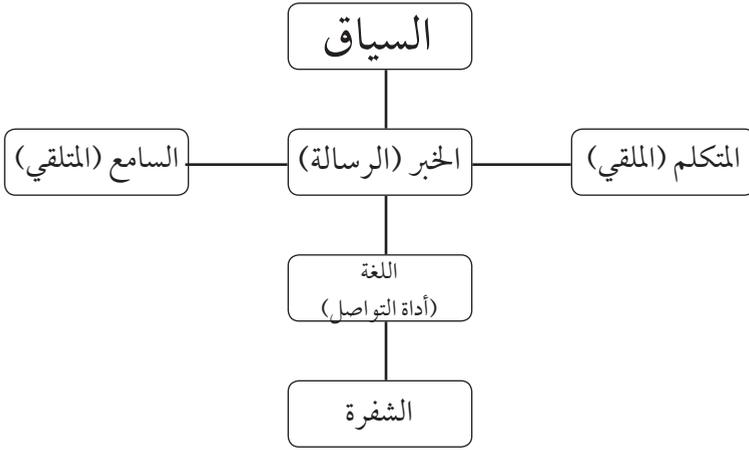
ومن خلال هذا النص نفهم إشارة المقفع إلى السامع والمتكلم وهما يمثلان عنصريين من عناصر العملية التواصلية.

أما الجاحظ فيشير إلى مصطلح التواصل عندما يعرف البيان في قوله: «البيان أسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»<sup>(٢٧)</sup>.

الجاحظ في هذا النص حدد لنا عناصر العملية التواصلية كاملة وهي (التكلم، السامع، الرسالة، القناة، الشفرة) فالرسالة تصل من المتكلم إلى السامع غايتها الفهم والإفهام عن طريق اللغة أما الشفرة فأنها تمثل (كشف قناع المعنى وهتك الحجاب). ولم يكتف الجاحظ بالإشارة إلى عناصر العملية التواصلية وإنما نجده في موضع آخر يشير إلى أنماط وأنواع التواصل إذ يقول «جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصية»<sup>(٢٨)</sup>.

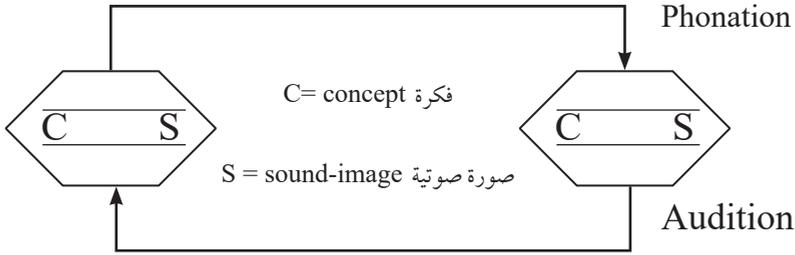
فالتواصل حسب رأي الجاحظ في هذا النص يكون عن طريق الكتابة أو الخط أو الإشارة أو الإيحاء أما قوله نصية فيقصد بها الحال الناطقة بالدلالة وهي ناتجة عن التأمل أو التفكير.

من خلال هذه الآراء النقدية والبلاغية المهمة للعلماء العرب اتضحت لنا رؤيتهم للتواصل وكيف نظروا إلى هذا المصطلح من خلال اللغة باعتبارها أداة مهمة للتواصل.  
ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي:-



## أما مفهوم التواصل عند الغرب

فيُعد دي سوسير من أوائل النقاد الذين أشاروا إلى نظرية التواصل في قوله « أن نقل الدماغ الإشارة المناسبة للصورة إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات فينتقل الكلام من الشخص (أ) المتكلم إلى الشخص (ب) المتلقي) فإذا تكلم الشخص (ب) بدأ حقل جديد من دماغه إلى دماغ الشخص (أ)... وقد وضع خطاطه لعملية التواصل وهي كالآتي»<sup>(٢٩)</sup>



ثم جاء بعد دي سوسير الباحث النفسي الألماني كارل بوهرلر وأشار إلى عمل دي سوسير ومكملا له فذكر ثلاثة محاور تقوم عليها العملية التخاطبية وهي: «المرسل (ضمير المتكلم)، والمرسل إليه (ضمير المخاطب) والموضوع، ويتولى عن المرسل الوظيفة الانفعالية وعن المرسل إليه الوظيفة الإفهامية وعن الموضوع المرجعية»<sup>(٣٠)</sup> أما مارتينيه فيرى أن: «أحدى وظائف اللغة، الاتصال وهي الوسيلة التي تسمح لمستعملها الدخول في علاقات مع بعضهم بعض، وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم»<sup>(٣١)</sup>

نفهم من سياق النص أن مارتينيه يشير إلى التواصل الذي يعد أهم وظائف اللغة. أما لينش فيرى: «أن اللغة تُعدُّ شكلاً اتصالياً يعمل في أنظمة اجتماعية كبرى»<sup>(٣٢)</sup> وهنا يشير إلى أن التواصل من بين أهم الوظائف التي تؤدّيها اللغة. ويرى (هنري سوين) اللغة بأنها: «التعبير عن الفكر عن طريق الأصوات

اللغوية»<sup>(٣٣)</sup> وهذا يستوجب عناصراً لكي تتم العملية التواصلية هذه العناصر تتمثل بالمتكلم، السامع، الرسالة، القناة.

أما (سابير) فيرى اللغة بأنها: «وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي يستخدمها الفرد باختياره»<sup>(٣٤)</sup>

هذه التعريفات المختلفة للغرب تتفق على أن الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية وخالصة وظيفة التواصل ما يلاحظه (بينيت) إذ يرى: «إن وظيفة التواصل تتمثل أساساً في سعي المتكلم إلى إبلاغ المتلقي بأمر ما أو إلى نسبة عمل ما إليه»<sup>(٣٥)</sup> وهكذا يتبين لنا أن الإنسان هو أساس العملية التواصلية إذ قد يكون متكلماً أو سامعاً بينه وبين فرد آخر أو جماعة أو يكون تواصله عن طريق اللغة والكتاب وهو ما يسمى بالتواصل الثقافي.

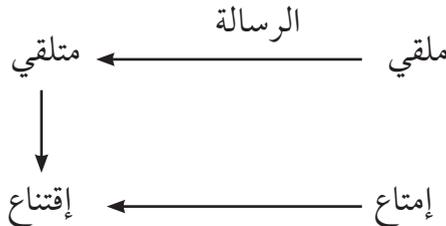
## المبحث الثاني

### دراسة تطبيقية لنظرة التواصل ووظائفها في العهد

يمثل هذا المبحث لبنة اساسية للبحث وهو الحقل الاجرائي والتطبيقي الذي يبين لنا مهام الوظيفة التواصلية في نصوص هذا العهد من خلال استعراض هذه النصوص وبيان الوظائف التواصلية فيه من خلال بعض المفاهيم منها:

#### ١- الاقناع والتواصل

يعتبر الاقناع من اهم وظائف التواصل وغاياته حتى ان علم البلاغة العربية جاء من اجل (التواصل والاقناع والامتناع)<sup>(٣٦)</sup>. والامتناع هو احد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة الى توجيه الفكر او الاعتقاد وطرفها الاخر هو الاقناع، وهذان الطرفان متلازمان وجودا او عدماً أفلا وجود للاقناع دون وجود الامتناع<sup>(٣٧)</sup> لان الاقناع يكون من طرف المرسل اليه (الملقي) و الاقناع يكون من طرف الاول وهو المرسل (المتلقي) فان لم يكن الاول فلا وجود للثاني، وعندما نأتي الى العهد نجد ان المرسل هو الامام علي (عليه السلام) والمتلقي هو مالك بن الاشتر (رضوان الله عليه) والمخطط التالي يوضح ذلك:

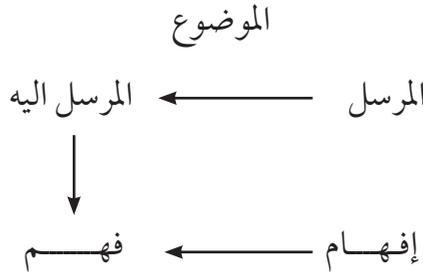


والاقناع لا بد ان يكون بطريقة منظمة يستجمع فيها الملقي كل ما يملك من وسائل مختلفة للتأثير في آراء الآخرين وأفكارهم بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون وهذا ما وجدناه في شخص الإمام علي (عليه السلام) الامام الحكيم العادل الرشيد.

فتتم الموافقة على وجهة نظره في موضوع معين وارتياح نفس الملتقي الى ما كان من الملقى خصوصاً اذا كان الاقناع مباشر من الامام علي (عليه السلام) وهو يخاطب الفرد وهو مالك بن الاشر (رضوان الله عليه) في عهده هذا.

## ٢- الافهام والتواصل

ان غاية الامام علي (عليه السلام) في كتابه هذا ان يصل موضوعه الى ذهن الملقى فيقع الفهم، فمضمون العهد يقع على الفهم والافهام فنجده ركز في مقدمته بذكر الله وتوصية أصحابه بتقوى الله واتباع أوامره في قوله «امرته بتقوى الله واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها»<sup>(٣٨)</sup> فقد ركز (عليه السلام) على المقدمة الخطابية لشد انتباه الجمهور ويمكن توضيح ذلك في المخطط الآتي:



وفي هذه الحال لا بد أن يُراعى حال المرسل اليه ومنزله فـ «مدار الامر على أفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم»<sup>(٣٩)</sup> فغاية الامام علي (عليه السلام) من التواصل هو التركيز على الملقى حتى يستطيع الوصول الى إفهامه.

### ٣- الكلام والتواصل

المقصود من الكلام هو التفاهم والتخاطب أي ما يحقق التواصل، لان التفاهم على وزن تفاعل دال على المشاركة كما تقدم في وزن (تخاطب) في اول البحث ومعنى التفاهم أن يكون الكلام دالا على مقصود، أي يفيد معلومة جديدة عند المتلقي كما يحث النحاة على مفهوم (حسن السكوت) فهل هو وصف للمتكلم ام للمتلقي؟ اي هل يقصد سكوت المتكلم ام سكوت المتلقي؟ بحيث لا ينتظر شيئا من اجل اتمام المعنى المقصود وقد رجح أكثر النحاة ان يكون وصفا للمتكلم فيكون معنى التعريف «لفظ مفيد يحسن سكوت المتكلم بحيث لا يصير السامع منتظرا لشيء آخر» (٤٠).

ونلاحظ من هذا التعريف ما يأتي:

- ذكر اركان النظرية التواصلية من المرسل (المتكلم) والمرسل اليه (المتلقي) والرسالة (الموضوع) وهذه الاركاب مجتمعة نجدها متحققة في عهد الامام علي (عليه السلام).
- الوظيفة التعبيرية لتواصل الامام علي (عليه السلام) في عهده تتمثل في شخص الامام علي (عليه السلام) وهو المتكلم اذ شرطوا فيه أن يكون قاصدا للكلامه.
- الوظيفة الافهامية وتعني ذكر السامع (المرسل اليه) وقد شرطوا أن يكون السامع (المرسل اليه) موجوداً فيحصل الإفهام عند المتلقي حينئذ.

### ٤- التواصل واسماء الاشارة والاسماء الموصولة

لكي تتحقق عملية التواصل لا بد من وجود الصلة بين المتكلم والمتلقي في الكلام فاذا وجد ما يوهم المتلقي في الايهام واللبس تعني على المتلقي أن يرفع هذا الإيهام بالقرائن الحسية كما هو الحال في اسماء الإشارة او بالقرائن اللفظية كما في قوله

عليه السلام «فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار»<sup>(٤١)</sup>. فلا بد اذن أن يكون المتكلم على علمٍ بوضع المخاطب وما يحتاجه وما يمتلكه من المعرفة وهذا هو اساس العملية التواصلية.

## ٥- التواصل والاسلوب الانشائي

من خلال قراءتنا لعهد الامام علي (عليه السلام) وجدنا هيمنة الجمل الإنشائية وكذلك هيمنة اسلوب الامر مثل قوله: "والصق باهل الورع والصدق"<sup>(٤٢)</sup> وكذلك قوله: «واعلم انه ليس شيء بادعى الى حسن ظن برعيته في احسانه اليهم»<sup>(٤٣)</sup>. الغرض من هذا الامر هو ان يبقى المتلقي على صلة وثيقة مع الحدث الذي اراد الملقى ان يوصله الى المتلقي فيصوغ الامام علي (عليه السلام) خطابه الامري من خلال تحشيد مجموعة من أفعال الأمر التي تضيف الى النص شكلا هندسيا، وقد خرجت جميع هذه الافعال الى طلب النصح والارشاد. وسبب غلبة اسلوب الامر لان المتلقي شخصية قيادية فلا بد ان تحقق هذه الشخصية العطاء والتقدم لذلك ناسبه اسلوب الامر.

أما اسلوب النهي فنجده حاضرا أيضا في هذا العهد ليؤدي معنى التوكيد، فالملقى يؤكد قوة ذلك المتلقي وقدرته على اداء مهامه بالصورة الصحيحة كما في قوله: «وافضلهم حلما ممن يبطيء عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء»<sup>(٤٤)</sup>. وفي باب المشورة يشدد الامام علي (عليه السلام) على مالك بن الاشر في النهي عن ادخال البخيل والجبان والحريص في مشورته بقوله: "لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الامور ولا حريصاً يزين لك الشره"<sup>(٤٥)</sup>.

## ٦- التواصل والايقاع الصوتي

كما يلاحظ ميل الجمل عموماً في العهد الى تحقيق الايقاع الصوتي عن طريق اعتماد اسلوب السجع الذي كان حاضراً بوضوح في مجمل العهد، والغرض منه اثاره عاطفة المتلقي وتحريكها لتحقيق العزيمة على المضي في الامور كلها. ونجد كذلك ان الامام علي (عليه السلام) في عهده لا يكتفي بتوجيه الامر او النهي فقط وانما يتبعه بذكر السبب الذي كان لأجله الامر أو النهي وهذا إن دل على شيء فانما يدل على سعة علم الامام بحقائق الامور وبواعثها كما في قوله: "ثم انظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائذك واسرارك باجمعهم لوجود صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتزىء بها عليك في خلاف لك"<sup>(٤٦)</sup>.

ونلاحظ ايضا غلبة الجمل القصيرة على العهد وغاية المرسل من ذلك تقبلها من قبل المتلقي فيتمكن من متابعتها وتحصيل مطالبها بيسر وسهولة لانها اعتمدت على الايجاز وتركيز المعنى.

## الختامة

وفي نهاية بحثنا لا بد ان نقول:

ان اهم غاية من عهد الامام علي (عليه السلام) هو التوصيل لافكاره الى الرعية. الهم من التوصيل هو بقاء هذه الافكار جيلا بعد جيل وبقاء هذه الافكار في ذهن المتلقين، هذا البقاء الذي ان دل على شيء فانما يدل على توازن الفاظه (عليه السلام) واعتدالها.

مقصدية (عليه السلام) من هذا العهد تتجلى في الربط بين التراكيز اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام لان الامام علي (عليه السلام) حين كتب هذا العهد كان له قصد لجعل الكلام يصلح لان يفهم عن طريق التواصل، لان التواصل لا يتم بنجاح اذا لم يحدث التطابق بين قصد المرسل والمعنى المؤول من لدن المرسل اليه سواء أكان القصد مطابقا للمعنى الحرفي ام مفارقا له، لان التواصل مشروط القصدية وإرادة المتكلم في التأثير على الغير. وتعتبر هذه القصدية مميز منهجي في اللسانيات التداولية.

وضوح الجانب الادبي في عهد الامام علي (عليه السلام) حيث تم اشاؤه من شخص عربي ملم بكل خفايا اللغة ودقائقها وهو رجل قضاء وفقه وفيلسوف وصاحب المام بالسياسة والادارة وعلم الاجتماع والاخلاق والدين من خلال اعتماده اساليب ادبية متنوعة.

## الهوامش

١. ينظر استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص ١٨٥، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط١، د.ت.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٦٠
٣. لسان العرب: مادة وصل، دار لسان العرب، ١٩٧٠
٤. ينظر: شرح التفتازاني على تصريف الزنجاني: ٣٨
٥. المعجم الوسيط للزنجاني مجمع اللغة العربية، دار الحديث للطبع والنشر بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٣٧
٦. Edition suniversitaires، 1969، p 42
٧. Charles cooley، Social organisation in " alcomuniation ano- " nyme
٨. Dictionnare des concepts، eles Francoise Raynal etalain Rieunier، 1977، P 31
٩. لسان العرب: مادة خطب
١٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، أستنبول ١٩٨٠، ص ٢٤٣
١١. إشكالات النص، جمعان بن عبد الكريم، ص ٣٥
١٢. أساس البلاغة، جار الله محمود أبو القاسم الزنجاني، تحقيق عبد الرحيم محمود، انتشارات دفتر تبليغات الأمير، د.ط، د.ت، ص ٩٨
١٣. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر مادة: حور، د.ط، ج ٢، بيروت، ١٩٩٧،

ص ١٨٢

١٤. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ٢، د. ط، د. ت، ص ١٥١
١٥. التعبير والتواصل ( التقنيات والمجالات ) ديداكتيك، علي آيت أوشان، دار أبي مرامر للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠١٠، ص ٦١.
١٦. عندما نتواصل نغير ( معادية تداولية معرفية لآليات الحجاج )، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦، ص ٢٠٠.
١٧. الحوار وخصائص التفاعل التواصل، محمد نظيف، أفريقيا الشرق، د. ط، الدار البيضاء، ص ١٥
١٨. التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير، منشورات الضلاف، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٢٤.
١٩. لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس عالم الكتب الحديثة، أربد، عمان، ط ٢، ٢٠٠٩.
٢٠. اللغة والخطاب، عمر أركان، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠، ص ٤٩.
٢١. قضايا الشعرية، رومان ياكوبسن، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار تويقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨، ص ٣٠.
٢٢. اللغة والخطاب، عمر أركان، ص ٤٨، أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠١
٢٣. حدود التواصل الأجماع والتنازع بين هابرماس وليوبار فرانك مانفرد، ترجمة وتقديم: عز العرب لحكيم، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٣، ٤٥.
٢٤. قضايا الشعرية: ٢٨
٢٥. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: ص ٢٢٠ - ٢٢١، ط ١، دار الكتب العلمية،

د. ت

٢٦. اللغة والفكر والمعنى، محمد بو عمامة، ص ٢٣٦، أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠٠.
٢٧. الصناعتين، ص ١٩
٢٨. م. ن.: ٢٣
٢٩. البيان والتبيين: ص ٧٦
٣٠. المصدر نفسه والصفحة.
٣١. علم اللغة العام: فريثيد دي سوسير، ترجمة ديويثيل يوسف، مراجعة النص العربي د. مالك يوسف المطليبي، أفاق عربية، ١٩٨٥، ص ٣٠
٣٢. قضايا الشعرية: ص ٣٠، رومان جاكسون، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توفيفال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨
٣٣. استراتيجيات التواصل، سعيد بنكراد، ص ٩
٣٤. استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص ١٤
٣٥. علم الأعلام اللغوي، عبد العزيز شرف: ص ٧٠
٣٦. تحليل الخطاب: ج. بول، ص ٢
٣٧. التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير، منشورات الضلاف، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٢٤.
٣٨. هو أبو يعقوب يوسف بن الجذع، وتختلف المصادر في تخطيط هذا الرجل وتجليته فبعضها كالبيان المغرب لابن عذارى المراكشي يحيله بالوزير بينما نعتة ابن سعيد في المغرب بأنه كاتب ابن مردنيش (تنظر أخباره في: البيان المغرب) قسم الموحدين، ١٠٨-١٢٠ والمغرب: ٢/ ٣٨٦ ويبدو ان الصفة الاولى أقرب

- الى الدقة من الأخرى ولهذا كان له أن يتخذ ابن مغاور كاتباً له
٣٩. ينظر: ابن مغاور الشاطبي ۞ حياته وأثاره - دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، ط ١، ١٩٩٤، ٢٠٧.
٤٠. سورة التوبة: ١٨.
٤١. ابن مغاور الشاطبي: ٢٠٧.
٤٢. م ن والصفحة.
٤٣. قضايا الشعرية: ٣٠.
٤٤. هو سليمان بن موسى بن سالم ابو الربيع الكلاعي الاندلسي الحافظ خطيب بلنسيا من علماء الاندلس المعروفين في عصره في مجال الحديث والفقاه له تصانيف نافعة وبلاغة وفضائل قتل في ذي الحجة سنة ٦٣٤ هـ وله سبعون سنة: سير اعلام النبلاء شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق سعيد الافغاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩، (١٥١/٢١).
٤٥. ابن مغاور الشاطبي: ١٨٦.
٤٦. المائدة: ٢٥١.
٤٧. ابن مغاور الشاطبي: ١٨٧-١٨٨.
٤٨. سورة النحل: ٧٧.
٤٩. سورة آل عمران: ١٣٩.
٥٠. سورة محمد: ٣٥.
٥١. م ن: ١٨٨.
٥٢. الأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٥٨.

٥٣. ابن مغاور الشاطبي: ٢٠٠-٢٠١.
٥٤. م ن والصفحة
٥٥. سورة الكهف: ١٨
٥٦. سورة الأعراف: ١٠٧.
٥٧. ابن مغاور الشاطبي: ١٣٨
٥٨. سورة الفتح: ١٠
٥٩. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ١، ٨٩.
٦٠. ابن مغاور الشاطبي: ٢٠٨.
٦١. سورة الفتح: ٢٩
٦٢. ابن مغاور الشاطبي: ٢١٣.
٦٣. سورة النمل: ٢٣.
٦٤. ابن مغاور الشاطبي: ٢٣١.
٦٥. سورة النساء: ٥٨.
٦٦. ابن مغاور الشاطبي: ١١٩.
٦٧. سورة النصر: ١-٢.
٦٨. العهد: ٢٢ وهناك الكثير من الامثلة في هذا الباب وكذلك قوله «ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم» (٧).
٦٩. العهد: ٢٠.
٧٠. العهد: ١٨.

٧١.م. ن. وللمزيد من الامثلة ينظر: العهد: ١٧، ١٩، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩،  
٣٠.

٧٢.م. ن.: ٢٠.

٧٣.م. ن.: ٢٢.

٧٤.م. ن.: ٢٤.

٧٥. حاشية يس على شرح الفاكهي على قطر الندى، يس بن زيد الدين الحمصي  
الشافعي (ت ١٠٦١هـ) مكتبة الارشاد، تركيا، ١/ ٨٨

## قائمة المظان:

### - القرآن الكريم

١. أساس البلاغة، جار الله محمود أبو القاسم الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، انتشارات دفتر تبليغات الأمير، د.ط، د.ت.
٢. استراتيجيات التواصل، سعيد بنغراد، المغرب، افريقيا الشرق، ٢٠٠٠.
٣. استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص ١٨٥، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط١، د.ت.
٤. الاسلوب والاسلوبية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٢.
٥. أشكال النص، جمعان بن عبد الكريم.
٦. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١
٧. تحليل الخطاب: ج. بول
٨. التعبير والتواصل (التقنيات والمجالات) ديداكيك، علي آيت أوشان، دار أبي مرامر للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠١٠.
٩. التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير، منشورات الضلاف، ط١، ٢٠٠٧.
١٠. الحوار وخصائص التفاعل التواصل، محمد نظيف، أفريقيا الشرق، د.ط، الدار البيضاء.
١١. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: ص ٢٢٠ - ٢٢١، ط١، دار الكتب العلمية، د.ت
١٢. سير اعلام النبلاء شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق سعيد الافغاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩.

١٣. علم الأعلام اللغوي، عبد العزيز شرف.
١٤. علم اللغة العام: فريثيد دي سوسير، ترجمة ديوييل يوسف، مراجعة النص العربي د. مالك يوسف المطلبي، أفاق عربية، ١٩٨٥
١٥. عندما نتواصل نغير ( معادية تداولية معرفية لآليات الحجاج )، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦.
١٦. عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشر (رضوان الله عليه)، اعداد: المستشار فليح سوادي، العتبة العلوية المقدسة، النجف، ٢٠١٠.
١٧. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ٢، د. ط، د. ت
١٨. قضايا الشعرية: ص ٣٠، رومان جاكسون، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توفال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨
١٩. اللغة والخطاب، عمر أركان، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠.
٢٠. لسان العرب: مادة وصل، دار لسان العرب، ١٩٧٠.
٢١. اللغة والفكر والمعنى، محمد بو عمارة، ص ٢٣٦، أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠٠.
٢٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، أستنبول ١٩٨٠.

### المصادر الاجنبية

1. Charles cooley، Social organisation in " alcomuniation anonyme "
2. Dictionnaire des concepts، eles Francoise Raynal etalain Rieunier، 1977
3. Edition suniversitaires، 1969

# إستراتيجية الخطاب المتداخل

في عهد الإمام علي - عليه السلام - لملك الأشتر - رضي الله عنه -

(مقاربة في ضوء المنهج التناسي التحليلي)

م . د . صباح حسن عبيد التميمي

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م





## المقدمة :

للإمام علي (عليه السلام) في عهده - موضع الدرس هنا - استراتيجيات خاصة في تشكيل الخطاب الموجّه نحو المتلقي الخاص (مالك الأشتر) بوساطة خطاب قريب المدى، والعام (الساسة في كلّ زمان ومكان) بوساطة خطاب بعيد المدى، ومن هذه الإستراتيجيات (الخطاب المتداخل) الذي يتمّ انتاجه بوسائل استدعائية تشتغل على توظيف المخزون المعرفي الثقافي / الخطاب الماضي، وإعادة تشكيله في الخطاب الحاضر (عهد مالك الأشتر)؛ لينتج عن ذلك تداخل خطابي له دورٌ كبيرٌ في الحجاج، والإقناع، وإيصال الخطاب للمتلقي بقوة إقناعية شديدة، ولاسيما المتلقي المسلم عامة/ والموالي لأمر المؤمنين بخاصة، وكل ذلك يتمّ بوساطة آلية التداخل النصّي. ويتولّد هذا التداخل الخطابي من تلاقي نصوص شمولية موروثه تربط المخاطب بالمخاطب بأواصر مشتركة متفق عليها منها: (النصوص العليا)، - القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف - ؛ لكونها نصوصا تمارسُ سلطة عقدية على المتلقي، فتُسهم في استمالته، وتساعد على إقناعه بشكل أسرع مما لو كان الخطاب إحاديا خاليا من التداخلية المتشابكة.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تتشكّل من مبحثين، وقع على عاتق الأوّل منها مهمّة الكشف النظري عن مصطلحات الدراسة ومنهجها المتّبع فكان عنوانه (البعد التنظيري - في مصطلحات الدراسة ومنهجها المتّبع)، وانقسم لذلك على محورين أولهما وُسِمَ بـ(الخطاب، الإستراتيجية، الخطاب المتداخل - المفهوم والأبعاد) والآخر عُنونَ بـ(في المنهج المتّبع - أبعاده وآلياته) بوصفه منهجا مقترحا ستبناه الدراسة وستنهض على حيثاته، وتستهدف ترسيخه إجرائيا، فلا بدّ - بعد ذلك - من تجليته قبل الدخول في متنها الرئيس ذي البعد الإجرائي المتمثّل بالمبحث الثاني الذي وُسِمَ بـ

(البعد الإجرائي - استراتيجيات الخطاب المتداخل مع الخطاب القرآني) وفيه اشتغال على استراتيجيات (الاجترار، والامتصاص والحوار).

وبعد فأسأل الله تعالى أن يوفّقنا لمراضيه ويجنبنا معاصيه، ويجعل عملنا هذا خالصاً لخدمة دينه ووليه أمير المؤمنين - عليه السلام -، ولا أجلّ من أن نختمَ بختامه لعهدِه - عليه السلام - حين قال: ((إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً)).

## المبحث الأول

### البعد التنظيري في مصطلحات الدراسة ومنهجها المتبع

أولاً: الخطاب، الإستراتيجية، الخطاب المتداخل - المفهوم والأبعاد:

#### ١ - الخطاب:

يُعدّ مفهوم الخطاب - في الأدبيات الحديثة - من المفاهيم التي نالها التعدّد والتنوّع، وذلك بتأثير الدراسات التي أجراها عليه الباحثون، بحسب اتجاهايّ الدراسات اللغوية الشكلية والدراسات التواصلية؛ ولذا فهو يُطلق - إجمالاً - على أحد مفهومين يتفق في أحدهما مع ما ورد قديماً عند العرب، أما في المفهوم الآخر، فيتسم بجدّته في الدرس اللساني الحديث، وهذان المفهومان هما:

الأوّل: أنّه ذلك الملفوظ الموجّه إلى الغير، بإفهامه قصداً معيّناً.

الآخر: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة، وهذا المفهوم هو الغالب في الدراسات اللغوية اللسانية الحديثة<sup>(١)</sup>.

وبحسب فهم لساني حديث تعميمي آخر يُعدّ خطاباً كلّ ملفوظٍ / مكتوب يشكّل وحدة تواصلية قائمة الذات، ويُفاد من هذا الفهم الحدائي للخطاب ثلاثة أمور هي:

أولاً: تحييد الثنائية التقابلية جملة / خطاب حيث أصبح الخطاب شاملاً للجملة.

ثانياً: اعتماد التواصلية معياراً للخطابية.

ثالثاً: إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب؛ إذ أصبح من الممكن أن يُعدّ خطاباً

نصّ كامل أو جملة أو مركّب أو شبه جملة<sup>(٢)</sup>.

ويطلق وصف (الملفوظ) - الوارد في التعريف السابق - على الحديث/ الكلام أو الخطاب؛ فهو مظهر كلامي لغوي يتألف من تقطيعات وجمل، وهو أكبر من الجملة دلالة، كما أنه يمثل موقفاً كلامياً فيه متكلم ومُخاطَب وسياق داخلي (لغوي) وخارجي (مقام)، ولا يمكن فهم هذا الملفوظ بمعزل عن هذين السياقين وهو عملية اتصال وإبلاغ متنوّعة المظاهر، وهذا يعني أنّ الملفوظ قد يكون مجرد وحدة كلامية، أو قد يكون خطاباً.

والخطاب مثلما يتجلى في معظم الدراسات اللسانية المختلفة عملية اتصال تتمُّ في إطارين: الإطار اللغوي؛ فقد يكون متوالية جمالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة، ينتجها مرسلٌ واحد أو عدّة متخاطبين مثلما يحدث في الحوار أو غيره، وإطار غير لغوي يشمل منظومة العادات والأعراف والتقاليد، وهو ما أُطلق عليه مصطلح (إثنوجرافيا الخطاب)، والخطاب بوصفه حدثاً كلامياً يتشكّل من عدّة عناصر هي: المرسل، والمستقبل أو الجمهور، والرسالة أو الموضوع، والهدف، ويؤثر هذا الهدف تأثيراً جلياً في استراتيجية المرسل فيملي عليه اختيارات معينة من بين البدائل التي يتيحها له النظام اللغوي، وقد يؤثر في شكل الحديث وصورته وبنيته<sup>(٣)</sup>.

وفي النهاية يمكن القول إن مصطلح (الخطاب) يشير إلى الطريقة التي تُشكّل بها الجُمْلُ نظاماً متتابعاً تُسهم به نسق كليّ متغاير ومتحد الخواص، وعلى نحو يمكن معه أن تتألف الجُمْلُ في نظام بعينه لتشكّل نصاً مفرداً، أو تتألف النصوص نفسها في نظام متتابع لتشكّل خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد، وقد يوصف الخطاب بأنّه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلامات، أو يوصف بأنه مساق من العلاقات المتعيّنة التي تُستخدم لتحقيق أغراض متعيّنة<sup>(٤)</sup>، أو هو جملة من المنطوقات أو التشكّلات الأدائية التي تنظم في سلسلة معينة لتنتج دلالة ما،

وَتُحَقِّقُ أَثْرًا مَعِينًا<sup>(٥)</sup>.

ويتداخل مفهوم النص والخطاب تداخلا كبيرا في الخطاب النقدي العربي الحديث عامة، لدرجة تصل أحيانا إلى صعوبة التمييز بينهما، فذهب بعض النقاد والباحثين إلى قصر النص على المظهر الكتابي فيما يقصر مفهوم الخطاب على المظهر الشفوي<sup>(٦)</sup>.

وفي الحقيقة أن (الخطاب) متصل بالكتابة العامة وهو ملك مشاع للعامة من القراء، بينما يختص النص بالكتابة الإبداعية الخاصة بنوع من الكتاب والمبدعين بسبب من طابع التمرد والفرادة والتجديد التي يتميز بها النص عن الخطاب<sup>(٧)</sup>.

ومن وجهة نظرنا الاستخلاصية يمكن عدّ (الخطاب) متوالية شمولية سياقية تتشكل من جملة أو جمل أو نص أو نصوص ترتبط فيما بينها برابط سياقي واحد ينشأ في ظل مقصدية (المُخاطَب) الذي يحاول إيصال (رسالة) لغوية شكلاً (صورة مادية ملموسة) تحمل صوراً ذهنية دلالية سطحية (المدلول المباشر) وعميقة (المدلول الإيحائي) إلى (مُخاطَب قريب) وهو الذي يتجلى في السياق القريب من الخطاب أو (مُخاطَب بعيد) ليس له تجلٍ مباشر، بل أن الخطاب يقصده دون تحديد مباشر، وهو يحمل سمة التراكم القريب الأمد أو البعيد الأمد، بمعنى أن الخطاب يمكن أن يتمثل في نتاج واحد أو سلسلة من النتاجات.

وقد يتعدى شكل (الرسالة) في الخطاب ماديتها الملموسة (بصرياً) في مجال تحققها الكتابي، إلى ماديتها الملموسة (بصرياً أيضاً) في مجال تحققها البصري (الرسم والنحت والإشهار) فكلها تنطوي على خطابات ذهنية معينة يضمنها المبدع / المُخاطَب فيها؛ لإيصالها للجمهور الذي يُدخل هذه الأعمال في نمذجة ذهنية يستشف منها الفحوى المطلوب كلٌّ بحسب خبرته في التلقي.

وفي ظلّ تصورنا هذا يمكن التفريق بين النص والخطاب في أن الأول تجلٍ كتابي

تتلبسه صفة (الخصوص)، والثاني تجلٍ عام (بصري، كتابي، مشهدي...) يتّسم بصفة (العموم) فهو يشتمل على النص ويتعداه، أما النص فلا يشتمل إلا على متوالية جمالية لها حيز دلالي معيّن، فضلا عن عمومية الخطاب المتأتية من منحاه الجماهيري العام من خلال توجهه لكلّ الفئات، وخصوصية النص الأدبي الذي ينحصر على فئة خاصة من المتلقين في الغالب ومن هنا شاع استعمال أنواع متعددة من الخطابات التي تُوصف بـ(سياسية، اجتماعية، دينية، أدبية)، في حين أننا لا نجد شيوع (نص سياسي، ديني، اجتماعي) بل نجد نصّاً واحداً يشتمل على دلالات دينية اجتماعية أدبية سياسية وما إلى ذلك.

وقد لا يتحدّد الخطاب بمساحة تلفظية معيّنة، فربما يتشكّل الخطاب من حيّز تلفظي موجز جداً لكنّ أبعاده التأويلية والدلالية تتمدد لمساحات شاسعة بعد أن تستقبل منظومة التلقي الموجه نحوها شيفراته المحمّلة بتأثيرات متعددة تُسهم في إخضاع هذه المنظومة للاستجابة لذلك الخطاب الموجز.

وبالاستناد إلى الخصوصية التي يتمتّع بها الخطاب المدروس (العهد) بوصفه خطاباً ينتمي لخطاب أعلى وهو (نهج البلاغة) الذي يمثّل أروع ما أنشأه العقل الإنساني الأكمل، حتى صار ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)) - كما وُصف قديماً - فإن الخطاب فيه ((يمثّل أيديولوجيا تنتظم عبر ممارسات غايتها الإخضاع غير القسري الذي لا يمكن أن تمارسه الخطابات الدكتاتورية أو تلك التي تصدر الرأي الآخر أو تسعى إلى مصادرتة، ولكنها تؤسّس لعملية إقناع عقلية تنشأ أساساً على جذر من الصدق والممارسة العملية التي تتألف مع المعتقد، وبذلك فهي تهيب لرسوخ غير مهدّد بالقلق))<sup>(٨)</sup>.

## ٢- الإستراتيجية :

يمكن الانطلاق من فهمٍ عامٍ للإستراتيجية في دراستنا هذه ينطلق من أنّها تكتيكٌ إنتاجيٌّ؛ يوظفه مُنتج الخطاب لإنتاج (ملفوظ) يتشكّل منه خطابه الموجه نحو متلقٍ متعدد، مع مراعاة السياق العام بين المُنتج والمتلقي، وبتعبير آخر فإنّها ((خطة في المقام الأوّل للوصول إلى الغرض المنشود، وبما أنّها كذلك، أي خطة، فهي ذات بعدين؛ أولهما: البعد التخطيطي، وهذا البعد يتحقق في المستوى الذهني، وثانيهما: البعد المادي الذي يجسّد الاستراتيجية لتتبلور فيه فعلاً، ويرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل الرئيس، فهو الذي يُحلّل السياق، ويخطّط لفعله، ليختار من الامكانيات ما يفي بما يريد فعله حقاً، ويضمن له تحقيق أهدافه))<sup>(٩)</sup>.

ويختار المرسل إستراتيجية خطابه على وفق دواعي السياق التي تصبح معايير لتصنيف استراتيجيات الخطاب، انطلاقاً من أحد تعريفات الخطاب الذي ينظر إليه بأنّه: كلّ منطوق موجه به إلى الغير للتعبير عن قصد المرسل ولتحقيق هدفه؛ إذ يتركّب هذا التعريف من محاور ثلاثة هي: أنّ الخطاب يجري بين ذاتين، وأنّه يُعبّر به المرسل عن قصده، وأنّه يحقق هدفاً، ومن هنا كانت هذه المحاور الثلاثة هي معايير تصنيف الإستراتيجية التي يراعيها المرسل عن إنتاج خطابه، ممّا يؤصّل علاقة الاستراتيجية بمعطيات إنتاج الخطاب، أي بعناصر السياق التواصلية التي نتج فيها، وكذلك بالتفاعل أو العلاقة بين أطرافه من مرسل ومرسل إليه، ومن ثمّ علاقة الخطاب ذاته بالمرسل؛ لإدراك الآليات المستعملة فيه مثل الاستدلال والحجاج<sup>(١٠)</sup>.

وفي ضوء هذا الفهم العام للإستراتيجية سيُمثّل (النص الغائب/ القرآن) المخزون في ذهن المُخاطب/ الإمام (عليه السلام) جانباً مهمّاً من البعد التخطيطي الذي يتشكّل بوساطته البعد المادي المتمثّل بملفوظ الخطاب المُتدَاخِل ودلالته/ العمل (النص

الحاضر / نص العهد)، وهو تكتيكٌ ينفذُ بواسطة آلية التناص المتداعي مع القرآن.

### ٣- الخطاب المتداخل :

نروم في إطار هذه الفقرة من الدراسة طرح تسمية جديدة، وقد قلنا تسميةً ولم نقل مصطلحاً من منظور أن المصطلحَ تسميةٌ حَقَّقَت الشيوخ، ولكننا نأمل أن تكتسب تسميتنا المطروحة القابلية الكافية في المستقبل لتظهر بوصفها مصطلحاً نقدياً ناجزاً بعد أن يُكتب لها الشيوخ والإنجاز النقدي.

وتنهض هذه التسمية على مقولة (التداخل) وهي وإن كانت مقولة ليست بالجديدة إلا أن امتزاجها - في تركيب واحد - مع مصطلح (الخطاب) على وفق المنظور الذي طرحناه في هذه الدراسة هو ما يمنحها بعداً مغايراً قد يُكسبها الجِدَّة. لقد ظهرت مقولة (التداخل) في خضمّ مقولات (ما بعد البنيوية) في طروحات باختين، وكرستيفا وغيرهم، وهي في عمومها توصيف يكرّس مفهوم (التنصص) القائم على تشكّل متعدد الأوجه، وتجميع من نصوص سابقة مع نصّ لاحق بحيث يصير الجزء كلاً في ظل آلية تفتيت الماضي وصهره في جسد الحاضر.

وقد أشارت كرسيفا لخاصية التداخل هذه في مقاربتها لمفهوم (النص) حين رأت أنّه - في بعض حالاته - ((ترحال للنصوص وتداخل نصّي. ففي فضاء نصّ معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مُقْتَطَعَةٌ من نصوصٍ أُخرى))<sup>(١١)</sup>.

إنّ مصطلح (النصوص المتداخلة / Intertextuality) أو التداخل النصّي - كما في نص كرسيفا - هو مصطلح سيميولوجي (تشريحي)، وقد أشار إليه روبرت شولز قائلاً: ((النصوص المتداخلة اصطلاح أخذ به السيميولوجيون مثل بارت وجينيه وكرستيفا وريفاتير وهو اصطلاح يحمل معاني وثيقة الخصوصية، تختلف بين ناقد وآخر، والمبدأ العام فيه هو إنّ النصوص تشير إلى نصوصٍ أُخرى، مثلما إنّ الإشارات

تشير إلى إشارات أُخرى، وليس إلى الأشياء المعنية مباشرة، والفنان يكتب ويرسم، لا من الطبيعة، وإنما من وسائل أسلافه في تحويل الطبيعة إلى نص، لذا فإن النص المتداخل هو: نص يتسرب إلى داخل نص آخر، ليجسد المدلولات، سواء وعى الكاتب بذلك أو لم يع<sup>(١٢)</sup>.

وإذ كان هذا الطرح يتجه في مقصدية نحو (النص) ليكرّس مقولة تداخله بنصوص أخرى سالفة، فإن طرحنا هذا يتجه نحو مقولة (تداخل خطاب) لا تداخل نص، وبما أننا فيما مضى قد فرّقنا بين مصطلحي (الخطاب) و(النص) من منطلق عمومية الأول، وخصوصية الثاني، انفتاح أفق الأول، وضيق أفق الثاني، كلفة الأول وجزئية الثاني فإن هذا يُشر عن مقولة (الخطاب المتداخل)؛ ليكتسب صفات التداخل المأخوذة من الطرح (مابعد النيوي)، وصفات (الخطاب) الذي انماز عن النصّ بخصائص أثبتناها سابقاً، وفي ضوء ذلك يأخذ هذا التركيب الجديد شرعيته من طروحات سبقت (التداخل) ورؤية جديدة لمطروح سابق (الخطاب).

ويمكننا تحديد بعده المفهومي بالقول: هو تعالق خطابات سابقة متعددة، مع خطاب لاحق في طور الولادة، بغية انتاج حضور جديد من الغياب الماضي المتراكم الذي أُعيد انتاجه بعد دخوله في عملية إنتاجية ذهنية تدور تفاصيلها في أروقة عقلية المبدع الذي يركز في انتاجها على الذاكرة طويلة الأمد المخزونة في ذهنه، فضلاً عن وسائل تشكيله الابداعية الأخرى التي تُتيح له تشكيل خطاب إبداعي مغاير يتركّب من الماضي والحاضر.

### ثانياً: في المنهج المتبع - أبعاده وآلياته - :

تسير هذه الدراسة في ضوء طرح مغاير في منظوره تجاه مقولة (التناص)، فهو ينظر إليه بوصفه منهجاً تحليلياً، وآلية قرآنية لمقاربة الخطابات المتداخلة، وهو طرح

يستهدف تحطيم النظرة الإحادية للتناص القائمة على مسلّمة كونه تحقّقاً نصّياً متلبّساً في النصّ الرئيس (التناص) فقط؛ ذلك أنّ الكشف عن نويات النصّ الماضية التي أسهمت في تشكّله الحاضر لا يتمّ إلاّ عن طريق آلية فرز وتصنيف ثمّ تلفيق، وذلك متحقق في آلية (التناص)، انطلاقاً من رؤية جملة من الدارسين الذين ((جعلوا التناص ممارسة قرائية للنصّ تكشف عن خفاياه ومحتوياته العلامة الراجعة إلى متن سابق))<sup>(١٣)</sup>.

فهو وإن كان مصطلحاً يدلّ على طبيعة التكوّن والنمو للدلالات في النصّ الحاضر قيد القراءة؛ إذ تتمخّض عنه أبعاد ذلك النصّ، وتتجلّى حيثياته، إلاّ أنّ ذلك لا يعفيه من أن يكون منهجاً يستعين به المتلقي الواعي لاستشراف أبعاد الخطاب الذي يروم مقارنته.

فهذا الطرح لا يقصي المقولات التي ترى أنّ التناص ((تشكيل نصّ جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النصّ المتناصّ خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها. وغاب (الأصل) فلا يدركه إلاّ ذوو الخبرة والمران. هكذا يبدو (التناص) علاقة تفاعل بين نصوص سابقة، ونصّ حاضر. أو هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نصّ، حدث بكيفيات مختلفة))<sup>(١٤)</sup>، غير أنّ هذه الكيفيات المختلفة بحاجة إلى آلية كشف قرائي تقاربها، وتوضّح فضاءها التكويني.

وفي ضوء ذلك ننظر هذه الدراسة إلى (التناص) نظرة ثنائية يتوزعها بعدان الأول يرى أنّ (التناص) تشكّل إبداعيّ يستوعب ويمتصّ كلّ هذه التداخلات التي حصلت به ويتفاعل معها، والآخر ينظر إليه بوصفه منهجاً قرائياً يمتلك الكفاية لممارسة قراءة واعية تسبر أغوار النصّ / الخطاب، وتخرق كلّ خطوطه الأفقية والعمودية.

وتنطلق الدراسة في تبنيها هذا من آلية التلفيق التي استند إليها (المنهج التناصي)

ومعه (المنهج القرائي)؛ إذ يمثل الأول أحد أهم المناهج الحداثية التي تجمع بين المنهج الداخلي والخارجي في النقد والتحليل، وهي دعوى قال بها الناقد الدكتور مشتاق عباس معن، وردّها إلى أمور منها:

١- كلاهما - المنهج التناسي والمنهج القرائي - يشغلان على نقطتي الداخل والخارج في التحليل.

٢- كلاهما يربطان النص بثقافة المتلقي والمنتج، وذلك من خلال كشف المؤثرات الخارجية في النص أو الإفادة العلامية للنص من الخارج - كما هو الحال في التناس -، أو من خلال الربط بين إمكان التحليل: المنتج أو الاستهلاكي أو المضيف من المتلقي نحو تفكيك شفرات النص ومغزاه الداخلي - كما هو الحال في القراءة، وتأسيساً على هذا الطرح يكون الفكر التناسي فكراً نقدياً/ فلسفياً مغايراً لبقية المناهج النقدية الأخرى لا على سبيل المضمون النقدي وبنود التحليل فقط، بل على أساس الكيفية الاشتغالية لأدوات التحليل أيضاً<sup>(١٥)</sup>.

فمثلما يقارب (المنهج الأسلوبي) - على سبيل المثال - النصّ، ويفكّك أو اصره مقسماً إياه إلى مستويات متعددة، فكذلك (المنهج التناسي) يشتغل على الكشف عن تشكيل واقع التكوينات النصّية المبنية للنص المدرّس، عبر تقسيمها إلى أنماط مختلفة تتحدّد بالآليات التي اشتغل عليها مبدع النص نفسه والتي سمّيت بقوانين التناس؛ وهي ممارسة لا تكتفي بتعيين النص المتناس وإرجاعه إلى أصوله ومؤثراته فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى تحديد قانون هذا التناس، ومحاولة تصنيف النصوص المتناسّة مع نصوص أخرى ضمن هذه القوانين - التي سيرد ذكرها فيما بعد -، وللقرّاء - في هذه الممارسة - دورٌ فاعلٌ؛ لما يقوم به من استرجاع ومقارنة وموازنة ورصد ومعاينة وتأويل؛ إذ يزيل ويمحو وينقبّ وبينما هو يحفر فإنّه يدمّر، ويفتت، إنه يحفر خلف النص للعثور على نصّ فرعيٍّ غائب يمثل الأصل الحقيقي للنص الحاضر<sup>(١٦)</sup>.

## المبحث الثاني

### البعد الإجرائي

#### استراتيجيات الخطاب المتداخل مع الخطاب القرآني

تجلّت في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر استراتيجيات متعددة لإنتاج الخطاب المتداخل مع الخطاب القرآني المُستدعى، وهي استراتيجيات نقسمها على وفق قوانين التناس المعروفة؛ لأنّ كلّ قانونٍ من تلك القوانين هو بمثابة استراتيجية كتابية يتبّعها منشيء النص لإنتاج خطابه المتداخل المولود من جرّاء إلتقاء الغائب بالحاضر في توليفة إبداعية محكمة الصنع أتقن صنعها سيّد البلغاء:

#### ١- إستراتيجية الاجترار:

وتتحدّد هذه الإستراتيجية بتكرار النص الغائب من دون تغيير أو تحوير والإكتفاء بإعادته كما هو أو مع إجراء تغيير طفيف لا يمسّ جوهره؛ بسبب من نظرة التقديس والاحترام التي تُحاط بها بعض النصوص والمرجعيات لاسيّما الدينية منها<sup>(١٧)</sup>.

على أنّ منتج الخطاب المدروس الإمام (عليه السلام) كان مغايراً لأيّ مُنتج عادي، وهذه المغايرة متأتية من كونه خلاصة الحكمة الإلهية والنبوية؛ لذا فإنّ استحضاره للنصوص المقدّسة كان بمثابة تأكيد أيدولوجي يشغل تأثيره على المتلقي الخاص - مالك -، والعام - كلّ سياسي بل كلّ إنسان مسلم -، فيكون الإقناع مضاعفاً، وهذه الشائبة في التأثير، والمضاعفة فيه نابعة من صدوره عن حقلين حقلاً مقدّس غائب - القرآن الكريم -، وحقّل حاضر - كلام الإمام علي (عليه السلام)، وبهذا ترتفع نسبة التأثير وإن كان الغائب - القرآن - ملتبساً بالحاضر [العهد - كما هو دون تغيير؛ نتيجةً

لما يحتفظ به النصّ الغائب من منزلة مقدّسة في نظر المتلقين.

وقد اشتغل الامام (عليه السلام) على هذه الإستراتيجية في مواطن متعددة من العهد منها قوله: ((وَأَرَدُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضِلُّكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَيَشْتَبِهْ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ { فَالرُّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَ الرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَفْرَقَةِ )) (١٨).

إنّ ثيمة الخطاب الرئيسية في الخطاب المتداخل المُقتبس هي (الرد)، وهو إرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح إرجاعاً عقائدياً بحثاً، يعتمدُ على الكتاب المقدّس (القرآن)، والسُّنة النبوية الشريفة، وهنا وجب استحضار نص القرآن كما هو دون تغيير؛ لانتاج خطاب متداخل إقناعي يمارس سلطته الدينية الضاغطة على التابع؛ لأنّ التبنيّ العقائديّ يحتم على المُتبنيّ الأخذ بما يمليه المُتبنيّ بوصفه مسلمات عقائدية، وهي مسلمات تمارس تأثيراً عالي الدرجة في المتلقي الواقع تحت سلطتها الروحية. ويبدو أن الإمام - (عليه السلام) لم يشتغل على النصّ المجلوب - الآية القرآنية - اشتغالا تحويرياً تغييرياً؛ لأسباب أهمّها: إن تأثير الاقتباس من القرآن نصياً أقوى من تأثير استجلابه بالفحوى؛ ذلك أنّ الخطاب المقدّس الأعلى، فحضوره يضاهي حضور خطاب الإمام نفسه، ومن هنا فإن استدعاءه كما هو سيكون ذا تأثير واسع النطاق على المتلقي؛ لأنّ استحضار هذا النصّ المقدّس هو - من دون شك - استحضارٌ للذات المتّجة له في ذهنية المتلقي، وهي ذات قدسية لها تأثيرها الخاص. وفي خطاب متداخل آخر يستعين الامام (عليه السلام) بالاستراتيجية نفسها؛ لانتاج خطابه المتداخل ذي التأثير الثنائي وذلك في قوله: ((وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ

بِإِحْسَانِكَ أَوْ التَّزْيِيدِ فِيهَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ وَالتَّزْيِيدُ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ وَالْخُلْفُ يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى { كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } (١٩).

يتركب الخطاب المتداخل المقتبس من حقل ألفاظ معجمي مستجلب من حقل قدسي أعلى ابتداء من مدخله وحتى ختامه، فألفاظ (المن، والإحسان، والوعد، والخلف، والإبطال، والنور، والمقت، والله) كلها ألفاظ قدسية تنتمي لحقل الكتاب العزيز، وهذا التماهي العام يُضفي على النص المتداخل قدسية من نوع خاص، ويكشف عن واقعية مقولة سبق ذكرها تنظر للإمام على أنه: خلاصة الحكمة الإلهية، وأن تداخل خطابه مع النص القرآني إنما يتأتى من المخزون القرآني الذي ورثه عن نبي الرحمة، مدينة العلم الذي كان هو بأبها، وقد ختم هذا الخطاب المتداخل ختاماً نصياً مباشراً مقتبساً من الكتاب العزيز، ليُضفي على صياغته قدسية مباشرة بعد أن تدخلت الألفاظ القدسية في تشكّله من مبدئه إلى منتهاه.

## ٢- إستراتيجية الامتصاص:

تُعد إستراتيجية الامتصاص مرحلة أعلى في قراءة النص الغائب، فهي - على الرغم من انطلاقها من الإقرار بأهمية هذا النص وقداسته - تتعامل معه تعاملًا حركيًا تحويليًا لا ينفي الأصل بل يُسهّم في استمراره جوهرًا قابلاً للتجديد، ومعنى هذا أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب ولا ينقده أنه يُعيد صوغه فحسب على وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها ذلك النص في المرحلة التي أنتج بها، وبذلك يستمر النص غائبًا غير محو ويحيا بدل أن يموت (٢٠).

ونعثر - في الخطاب حيّز الدراسة - على تطبيقات هذه الإستراتيجية في أكثر من موضع؛ إذ يُعيد الإمام على إنتاج النص الديني الغائب - القرآن الكريم - في ضوء

المتطلبات الجديدة التي يتطلبها الخطاب الحاضر، فيحوّز الدلالات القرآنية الغائبة ويجوّهها ويدمجها في خطابه الحاضر بطريقة لا تُعفي آثارها، ولا تدع صورتها الأصلية كما هي دون تغيير، بل تشتغل عليها اشتغالا يجعلها تبدّي غائبة حاضرة في المنتج الجديد.

ومن أمثلة ذلك قوله - سلام الله عليه - : ((وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكْفَلَّ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازٍ مَنْ أَعَزَّهُ)) (٢١).

في هذه القطعة يتداخل الخطاب الموجّه مع الخطاب الأعلى وهو الخطاب القرآني العمومي الموجّه للبشر عامة ومنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد: الآية ٧)، وقد أدى استعمال ضمائر الغائب في النص: (يَنْصُرْ، بِيَدِهِ، لِسَانِهِ، بِقَلْبِهِ، يَدِهِ، قَلْبِهِ) إلى تعميم الخطاب، وإحاطته بالشمولية التي تجعل (المُخاطَب) مفتوح الأفق، غير محدد بشخص معيّن، وهنا يتداخل الخطاب الخاص الذي حوّلته الامام بوساطة لغة الضمائر الى عام مع الخطاب العمومي الشمولي (القرآن الكريم)؛ لتخلق من ذلك دلالة عمومية مزدوجة تمنح النص أبعادا عمومية توجه لكل متلقٍ يتلقى النص في كلّ فضاء زماني ومكاني، ويأتي هذا الانفتاح الدلالي؛ ليعطي خطاب الامام مساحة شرعية تعميمية تكتسب شرعيتها من (التداخل الخطابي) الحاصل عن طريق (استراتيجية الامتصاص) التي أفاد الخطاب من خلالها من الآية السابقة، فضلا عن أنها منحت النص المقتطع - الذي صار خطابا - بعدا تقديسيا نابعا من قداسة النص المستجلب - نص الآية -، الذي أضفى على النص قداسة وشرعية وعمومية شملت المجتمع الإسلامي كله.

إنّ الخطاب المتجليّ في العهد هو خطاب ثنائي الأبعاد يتّجه إلى مُحاطَب قريب

|| وهو مالك الأشر - خاص، ومُخاطَب بعيد عام - وهو الحاكم السياسي المنتمي للمنظومة الاسلامية -، لذا فإننا لا يجب أن نفهمه في سياقه الخاص فقط؛ إذ إنَّ قصدية الخطاب في أساسها تستهدف العموم؛ لأنَّ المخاطب القريب الخاص - مالك الأشر -، هو من خُلص أصحاب الإمام (عليه السلام)، فهو متبنِّ واعي لمنظورات الإمام كلَّها، ومن هنا فالوصايا السياسية الواردة في العهد معروفة سلفاً عنده، وفي ضوء ذلك يكون القصد البعيد المدى هو الهدف الرئيس في انتاج هذا الخطاب بواسطة استراتيجيات التداخل الخطابية.

ومن هذا النمط من الاستراتيجية قول الامام في العهد: ((وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّهَ بِالْجُورِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ)) (٢٢).

ينطلق الخطاب المتداخل من قاعدة (الشورى) التي تمنح السياسة الإسلامية بعداً ديمقراطياً قبل أن تُعرف الديمقراطية في العالم السياسي المعاصر، وهي تنهض على التشاور، وتقبّل الرأي الآخر في الحكم، وعدم الاعتداد بالرأي الفردي الذي يُكرّس مقولة (الدكتاتورية) المضادة لمقولة الشورى، على أن للتشاور السياسي قواعد مهمّة يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار، وقد فصّل فيها القول الامام علي - عليه السلام || في خطابه المتداخل هذا، وصنّف أنماط الشخصيات التي لا بدّ للسياسي أن يستبعدهم في ميدان التشاور، ويحرص على عدم الأخذ بأرائهم، وهم: (البخيل، والجبان، والحريص) ثمّ يستجلب - سلام الله عليه - حجّته في استبعاد هذه الفئات من سياسة التشاور فيقول: (فإنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ)، وبناء على هذه المقولة لا يمكن أن يعتمد السياسي المشاور على بطانة يشاورها وفيها

هؤلاء الثلاثة ؛ لأنّ سوء الظن بالله سبب من أسباب القنوط من رحمته، وسعته، وهي أسباب يُجذّرها الشيطان في نفس الإنسان حتى يصل إلى مرحلة: سوء الظن بالله.

وقد استدعى هذا الخطاب المتداخل قوله تعالى: {الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (الآية ٢٨٦ من البقرة)، وأفاد منه بطريقة تُغيّر صورته النصيية ولا تنفيها، وتُعيد إنتاجه بما يتلاءم وأهداف الخطاب المتناص، بوساطة (استراتيجية الامتصاص)، فتعامل معه تعاملًا حركيًا تحويليًا لا يُلغي أصله بل يُسهّم في استمراره وامتداده، من خلال إعادة صوغه على وفق متطلبات جديدة ظهرت في الخطاب المتداخل الجديد.

## خاتمة الدراسة ونتائجها

من كل ما تقدّم يمكننا أن نخرج بنتائج عدّة أهمها:

١. إنّ طرح (الخطاب المتداخل) يتعدّى مقولة (التداخل) التناصية التي تتجه نحو (النص) فحسب، فيوسّع من دائرة التداخل، وينقلها من مساحة النص الضيقة إلى مساحة الخطاب الشاسعة، متكئاً على انفتاحية (الخطاب)، واتساعه، وشموليته، وكليته، بالمقارنة مع النص.

٢. كان (الخطاب المتداخل) في عهد الامام على مُكوّناً لسانيا ذا أبعادٍ مزدوجة القصدية منبئية على ثنائية (الحضور والغياب) التي تأت له بواسطة تركيب هذا الخطاب من خطاب أعلى مُستدعى - القرآن الكريم - وخطاب أدنى مُستدعى، كلام الإمام علي عليه السلام ؛ لتقوية حجاجية الخطاب بعد تشكّله من خطابين مؤثرين.

٣. مثلت (إستراتيجية الاجترار) إحدى أهم آليات الاستدعاء التي اشتغل عليها عهد الامام (عليه السلام) ؛ لانتاج خطابه المتداخل المزدوج؛ لأنّها تُتيح استجلاب النص القرآني الغائب وتكراره من دون إجراء تعديلات معيّنة والإكتفاء بإعادته كما هو أو مع إجراء تغييرات طفيفة لامتسّ جوهره؛ بسبب من نظرة التقديس والاحترام التي تُحاط بها بعض النصوص والمرجعيات لاسيّما الدينية منها؛ وهذا يؤمّن للمستقبل مساحة إقناعية شاسعة، ويُعزّز قناعته بخطاب الامام المتداخل؛ لأنّه تناغم مع أبرز منظومة تشريعية إسلامية يتفق المسلمون على قدسيتها، وقد شاعت هذه الاستراتيجية في متن العهد شيوعاً فاق غيرها من الاستراتيجيات، على أنّ ضيق مساحة الدراسة الآن قيّد استجلاب شواهد متعددة، والاكتفاء بالنماذج المذكورة.

٤. جاءت (إستراتيجية الامتصاص) لتشتغل على إعادة انتاج النص المقدّس المُستدعى في ضوء خصوصيات الخطاب المتداخل الجديد، الذي أفاد من النص الغائب، بعد أن أعاد هيكلته، وحوّره، وفكّك أو اصر شكلته؛ ليوظّف أبعاده المضمونية العامة، ويقوّي بها الخطاب المُنتج الجديد.

## هوامش الدراسة

١. ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٦-٣٧.
٢. الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط: ٢٤.
٣. ينظر: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق: ٢٣.
٤. ينظر: مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، مجلة علامات، ج ٥٧، م ١٥: ١٢٥-١٢٦.
٥. ينظر: النص القرآني من الجملة إلى العالم: ١٧.
٦. ينظر: النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، مجلة الأقلام، ع ٣-٤: ١٦.
٧. ينظر: التناسق في شعر الرواد: ١٣.
٨. الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته - دراسة تحليلية: ١١-١٢.
٩. استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: ٥٣.
١٠. استراتيجيات الخطاب: ٨٦.
١١. علم النص: ٢١.
١٢. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج معاصر: ٣٢٤-٣٢٥.
١٣. تأصيل النص «قراءة في أيولوجيا التناسق»: ١١٩.
١٤. النص الغائب، تجليات التناسق في الشعر العربي: ٢٩.
١٥. ينظر: تأصيل النص: ٩.
١٦. ينظر: التناسق في شعر الرواد: ٤٢.
١٧. ينظر: م. ن: ٤٣.
١٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: مج ٩/ ج ١٧ / ٣٦.
١٩. م. ن: مج ٩/ ج ١٧: ٧٦-٧٧.
٢٠. ينظر: التناسق في شعر الرواد: ٤٧-٤٨.
٢١. شرح نهج البلاغة: مج ٩/ ج ١٧: ٢٢.
٢٢. م. ن: مج ٩/ ج ١٧: ٢٦.

### مصادر الدراسة ومراجعها:

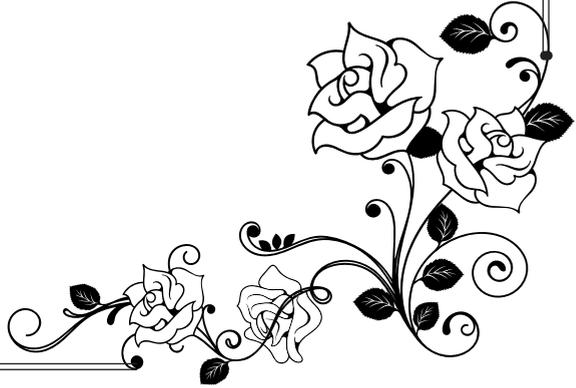
١. استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط ١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.
٢. تأصيل النص «قراءة في أيدولوجيا التناص»، د. مشتاق عباس معن، ط ١، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٣م
٣. التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد - الأعظمية، ٢٠٠٤م
٤. الخطاب القرآني - دراسة في العلاقة بين النص والسياق، الدكتورة خلود العموش، ط ١، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٨م
٥. الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته - دراسة تحليلية -، الدكتور حسين العمري، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠١٠م
٦. الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، ط ١، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدرا العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ٢٠١٠م
٧. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية - قراءة نقدية لنموذج معاصر، د. عبد الله محمد الغدامي، ط ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م
٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٥٦٥٦هـ)، تحقيق محمد إبراهيم، ط ١، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، شارع المتنبي، بغداد، ٢٠٠٧م.
٩. علم النص، جوليا كرستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ط ٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.
١٠. مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، عبد الرحمن حجازي، مجلة علامات، ج ٥٧، م ١٥، ٢٠٠٥م.
١١. النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، فاضل ثامر، مجلة الأقلام، ع ٣ - ٤، سنة ١٩٩٢م.
١٢. النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزّام، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
١٣. النص القرآني من الجملة إلى العالم، د. وليد منير، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٧م.

# ألفاظ طبقات الرعية

في عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام - الى واليه مالك الأشرع رحمته

- دراسة في اللفظ و التركيب -

الدكتورة سحر ناجي فاضل المشهدي





## توطئة

كان العرب في أقطار الجزيرة العربية في بساطة عيشهم لا يفهمون دقائق القوانين وأنواع المعاش من زراعة وتجارة وقضاء؛ لانعدام ممارستها في حياتهم، فدعاهم الاسلام الى العقائد، والأخلاق، ونشر الاسلام مهد السبيل في مصر؛ لوجود الأقباط، والفلاسفة، والبطالسة الذين مارسوا الحياة المدنية، ولما تجلت الإمامة لأمرنا، ومولانا علي بن ابي طالب (عليه السلام) هياً تعاليم الدين المهمة، فكان صدور عهده هذا لواليه الصحابي مالك الأشتر (رضوان الله عليه) بمثابة إنشاء حياة جديدة في مصر وسنرى في حديثنا في هذا البحث ما تمخض من هذه الحياة.

فقد عهد الإمام عليه السلام ولاية عن أمور مصر بأجمعها ومنها (الأمور المالية والاقتصادية من جمع الخراج، الأمور العسكرية، الأمور الاجتماعية، عمران البلاد) ولا نجد ذكراً للعاطل عن العمل، وبذلك فإننا لا نجد لمن لا عمل له ذكر في هذا العهد مما يدل على عناية الإمام بتنظيم أمور الحياة فلا وجود لعاطلين، إذ إن المجتمع الإسلامي متساو في الحقوق والواجبات، ويتضح التنظيم الإداري للدولة اتجاهاً مواطنياً، فتتشكل أعمدة المجتمع؛ إذ أقام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حكومة أساسها العدالة، والمساواة، وجاءنا بأروع، وأوثق الوصايا، والعهود في عالم الإنسانية، وعهده للصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه) أكبر مثال على ذلك، إذ عُدَّ وثيقة دولية أذهلت الشعوب من أقصى الشرق وحتى الغرب، وعبرَ فيه عن دروس وقيم إنسانية، وأخلاقية في تولية الحاكم والوالي، وتعامله مع رعيته، فقد أكد مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ونَبَّه على الاختيار القائم على الكفاءة، فقدم طبقات الرعية على وفق تقسيم أذهل

الجميع، نجد خطابه العلوي السياسي على طريقة أخلاقية لا يبتغي به السيطرة على الأمة؛ بل إبداء الرأي والمشورة، فأشاع العدل، وربط بين صلاح الحاكم واستصلاحه مع حفظ حقوق الرعية، ووضع ركيزة أساسية في تعامل الناس، فأسس منهج قائم على التعاليم الإسلامية، ومجتمع متساوي في جميع الحقوق والواجبات، فقدم مفهوم الطبقات جاعلاً طبقة الجنود هي الأولى؛ لأهميتهم في حفظ الأمن والسلام، وإقامة أركان المجمع الإسلامي، وأخر الحديث عن الطبقة السفلى؛ لأنها القسم الأكبر في المجتمع، ولحاجتها لجميع الطبقات المتقدمة، لتحقيق العدالة الإنسانية سواء أكانت السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، ومضى ساعياً لرفع الظلم والغبن خلال الفترة التي حكم فيها. ومحققاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقد أوصى العهد العلوي لمحاولة تأسيسية معرفية منها تجنب الوالي لزلزلاته، ورفقه بالشعب، يقول جورج جرداق (للإمام علي بن أبي طالب في حقوق الإنسان وغاية المجتمع أصول وآراء، تمتد لها في الأرض جذور وتعلو لها فروع)<sup>(٢)</sup>؛ لذلك حق لنا تشبيه الامام بالسيف المسلط على الطغاة والجبابة والرأساليين آنذاك، ولا بد لنا ونحن نخوض في غمار البحث عن طبقات الرعية ان نعطي مفهومها عن معنى الطبقات.

### الطبقة:

الطَبَقُ: عَظِيمٌ رَقِيقٌ يَفْصَلُ بَيْنَ الْفُقَارَيْنِ، وَطَبَّقَ بِالسَّيْفِ عُنُقَهُ، أَبَانَهُ، وَهُوَ كُلُّ غَطَاءٍ لَازِمٍ، وَالسَّائِغَاتُ طَبَاقٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَاحِدَتُهَا طَبَقَةٌ، وَالطَّبَقُ: جَمَاعَةٌ مِنْ

(١) النحل/ ٩٠.

(٢) علي وحقوق الانسان: ١١١.

الناس يعدلون طبقاً مثل جماعة، وجاء في المثل (وافق شنُّ طبقة)<sup>(١)</sup>.

وعرّفها ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) بقوله: (الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدلُّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه. من ذلك الطَّبَق. تقول: أطبقت الشيء على الشيء، فالأول طبق للثاني؛ وقد تطابقا،... والطبق: الحال في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ \* وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ \* وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ \* لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ وقولهم: (إحدى بنات طبق) هي الداهية، وسميت طبقاً، لأنها تعمّ وتشمل. ويقال لما علا الارض حتى غطاها: هو طبق الارض)<sup>(٢)</sup>

والطَّبَقُ غِطَاءٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَالْجُمُعُ أَطْبَاقٌ، وَقَدْ أَطْبَقَهُ وَطَبَّقَهُ انْطَبَقَ وَتَطَبَّقَ: غَطَّاهُ وَجَعَلَهُ مُطَبَّقًا؛ الطَّبَقُ: كُلُّ غِطَاءٍ لَازِمٍ عَلَى الشَّيْءِ. وَطَبَّقَ كُلُّ شَيْءٍ: مَا سَاوَاهُ، وَجَمَعَهُ أَطْبَاقٌ؛ مِنْهُ قَوْلُهُمْ: وَافَقَ شَنْ طَبَقَهُ.. وَالسَّمَاوَاتُ الطَّبَاقُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمُطَابَقَةِ بَعْضِهَا بَعْضًا أَي بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى طِبَاقًا مُطَبَّقٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَنَصَبَ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا مُطَابَقَةُ طِبَاقًا، وَالْآخَرُ مِنْ نَعْتِ سَبْعِ أَي خَلَقَ سَبْعًا ذَاتَ طِبَاقٍ. وَمَضَى طَبَّقَ مِنَ النَّهَارِ وَطَبَّقَ مِنَ اللَّيْلِ أَي سَاعَةً، وَكَذَلِكَ طَبَقَاتِ النَّاسِ كُلُّ طَبَقَةٍ طَبَقَتْ زَمَانَهَا. وَالطَّبَقَةُ: الْحَالُ، يُقَالُ: كَانَ فُلَانٌ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى طَبَقَاتِ شَتَّى أَي حَالَاتٍ. وَالطَّبَقُ وَالطَّبَقَةُ: الْحَالُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ؛ أَي حَالًا عَن حَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قِيلَ لِلْحَيَّةِ أُمُّ طَبَقٍ وَبَنَتْ طَبَقٍ لَتَرْحِيهَا وَتَحْوِيهَا، وَقِيلَ: قِيلَ لِلْحَيَّاتِ بَنَاتُ طَبَقٍ لِطِبَاقِهَا عَلَى مَنْ تَلَسَّعُهُ، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لَهَا بَنَاتُ طَبَقٍ لِأَنَّ

(١) ظ: العين: ١٠٨ / ٥

(٢) مقاييس اللغة: ٣ / ٤٣٩، علماً أن الآية الواردة هي الانشقاق من ١٦ - ١٩٢٠٩

الْحَوَاءُ يُمَسِّكُهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الْأَسْفَاطِ الْمَجْلَدَةِ<sup>(١)</sup>. وتعني المرتبة والمنزلة التي تقسم عليها فئات المجتمع، ولفظة (الطبقة) للإشارة إلى طبقات المجتمع. وقد شاع هذا الاستعمال في عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر رضوان الله عليه في سياق وصيته له بمراجعة الفروق بين الطبقات. إذ يقول في سياق ذكره آخر طبقة من طبقات المجتمع: الفئة أو المرتبة الخاصة بالفقر والضعفاء من الرعية.

واستعمل لفظ (طبقات) بصيغة الجمع، إذ خصصها الإمام للدلالة على مراتب الناس، فقال في سياق تقسيم الرعية على مراتب، ولفظ (طبقات) - هنا - عام لا يختص بفئة من هذه الطبقات، وإنما هو إشارة إلى تعدد هذه الدلالة جاء في فئات الرعية ومنازلهم من حيث المنزلة الإدارية، أو من حيث الغنى والفقر، وقد حوى كتاب الإمام في عهده للصحابي مالك الأشتر هذه الطبقات لارتباط بعضها ببعض فحاجة الأول منوطة بالثاني وبمجموعهم يقوم صورة المدينة، فبدأ بالجنود؛ لأنهم الأصل شؤون الحياة المادية والمعنوية، ولتنظيم القوانين والاسس التي من شأنها الرفعة والرقى من الشرائع السماوية، ثم الكتاب، وقضاة العدل،... إلى أن وصل إلى الطبقة الأخيرة وهم (الفقراء والمحتاجون)، وقد ذكر الإمام سبع من طبقات المجتمع الاسلامي في عهده إلى واليه على الكوفة الصحابي مالك الأشتر (رضوان الله عليه) وهي:

١. جنود الله
٢. كتاب (العامة والخاصة)
٣. قضاة العدل
٤. عمال الإنصاف والرفق

(١) ظ: لسان العرب: ١٠ /

٥. أهل الجزية والخراج (من أهل الذمة ومسلمة الناس)

٦. التجار وأهل الصناعات

٧. الطبقة السفلى: الفقراء والمحتاجون.

قال الإمام علي (عليه السلام) في خطابه للصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه): «وَأَعْلَمُ: أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الْأَنْصَافِ وَالرَّفِيقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخُرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مُحْفُوظًا»<sup>(١)</sup>.

فالرعية عامة الناس، وهي مفردة جمعها رعايا، وهم أناس يخضعون لسلطة الحاكم أو الوالي، فقد قسّم الرعية على طبقات فذكر (الجنود، والكتاب، والقضاة، والعمال، وأرباب الجزية من أهل الذمة وأرباب الخراج من المسلمين، والتجار، ومنهم أرباب الصناعات، وذوو الحاجة والمسكنة، ولا بد لهم جميعاً من التجار؛ لان البيع والشراء لاغناء عنه<sup>(٢)</sup>.

قدم الجنود لأهميتهم وأخر التجار وأهل الصناعات ثم اردفهم بالفقراء والمحتاجين. وجملة (منها جنود الله) اسمية قدم الخبر لأنه ظرف فقال: «ولا بد لهم جميعاً الا بالتجار وذوي الصناعات؛ فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٤.

أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم<sup>(١)</sup>.  
فأوصى بهم؛ لأنهم دعامة من دعائم الاقتصاد، وقد أخرج الحديث عنهم لاهتمامه  
٠٣٢

## سبداً بأولى الطبقات وهي:

### ١. الجنود:

جمع جند وواحد جندي وهو العسكر. وهم كل صنفٍ من الخلق، وفي الحديث:  
«الأرواح جنودٌ مُجَنَّدَةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، يستعمل للمفرد  
والجمع فيقال: هذا جُنْدٌ وهو لاءُ جُنْدٌ<sup>(٢)</sup>.  
فالجيم والنون والذال يدلُّ على التجمع والنصة. يقال هم جنده اي اعوانه  
ونصّاره، والجند الأرض الغليضة فيها حجارة بيض، واصله الجلد<sup>(٣)</sup>.  
ويقال للعسكر الجُنْدُ اعتباراً بالغلظة من الجند، من الارض الغليظة التي فيها  
حجارة؛ لذا يقال لكل مجتمع: جُنْدٌ. نحو: الأرواح جنودٌ مُجَنَّدَةٌ، وجمعه: أجناد  
وجُنُود<sup>(٤)</sup>.

ولرُبَّ سائل أن يسأل لم أوصى الامام عليه السلام عامله بهم وجعلهم اولى  
الطبقات؟ والاجابة تكون ان اضافة الامام للفظ جنود الله فنسبهم اليه؛ لتشريفهم  
وتقدسيهم وملكانتهم فهم من يرفعون راية الاسلام ويدلون الطغاة والاعداء، ولأنهم

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤

(٢) ظ: العين: ٦ / ٨٥-٨٦.

(٣) ظ: مقاييس اللغة: ١ / ٤٨٥.

(٤) ظ: المفردات في غريب القرآن: ١ / ١٣١.

(حصون الرعية، زين الولاية، عز الدين)<sup>(١)</sup>.

قال الإمام: «فَوَلِّ مَنْ جُنُودَكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلَامَامِكَ، [وَأَنْقَاهُمْ] جَيِّبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمَنْ لَا يَثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضُّعْفُ»<sup>(٢)</sup>، وهم حماة الدولة والمجتمع، واستعار لهم لفظ (الحصون) لأنهم يحفظون الرعية فيحاطونهم كالحصن، وهم زينة للولاية فالوالي بلا جنود لا يبالي به، وهو عز للدين، ولفظ العز لاسم اللازم، ولفظ الأمن من باب اللزوم للجنود، فقد تصدرت هذه الطبقة فئات المجتمع كافة؛ لأنهم حصون الأمة والأمن والدفاع وهم زينة الولاية، وقد جاء النهج بكلا الجمعين (جند وجنود)؛ فلكل منهما مزية تختلف عن الأخرى، فلفظ (جند) على زنة (فعل) من أبنية المفرد، ويدلُّ على صنف من الخلق.

وذكر سيبويه إن الجمع على بناء العدد الأدنى (أفعال) فيقال جند وأجناد وجاءوا به (فعل) لإرادتهم الكثرة<sup>(٣)</sup>.

ومنها قوله «كُنْتُمْ جُنْدُ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعُ الْبَهِيمَةِ»<sup>(٤)</sup>، فجعل جند المرأة هم طلحة والزبير ومن سار مسارهما للدلالة على التحقير والتوبيخ، زيادة على ذلك في اضافتها الى لفظ (المرأة) ما يدل على ضعفها، وهذا ما أكدته المعنى القرآني في قوله: ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٣٩٦ / ٥.

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٣) الكتاب: ٥٧٦ / ٣.

(٤) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٥) سورة ص: الآية ١١.

ف (أنصحهم، أنقاهم، أفضلهم) كلها تدل على المفاضلة، وبدأ عهده بفعل الأمر (ول)، وجيباً: تمييز لقوله (أنقاهم)، و(حلماً) تمييز لقوله (أفضلهم)، و(اتكالا) مفعول لأجل الفعل (تدع)، و(أفضلهم عن الغضب) متعلق ب(يبيطىء) ويفيد المجاوزة، وقد تفرع من الجند (إدارة الشرطة وحراس الامن، إدارة الجيش الحافظ للأمن)، وكنى عن العفة والأمانة بقوله (أنقاهم جيباً) وهي صفات ذاتية روحية تتعلق بالجنود أكثر من تعلقها بجباة الخراج

١. أنصح الجند لله والرسول والإمام
  ٢. أظهرهم جيباً
  ٣. أفضلهم حلماً
  ٤. بيطيء الغضب
  ٥. يستريح الى العذر
  ٦. يرأف بالضعفاء
  ٧. ينبو على الأقوياء
  ٨. لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف
- وهناك صفات موضوعية:

١. من ذوي المروءات والاحساب
  ٢. من اهل البيوتات الصالحة والسواق الحسنة
  ٣. من اهل النجدة والشجاعة
  ٤. من اهل السخاء والسماحة
- «ثُمَّ الصَّقْ بَدْوِي المُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحُسْنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ

وَشَعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>، أكد على (أنقاهم جييا): كناية عن الاخلاص والنزاهة، فجعل اللصاق بـ(ذوي الاحساب، أهل البيوتات الصالحة، أهل النجدة والشجاعة، والسخاء، والساحة)، فجعل اللصاق بـمثابة التقريب ممن عرفهم الناس بمكارم الاخلاق، ومن جعل تعليماته: ضابطة الاسرة والبيت، و(من) في قوله إنها جماع من الكرم، وشعب من العرف) زائدة، وعلى قول الاخفش (جماع الكرم) أما ابن ابي الحديد فاحتمل كونها تبعيضية على حقيقتها، وفي قوله « تفقد من أمورهم الضمير يرجع الى الجنود لا الامراء»<sup>(٢)</sup>.

فالانتساب لبيت صالح، واسرة معروفة دعامة لقيامه، والضابط الثاني: حال الفرد بنفسه ومن صفاته (النجدة، الشجاعة، السخاء، الساحة). و(ثم الصق): حرف عطف يفيد التراخي، ول من جنودك في الدرجة الثانية من ذوي الأحساب، (أهل النجدة) تراخ ثانٍ، و(لا يتفاقمَنَّ) نهي مؤكد، و(ينتفعون به) جملة فعلية صفة لقوله: موضعا.

وآثر: اسم تفضيل من الأثرة: أحبهم، على الجندي أن يتصف بأوصاف تستحق مقام الولاية، فقد أنأت في عهد الامام مدارس ومعاهد لتعليم الضباط وتربية الامراء والضباط، فيوجه الاسلام بتوجيهات روحية فعليه ان يتصدى للعدو بالروح

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٤٨.

والإيمان وليست قوة الجسد وحدها كفيلة بالنصر، فعليه ان يكون ناصحا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وللإمام عليه السلام، وأن يكون طاهر القلب ليتجنب الفواحش، وثابتا في الحلم غير متسلط على نفسه، وعافيا صافحا عن المذنب، حليما صبورا، فإن ذلك كله عوامل هامة في تقوية الجندي ورفع معنوياته. ولا بد لأختيار رئيسا للجيش ناصحا لأتمه، ومخلصا لدينه: لأن قيادة الجيش عبء ثقيل وخطير<sup>(١)</sup>.

وأكمل الامام (عليه السلام) قائلا: «وَلْيَكُنْ أَثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هُمُومًا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يُعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ. وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَقَلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُورِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضْمَنْ بِلَاءَ امْرِيءٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تَقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ، وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ امْرِيءٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفُ امْرِيءٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا. وَازْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِزْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)، فَالرُّدُّ إِلَى اللَّهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ

بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُرْقَّةِ»<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن قائد الجنود محصنا ضد الاغراءات فيكشف النص أن هنالك معان ركز عليها الإمام في شخصية القائد، فأشار بصفات ذاتية تتواءم وعقيدة الإسلام، وأردفها بموضوعية تمت اكثر صلة الى المفهوم القبلي<sup>(٢)</sup>.

وأثر رؤساء الجنود وأمراء الجند من يواسيهم ويوفر لهم المعونة، فإن أراد القائد أن يستمع له الجيش فعليه أن يحسن اليهم ولا يقتصر على خصوص رواتبهم المحدودة ومؤونة أهلهم الذين خلفوهم في منازلهم بعيدا عنهم.

ولا بدّ لهم من سد حاجاتهم ويتم بتحصيل الخراج؛ فقد يكون مالا، وقد يكون محصولا زراعيا، وبعد تحصيل الخراج لابد من وجود القضاة والعمال والكتّاب، وكل الطبقات لابدّ لها من (التجار وذوي الصناعات) مما يلزم ان يتصف به الجندي لكون ايمانه بروحه وقوة عقيدته.

## ٢. كُتَابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ:

فكُتَابُ الْعَامَّةِ هم من يمررون الشؤون العامة كالضرائب، والخاصة من يمرر لشخص معين؛ كالقاضي أو الوالي، أو امير الجيش المتصدرون لكتابة العقود والمعاهدات والحقوق، فالكُتُبُ: خرز الشّيء بسير، والكِتَابُ والكتابة: مصدران، والكُتُبَةُ: اكتتابك كتاباً تكتبه وتنسخه<sup>(٣)</sup>.

وعرّفت أصول حروفه بأنّ الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على جمع شيء

(١) المصدر نفسه.

(٢) ظ: الخطاب في نهج البلاغة: حسين العمري: ١٩١.

(٣) ظ: العين: ٣٤٢ / ٥.

الى شيء. من ذلك الكتابُ والكتابة. يقال: كتبت الكتابَ أكتبه كُتِباً. ومنه الكتابُ الفرصُ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١). الكتاب: معروف وجمعه كُتِبَ وكُتِبَ، والكتابةُ لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والحياطة والكتابُ: مطلق: التوراة، ويجوز ان يكون القرآن، وهو الصحيفة والدواة، وما كتب على بني آدم من أعمالهم، والكاتب والكتَّاب معروفان (٢).

الكتُّبُ (ضمُّ أديمٍ الى أديمٍ بالحياطة، والأصل في الكتابة: النظمُ بالخطِّ لكن يستعار كلُّ واحدٍ للآخر، ولهذا سُمِّيَ كلام الله وان لم يكتب كتاباً، كقوله تعالى: ﴿ألم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٣).

وقال (عليه السلام): «ثُمَّ انظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُودِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ، فَيَجْرِيءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَا، وَلَا تُقْصِرْ بِهِ الْعُقْلَةَ عَنِ إِيْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عَمَّا لَكَ عَلَيْكَ، وَإِضْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنكَ، وَفِيهَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يَضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنِ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارَكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ

(١) ظ: مقاييس اللغة: ٥ / ١٥٩، علمًا أن الآية الواردة هي سورة البقرة / ١٨٣ .

(٢) ظ: لسان العرب: ١ / ٦٩٩ .

(٣) ظ: المفردات: ٢ / ٥٤٧، علمًا أن الآية الواردة البقرة / ١ - ٢ .

النَّصِيحَةَ وَالْأَمَانَةَ شَيْءٌ، وَلَكِنْ اخْتَبَرْتَهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَأَعْمِدْ لِحَسَنِهِمْ  
كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجَهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ  
وَلَيْتَ أَمْرُهُ. وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كِبَرُهَا، وَلَا  
يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَايَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ» (١).

جاء بجمع كاتب على زنة (فُعَال) واطراف كاف الخطاب، وقسمهم على صنفين  
(كتاب العامة: الذين يتصدرون لكتابة العقود والمعاهدات، ذهب الشارح ابن ابي  
الحديد الى ان المراد بهم الوزراء قائلًا: «الكاتب الذي يشير إليه الامام هو الذي  
يسمى الآن في الاصطلاح العرفي وزيراً، لأنه صاحب تدبير الأمير والنائب عنه في  
اموره» (٢)

وأشار الى الشروط الواجب توافرها في الوزير بقوله: «واخصص رسائلك التي  
تدخل فيها مكائيدك وأسرارك أجمعهم» فأختر من أهل الوعي والفتنة بحيث لا  
يخدع ويؤخذ من غير شعور، ومن أهل الدين والوفاء أيضاً، يفى بالعهد، ويحافظ  
على الأمانة ويقدم الواجب لا يتهاون فيه ويحرص على سمعته وكرامته، ولا تبطره  
الكرامة وتجعله اخ لك) واختبرهم على مقياس الحقيقة باختلاف طبيعتها، فالحقيقة  
الدينية تقاس بالوحي من الله سبحانه، واختيار الكتاب من الوجهة الاخلاقية  
ورعاية الامانة والصدقة، فيجب ان يكون تقياً يراد منه مصالح العمل، ومن اخير  
الرعية، وحافظاً للسر، وحسن الاثر ومعروفا بالامانة وأشار ابن ابي الحديد الى ان  
الكاتب هنا (الوزير) لانه النائب عن الامير واليه تصل مكاتبات العمال وعنه تصدر  
الاجوبة، وذهب الخوئي الى أن الكتابة في عصرنا منصب ممتاز، وفي العصور السابقة

(١) ظ: نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٦٢ و ظ: الاحكام السلطانية ٢٢٦٥

ايضا، فكان يشتغل بالكتابة وانشاء ما يهم من الكتب، الا انه لا يدل على كون الكاتب وزيرا. وهم درجات: كاتب السر وهو من أجمع الكتّاب للأخلاق الصالحة، غير خفيف المزاج، كاتب الديوان عليه مكاتبات العمال حافظا يقظا لا يسامح في اصدار جواب الكتب فطنا لا ثقفا في تنظيم العهود والعقود بين الوالي والرعايا ويجري لهم اختبارا ليتعرف على صلاحيتهم<sup>(١)</sup>.

### ٣. قضاة العدل:

العدلُ صفة الله وبه اراد في بعثه للأنبياء، ويعد الامام اول من فصل عمل السلطتين التشريعية والتنفيذية، قال (عليه السلام): «ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكُمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمُّونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا»<sup>(٢)</sup>.

فالقضاء: الحكم، وقضى يقضي قضاء وقضية: حكم، ومنه الوصية قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وقضاء الشيء: فناءه وذهابه<sup>(٣)</sup>، فالقاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمرٍ وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي أحكم خلقهنَّ، والقضاء هو الحكم قال تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ اصنع واحكم، ولذا سمي القاضي قاضياً ليحكم الأحكام وينفذها<sup>(٤)</sup>.

فالقضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكل واحدٍ منهما على وجهين: إلهي

(١) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢٢٧ و ظ: في ظلال النهج: ٥ / ٤٣٧.

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٣) ظ: العين: ٥ / ١٨٥، علماً أن الآية الواردة هي من سورة سبأ / ١٤.

(٤) ظ: مقاييس اللغة: ٥ / ٩٩.

وبشرى فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

فأمر بذلك، ومن الثاني قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>، والقضاء من الله تعالى أحص من القدر، لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير والقضاء هو الفصل والقطع<sup>(٣)</sup>.

وقد حددت شروطا مهمة لانتخابه منها (ان يختار بالتعيين، وألا تضيق به الأمور، واسع الصدر، عفيفا لا يقضي بالهوى، وألا يعلن الحكم النهائي الا بعد التحرير والتدقيق، والا تطريه الأقوال، ثم أشار باسم الإشارة (اولئك) اي الذين اكتملت فيهم هذه الصفات (قليلون)<sup>(٤)</sup> قال (عليه السلام): «وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتِهِمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَىٰ وِلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَىٰ دَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(٥)</sup>.

وقرة العين: الفرح والسرور، والحيلة على زنة (شيمة) تعرض الامام لأمراء

(١) الإسرائاء / ٢٣

(٢) غافر / ٢٠ ظ: المفردات: ٢ / ٥٢٥

(٣) ظ: المصدر نفسه.

(٤) في ظلال النهج: ٥ / ٤١٦

(٥) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

العدل، لإرتباط إجراء العدل في البلاد بالجنود من وجوه شتى، فالجند هو المالك والقائم بالسيف في الرعية فالقوة والقدرة على إجراء الامور بيده.

أمور البلاد تحتاج الى قانون يتضمن تعيين الحقوق والحدود بين الأفراد، وعند وقوع الخلافات والنزاعات وقوة اجراء القوانين فقوى المجتمع التي هي اركان شعب (القوة المقننة والقضائية والمجرية) ومن هنا كان لوجود القضاة أهمية في عهد الامام قائلاً: «ثُمَّ اخْتَرْتُ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الرِّزْلَةِ، وَلَا يَحْضُرُ مِنَ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تَشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحَجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخُصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأَوْلِيكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهَدَ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقَلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطَهُ مِنَ الْمُنْزَلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهُوَى، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

فممارسة القاضي لمهنته أهمية كبيرة، وأوصى بهم فلا يضيق عليهم ولا تمحكهم الخصوم، ويكون مستقلاً. «وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فلا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم»، اختلف فيه فذهب ابن ابي الحديد: جعله ما حكا اي لجوجا، وقيل: كناية عن كونه ممن يرتضيه الخصوم<sup>(٢)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) ظ: شرح النهج: ١٧ / ٤٠.

وذهب الخوئي قدس سره الى القول: (يمكن ان يكون كناية عن كونه بشدة صلابته في أمره وهيبته ايمانه وتمسكه بالحق بحيث لا يطمع الخصوم في جعله محكا يمتحنونه هل يقبل الرشوة ام لا وهل يؤثر فيه التطميع والتهديد أم لا)<sup>(١)</sup>.  
والا يتمادى في الزلة، ولا يحرص من الرجوع الى الحق اذا عرفه فالقضاء من شؤون النبوة، والرئاسة، دقيقا في كشف القضية.

#### ٤. عمال الانصاف والرفق:

الولاية ممن يعينهم الخليفة أو الوالي لإنصاف الناس.

العمالة: أجر ما عمل لك، والمعاملة: مصدر عاملته، والعملة: الذين يعملون بأيديهم ضرباً من العمل حفرأ وطيناً، ونقول: أعطه أجر عملته وعمله<sup>(٢)</sup>.  
العمل: العين والميم واللام أصل صحيح، وهو عام في كل فعل يُفعا، قال الخليل: عَمِلَ عَمَلًا فهو عامل، اذا عمل بنفسه. والعمالة: أجر ماعمل. والمعاملة: مصدر من قولك عاملته، وأنا أعامله معاملة<sup>(٣)</sup>.

والعمل: كلُّ فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخصُّ من الفعل لأنَّ الفعل قد يُنسب الى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب الى الجمادات، ويستعمل للأعمال الصالحة والسيئة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) منهاج البراعة: ٢٠ / ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) ظ: العين: ٢ / ١٥٤.

(٣) ظ: مقاييس اللغة: ٤ / ١٤٥.

(٤) المفردات: ٢ / ٤٥٢، علماً أنَّ الآية الواردة هي النساء / ١٢٤

«ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تُؤَلِّمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجُورِ وَالْحِيَانَةِ وَتَوْخُّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْأَسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحُ أَعْرَاضًا، وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا»<sup>(١)</sup>

جاء في هذا الفصل في ذكر طبقة (العَمَّال) واختلف فيهم؛ فقال ابن أبي الحديد هم (عمال السواد والصدقات والوقوف والمصالح فانهما جماع من شعب الجور والخيانة)<sup>(٢)</sup>.

وقال الخوئي: (لا وجه لاختصاص كلامه بصنف من العمال، بل المقصود منه مطلق العمال ومن يلي أمر ناحية من البلاد)<sup>(٣)</sup>.

وزاد البحراني (فيتحفظ من خيانة الاعوان من العمال، فأستعار لفظ التقلید لتعليق نسبة التهمة اليه ملاحظة لشبهها بما يقلد به من شعار المحسوس واللفظ في غاية الفصاحة «فإنهم جماع من الجور والخيانة» ففي عهد عثمان العمال الشاغلين للاعمال كانوا شعب الجور والخيانة)<sup>(٤)</sup>.

وذهب الخوئي الى أنهم جماع من شعب الجور والخيانة على الانتخاب بالمحاباة والأثرة من التكلف والتعسف، فهذا الانتخاب جور وخيانة لانه لا ينطبق عليه انه شعب الجور والخيانة الا بالتكلف فهذا الكلام راجع الى العمال الشاغلين للاعمال

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٤٧.

(٣) منهاج البراعة: ٢٠ / ٢١٦.

(٤) ظ: شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٧٣.

قبل حكومة الامام<sup>(١)</sup>

وذهب محمد جواد مغنية الى القول: (ان هذا المقطع خاص بعمال العامل وحده اي الوالي المنصوب من الامام. أجل، إن الخطاب خاص بظاهره، ولكن المراد به العام، لأن الكفاءة التي ذكرها كشرط للاختيار والتوظيف - تعم كل عامل وموظف دون استثناء)<sup>(٢)</sup>. فاستعمالهم يتم بعد اختبارهم وتجربتهم افعال الامر (انظر، استعمل، توخ، اسبغ) و(أهل التجربة: مفعول للأمر توخ والمتقدمة صفة لـ(البيوتات)، أخلاقاً: تمييز من النسبة في قوله (أكرم)، (إلاهم) استثناء مفرغ، وعملهم الاشراف على مصالح الناس، وقد اسند الامام كاف الخطاب الى الوالي الصحابي مالك الاشراف (ثم انظر في امور عمالك)، وقد أوصاه أن مواصفات يجب ان يتحلوا بها امينا ناصحا، كما هو حال اختياره للولاية، وذكر سبب ذلك «فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاية، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية» ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ، ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثَ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفُّظِ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةِ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمُدَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ».

وواضح عودة الضمير في (هم) اليهم «قوة لهم... وغنى لهم... وحجة عليهم وواضح اسباب الاهتمام بهم فلا يحتاج الى تفسير، وتجدر الاشارة الى الاهتمام البالغ

(١) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢١٦.

(٢) في ظلال النهج: ٥ / ٤١٨.

من قبل الامام الى (العمال (الموظفين) فيتلافى الامام الضرر والفساد بقوله (اسبغ الارزاق عليهم)

«ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم» فيعد مبدأ التفتيش عن الموظفين كما هو حال القضاة<sup>(١)</sup>.

قال في حقهم وفي سياق كلامه عن اصحاب الجمل: «فقدموا على عمالي، وخرّان بيت مال المسلمين الذي في يدي، وعلى أهل مصر، كلهم في طاعتي وعلى بيعتي، فشتتوا كلمتهم، وأفسدوا عليّ جماعتهم، ووثبوا على شيعتي، فقتلوا طائفة منهم غدرا»<sup>(٢)</sup>

أضاف ياء المتكلم للفظ (عمالي)؛ لينسبهم اليه، وعطف عليهم لفظ (خرّان بيت مال المسلمين) وخرّان على زنة (فُعّال) الذي يدلُّ على المبالغة والكثرة؛ فمجيئه بهذا البناء يدلُّ على كونهم أفضل العمال وأنقاهم، وأوصى الامام بجملة من الأمور التي تتعلق بانتخاب طبقة العمال: فيجب ان يكونوا من أهل البيوتات الصالحة إذ نجد فيهم كرم الاخلاق وصيانة العرض وقلة الطمع والحلم والتأني في عواقب الامور<sup>(٣)</sup>.  
أوصى بأن تسبغ الأرزاق والرواتب عليهم، كيلا تتعرض نفوسهم للاختلاس من أموال الخراج فهم (وكلاء الامة وسفراء الائمة)، وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة «فالتجربة المعرفة شرط اساسي للكفاءة، واضيف اليها الأمانة.

(١) في ظلال النهج: ٥ / ٤١٩ - ٤٢٠.

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٣) ظ: في ظلال النهج البلاغة: ٥ / ٤٢١

## ٥. عمال الخراج:

انتقل الامام بعد حديثه عن (الجنود، والقضاة، والعمال) الى الخراج، والعمالة: أجر ما عمل لك. والمعاملة: مصدر عاملته، وقولنا: أعطه أجر عملته وعمله<sup>(١)</sup>. فالعين والميم واللام أصل صحيح واحد، وهو عام في كل فعل يُفعل، والعمالة: أجر ما عمل، والمعاملة: مصدر من قولك عاملته، والعملة: القوم يعملون بأيديهم ضرورياً من العمل<sup>(٢)</sup>.

قال امامنا (عليه السلام): «وتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ. وَلِيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بغيرِ عِمَارَةٍ. أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالَةً أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يُصْلِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّتْ بِهِ الْمُؤُونَةُ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ دُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وَلَايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عَنْهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثَّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رَفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، إِنَّمَا يُعَوِّزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى

(١) ظ: العين: ٢ / ١٥٤.

(٢) ظ: مقاييس اللغة: ٤ / ١٤٥

الْجُمُعِ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ»<sup>(١)</sup>.

والخراج هو المصدر الوحيد في عصره لخزانة الحكومة وما يقوم مقام المصارف من سد (أرزاق الجند، رواتب العمال والخدم). ومراده بـ(تفقد أمر الخراج) استيفاءه من قبل الجبّاة كاملاً من دون زيادة أو نقصان، لأنّ نقصانه ظلم يضر مصالح الرعية، وزيادته يضر من يدفعه، فأوصى عماله بالرفق والاستماع للمصالح. الفرق بين الخرج والخراج هو أنّ الخرج: ما تبرعت به، أمّا الخراج: ما لزمك أدائه، قال بعضهم: الخرج من (الرؤوس) والخراج من الأرض، وهذا يعني أنّ الخرج مبلغ غير منتظم. وغير متكرر يُدفع إلى شخص مُعيّن مقابل تقديم خدمة عليه

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾<sup>(٢)</sup>، أمّا الخراج فهو مبلغ معلوم يُدفع بصورة منتظمة، ومتكررة في نهاية كلّ حولٍ أو محصولٍ من قبل مستثمري الأرض إلى الدولة<sup>(٣)</sup>.

قال الطريحي: (إنّ اسم الخراج يطلق على الضريبة، والفيء، والجزية، والغلة، ومنه خراج العراقين)<sup>(٤)</sup>.

ولنا في الخراج أنواع: - (الزكاة، الخمس، الجزية، الفيء، الغنيمة)<sup>(٥)</sup>، ويُعدُّ أحد واردات الدولة الإسلامية وهو «الضريبة التي كانت تُدفع لخزينة الدولة عن الأراضي

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) الكهف/ ٩٤.

(٣) ظ: الاسلام والاقتصاد: ٥٠.

(٤) مجمع البحرين: ١ / ٦٣٢

(٥) على نحو ما درسناه في اطروحتنا للدكتوراه (ألفاظ الحياة الاقتصادية في نهج البلاغة - دراسة ومعجم -)

التي احتلها المسلمون حتى لو أسلم صاحبها. ويختلف مقدار الخراج بحسب نوعية الأرض وطريقة ريعها وإستغلالها ونوعية المحصول. وكانت هذه الصّريبة عادةً تُفرض على محاصيل الحبوب والأشجار المثمرة. وكانت تُدفع سنوياً بعد الموسم<sup>(١)</sup>.

استعمله الإمام (عليه السلام) للدلالة على (خراج الأرض)، قائلاً في كتابه السابق إلى الصحابي الأشتر النخعي (عليهما السلام): «وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزِيَّةِ وَالْخُرَاجِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>، إذ فصل الإمام (عليه السلام) هنا الناس إلى طبقات: وذكر أرباب الخراج من المسلمين، وخصّ بصرف الخراج الجند والقضاة والعُمَّال والكتّاب؛ لما يحكمونه من المعاهد، ويجمعونه من المنافع، ولا بدّ لهم جميعاً من التّجار لأجل البيع والشراء الذي لاغناء عنه<sup>(٣)</sup>.

إذ قال: «ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخُرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ فِي جِهَادٍ..... وَلِيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخُرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَدْرُكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخُرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةِ الْأَرْضِ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً»<sup>(٤)</sup>. فضّل باسم التفضيل (أبلغ) عمارة الارض على استجلاب الخراج.

إذ لا حياة للدولة ولا الجنود أو أية هيئة أو فردٍ إلا بالنفقة الكافية لسدّ الحاجات، ومن البديهي أنّه لا موارد للدولة إلا بفرض الضرائب وجبايتها وقد أقرّ الإنكليزي الاقتصادي (آدم سميث) شروطاً أربعة للضرائب: فتفرض على الناس بنسبة قدرتهم

(١) المرجع في الحضارة العربية الاسلامية: ابراهيم سليمان وعبد التواب شرف الدين: ١٢٨.

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤

(٣) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ١٧ / ٥٦.

(٤) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

على تحملها، وتنطبق على (فريضة الخمس والزكاة والجزية) في الإسلام وأن تكون معينة، وأن تُجَبَى بدون إزعاج وتُنْتَظَم بحيث لا تُكَلِّف الشَّعب إلاَّ الصَّروري لخزينة الدَّولة<sup>(١)</sup>.

دعوة الإمام (عليه السلام) للصحابي مالك (رضوان الله عليه) حين ولَّاه إدارة شؤون مصر الإهتمام بأرباب الخراج (وهم المستثمرون الزراعيون)؛ لأن الاراضي التي عليها الخراج أراضٍ واسعة تتميز بالخصوبة وزراعة المحاصيل المهمة ك(الحنطة والشعير والتمر والزبيب) إذ يتحقق للدَّولة فيها مورداً كبيراً، لذا أكد الإمام (عليه السلام) أهمية تفقد أمر الخراج (.فعلى العمال أن ينصفوا الناس من أنفسهم ويصبروا على قضاء حوائجهم فهم خزان الرعية ووكلاء الامة، فالإمام (عليه السلام) يقرأ المستقبل إذ يبصر نهاية الأحداث قبل بدايتها فالنتيجة ستكون خراب البلاد أو صلاحها، وأوصى الإمام (عليه السلام) بعمارة الأرض أكثر من إستجلاب الخراج. وهو عهد من الراعي إلى رعيته فالأمَّة عيال على الخراج، فأعطى للخراج قيمته، وطريقة صرفه فإن إهتمَّ بالأرض وعمارها تيسر الرِّيح، وانتقل هنا من سياق حديثه عن العُمَّال إلى ذكر أرباب الخراج، فقال: تفقد أمرهم، لأنَّ الناس عيال عليهم، وكان يقول: استوصوا بأهل الخراج؛ فإنَّكم لا تزالون سمانا ما سمنوا. ورُفِعَ إلى انوشروان<sup>(٢)</sup> أنَّ عامل الأهواز قد حمل من مال الخراج ما يزيد على العادة؛ وربما يكون ذلك قد أجحف بالرعية، فوقع: يرد هذا المال على من قد استوفي منه؛ فإنَّه تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه،

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٥ / ٤٠٠ - ٤٠١. وظ: السياسة المالية في عهد الإمام علي (عليه

السلام): ٩١

(٢) أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام وهو ملك كسرى.

ثم قال: «فان شكوا ثقلًا» أي: ثقل طسق. وهو شبه الخراج له مقدار معلوم؛ وليس بعربي خالص، ويعني الخراج المضروب عليهم، أو ثقل وطأة العامل وارتفاع نسبة الخراج. قال: «أو علة» كإصابة الغلة آفة كالجراد أو البرق أو البرد أو إنقطاع شرب: نقص المياه في الأنهار، أو مطرًا أو إحالة الأرض أو اتلفت بالعطش أو بالة، قلة مياه الأمطار، فإن لحقها ذلك فأمرهم بالتخفيف، وهو بمنزلة التجارة التي لا بدَّ فيها من إخراج رأس المآل وانتظار عوده وربحِه<sup>(١)</sup>.

فإن شكوا (ثقلًا): إرتفاعا في نسبة الخراج إلى حجم الإنتاج، أو (علة): الأمراض التي تصيب المحاصيل الزراعية، والظروف الجوية والمناخية التي تُثبِت المحاصيل، أو إنقطاعا في المياه المتأتية من الأنهار، أو بالة: نقصاً في مياه السقي من الأمطار؛ لقلتها، أو تلفاً في المحاصيل بفعل الأمطار الغزيرة، أو (عطشًا) بسبب الجفاف.

فإن نسبة الخراج ستقل إلى الحد الذي يُغطي التكاليف والخسائر، فمعظم الجباية إنما هي من الفلاحين والتجار، فإن إنقبض الفلاحون عن الفلاحة، وقعد التجار عن التجارة ذهبت جملة، والدولة هي السوق الأعظم للعالم، ومعظم السواد، ونفقاتهم أكثر مادة للاسواق، وتضاعف الأرباح في المتاجر، فيقل الخراج لذلك، لأن الخراج والجباية في الإعتاد، والمعاملات عائد بالطبع على الدولة بالنقص؛ لقلته عند السلطان بقله الخراج<sup>(٢)</sup>.

وأوصى الإمام (عليه السلام) العاملين على جباية الخراج والصدقات بأداب عامة تتضح في قوله: «إنطلق إلى تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تر وعنَّ مسلماً، ولا تجتازنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حقِّ الله في ماله، فإذا قدمت على الحيِّ فانزل بهمائمهم

(١) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٧ / ٥٦، وظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢١٩.

(٢) ظ: السياسة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام): ١٠١ - ١٠٤.

من غير أن نخالط أبياتهم، ثم أمض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول، عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم حق فتؤدوه إلى وليه. فان قال قائل، لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه فلا تخيفه، أو توعد، أو تعسف، أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهبٍ أو فضةٍ فاذا كان له ماشية أو ابل فلا تدخلها إلا بإذنه»<sup>(١)</sup>

فوصف الإسلام حق الله ما فرضه الشرع للمجتمع من ضرائب وهي لبيت المال تُوزع على الرعية بالعدل، فخاطب عامله أمره بالإنطلاق على بركة الله حتى يحسن في التصرف مع أهل الخراج، والأسيء إليهم بالترويع والتهديد والتخويف، أو بالتسلط عليهم وإكراههم على دفع حقوق الله والاعتداء بأخذ الأكثر من المقرر، ثم فصل ذلك قائلاً: بأن عليه ألا يسكن في بيوتهم؛ بل ينزل في مائهم (خارج بيوتهم) للسلامة له من أية إشاعة أو قول يساء إليه، إذ أن السكّن بين البيوت يُعرّضه إلى التعرف على الأمور والأسرار التي لا يرغب سُكّان الحيّان يفشوها إلى الغرباء، فذلك ممّا يُعزّز مكانة المسؤولين (الجُباة) ويجعل لهم هيبة في عيون الناس والخليفة، ومثال على ذلك رفض الإمام (عليه السلام) التصرف الذي قام به عثمان بن حنيف وهو عامله على البصرة؛ إذ دُعي من قبل أهالي البصرة على وليمة فقبلها، ومما لاشك فيه أن هنالك أموراً ترتبت على قبول هذه الدّعوة<sup>(٢)</sup>.

فالخرج والخراج: «ما يخرج من المآل في السنّة بقدرٍ معلوم»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن فارس: (الخاء والراء والجيم اصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، إلا أنا

(١) نهج البلاغة: ك ٦٠، ٣٣٩

(٢) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٣١٠

(٣) ظ: العين (مادة خرج): ٤ / ١٥٨

سلكنا الطريق الواضح. فالاول: النفاذ عن الشيء. والثاني: اختلاف لونين. فأما الأول فقولنا خرج يخرج خروجا. والخراج بالجسد. والخراج: الإتاوة؛ لأنه مال يخرج المعطي»<sup>(١)</sup>.

والخَرْج والخَرَج، واحد عند بعض اللغويين: وهو شيء يخرج القوم في السنة من ما لهم بقدر معلوم<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: الخرج المصدر، والرعية تؤدي الخرج الى الولاية، والخَرْج والخراج: الإتاوة: «وهي هدية المَلِك»<sup>(٣)</sup>.

وفي علم المالية الحديث: «هي مبلغ من المال يفرض جبرا على مالك العقار بنسبة المنفعة التي عادت إليه من الأعمال العامة التي قامت بها الدولة أو الهيئات المحلية، ولفظ الأتاوة غير مستعمل عند الفقهاء؛ بل المستعمل عندهم: الكلف السلطانية، النوائب، المكوس، المغارم، الضرائب»<sup>(٤)</sup>.

وفسّر ابن الأثير «الخَرَج بالضَّمَان» قائلا: «يريد بالخراج ما يحصل من غلة العين المتباعدة عبدا كان او امة او ملكا، وذلك أن يشتريه فيستغله زماناً، ثم يعثر منه على عيب قديم لم يطلعه البائع عليه، او لم يعرفه فله رد العين المبيعة واخذ الثمن؛ ويكون للمشتري ما استغله، لان المبيع لو كان تلف في يده لكان من ضمانه، ولم يكن له على البائع شيء»<sup>(٥)</sup>.  
ويجمع على أخراج واخراج وأخرجة. وفي التنزيل: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجُ

(١) مقاييس اللغة: ٢ / ١٧٥

(٢) ظ: معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: ١٦.

(٣) ظ: المصدر نفسه.

(٤) معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: ١٦

(٥) ظ: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٥٨

رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١﴾.

قال الزجاج: الخراج الفيء، والخرج الضريبة والجزية، وقريء: ام تسألهم خراجا، قال الفراء: ام تسألهم اجراً على ما جئت به، فأجر ربك وثوابه خير. والخرج أعم من الخراج جعل الخرج بإزاء الدخل (٢).

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٣).

وقيل: العبد يؤدي خرجه أي غلته والرعية تؤدي الى الامير الخراج. وفي الإصطلاح الفقهي: حقوق تؤدي عنها الى بيت المال، ذلك ان الفلاحين الذين يعملون فيها قد اكتروها بغلة معلومة، «وليكن نظرك في عمارة الارض.....» فالعناية بالارض وزراعتها هو المخرج لحل الازمة الاقتصادية وهو المورد الاول لبيت المال، فالعمران محتمل ما حملته فعلى الدولة ان تهتم بالمزارعين فهم الذخر الحقيقي (٤).

## ٦. التُّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ:

انتقل الامام عليه السلام هنا الى ما يصلح امر الامة وركناه (التجارة والصناعة) فبدأ بالجنند، ثم القضاة، والعمال والموظفين، ثم أهل الخراج، والكتّاب، وجعل الطبقة السادسة عن (التُّجَارِ وَأَهْلِ الصَّنَاعَةِ)، اذ حثنا ديننا الحنيف على هذين العاملين. قال الإمام (عليه السَّلام) بعد أن ذكر الطبقات: «وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي

(١) المؤمنون / ٧٢

(٢) ظ: معاني القرآن: الفراء: ١٠ / ٢٠٤

(٣) الكهف / ٩٤

(٤) ظ: الخطاب في نهج البلاغة: ١٧٢

الصَّنَاعَاتِ، فِيهَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاغِبِهِمْ وَيُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفِقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

والتَّجَرُّ والتَّجَارَةُ بمعنى واحد وهو الجمع من تاجر، أرض متَّجَرَةٌ: يُتَّجَرُ إليها<sup>(٢)</sup>.

فالتاء والجيم والراء: التجارة معروفة، يقال تاجر وتجر بمعنى واحد<sup>(٣)</sup>.

أما الصَّنَاعَةُ: فالصُّنَاع: هم الذين يعملون بأيديهم، وامرأة صَنَاعٌ: الصناعة الرقيقة بعمل يديها، والمصانع: ما يصنعه العباد من الأبنية والآبار والأشياء<sup>(٤)</sup>.

فالصاد والنون والعين أصل واحد صحيح، وهو عمل الشيء صنعا. وامرأة صَنَاعٌ ورجلٌ صَنَعٌ إذا كانا حاذقين فما يصنعه<sup>(٥)</sup>.

فالتَّجَارَةُ: التصرف في رأس المال لطلب الربح<sup>(٦)</sup>.

فبدأ بـ(التجار وذوي الصناعات) فأوصى واستوصى بهم، قائلاً: «ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِّبِ بِإِلَيْهِ، وَالمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ المُنَافِعِ، وَأَسْبَابُ المُرَافِقِ، وَجَلَابِهَا مِنَ المُبَاعِدِ وَالمُطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِسُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سَلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفْقَدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ».

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) ظ: العين (مادة تجر): ٦ / ٩١.

(٣) ظ: مقاييس اللغة: ٣ / ٣٤١.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١ / ٩٤.

(٥) العين: ١ / ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٦) ظ: مقاييس اللغة: ٣ / ٣١٣.

وَاعْلَمَ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا، وَشَحًّا قَيْحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبَيْعَاتِ، وَذَلِكَ بَابٌ مَضْرُوبٌ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوَلَاةِ، فَاْمَنْعَ مِنَ الْاِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مَنَعَ مِنْهُ. وَلِيَكُنَّ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا: بِمَوَازِينٍ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحَفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّلْ بِهِ، وَعَاقِبَةٌ فِي غَيْرِ اسْرَافٍ»<sup>(١)</sup>.

أوصاف وصف بها أهل التجارة فتدلُّ دلالة قاطعة على أن أكثرهم كانوا من الكادحين لسد حاجتهم والعيش بأمان، واستوص فعل للمفعول محذوف تقديره: أوص نفسك، (وأوص بهم خيرا) حذف للمفعول اي اوص عمالك، ولفظ (المقيم ومابعده بدل من مفصل من مجمل، والمبدل منه الضمير (بهم)، وبيعا: مفعول مطلق لبيع.

وقسم أنواع التجار الى (المضطرب بماله: وهو الذي يدور بماله من بلد الى آخر للكسب، فيجعل ماله متاعا يدور به في البلاد البعيدة يعرض نفسه للخطر، و(المترفق ببدنه) العامل بعضلاته، (فانهم مواد المنافع واسباب المرافق) وجاءت (المواد) جمعا تفيد العموم، و(المنافع) جمعا معرفا مفيدا للاستغراق، فالتجارة تحتاج الى الامتعة و الى الاسواق التي تباع فيها، فيؤخذ بدلها متاعا اخر<sup>(٢)</sup>.

وجعل للفظي (أستوص، وأوص) لأتتهم يصنعون ماتحتاجه الرعية من كساء أو غذاء، فعلى الراعي ان يهتم بهما، وبيّن السبب «فإنهم مواد المنافع، وأرباب المرافق، وجلاها من المباعد والمطراح «ينقلون سلع البلاد التي تزيد عن حاجة أهلها إلى بلاد أخرى»<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢٣٢، وظ: في ظلال النهج: ٥ / ٤٣٧

(٣) ظ: في ظلال النهج: ٥ / ٤٤٠

«فانهم سلم لا تخشى بائنته وصلح لا تخشى غائلته»<sup>(١)</sup>، فالتجار والصناع (سِلمٌ) مما يدلُّ دلالة قاطعة على أنَّهم في ذلك الوقت من الكادحين ممن يعيشون بكدَّ اليمين، لا يشيرون الفتن، ولا يتأثرون مع الأعداء فهم سبب لاستقرار الصلح العالمي والعام بين الشعوب. فالروابط التجارية تفيد الشعوب وتنشأ بينهم رابطة تجارية على أساس تبادل المنافع والحوائج وهي أخوية وودية، وفسرت (البائقة) بالدهية فالتجارة الحرة ليس فيها دهاءٌ ومكرٌ، وأمر بتفقد أحوال التجار لتوصيته لهم بالخير، في بلادهم وفي الطرق والأماكن البعيدة. وفي الوقت الذي يوصي بهم فهو يحذر وينبه على ألاَّ يحتكروا بالمصالح العليا فيخزنون السِّلَع، ويعدُّ من عيوب الولاية «واعلم - مع ذلك - أنَّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً»<sup>(٢)</sup>

ف(الضيق الفاحش): حبا بالغا في جلب المنافع، و(شحا قبيحا): يمنع من السماح على سائر الأفراد بما يزيد على حاجته (و احتكارا للمنافع) بلا حد ولا حساب، (و تحكما في البياعات) يؤول ذلك الحرص الى تشكيل شركات، وانحصارات جبارة فيجمعون حوائج الناس بقوة رؤوس اموالهم. وهو باب مضررة للعامة: أعظم من الأسر الاقتصادي، وعيبٌ على الولاية: أشنع من تسليم الامة الى هذه الأسر. وعطف على قوله (الضيق الفاحش) قوله (تحكما في البياعات)، وهو جمع معرَّف بـ(ال) يفيد العموم، في التحكم في البياعات والتسلط على الاسواق.

وقد جاءت التجارة في عهد الإمام حاملة المعنى المجازي، إذ لا يراد بها التعاملات السُّوقية كـ(الرِّبح والخسارة)؛ بل المراد بها الربح المجازي المتحصل بالثواب، والأعمال الصَّالحة سواء أكانت الدنيوية منها أم الاخروية وقال (عليه السَّلام) في

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٥.

خطب الملاحم متحدثاً عن فتنة بني امية: «مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسأكا بلا صلاح، وتجاراً بلا أرباح»<sup>(١)</sup>.

وقد قسم العباد على ثلاثة أقسام: قسم للرغبة في الحصول على منفعة، وهذه عبادة تشبه حالة التاجر الذي يبتغي الربح في تجارة، وآخرون يعبدون خوفاً، ولو لم يخافوا لما عبدوه وحالتهم هذه كحالة العبد الذي يخاف من سيده فيطيعه، أما العبادة الحقيقية فهي العبادة المبنية على ان الله (سبحانه وتعالى) يستحق العبادة سواء أنعم أم لم ينعم.

### ٧. الطبقة السفلى:

تعرض الامام (عليه السلام) الى هذه الطبقة فوسمها بـ(الطبقة السفلى) وتتألف من الجماهير الشعبية ممن هم عاجزون عن الحيلة والاكتساب وهم (المساكين والمحتاجون وأهل البؤس والزمانة، وقسمهم على ثلاثة أصناف (القانع): السائل لحاجته والمعتز: السّيء الحال ممن لا يسأل حاجته بلسانه «ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحْتَقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُضْلِحُهُ».

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ»<sup>(٢)</sup>

فقد أوصى فيهم (بحفظ حقوقهم، جعل لهم قسماً من بيت المال، جعل لهم قسماً من صوافي الاسلام، فذهب ابن ابي الحديد الى القول فيها هي الاراضي التي لم يوجف عليها بنخيل ولا ركاب، وكانت صافية لرسول الله فلما توفي اصبحت للفقراء وما يراه

(١) المصدر نفسه.

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٥.

الامام من مصالح الاسلام، ثم أوصى بالطبقة الثالثة الى (الايتام، والمعمرون)<sup>(١)</sup>.  
 فقال: «ثُمَّ اللهُ اللهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ  
 وَأَهْلَ الْبُؤْسَى وَالرِّمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا، وَاحْفَظْ اللهُ مَا اسْتَحْفَظَكَ  
 مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَائِفِ الْأَسْلَامِ فِي  
 كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلُّ قَدِ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ  
 عَنْهُمْ بَطْرٌ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِأَحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ. فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ  
 عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَتَفَقِّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ  
 وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخُشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ  
 أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اَعْمَلْ فِيهِمْ بِالْأَعْدَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ  
 أَحْوَجُ إِلَى الْأَنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاعْذِرْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَأْذِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.  
 وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ،  
 وَذَلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُحَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ  
 فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ،

وَوَثِقُوا بِصَدَقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ. وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تَفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ  
 شَخْصَكَ، وَتَجَلِّسْ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لَهِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ  
 وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ  
 رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ  
 فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ». ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِي، وَنَحَّ عَنْكَ  
 الضِّيْقَ وَالْأَنْفَ، يَبْسُطُ اللهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ،

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَيْنَأُ، وَأَمْنَعُ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْدَارٍ! ﴿١﴾.

جاء تعبير الامام (عليه السلام) (الطبقة السفلى) ويلحظ شدة حرص الامام على هذه الطبقة؛ لضعفهم وعدم امتلاك حاجاتهم. وقد أخذ الامام (عليه السلام) الفاظ القانع، والسائل، والمعتر من قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ \* كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

والمحتاجين: الحاء والواو والجيم أصل واحد، وهو الاضطرار الى الشيء. فالحاجة واحدة الحاجات (٣).

وأهل البؤسى: الباء والهمزة والسين أصل واحد، الشدة وماضارعها، ويقال: رجل ذو بأس وبؤس شجاع، فإن نعته بالبؤس قلت بؤس، وهي الشدة في العيش (٤).  
الزمنى: الزمنى في الذكر والانثى، وأزمن الشيء: طال عليه الزمن (٥).

فالزاء والميم والنون أصل واحد يدل على وقت من الوقت. من ذلك الزمان، وهو الحين، قليله وكثيره. يقال زمان وزمن وجمعه أزمنة، والزمانه التي تصيب الإنسان فتقوده (٦).

القانع: القاف والنون والعين أصلان صحيحان، أحدهما يدل على الإقبال على

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٥.

(٢) ظ: رسائل الامام علي: ٢٩١، علماً أن الآية الواردة هي الاعراف / ٣٦.

(٣) ظ: المصدر نفسه: ٢ / ١١٤

(٤) ظ: المصدر نفسه: ١ / ٣٢٨

(٥) ظ: العين: ٧ / ٣٧٥

(٦) ظ: مقاييس اللغة: ٣ / ٢٣.

الشيء، ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس؛ والآخِر يدلُّ على استدارة في شيء، فالأول الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء، والإقناع: مَدُّ اليد عند الدُّعاء. وسمِّي بذلك عند إقباله على الجهة التي يمدُّ يده إليها<sup>(١)</sup>. والقناعة: الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها، وهو السائل الذي لا يلحُّ في السؤال ويرضى بما يأتيه لقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والعين والتاء والراء أصل صحيح يدلُّ على معنيين، أحدهما الأصل والنَّصاب، والآخِر التفرُّق. فالأول ما ذكره الخليل أن عِترَ كلِّ شيء نصابه، والثاني الذي يقال له المرزنجوش، وهو لا ينبت الا متفرقا<sup>(٣)</sup>، وجاءت (من) بيانية، ولفظ الجلال (الله) المكرر منصوب على التحذير، والمضاف اليه بعد (كل) وتقديره (هم): وكلهم قد استرعت حقه. «واجعل لذوي الحاجات منك قسما تُفرِّع لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع، فإنِّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في غير موطن: (لن تُقدَّس أمةٌ لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتبع)»<sup>(٤)</sup>.

ذوي الحاجات: (أهل المسكنة) وعطف عليها بقوله (الفقر) وأختلف في معنى (الفقر): فقيل: هو من لا مال له ولا كسب، والمسكين: له مال او كسب لكنه لا يكفيهِ<sup>(٥)</sup>.

(١) ظ: المفردات: ٢ / ٥٣٤.

(٢) الحج / ٣٦.

(٣) ظ: مقاييس اللغة: ٤ / ٢١٧.

(٤) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٥.

(٥) ظ: انوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ٣ / ١٥٣.

وقيل بل هو العكس، فالفقير له مال لا يكفيه، والمسكين أشدُّ فقراً منه<sup>(١)</sup>.  
وقد ذهب شراح النهج الى اتجاهين في تعريفهم لهذه اللفظة؛ فقيل: هي تدلُّ على  
شدة الفقر، وقيل: تدل على خمول القدرة وركعة الهمة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن فارس: (الحاء والواو والجيم اصل واحد، وهو الاضطرار الى الشيء)<sup>(٣)</sup>.  
وفرق اللغويون بين (الحاجة والفقر) فالحاجة: القصور عن بلوغ المطلوب، والفقر:  
والزمانة: العاهة، وهي العلل والأمراض التي تصيب الانسان، وقد تصيب  
الحيوانات وهو جمع وواحد زمين، فخصص لهم الامام جزءاً من بيت مال  
المسلمين ومن غلات اراضي الخراج، وذهب شراح النهج الى أنه المتعرض للناس  
دون سؤلهم<sup>(٤)</sup>.

فالحرص: حرس السلطان، وهو اسم مفرد بمعنى الحراس كالخدّام، و(الشرط):  
قوم من أعوان الحكومة يعلمون أنفسهم بعلامات الخدمة يعرفون بها، المحتاجين  
والذين يشتكون.

«واجعل لهم قسماً من بيت مالك» أمر الامام أن يكون لهؤلاء قسماً او نصيباً من  
ميزانية الدولة فيكون حقاً مفروضاً كرواتب الجنود والقضاة، و«قسماً من غلات  
صوافي الاسلام في كل بلد» والمراد ب(صوافي الاسلام): الأموال المشاع بين المسلمين  
كافة، ولا تختص بسهم النبي، وهذا ما فهمه ابن ابي الحديد، إذ عاش الامام (عليه  
السّلام) مع المساكين، يشعر بالامهم ويوصي بهم<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ١٦٧ / ٨.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ١٧ / ٣٨، وظ: الديباج الوضي: ٥ / ٢٥٣١

(٣) مقاييس اللغة: ٢ / ١١٤.

(٤) ظ: شرح النهج: ابن ابي الحديد: ١٧ / ٨٦، وظ: الديباج الوضي: ٥ / ٢٥٧١

(٥) ظ: في ظلال النهج: ٥ / ٤٤٩.

## الخاتمة

بعد هذه الرحلة الموجزة مع الفاظ طبقات الرعية في عهد الامام (عليه السلام) الى الصحابي الجليل مالك الاشر (رضوان الله عليه) نوجز أهم ماتوصل اليه بحثنا من نتائج وهي:

أن الإمام (عليه السلام) وضع تقسيم اجتماعي خاص للطبقات، فاليه يرجع الفضل في تقسيمها؛ إذ وضع حماة البلاد وهم الجنود أولى طبقاته وتعليه لذلك. أولى كل طبقة ماتستحقه وضمن حقها في العيش بسلام وأمان وحرية واطمئنان، وذلك بتوفير الخراج لتوزيعه كمعاش لمختلف الطبقات.

اعطى صفات خاصة لكل طبقة من الطبقات وماذلك الال تأكيد على أهمية الصفات الانسانية في المجتمع الاسلامي.

بدأ طبقة الجنود؛ لأنها الطبقة الاكثر اهمية في حفظ عرض البلاد وصيانتها من الاعتداء الخارجي، وجعل طبقة الفقراء والمحتاجين آخرها، لأنها لاتقوم ولا تتكل الا على الطبقات المتقدمة.

يعد عهد الامام (عليه السلام) وثيقة دولية لمختلف شرائح المجتمع فقد تضمن الحقوق والحريات الواجب تنفيذها من قبل الوالي الى رعيته، وفي مقابل ذلك ضمن واجبات الرعية الى الامة.

ونوصي في نهاية البحث ونأمل من الله (سبحانه وتعالى) ومن اللجنة العلمية لهذا المؤتمر أن يحظى هذا العهد بأهمية كبيرة من حيث الدراسة والبحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه المنتجبين.

## المصادر والمراجع:

خير ما يتدبّر به القرآن الكريم.

١. الأحكام السلطانية: لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠.
٢. الإسلام والاقتصاد: الإسلام والاقتصاد (دراسة في المنظور الإسلامي لأبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة): عبد الهادي علي النجار، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٧٨.
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) تحقيق: محمد عبد الرضا المرعشلي، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د. ت.
٤. الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١ هـ)، دار الشعب - القاهرة، د. ت.
٥. الخطاب في نهج البلاغة (بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية): د. حسين العمري، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠١٠
٦. الديق الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي «شرح نهج البلاغة» لابي الحسين مجيب بن حمزة بن علي الحسيني (ت ٧٤٩ هـ، تحقيق: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل، ط ١، ٢٠٠٣
٧. رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: دراسة لغوية، رملة خضير مظلوم البديري، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١١، - موسوعة الرسائل الجامعية.
٨. السياسة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام): السياسة المالية في عهد الامام علي: رضا صاحب ابو محمد، ط ١، مركز الامير لحياء التراث الاسلامي، ٢٠٠٦
٩. شرح نهج البلاغة: البحراني شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ)، ط ١، دار الثقلين، بيروت - لبنان، ١٩٩٩.
١٠. شرح نهج البلاغة: عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن ابي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ١، دار الكتاب العربي، العراق - بغداد، ٢٠٠٥
١١. علي وحقوق الانسان: جورج جرداق، الدار العربية للموسوعات، ط ١، ٢٠٠٦

١٢. العين: لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٠٠ ١٧٥ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. د. ت.
١٣. في ظلال نهج البلاغة - محاولة لفهم جديد - محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي الغريبي، دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٥
١٤. كتاب سيويه: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٩٩٩
١٥. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار صادر، بيروت لبنان (د. ت)
١٦. مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) تحقيق: أحمد الحسيني، ط ١، دار الكتب العلمية، النجف، ١٣٨٦ هـ.
١٧. المرجع في الحضارة العربية الاسلامية: ابراهيم سلمان الكروي وعبد التواب شرف الدين، ط ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧
١٨. معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٣٣.
١٩. معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: د. نزيه حماد، ط ١، ٢٠٠٨.
٢٠. المفردات في غريب القرآن: لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف ب(الراغب الاصفهاني)، نزار مصطفى الباز، د. ت
٢١. مقاييس اللغة: احمد بن فرس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، د، ت
٢٢. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، لميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تحقيق: علي عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣
٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر: النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير، ط ١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١.
٢٤. نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه: كاظم محمدي ومحمد دشتي، ط ١، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٠

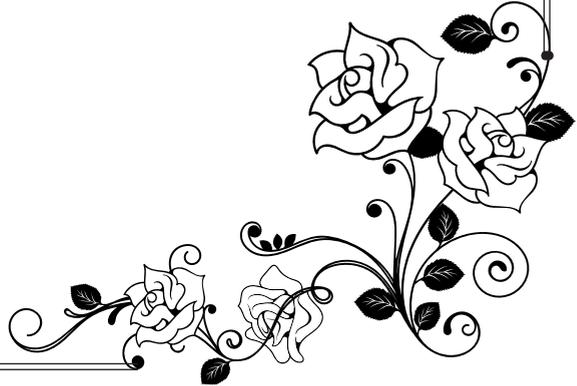


قال الإمام علي:

((وَأشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ،  
وَاللِّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا  
تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ أَمَّا أَحْ لَكَ فِي  
الدِّينِ، وَأَمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ))

دراسة تحليلية في ضوء اللسانيات التواصلية .

الدكتور حسين صالح ظاهر





## المدخل

اتسم البحث اللغويّ الحديث بمحاولات نظيرية موسوعية حاولت أن تصف اللغة والعمليات الذهنية التي يتبعها المتكلم للإنتاج الكلام، ونقطة انطلاق هذه التوجهات كانت آراء سوسير اللغوية الذي ربط اللغة بالمجتمع متأثراً بالاتجاه الاجتماعي في علم النفس، تبع ذلك محاولات من أشهرها الآراء التوليدية التحويلية على يد (تشومسكي) وتلامذته، وبقيت في واجهة البحث اللغوي حقبة طويلة نسبياً؛ لأنّها مرّت بأطوار مختلفة من التعديلات المستمرة في محاولة الوصول إلى منهج محدد يلمّ بجوانب اللغة كلها، وكان الأساس في بحثها هو الكلمة المفردة، أو العناصر اللغويّة؛ وكل مراحلها كانت تحاول وصف الإنتاج والكفاية عند المتكلم / المستمع، ولكنها أغفلت عنصر المعنى مؤجلة دراسته؛ لذلك ما أن ظهر الاتجاه السياقي واهتمامه بالمعنى وجد له صدىً واسعاً عند الباحثين، ثمّ زاد الباحثون مع السياق مسائل أخرى مكتملة ليصلوا بها إلى الاتجاه التداولي التواصلي؛ لأنهم في الغالب يرون أنّ التواصل يعدّ من أهم وظائف اللغة؛ وكي يصلوا إلى جهاز متكامل يفسر الظواهر اللغويّة في الاستعمال بين المتخاطبين وليضعوا بعض الأسس في البحث التواصلي اتفقوا على أنّ ((هناك مفهومان للغة الأول: يعدّها وسيلة للتمثيل، والثاني: وسيلة للتواصل، وباختصار يمكن القول: أنّ الإشكالية الأولى تحدد المعنى انطلاقاً من العلاقة بين المتكلم والموجود «الشيء»، والثانية استناداً إلى العلاقة التي تربط المتكلمين. وتقرن الإشكالية الأولى بالعلامة وبالقضية وتطرح بالتالي مشاكل المرجعية والحقيقة أي ما يعرفه الآخر والمتكلم. أمّا الإشكالية الثانية تتخذ النصوص والخطابات موضوعاً لها لتدرسها من ناحية الإنتاج والتأويل، ويمكن القول إنّ محورها التواصل))<sup>(١)</sup> وتعدّ عملية التواصل الاجتماعي من أهم مباحث اللغة؛ لأنّه يمثل السمات لأي مجتمع قائم على أسس تعكس حضارته فقد أظهر الباحثون عناية متزايدة بالوظيفة

التواصلية للغة، فضلا عن دراسة المجتمعات وعاداتها وتقاليدها وثقافتها؛ لأن اللغة لصيقة المجتمع، وتمثل نظامه الخاص في التواصل وتبادل الأفكار ((فاللغة البشريّة هي أساس معطى اجتماعي في مقام تاريخي مؤكدا الرابط العضوي الوثيق بين اللغة والثقافة))<sup>(٢)</sup> ولأهمية هذه الرابطة بين اللغة والمجتمع، يرى أغلب الباحثين أن اللغة ودلالة ألفاظها هي أمر تواضع عليه الناس واتفقوا عليه للتعبير عن مقاصدهم، من مثل الاتفاق في استعمال كلمة (الأسد) بين أبناء المجتمع اللغوي الواحد أن التشبيه بالأسد يمثل جانب السطوة والشجاعة والمكانة، أمّا لو أنّك ((قصدت عند التشبيه بالأسد إلى فكرة تصلب العنق، أو كراهة ما يتضوع به الفم من رائحة لما استقام لك الأمر لعدم اطراد العرف))<sup>(٣)</sup>، وظهور مصطلح (علم اللغة الاجتماعي) يعكس مدى عناية الباحثين بهذا الجانب من دراسة اللغة كون هذا المصطلح ((يعنى بدراسة تأثير العوامل الاجتماعية لطبقات المجتمع في اللغة))<sup>(٤)</sup>، وحينما استقر البحث اللساني أصبح مصطلح اللسانيات الاجتماعية بديلا منطقيا عن علم اللغة الاجتماعي، إذ صار متداولاً بين الدارسين ويعني الفكرة نفسها مع تخصصه في الدلالة على فكرة أنّ ((تاريخ اللغات ليس إلاّ جزء من تأريخ المجتمع، أو هو الجانب اللغوي من هذا التاريخ))<sup>(٥)</sup> ووضع الباحثون لدراسة علاقة اللغة بالمجتمع أسس ومصطلحات خاصة و ثابتة فقد ((اندجت الدراسات حول العلاقات بين اللغة والمجتمع لتشكّل مجال البحث الأكاديمي المعروف بـ «السوسيولسانيات»... إنّ الموضوع الأول للدرس هو دراسة الترابطات بين استعمال اللغة والبنية الاجتماعية))<sup>(٦)</sup> وأيد أصحاب التوجه الوظيفي هذه الفكرة فقرروا أنّ اللغة ((حسب المقاربة الوظيفية أداة تسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية))<sup>(٧)</sup>.

وقد عرّف الباحثون التواصل اللغوي من مثل قولهم: ((إنّ التواصل... هو تبادل

كلامي بين متكلم محدث

للفوظ موجه لتكلم آخر))<sup>(٨)</sup>، وقولهم ((التواصل هو تعبير عن رسالة تجريدية عبر الإشارة الماديّة، والرسائل المعنية مقيّدة بإشارة معينة على وفق القوانين التي تشترك بالحدث التواصليّ، وهذه القوانين تسمح للمتلقّي استرجاع المعنى المقصود في تلك الإشارة)<sup>(٩)</sup>، وتركز الدراسات التواصلية على الحدث الكلاميّ وعناصره سواء أكان نصّاً مكتوباً أم مسموعاً مع مشاركة المجتمع وما يمثله بوصفه كلا متكاملًا في إنجاح عملية التواصل؛ لذلك قامت ((اللسانيات التواصليّة على منظومة ثلاثيّة الأقطاب: أولهما المرسل باعتباره صاحب المبادرة في التواصل، وثانيهما: المستقبل باعتباره هدفًا مباشرًا للرسالة، وثالثهما: المجتمع باعتباره مصدر العلاقة بين أطراف التواصل، وكذلك مصدر النظام الذي تبنى على أسسه هذه العملية))<sup>(١٠)</sup>.

وعلى ذلك ستكون الدراسة على محورين، الأول نظري: يوضح العلاقة بين التداولية والإحالة في اللسانيات، والثاني: تطبيقي نبني تحليلنا فيه على أساس أنّ الإمام علي (عليه السلام) هو المرسل أو المتكلم ومالك الأشر هو المستقبل أو المتلقّي أمّا المجتمع الذي يمثل الوجه التداولي للمرجعيات الإحالية فهو الثقافة الإسلاميّة بكل ما تحمله من مظاهر دينية واجتماعية على وفق توجهات القرآن الكريم والسنة النبويّة. وسيكون ذلك على منهج اللسانيات العامة سيما في الجانب التطبيقي؛ لأنّ موضع عناية هذه اللسانيات هو ((دراسة الأنظمة العامة للألسن المتمثلة في المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والتركيبّي والدلاليّ والبراغماتيّ... ثمّ تطبيقها على لسان معين قصد التحليل والتفسير والإمام بقواعده النظاميّة))<sup>(١١)</sup> والمقصود بالبراغماتي هو التداولي. مع ملاحظة أنّ البحث في هذا الاتجاه مبني على قناعة هي ((أنّ كلّ نصّ مركزيّ يحتوي بالضرورة على نصوص فرعيّة تختلف نسب وجودها، فما على المحلل؛ إلّا أن يبين درجة حجيتها ووظائفها المختلفة، والعلاقات فيما بينها))<sup>(١٢)</sup>. وهو ما سنحاول إثباته في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة.

## المحور النظري الإطار التأسيسي

توسعت الدراسات اللسانية النظرية بصورة ملحوظة، فقد اعتنى الباحثون باللغة وما يمثلها، فبحثوا في مجال استعمالها بحثا دقيقا لقناعتهم أنّ الاستعمال هو الوجه الحقيقي والواقعي الذي يمثل اللغة في المجتمع، ((فهي الواقعة الاجتماعية؛ لأنها عامة داخل المجتمع، وهي تمارس فرضا على المتكلمين))<sup>(١٣)</sup>، وهذا التوسع جاء نتيجة طبيعية لتعدد الاتجاهات المنفردة في بحث اللغة من مثل (الاتجاه التحويلي، والاتجاه النفسي، والاتجاه الاجتماعي وغيرها) وقد أثبتت هذه الاتجاهات قصورها النظري في تفسير ظواهر اللغة؛ لأنّ منها قد درس المفردة اللغوية لوحدها ولم يعتني بالمعنى؛ لأننا حينما نتكلم ((نعبر عن أفكارنا بجمل وليس بكلمات))<sup>(١٤)</sup>، ومنها من تناول جانبا واحدا من جوانب اللغة، والعامل المشترك الذي استبعدتها هو إهمالها جانب المعنى أو القصدية؛ لذلك سعى الباحثون لإيجاد منهج يضم آلية يستطيع الباحث فيها أن يفسر النصوص، ويتوصل عبرها إلى إظهار علاقات تراكيبيها، ويحدد معانيها؛ كون المعنى هو الركيزة الأساس في فهم النصوص، ولعل السمة الأبرز في هذه الآلية هي فكرة تداخل العلوم في الوصول إلى الهدف ((فعلم النصّ يتسم بالتداخل المعرفي والتشعب، وهذا أمر منطقيّ مسوغه ذلك الهدف الجوهريّ الذي تسعى إليه هذه العلوم والمعارف وعلم النصّ جميعها، وهو فهم النصّ))<sup>(١٥)</sup>؛ وليفهم النصّ فهما صحيحا لا لابس فيه سعت الاتجاهات اللسانية إلى التأكيد أنّ التحليل يجب أن ينظر إلى أي نصّ خطابيّ على أنّه كتلة واحدة لا مجزأة ((فالحدث اللغويّ كلّ متلازم ضرورة، صوتا وصرفا، ونحوا وتركيبا، فياننا))<sup>(١٦)</sup> وحددوا معنى الحدث اللغويّ بـ (النصّ) وأدخل في مجال بحث ((اللسانيات النصّية وليس له وظيفة سوى التذكير بأنّ النصّ هو البعد الأساس للغات))<sup>(١٧)</sup>. فأصبح كلّ مكتوب أو مسموع يدخل في

دائرة البحث اللسانيّ، وبهذه الرؤية انتقل البحث اللغوي إلى مستويات جديدة فلم يعد يبحث في مكونات الجملة (فعل + فاعل + فضلة) فقط، بل يبحث في جهات أهمها نقطتين يعدّان الأساس في البحث هما: كيف قيل هذا النصّ؟، ولماذا قيل؟؛ فالسؤال الأول: يتعلق بنسق الكلمات التي تؤدي لمعنى ما، والثاني: يهتم بالعلاقات الظاهرة والضمنية بين الكلمات التي ربّتها المتكلم على هذا النسق؛ فصارت الكلمات في النصّ على هذه الفكرة علامات هي ((مجموع من الاستعمالات يتبين عبرها أنّ العلامة هي إشارة واضحة تمكّنا من التوصل إلى استنتاجات بشأن أمر خفي))<sup>(١٨)</sup> ومما يساعد في تفسير العلامات هو مجموع المفردات التي يضعها المتكلم في نسق معين على وفق النظام اللغوي ليضمن وضوح مقصده، وفهمه من قبل المتلقي ((فما من شكّ أنّ التركيب عمل اسلوبيّ يأتي تاليا لاختيار العناصر اللغويّة، ويكون ناتج ذلك تركيبا لغويا تظهر فيه مجموعة من الظواهر والسمات))<sup>(١٩)</sup> وهذه الظواهر التي يساعد السياق والمقام في إبرازها، يعدّها الباحثون إشارات مقصودة يرسلها المتكلم إلى المستمع، مما يجعلها تعمل ((كمحفز أو منشط صورته الذهنية مشتركة مع تفكيرنا، ومرتبطة بمنشط آخر وظيفته أنّ يُستدعى تمهيدا للاتصال))<sup>(٢٠)</sup>، فالعلامات في البحث اللساني الحديث مقابلة للمفردات في البحث اللغويّ التراثيّ فقد عدّ التركيب ((رموز لغويّة تحوي دلالة مطابقة لما هو كائن في الذهن، إذ يتم عن طريق ربط الصورة الذهنيّة للمفردة بعضها ببعض على نحو تحقق معه صلة ونسبة بين هذه الصور))<sup>(٢١)</sup>، لذلك نجد أغلب الاتجاهات بدأت تنظر إلى دراسة الإشارة على أنّها علما قائما، وله علاقة مباشرة بتداولية اللغة وبثقافة المجتمع فأدخلت ((التيارات الحديثة للسيميائيات في ضمن أقسام العلامات، كلّ المظاهر الثقافية للحياة الاجتماعية))<sup>(٢٢)</sup>، فصارت لهذه العلامات وظيفة مرجعية تدلّ على معنى متداول بين المتخاطبين، وتقدّم ((تبرير أساسي لعملية التواصل))<sup>(٢٣)</sup>.

وارتبطت هذه العلامات بمصطلح (الإحالة) على معنى في الثقافة الاجتماعية، مما جعلها تساهم في إيضاح المقصد وتسهيل عملية الاستنتاج بمساعدة مقام الحال المصاحب للسياق؛ لذلك تعدّ اللسانيات الوظيفية الإحالة ((عملية ذات طبيعة تداولية، تقوم بين المتكلم والمخاطب في موقف تواصلٍ معين، يستهدف بها المتكلم أن يجيل المخاطب على ذات معينة))<sup>(٢٤)</sup>؛ فلا يكون الاتصال ناجحاً بين المتخاطبين إذا كان هناك خللاً ما في النسق الملفوظ؛ لذلك أكد الباحثون أن للاتساق التركيبي بعده اللساني ((فالخطاب يكون متسقاً حقاً إذا وجدت علاقات قضيوية بين الأقوال التي تكونه، فالخطاب الذي يعقد علاقات... يكون متسقاً))<sup>(٢٥)</sup>. فلذلك صار التركيز على الاستعمال اللغويّ وأدواته للوصول إلى مقصد المتكلم من أهم مرتكزات البحث في الاتجاه التداولي؛ كونه يمنح الباحث إمكانيات تحليل منفتحة على مسارات تلتقي كلّها في إظهار مقصد المتكلم والعلاقة بينه وبين المتلقي، فتفهم المعاني التي تطرأ على الكلام بحسب السياق والمقام فحددت عناية التداولية ((بدراسة التواصل اللغويّ داخل الخطابات، والبحث في طبيعة العلاقة بين الأقوال الخطابية، والأفعال الاجتماعية، وثمّ التعامل مع الخطاب الابداعيّ بوصفه تعبيراً عن تواصل معرفي/ اجتماعي في سياق ثقافي، فهي تدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال))<sup>(٢٦)</sup>، ولعل من أهم عوامل نجاح الاتجاه التداولي في تحليل النصوص، هي الفكرة العامة التي اتبعتها والتي ترى أنّ الانفتاح وعدم الانغلاق هو الطريق الوحيد للوصول إلى استنتاج النصّ ليعطي أقصى ما عنده من معانٍ وأسست لمنهج صارت التداولية فيه ((حلقة وصل علمية بين حقول معرفية مختلفة))<sup>(٢٧)</sup>، وقرر الباحثون على وفق التنظير اللساني أنّ هناك قواعد خاصة تتحكم في عمليّة التواصل وهي تدخل ضمن التداول اللغويّ بين أبناء المجتمع اللغويّ الواحد، ومنها (مبدأ التعاون) الذي وضعه غرايس، وهذا المبدأ ((ينتج عن واقع أنّهم أشخاص يتمتعون بالإدراك، وينبغي تصوره تطبيقاً لعقلانية السلوك

البشري))<sup>(٢٨)</sup>؛ وموضع عنايتنا في مبدأ التعاون هو الفكرة التي تجعل كل لفظة يضعها المتكلم في نسق التركيب فإنها تعطي في المعنى بعدا معجميا وآخر تداوليا يدخل في (الإحالة) على معنى خارجيا يُستدعى عن طريق المحفز في ذهن المتلقي، وفكرة (مبدأ التعاون) تتأسس على (إعطاء القدر الضروري من المعلومات، لكن دون زيادة، إنَّ الشريك في التلفظ بالخطاب ينشئ دلالة بتصرفه في الاستدلالات السياقية المنطقية والاجتماعية... وإنَّ احترام حكمة من حكم المحادثة، وهي مبدأ التعاون يعدُّ ضروريا لهذه العملية))<sup>(٢٨)</sup>، فضلا عن العوامل الأخرى غير اللغوية والتي تساعد في وضوح المقصد ((فستعمل اللغة الطبيعية، يلجأ أثناء عملية التواصل،... إلى ملكات ذات طبيعة غير لغوية تسهم في إنجاح هذه العملية))<sup>(٢٩)</sup>؛ والسبب في ذلك أن الأدوات التي يمتلكها المتكلم محدودة في توصيل الرسالة قياسا على المعاني الواسعة التي تظهرها النصوص، فيلجأ المتخاطبون إتباع طريقة معينة للتواصل، أو استعمال (طريقة) خاصة بالمجتمع اللغوي الواحد مما يجعلها تأتي بتركيب ينسق معين فيؤدي إلى اتساع المعنى مع ((القول بإيجاز في أخصر لفظ يجمع دلالة صريحة... بدلالة ضمنية))<sup>(٣٠)</sup>، وهناك عامل آخر يضبط هذه العملية هو الإحالة المرجعية التي يحكمها السياق للموقف الذي قيل فيه النصّ ((فالعلومة المنقولة متشابهة، وتكمن نقطة الاختلاف الجوهرية في التبدل المرجعي))<sup>(٣١)</sup> فالمرجعيات التي يمتلكها المتكلم والمخاطب هي التي تتحكم بالمعنى المراد من ترتيب النسق اللفظي، إذ تحيل هذه الألفاظ على معنى ظاهري وآخر تداولي فالإحالة ((فعلا تداوليا بالأساس يربط بين عناصر منها: الخطاب وما يحيل عليه حضورا أو ذكرا، والمتخاطبين، والمخزون الذهني الذي يعتقد المتكلم توافره لدى المخاطب إبان التخاطب))<sup>(٣٢)</sup>.

وعلى هذا الإطار سيكون تحليلنا معتمدا على المبادئ التداولية وهي تحديدا

((ثلاث تداوليات أساسية

متجاوزة: التداولية اللفظية، أو لسانيات التلفظ التي تهتم بوصف العلاقات بين بعض المعطيات الداخلية للملفوظ، وبعض خصائص الجهاز التلفظي « مرسل »، « متلقي »، « وضعية التلفظ ». والتداولية التخاطبية، أو نظرية أفعال اللغة « أوستن و سيرل » التي تخصّص لدراسة القيم التخاطبية داخل الملفوظ. والتداولية التحاورية، التي تهتم بدراسة اشتغال هذا النمط الخاص من التفاعلات التواصلية ((<sup>٣٣</sup>)؛ فضلا عما يُعضدها من تفرعات متعلقة بالنصّ، من مثل المنهج المتكامل، وعلى فكرة تداخل المعارف؛ للوصول إلى أقصى دلالات النصّ (عنوان البحث) والمقتطع من عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشتر رضي الله عنه، مستعينا بالجانب النظري الذي يغلف أغلب الدراسات اللسانية المعاصرة؛ لإظهار الجانب المنسجم مع واقع اللغة وتداولها وهو الجانب التطبيقي، فالتحليل يوظف مسارات منهجية عديدة؛ لإظهار أنّ كلام الإمام (عليه السلام) يمثل واقعا تطبيقيا يستوعب البحث اللساني بأحدث توجهاته.

### المحور التطبيقي

كلام الإمام عليّ (عليه السلام) واقعا استعماليا ينتمي إلى الفصاحة اللغوية العالية التي تمثل النظام الخاص باللغة العربية، فحينما ننظر إلى كلامه (عليه السلام) كتركيب نسقي نجده غاية في الدقة في استعمال الأدوات النحوية، مما يجعل على دقة المعنى المراد، وحين التدقيق ظهر لنا أنّ هناك علاقات دلالية وإحالية تستدعيها الألفاظ (الإشارة) المستعملة في البنية أو النسق ((فثمة تقارب بين مفهوم النسق، ومفهوم البنية فكلاهما يستند إلى فكرة العلاقات)) (<sup>٣٤</sup>)، وبحث العلاقات الدلالية على وفق منظومة الثقافة الإسلامية المستمدة من مصدرَي التشريع وهما القرآن والسنة؛ لأنّهما يمثلان المنظومة المرجعية لكل المسلمين فيجعلهم يحملون الإدراك المطلوب لتحقيق مبدأ التعاون في

الخطاب والتواصل.

فعندما ننظر إلى النصّ موضع البحث ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم؛ فإنهم صنفان: أمّا أخ لك في الدين، وأمّا أخ لك في الخلق))<sup>(٣٥)</sup> سنجد أنّه اختار كلماته بما يتناسب مع الفكرة التي أراد إيصالها، وهو عند اللسانيين يعرف بالاتساق التركيبي إذ ((تكون الكلمات ملائمة لفضائها الدلاليّ ومتلائمة فيما بينها، فارتباط الكلمة بأخواتها في التركيب يمنحه معنى كليا ذا نسق مقبول))<sup>(٣٦)</sup> فقد استعمل الإمام (عليه السلام) (الواو) الرابطة للإحالة على متقدم في الكلام وهو تركيب ((فاملك هواك وشح بنفسك))<sup>(٣٧)</sup> يدلّ على أمر وليبقي حيز المعنى مرتبطا جاء بالفعل (أشعر) بصيغة الأمر فيكون الأمر إلزاميا في هذه الحالة؛ لأنّه صدر من أعلى مكانة إلى من هو أدنى، وصنفت أفعال الأمر في الدرس اللساني ضمن التوجيهات في (أفعال اللغة لأوستن)، أو ((ما يسمى دليل القوة الإنجازية))<sup>(٣٨)</sup> أي: الإنجاز اللغوي في الفعل الكلامي وفيه ((يمارس المتكلم فعلا تجاه سامع، وهو يتكون من محتوى قضويّ ووظيفة إنجازيّة، فالمحتوى القضويّ هو جوانب الإحالة والحمل، وتتعلق الوظيفة الإنجازيّة بدور ما يقصده المتكلم))<sup>(٣٩)</sup>، فالإمام (عليه السلام) يحث عامله مالك على جعل قلبه يشعر بالرحمة، وليس

آنيا بل باستمرار؛ لذلك استعمل صيغة الأمر المزيدة بالهمزة فقد قيل:

((التصريف: اختلاف الصيغ لاختلاف

المعاني))<sup>(٤٠)</sup>؛ لأنّ الفعل في الأصل (شعر) فالهمزة زادت معنى جديدا ((فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى))<sup>(٤١)</sup>، ومنها جعلت الفعل يتعدى بنفسه، وزادت في دلالاته على الصيرورة والتحول، يقول سيبويه في هذه الصيغة ((إذا أردت أن غيره أدخله

في ذلك بينى الفعل منه على « أفعلت »<sup>(٤٢)</sup>، ويقول ابن درستويه: ((ذهب زيدٌ وأذهبه غيره، أي: جعله ذاهبا))<sup>(٤٣)</sup>، ومن معاني أفعلت ((التعدية غالبا، ويأتي للصيرورة))<sup>(٤٤)</sup>، فالإمام لم يستعمل صيغة (إفعل) الخاصة بالأمر المباشر على وجه الاستعلاء لما تحمله من معنى قد يجعل المتلقي يفعل دون قناعة، أمّا صيغة (أفعل) فهي فضلا عما تحمله من تلطف من قبل المتكلم بد(الأمر)، تجعل المتلقي وكأنه هو الذي قام بالإنجاز لا لأنه مأمور فيحاول أن يتصف بالرحمة بصورة دائمة؛ وهو ما يعكس تفكير الإمام (عليه السلام) المستوعب لمعاني القرآن والسنة النبوية فلا يخرج عن هذه المنظومة؛ لأنها مصدر التشريع الوحيد لديه، لذلك فحينما يتكلم (عليه السلام) يستحضر في فكره معاني القرآن والسنة، فيسير على سمتها مع مراعاة حال الموقف، وسياق الحال، وطبيعة المناسبة للمقال.

فإختيار الإمام للفظه ( قلبك ) بعد صيغة الأمر لها فضائها الدلالي، فبوقوع الفعل عليها كون القلب في الثقافة القرآنية استعمل ليعطي معنى الثبات الراسخ في الدلالة السياقية سلبا أو إيجابا فد(القلب) إشارة محفزة تجعل عقل المتلقي يستحضر الآيات التي ورد فيها ذكر القلب واستظهار العلاقة للإحساس الموجب مثل قوله تعالى: ﴿ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ ﴾<sup>(٤٥)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ﴾<sup>(٤٦)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَيَذْهَبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾<sup>(٤٧)</sup>

أو الإحساس السالب من مثل قوله تعالى: ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾<sup>(٤٨)</sup> وقوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾<sup>(٤٩)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾<sup>(٥٠)</sup> والإشراب شدة المخالطة فلا ينفصلان بعده، لذلك يقال: ((أشربت الخبز اللبن؛ لأن شرب الخبز للبن والماء

ليس كشرب زيد له)) (٥١) فصيغة (أشرب) في الأصل على الوزن نفسه لصيغة (أشعر) وكذلك في الدلالة أي: خالط قلبك بشعور الرحمة.

وجاء الإمام (عليه السلام) بلفظة الرحمة؛ لأنها سمة من السمات المهمة التي رسخها الإسلام في منظومة الثقافة الاجتماعية عند المؤمنين عبر ذكرها في القرآن الكريم وإقرارها في سنة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهي تعدّ من أكثر الألفاظ وروداً في النسق القرآني، فقد ورد الجذر (رحم) وتصريفاته في موارد وصلت إلى حدود مائتين وعشر مرات، من مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (٥٢) وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (٥٣) وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ (٥٤)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٥)

فالرحمة قد وصف الله عزّ وجلّ بها نفسه وهو مالك الملك، فعبداه الضعيف المحتاج أولى أن يتصف بهذه الصفة، أو يحاول إدخال نفسه في صفتها، فضلاً عن توصيات الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأفعاله في رحمة المسلمين وغير المسلمين، والتي تعدّ مصدراً من مصادر التشريع إلى جانب القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (٥٦) فقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله بالرأفة والرحمة فقال في حقه (صلى الله عليه وآله): ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٧)، وقيل في تفسيرها: ((فساه باسمين من أسمائهم، والرأفة أشدّ من الرحمة وأبلغها)) (٥٨) وقال النبي (صلى الله عليه وآله): ((إنما أنا رحمة مهداة)) وقال المناوي: إنما أنا رحمة، أي: ذو رحمة، أو بالغ في الرحمة، حتى كأنه عينها؛ لأنّ الرحمة ما يترتب عليه النفع)) (٥٩)

وتأكيداً منه (صلى الله عليه وآله) في بيان رحمة الإسلام قال: ((لا يدخل الجنة منكم إلاّ رحيم، قالوا يا رسول الله كلنا رحيم، قال (صلى الله عليه وآله): ليس رحمة أحدكم نفسه وأهل بيته حتى يرحم الناس))<sup>(٦١)</sup> ولفظة الناس لها دلالة العامة.

واستعمال الإمام (عليه السلام) تركيب (أشعر قلبك الرحمة) أظهر الإحالات وارتباطها بالثقافة الإسلامية فيجعل المتلقي يتقبلها بوعي وإدراك، مما يفسر اختيار لفظة (الرعية) ليلحقها بالتركيب بعد لفظة الرحمة؛ لأنّ الدلالة تحيل على علاقة تكليفية من قبل الشرع المقدس في ذهن المسلم الذي يتولى أمراً من أمور المسلمين، وهي هنا منصب الوالي، أو عامل الخليفة والعلاقة المتبادرة هنا هي الأمانة في العمل لقول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(٦١)</sup>، والمسؤولية المشتركة بين الحاكم والمحكومين لقول الرسول (صلى الله عليه وآله): ((كلكم راع وكلكم مسؤول فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته))<sup>(٦٢)</sup>، وحينما أكمل تكثيفه الدلالي بالنسق (أشعر قلبك الرحمة للرعية) ربط ب(الواو) العاطفة التي تشرك ما بعدها بما قبلها، وهما تركيبية (المحبة لهم) و(اللطف بهم) بالدلالات المستنبطة من تركيب (أشعر قلبك الرحمة للرعية) عند المتلقي ليكون مجالهما الدلالي نفسه لما سبقهما وهو ما يصطلح عليه في بحث اللسانيات النصّية بالربط النحوي ((ويقصد به ربط العناصر السطحية للنصّ عبر وسائل معينة))<sup>(٦٣)</sup>

فالمرسل يوصل مقصده بصورة لا لبس فيها إلى المتلقي عبر ربط دلالات تركيبها ربطاً محكماً، ولهذا الربط أدواته الخاصة التي يجويها نظام اللغة ((فيتم الربط لتحقيق التضام بتوظيف مجموعة من الأدوات والألفاظ منها: أدوات تفيد مطلق الجمع، مثل: واو العطف))<sup>(٦٤)</sup>، فالتكلم باتباعه طريقة الربط بالواو بين التراكيب يعزز

متانة النصّ وسبكه، فضلا عن اعتقاده أنّ دلالة التركيبين ( المحبة لهم واللفظ بهم ) تعضد فكرة الإحالات التي حفزها التركيب ( أشعر قلبك الرحمة للرعية )؛ لأنّهما يقعان في النسق الدلالي نفسه الذي استدعاه المعطوف عليه، فهما يقعان في السياق نفسه، فيدخلان في ما اصطلاح عليه بـ (مبدأ المناسبة) الدلالية ((ومفاده إجمالا أنّ تأويل الأقوال يقوم على استدلالات تستند إلى السياق وتفضي إلى نتائج، بحيث يكون القول مناسباً كلما كان الجهد المبذول في تأويله أقل، والنتائج التي نتوصل إليها أكثر)) (٦٥).

ولزيادة القدرة الإنجازية على المتلقي انتقل الإمام (عليه السلام) إلى النهي المقترن بنون التوكيد الثقيلة، مستعملاً العناصر الخاصة لهذا المعنى في نظام العربية وهي ( لا الناهية + الفعل المضارع + النون الثقيلة )؛ وذلك ليصل بالإنجاز الدلاليّ المؤثر إلى مداه فزاد الإمام (عليه السلام) نون التوكيد الثقيلة؛ لأنّ التوكيد طريق يلجأ إليه المتكلم ((لتمكين الشيء في النفس وتقوية أمره)) (٦٦) إذ يقول سيوييه مبينا الواقع اللغوي في استعمال النون: ((إذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكدة، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدّ توكيداً... ومن مواضعها الأمر والنهي)) (٦٧) ويقول المالقي في شرحه: ((فهي مؤكدة للفعل، مخففة ومثقلة... ومدخلها أبداً في فعل الطلب)) (٦٨)، وحقيقة أنّ الأمر والنهي يقعان في الحيز الدلاليّ نفسه، فيفسّر انتقال الإمام من الأمر إلى النهي، فهما في واقع الاستعمال أمر، فالأمر هو طلب ايقاع الفعل والحث عليه، والنهي هو طلب ترك الفعل، فلا يكون هناك خلل في النسق الدلاليّ حين الانتقال من واحد إلى آخر؛ لذلك قال السكاكيّ: ((للنهي حرف واحد هو « لا » الجازم في قولك: لا تفعل والنهي محذو به حذو الأمر في أصل الاستعمال « لا تفعل »)) (٦٩).

أمّا دلالات استعمال هذا التركيب و الإحالات عليه يفسرها السياق نفسه، فالرحمة، واللفظ، والمحبة للرعية لا تكتمل مالم يحرص الحاكم على رفاهيتهم، بما

يقوم حياتهم ويضمن لهم العيش الكريم بعدم الحاجة فضلا عن شعورهم بالأمان؛ فإحالة النهي مرتبطة بفكرة غاية في الأهمية في منظومة الثقافة الإسلامية، وهي فكرة الأمانة ونزاهة الحاكم مما ينعكس ايجابيا على الرعية وحياتهم، فالوالي شخص مؤتمن على رعاية مصالح الناس مسلمين وغير مسلمين، وعليه النظر في كل صغيرة وكبيرة مما يخص مصالحهم، وما من طريق له سوى أن يسير بهم بسيرة العدل والإحسان التي أمر القرآن بها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(٧٠)</sup>، فالله أمر المسلمين بأداء الأمانة والحكم بالعدل وأكد عليهم بإتباعه مهما كانت المواقف فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(٧١)</sup>، وأمر أن ينظر الحاكم إلى الناس بمنظار الحق والعدل لا بمنظار المحاباة والميل لأحد من قرابة أو غيرها فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٧٢)</sup>، ولم يكنفني بأمرهم بالعدل، بل أمرهم أن يحسنوا

للناس في كل حال وموقف فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(٧٣)</sup>، وتظهر فكرة العلاقات الدلالية عند الإمام (عليه السلام) في محاكاته للنسق القرآني في اختيار الألفاظ المناسبة لسياق الحال؛ لأن اختيار النسق المناسب للتركيب يعدّ ((وسيلة تعبير ذات إمكانيات متعددة، وأشكال مختلفة لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها، فظاهره مكونات البنية السطحية وباطنه البنية الدلالية، إذ يخضع المستوى التركيبي للمستوى الدلالي والآخر يخضع للمعرفة والقصدية))<sup>(٧٤)</sup>، فاختياره للفظة (أكلهم) لها دلالتها الشاملة لكل أنواع الاستحواذ على أموال الآخرين سواء أكانت عينية أم نقدية، فقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة للإشارة إلى حقوق الآخرين من أموال وغيرها، وعدم الاستيلاء عليه دون وجه حق من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا

تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ ﴿٧٦﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٧﴾، فالإمام حينما يستعمل الألفاظ القرآنية ((لا يريد أن يفصل وإنما يحيل بتكثيف إلى قصة أو حدث، أو قولة مأثورة... مما يجعل التوجيه ممكنا، خاضعا لشرط التأويل المحلي)) ﴿٧٨﴾، ويعني ذلك توجيه الوالي توجيها شرعيا في مسألة الأموال وجبايتها على ضوء الحقوق الشرعية لكلا الطرفين الحاكم والناس، ثم صرفها في مواضعها المقررة على وفق الشرع، لا هوى الحاكم؛ يتساوى في هذه المسألة كل الرعية، وعلى الحاكم ألا يتبع الجور والتعسف في استحصال الحقوق بل عليه التلطف والرفق بهم؛ وليؤكد الإنسانية في الفكر الإسلامي اختار مفردة (الضبع) ليعقد المتلقي صورة المشابهة البلاغية ويستوعب الرسالة.

و حين استيقن الإمام (عليه السلام) أن المتلقي أخذ العبر الشرعية المستنبطة من القرآن والسنة لمهمة الوالي، أراد الإمام (عليه السلام) أن يذكره بأهم ما جاء به الإسلام وهي النظرة الإنسانية للمسلم وغير المسلم؛ خاصة أن المسألة متعلقة بمصر وهي من الأمصار التي تمتاز بالخليط العقائدي؛ فاستعمل الإمام تركيا يكتف الثقافة الإسلامية، وتفكيرها في النظر إلى الناس، مسلم وغير مسلم، فأتى بتركيب مختصر يعكس هذه الثقافة ويختزنها يظهر فهم الإمام (عليه السلام) للقرآن والسنة، وكيف لا يكون كذلك وسيد الخلق الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله) قال فيه: ((عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض)) ﴿٧٩﴾، فالإسلام ينظر بنظرة الإنسانية إلى كل الناس لافرق بين أحد منهم، وحين أنهى مقدماته بتصوير

العلاقة الشرعيّة بين الوالي والرعية، وليفهم العامل المكلف وهو مالك الأشرم مكانه من هذه العلاقة المبنية فكراً على الأخوة في الدين، وفي الإنسانية وأنه مكلف في نظر الشرع فعليه اتباع القرآن والسنة حتى يُثاب في الآخرة، فاستعمل (عليه السلام) تركيباً جديداً فقال:

(فإنهم صنفان: أمّا أخ لك في الدين، وأمّا أخ لك في النظر)، ولم يستعمل لربط النصّ (الواو)؛ لأنّ التركيب يحيل على دلالة جديدة، وهو ما سماه النحويون بالقطع؛ وعليه يجب أن يستأنف برابط جديد وهنا يأتي بـ (الفاء)؛ لأنّ التركيب الجديد ((جملة مستأنفة لأنّ الفاء... الأغلب أن يستأنف بعدها الكلام))<sup>(٨١)</sup>، واقتران الفاء مع (إنّ) ثمّ اتصال الضمير (هم) بـ (إنّ) يحيل على من يقصده الإمام (عليه السلام) وهم الرعية أو الناس

((فالإحالة بالضمائر صراحة على الأشخاص... وقد يُحال على فحوى كلام ورد سابقاً))<sup>(٨١)</sup>، ونوعاً الإحالة

متحقق في النصّ، فقد ورد لفظ (الناس) في كلام سابق، والضمير هم يعود عليهم أو على (الرعية).

أمّا (إنّ) فهي من الأحرف المشبهة بـ (الفاعل)، وحسب نظام اللغة العربية لها الصدارة في الكلام وتستعمل ((لتحقيق زيادة في المعنى، بحيث يمكن أن تضيف فائدة تركيبية مثل: التوكيد، قوة الربط))<sup>(٨٢)</sup>، فالإمام قدّمها للتوكيد، فضلاً عمّا تحمله من معنى القصر حينما اتصلت بها (ما) الكافة و((حاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع))<sup>(٨٣)</sup>، ولتأكيد الفكرة واقعا وهي الأخوة استعمل القصر؛ لأنّه ((ليس إلاّ تأكيد على تأكيد))<sup>(٨٤)</sup> وعناية الإمام بهذه المسألة نابع من متابعتة القرآن في تشريعه فقد أقرّ الشرع أخوة الدين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٨٥﴾ وقوله تعالى: ﴿فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (٨٦) وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (٨٧)، والفكرة المتصورة للأخوة الدينية هي فكرة واقعية ومعنوية أقرها الإسلام عبر السنة النبوية ومسألة الأخوة بين المهاجرين والأنصار متواترة، إذ صار له من الحقوق والواجبات ما للأخ الحقيقي، بل تعدى ذلك في الصدر الأول من الإسلام، واستعمال الإمام (عليه السلام) لمفردة (أخ) بصيغة النكرة متناسب مع الفكرة التي أرادها لما يحملها تنكير الاسم من دلالات مفتوحة ((لأن أصل الأسماء النكرة، وذلك؛ لأن الاسم المنكر هو الواقع على كل شيء من مثله لا يختص واحدا من الجنس دون سائره)) (٨٨)، وهو ما يظهر دقة اختيار اللفظ لسامته الدلالية والمعجمية لعلاقتها بالنسق ودلالته.

أما أخوة النظر، أو أخوة الخلق الإنساني فقد تناوها القرآن بآيات محددة، ومنه الآيات التي ذكر الأصل الواحد في الخلق إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (٨٩) وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٩٠) وقد فسر الزمخشري الآية (خلقكم من نفس واحدة) فقال ((يا أيها الناس «يابني آدم» «خلقكم من نفس واحدة» فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم)) (٩١)، وفي تفسير الآية (خلقكم من تراب) قال الطبرسي: ((يعني به آدم، والمعنى أنشأ أباكم واخترعه من طين، وأنتم ذريته، فلما كان آدم أصلنا ونحن نسله، جاز أن يقول لنا "خلقكم من طين") (٩٢). فالرسالة هي أننا من أصل واحد فلا فضل لأحد على آخر في صفة الإنسانية سوى ما يتبعه من سلوك اجتماعي وديني يقربه من الله أو يبعده، وحدد القرآن ما يجعل الفرد قريبا من الله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٩٣﴾، ومن أهم مظاهر التقوى عند الإنسان، هي الطاعة لله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وإتباع ما أمرنا الله به عن طريق القرآن والسنة النبوية

لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٤﴾، ويؤكد الرسول بأن إتباعه وطاعته طريق إلى الجنة فقال (صلى الله عليه وآله): ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن أبى، قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)) (٩٥). والإمام عليّ (عليه السلام) في حقيقته يمثل مصدر التشريع المتمثل بالقرآن والسنة، فهو ممن لا تخفى مكانته وعلمه، فطاعته هي طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد قيل فيه (عليه السلام): ((من اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى لقول النبيّ (صلى الله عليه وآله): «اللهم أدر الحقّ مع عليّ حيث دار»)) (٩٦)؛ لذلك حينما يوصي الإمام (عليه السلام) أصحابه أو يأمرهم فهو يعتقد تماما بما يقول، فينطبق عليه (شرط الإخلاص) الذي يجب وجوده على شرط تجاه (أفعال اللغة) في البحث اللساني لتكون الرسالة مقبولة ((فيجب أن تتطابق مقاصد المتكلمين وآرائهم مع ما يقولون، فحين يصدر أمر فإن الأمر يجب أن يكون مقتنعا بأن السامع قادر على أداء الأمر)) (٩٧)؛ فضلا عن ثقافته المستمدة من القرآن والسنة، فالإسلام قد (خالط لحمه ودمه) مما يبرر دقته في اختيار المعاني والألفاظ الموصلة لها، وبنسق يظهر فهما لنظام اللغة العربية بأعلى مستويات الفصاحة، وكل ذلك وظّفه الإمام (عليه السلام) ليسهل على المتلقي فهم الرسالة القولية الموجهة إليه وما المقصود منها، وهو تحقيق عمليّ لما اصطاح عليه بـ (الافتراض السابق) في العمليات التواصلية ويعني به ((ما يقتضيه اللفظ ويفترضه التركيب، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية؛ لتحقيق النجاح

في العمليّة التواصليّة... ويتسع مفهوم الافتراض السابق؛ ليشمل المعلومات العامة، وسياق الحال، والعرف الاجتماعيّ، والعهد بين المتخاطبين، وما يفترضه الخطاب من مسلمات يأتي المعنى من منطلق وجودها))<sup>(٩٨)</sup>.

فالإمام علي (عليه السلام) قد استعمل المرجعيّة الشرعيّة غطاء ثقافيّ وقيد للمعنى يستند عليه المتلقي لفهم واستيعاب الرسالة المقصودة بدقة لا تخرج عما أراده المتكلم الذي اختار ألفاظ مُتداولة لها ارتباط دلاليّ بالقران والسنة، ووضعها في نسق نحويّ على حسب النظام اللغوي العربيّ، مما جعل النصّ المقدس يساهم في تأويل الرسالة وفهم المعاني، وهذا من الوسائل الناجحة جدا في العملية التواصليّة؛ ((وذلك لخاصية جوهريّة في هذه النصوص... وهي أنّها مما ينزع الذهن البشريّ لحفظه ومداومة تذكره))<sup>(٩٩)</sup>.

## الخاتمة

وجد البحث أنّ نصوص الإمام (عليه السلام) ومنها النصّ موضع البحث محملة بالمعاني وتعدّ ألفاظها عبارة عن إشارات لغويّة محملة بطاقات دلاليّة متفرعة ومتشعبة، مما يستدعي أن ننظر إلى الإحالات التي ترتبط بالألفاظ من جهة، وأخرى بالمرجعية الثقافيّة وإطارها الذي اعتمد عليه الإمام (عليه السلام) في خطابه مع أتباعه من المسلمين، ومنهم مالك الأشتر عامله على مصر فأكتب له عهدا، وهو دستور العمل المفصل للحاكم، وامتاز العهد بألفاظه المختصرة، والواسعة بدلالاتها. فالإمام (عليه السلام) يؤكد النظرة الإنسانيّة الرحيمة في الدين الإسلاميّ؛ كونه (عليه السلام) يمثل المرجعيّة العامة في منصبه الشرعيّ لقيادة المسلمين، فاختر وصاياه العامة بألفاظ تداوليّة مشحونة بطاقات دلالية وإشارية على إحالات في الثقافة الإسلاميّة عند المجتمع وظهرت في النصّ المُقتطع من

العهد الموجه، وهذه الملاحظات تجعل النصّ يدخل في صنف النصوص الإبداعية، والتي تجعل معانيها مناسبة لكل الأزمان وليس الوقت الذي قيلت فيه، فتقرأ على أساس أصالتها إذ تناسب الأفكار المتداولة في المجتمع، فنحن نقرأ النصّ ونفهمه كأنه موجه إلينا، وهذه من أهم الصفات في النصّ الموصوف بالأصالة، فنفهم الإشارات والإحالات مع وجود الفارق الزمنيّ الذي يزيد أربعة عشر قرناً، مما يؤكد نجاح الرسالة الموجهة إلى المتلقي حين ذاك.

وقد وجد البحث أنّ الدراسة التطبيقية على ضوء المباحث اللسانية المعاصرة لنصّ الإمام (عليه السلام) موضع البحث قد تحلّ كثيرا من المشكلات النظرية لهذه التوجهات، إذ تظهر أحيانا عقبات، وإشكالات فنية حينما يُطبّق هذا التنظير، وهذا ما لم نجده في تطبيقنا على هذا النصّ، مما يعكس تمكنه اللغويّ، أي: صاحب سليقة لغوية متمكنة من نظام اللغة ومعرفة مسارات الألفاظ ومواضع دلالتها، وهو ما أطلق عليه الباحثون في اللسانيات بالكفاية التواصلية، والتي يجب توافرها عند المتكلم لتكون لرسالته ناجحة عند المتلقيّ وأهم هذه الشروط: الكفاية النحوية (صوت و صرف ونحو)، والكفاية الثقافية، والكفاية الاجتماعية، والكفاية الإدراكية وغيرها من الشروط التي وضعها باحثو اللسانيات التواصلية.

## هوامش البحث

- ١- فنون النص وعلومه، فرانسو راستبي، ترجمة إدريس الخطاب، الدار البيضاء، دار توبقال، ٢٣، ٢٠١٠
- ٢- في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٠، ٤٥
- ٣- مباحث تأسيسية في اللسانيات، عبد السلام المسدي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٣٧
- ٤- علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، القاهرة، دار غريب، ٤٨
- ٥- حرب اللغات والسياسة اللغوية، لويس كالفلي، ترجمة حسن حمزة، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٨، ١٤
- ٦- السوسيولسانيات، فلوريان كولمان، ترجمة مشتركة، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٩، ١٤٨
- ٧- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، أحمد المتوكل، الربط، دار الأمان، ٢٠٠٦، ٢٠
- ٨- نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، رايص نور الدين، فاس، مطبعة سايس، ٢٠٠٧، ٢٥
- ٩- أعلام الفكر اللغوي، تأليف مشترك، ترجمة أحمد الكلابي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٦، ٢ / ١٠٣
- ١٠- اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، سمير استيتية، إربد، عالم الكتب الحديث، ط ٢، ٢٠٠٨، ٦٧٥
- ١١- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة العيساوي، الرباط، دار الأمان، ٢٠١٣، ٢٥
- ١٢- دينامية النص، محمد مفتاح، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ٤، ٢٠١٠، ٨٩
- ١٣- النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٦، ٢٦
- ١٤- شظايا لسانية، مجيد الماشطة، لندن، دار السياب، ٢٠٠٩، ٥١
- ١٥- دلالة النص وتداوله، فهيمة حلوشي، الجزائر، مجلة كلية الآداب في جامعة بسكرة، العدد ١٠ / ١١، ٢٠١٢، ٢١١
- ١٦- العلاماتية قراءة في العلامة اللغوية العربية، منذر عياشي إربد، عالم الكتب الحديث،

١٢٩، ٢٠١٣

١٧ - فنون النص وعلومه، ٢٥

١٨ - السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو ايكو، ترجمة أحمد الصميدعي، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٥، ٤٦

١٩ - التفكير الأسلوبي، سامي محمد عبابنة، إربد، عالم الكتاب الحديث، ٢٠١٠، ١٩٦

٢٠ - علم الإشارة، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٣، ٥١

٢١ - مقاربات في فقه اللغة العربية، خالد نعيم الشناوي، لندن، دار السياب، ٢٠١٢، ٤٦

٢٢ - العلامة تحليل المفهوم وتأريخه، امبرتو ايكو، ترجمة سعيد بن كراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي للترجمة، ط٢، ٢٠١٠، ٧٠

٢٣ - لسانيات النص، ليندة قياس، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٩، ٢٢٥

٢٤ - قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، الرباط، دار الأمان، ١٣٣

٢٥ - القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار وأن ريبول، ترجمة مشتركة، تونس، المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٠، ٥٠١

٢٦ - لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، عبد الفتاح أحمد، بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠، ٣٤، ٣٥

٢٧ - المرجع نفسه، ٣٥

٢٨ - التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر حباشة، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢، ١١٧

٢٩ - الوظيفة بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، الرباط، دار الأمان، ٢٠٠٣، ١٩

٣٠ - الاستدلال البلاغي، شكري المبخوت، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٠، ٣٢

٣١ - المعنى في علم المصطلحات، هنري بيجوان، ترجمة ريتا الخاطر، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٩، ٢٤٣

٣٢ - الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٧٨، ٢٠١٠

٣٣ - الأسس الأبتمولوجية والتداولية، إدريس مقبول، عمان، جدارا للكتاب، ٢٠٠٧، ٢٦٣

- ٣٤- المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال، ترجمة عبد القادر الشيباني، الجزائر، لاناشر، ٢٠٠٧، ١٠٧
- ٣٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٤، مج ٤ / ٢٠ / ٦٧
- ٣٦- نحو النص، عثمان أبو زنيد، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩، ١٦٢
- ٣٧- شرح نهج البلاغة، مج ٤ / ٢٠ / ٦٧
- ٣٨- الأفعال الإنجازية في العربية، علي محمود الصراف، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠، ٥١
- ٣٩- اللغة والفعل الكلامي والاتصال، زبيله كريم، ترجمة سعيد بحيري، القاهرة، زهراء الشرق، ٢٠١١، ٨٩
- ٤٠- المقدمة الجزولية، الجزولي، تحقيق شعبان عبد الوهاب، مكة المكرمة، أم القرى، ١٠
- ٤١- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق مصطفى النحاس، القاهرة، النشر الجامعي، ١٩٨٤، ١ / ٨٩
- ٤٢- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٩، ٥٥ / ٤
- ٤٣- تصحيح الفصح، ابن درستويه، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد، مكتبة الإرشاد، ٢٥٤، ١٩٧٥
- ٤٤- شرح قصيدة الكافية، السيوطي، تحقيق ناصر حسن، دمشق، المطبعة التعاونية، ١٩٨٩، ٢٨
- ٤٥- سورة الحجرات، الآية: ٧
- ٤٦- سورة آل عمران، الآية: ١٢٦
- ٤٧- سورة الأنفال، الآية: ١١
- ٤٨- سورة التوبة، الآية: ٨
- ٤٩- سورة البقرة، الآية: ١٠
- ٥٠- سورة البقرة، الآية: ٩٣
- ٥١- أبو القاسم السهيلي ومذهبه في النحو، محمد ابراهيم البناء، جدة، دار البيان العربي، ١٩٨٥، ١٤٦

- ٥٢ - سورة الأنعام، الآية: ١٢
- ٥٣ - سورة الأنعام، الآية: ٥٤
- ٥٤ - سورة الكهف، الآية: ٥٨
- ٥٥ - سورة البقرة، الآية: ٩٣
- ٥٦ - سورة الأحزاب، الآية: ٢٩
- ٥٧ - سورة التوبة، الآية: ١٢٨
- ٥٨ - اللفظ المكرم بخصائص النبي المعظم، قطب الدين الخضري، تحقيق مصطفى حميدة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، ٤٧٣
- ٥٩ - جواهر البحار في فضائل النبي المختار، النبهاني، بيروت، دار الكتب، ١٩٩٨، ٢ / ١٨٢
- ٦٠ - ينظر، الرسول والتنمية البشرية، محمد صادق الخرسان، النجف، الكلمة الطيبة، ٦٨، ٢٠١٤
- ٦١ - سورة النساء، الآية: ٥٨
- ٦٢ - صحيح البخاري، البخاري، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١، ١ / ٢١٥
- ٦٣ - لسانيات النص، كرستين آدمستيك، ترجمة حسن بحيري، القاهرة، زهراء الشرق، ١٢٢، ٢٠٠٩
- ٦٤ - الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني، خليل البطاشي، عمان، دار جرير، ٧٢، ٢٠١٣
- ٦٥ - التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ربول وجاك موشلار، ترجمة سيف الدين دغفوس، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٣، ٢٧٤
- ٦٦ - معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦، ٦
- ٦٧ - الكتاب، ٣ / ٥٠٩
- ٦٨ - شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق، أحمد خراط، دمشق، مجمع اللغة العربية، ٣٣٤
- ٦٩ - مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب، ٢٠٠٤، ٤٢٩
- ٧٠ - سورة النساء، الآية: ٥٨

- ٧١ - سورة المائدة، الآية: ٨
- ٧٢ - سورة الأنعام، الآية: ١٥٢
- ٧٣ - سورة النحل، الآية: ٩٠
- ٧٤ - نحو النص، ١٦٢
- ٧٥ - سورة البقرة، الآية: ١٨٨
- ٧٦ - سورة النساء، الآية: ٢٩
- ٧٧ - سورة المائدة، الآية: ٦٢
- ٧٨ - دينامية النص، ٩٠
- ٧٩ - ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، تحقيق جمال الحسيني، قم، دار الأسوة، ١٤٢٢ هـ، ٣٩٨
- ٨٠ - الفئات في النحو العربي، شرف الدين الراجحي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ٩٢
- ٨١ - قضايا اللغة العربية وتحليل الخطاب، محمد محمد يونس علي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٣٦١، ٢٠١٣، ٨٢ - بنية الجملة العربية وأسس تحليلها، السعيد شنوقة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠١٠، ١٤١
- ٨٣ - مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق محمد قابيل، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ٢٥٧
- ٨٤ - الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق مشترك، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤، ٩٠
- ٨٥ - سورة الحجرات، الآية: ١٠
- ٨٦ - سورة آل عمران، الآية: ١٠٣
- ٨٧ - سورة التوبة، الآية: ١١
- ٨٨ - المقتضب، المبرد، تحقيق حسن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩، مج ٢ / ٥١٨
- ٨٩ - سورة النساء، الآية: ١
- ٩٠ - سورة فاطر، الآية: ١١

- ٩١ - تفسير الكشاف، الزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦، ١ / ٤٥١
- ٩٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، بيروت، دار القارىء، ٢٠٠٩، ٤ / ٧
- ٩٣ - سورة الحجرات، الآية: ١٣
- ٩٤ - سورة آل عمران، الآية: ٣١
- ٩٥ - مختصر صحيح البخاري، أحمد زيدان، القاهرة، دار النشر الإسلامية، ١٩٩٩، ١١٨٢
- ٩٦ - خصائص الوحي المبين، ابن بطريق، تحقيق مالك المحمودي، قم، دار القرآن، ١٤٢٧،  
٣٠، ٣١
- ٩٧ - اللغة والفعل الكلامي والاتصال، ٩٤
- ٩٨ - النظرية البراغماتية اللسانية، محمود عكاشة، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٣، ٨٦
- ٩٩ - التعالق النصي، ناسي ابراهيم، القاهرة، دار رؤية، ٢٠١٤، ٢٥٦

## المصادر والمراجع

### ١- القرآن الكريم

- ٢- أبو القاسم السهيلي ومذهبه في النحو، محمد ابراهيم البنا، جدة، دار البيان العربي، ١٩٨٥
- ٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق مصطفى النحاس، القاهرة، النشر الجامعي، ١٩٨٤
- ٤- الاستدلال البلاغي، شكري المبخوت، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٠
- ٥- الأسس الأبتمولوجية والتداولية، إدريس مقبول، عمان، جدارا للكتاب، ٢٠٠٧
- ٦- أعلام الفكر اللغوي، تأليف مشترك، ترجمة أحمد الكلاي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٦
- ٧- الأفعال الإنجازية في العربية، علي محمود الصراف، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠
- ٨- الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق مشترك، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤
- ٩- بنية الجملة العربية وأسس تحليلها، السعيد شنوكة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠١٠
- ١٠- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ربول وجاك موشلار، ترجمة سيف الدين دغفوس، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٣
- ١١- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر حباشة، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢
- ١٢- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني، خليل البطاشي، عمان، دار جرير، ٢٠١٣
- ١٣- تصحيح الفصح، ابن درستويه، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد، مكتبة الإرشاد، ١٩٧٥
- ١٤- التعالق النصي، نانسي ابراهيم، القاهرة، دار رؤية، ٢٠١٤
- ١٥- تفسير الكشاف، الزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦
- ١٦- التفكير الأسلوبي، سامي محمد عبابنة، إربد، عالم الكتاب الحديث، ٢٠١٠
- ١٧- جواهر البحار في فضائل النبي المختار، النبھاني، بيروت، دار الكتاب، ١٩٩٨
- ١٨- حرب اللغات والسياسة اللغوية، لويس كالفني، ترجمة حسن حمزة، بيروت، المنظمة

العربية، ٢٠٠٨

- ١٩ - خصائص الوحي المبین، ابن بطریق، تحقیق مالک المحمودی، قم، دار القرآن، ١٤٢٧
- ٢٠ - الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠١٠
- ٢١ - دلالة النص وتداوله، فهيمة لحوحي، الجزائر، مجلة كلية الآداب في جامعة بسكرة، العدد ١٠ / ١١، ٢٠١٢
- ٢٢ - دينامية النص، محمد مفتاح، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٤، ٢٠١٠
- ٢٣ - الرسول والتنمية البشرية، محمد صادق الخرسان، النجف، الكلمة الطيبة، ٢٠١٤
- ٢٤ - السوسولوجيا، فلوريان كولمان، ترجمة مشتركة، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٩
- ٢٥ - السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو ايكو، ترجمة أحمد الصميدعي، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٥
- ٢٦ - شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق، أحمد خرّاط، دمشق، مجمع اللغة العربية
- ٢٧ - شرح قصيدة الكافية، السيوطي، تحقيق ناصر حسن، دمشق، المطبعة التعاونية، ١٩٨٩
- ٢٨ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٤
- ٢٩ - شظايا لسانية، مجيد الماشطة، لندن، دار السياب، ٢٠٠٩
- ٣٠ - صحيح البخاري، البخاري، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١
- ٣١ - العلامة قراءة في العلامة اللغوية العربية، منذر عياشي إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٣
- ٣٢ - العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، امبرتو ايكو، ترجمة سعيد بن كراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي للترجمة، ط٢، ٢٠١٠
- ٣٣ - علم الإشارة، بيري جيرو، ترجمة منذر عياشي، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٣
- ٣٤ - علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، القاهرة، دار غريب
- ٣٥ - الفاءات في النحو العربي، شرف الدين الراجحي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥
- ٣٦ - فنون النص وعلومه، فرانسو راستبي، ترجمة إدريس الخطاب، الدار البيضاء، دار توبقال، ٢٠١٠

- ٣٧ - في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٠
- ٣٨ - القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار وأن ريبول، ترجمة مشتركة، تونس، المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٠
- ٣٩ - قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، الرباط، دار الأمان
- ٤٠ - قضايا اللغة العربية وتحليل الخطاب، محمد محمد يونس علي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٣
- ٤١ - الكتاب، سيويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٩
- ٤٢ - لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، عبد الفتاح أحمد، بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠
- ٤٣ - اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، سمير استيتية، إربد، عالم الكتب الحديث، ط ٢، ٢٠٠٨
- ٤٤ - لسانيات النص، ليندة قياس، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٩
- ٤٥ - لسانيات النص، كرستين آدمستيك، ترجمة حسن بحيري، القاهرة، زهراء الشرق، ٢٠٠٩
- ٤٦ - اللغة والفعل الكلامي والاتصال، زبيله كريمر، ترجمة سعيد بحيري، القاهرة، زهراء الشرق، ٢٠١١
- ٤٧ - اللفظ المكرم بخصائص النبي المعظم، قطب الدين الخضري، تحقيق مصطفى حميدة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧
- ٤٨ - مباحث تأسيسية في اللسانيات، عبد السلام المسدي، بيروت، دار الكتاب الجديد
- ٤٩ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، بيروت، دار القاري، ٢٠٠٩
- ٥٠ - مختصر صحيح البخاري، أحمد زيدان، القاهرة، دار النشر الإسلامية، ١٩٩٩
- ٥١ - المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة العيساوي، الرباط، دار الأمان، ٢٠١٣، ٢٥
- ٥٢ - المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال، ترجمة عبد القادر الشيباني، الجزائر، ٢٠٠٧
- ٥٣ - معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦
- ٥٤ - المعنى في علم المصطلحات، هنري بيجوان، ترجمة ريتا خاطر، بيروت، المنظمة العربية،

٢٠٠٩

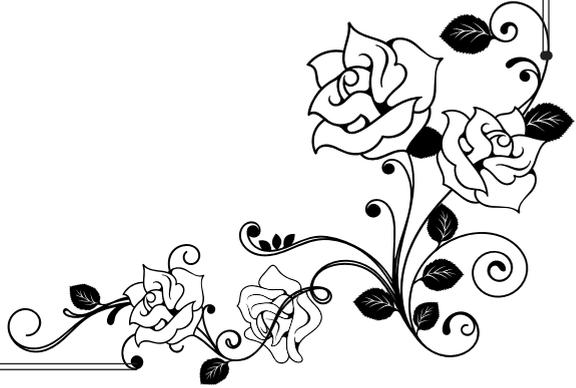
- ٥٥ - مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب، ٢٠٠٤
- ٥٦ - مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق محمد قابيل، القاهرة، المكتبة التوفيقية
- ٥٧ - مقاربات في فقه اللغة العربية، خالد نعيم الشناوي، لندن، دار السياح، ٢٠١٢
- ٥٨ - المقتضب، المبرد، تحقيق حسن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩
- ٥٩ - المقدمة الجزولية، الجزولي، تحقيق شعبان عبد الوهاب، مكة المكرمة، أم القرى
- ٦٠ - المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، أحمد المتوكل، الربط، دار الأمان، ٢٠٠٦
- ٦١ - النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٦
- ٦٢ - نحو النص، عثمان أبو زنيد، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩
- ٦٣ - النظرية البراغماتية اللسانية، محمود عكاشة، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٣
- ٦٤ - نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، رايص نور الدين، فاس، مطبعة سايس، ٢٠٠٧
- ٦٥ - الوظيفة بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، الرباط، دار الأمان، ٢٠٠٣
- ٦٦ - ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، تحقيق جمال الحسيني، قم، دار الأسوة، ١٤٢٢

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمته الله)

دراسة في هدي التحليل النقدي للخطاب

الدكتور خالد حويّر الشمس

كلية الآداب / جامعة ذي قار





## ديباجة البحث:

اللهم انا نحمد، ونستعين بك، ونتوب اليك من كل ذنب عظيم، ونصلي،  
ونسلم على محمد المصطفى افضل الصلاة والتسليم، وعلى آله وصحبه الغر الميامين.  
وبعد

فهذا بحث تطبيقي على عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك بن حارث الأشتر  
رضي الله عنه على وفق مقولات المنهج النقدي لتحليل الخطاب، ذاك المنهج الذي  
انماز بميزات عد؛ إذ إنه جمع بين الاستعانة بالنظام اللغوي، وبين الاستعانة بالنظام  
الاجتماعي، ومدى الممازجة بينهما، وأحيانا ينتقل صوب ضروب من الخطاب آخر،  
مثل الخطاب السياسي، والخطاب الاقتصادي في ضوء توظيفهما في رفق الحركة  
الاجتماعية التي يسعى الى كشف زيغ الخطاب التسويقي، أو العيوب المخفية فيه،  
تلك العيوب التي مررت عبر الأنساق اللغوية، ولا يخفى أن العهد العلوي ثري بنقد  
الإمام (عليه السلام) للخطاب الاجتماعي، ومدى رغبته في خلق قائد مثال منطلق  
من هوية الإسلام، وعالميته، ورؤاه التي تعد سبيل ازدها، وتحقيق لتلك السعادة التي  
تنشدها شعوب العالم جميعها.

جاءت أهمية هذا البحث من عوامل عدة، أهمها حادثة هذا المنهج في المنهج اللساني  
الحديث اذ انه من اخر منتجات المناهج اللسانية اذ ولد في تسعينيات القرن العشرين.  
وكذلك غنى العهد العلوي بمفاصل الخطاب الاجتماعي، فضلا عن معالجة الإمام  
(عليه السلام) لمناطق الخلل عند القائد السابق على مالك الاشر، ومن ثم يكون  
العهد العلوي بيئة رحبة لهذا المنهج، وجاءت الخطة على أربعة محاور.

بين الأول المقولات التأسيسية للمنهج على يد نورمان فاكلوف، وفان دايك،

وروث فوداك، وميشيل فوكو، وغيرهم، من جهة المفهوم، والميزات، والمكونات، وطبيعة تناوله للنص.

ثم سلط المحور الثاني الضوء على ضروب الخطاب، أو كما سماها فوكو جدائل الخطاب المتضافرة في العهد وهي الخطاب الاجتماعي، والسياسي، والإداري، والاقتصادي، والقانوني، وأحيانا تمازجها، وتداخلها، ولاشك أنها تصب كلها في ساقية التنظيم الاجتماعي للدولة.

وتحرى المحور الثالث انماط المعنى في الخطاب وهي ما يقارب وظائف الخطاب في البحث اللساني فكانت باصطلاح المنهج الفعال، والتمثيل، وتحديد الهوية.

ثم المحور الرابع سجل التكوين اللساني في العهد، فجاء بأربع جزئيات وهي التركيب النحوي، والعلاقات الدلالية، وحجاجية الطرح، وتداوليته على وفق الأفعال الكلامية.

وآخر دعوانا اللهم إنا نرغب إليك بدولة كريمة كما نرغب بها الإمام علي (عليه السلام).

### المحور الأول: أساسيات المنهج النقدي لتحليل الخطاب

مر البحث الألسني قبل سوسير بمراحل ثلاث، الأولى: مرحلة التقعيد علبى الأساس المعياري، ثم المرحلة الفيلولوجية بتتبع تاريخ الأدب، والعادات، والنظم الاجتماعية، وقد كانت هذه المرحلة مهادا لعلم اللغة التاريخي، ثم المرحلة الثالثة ظهور المقارنة على أساس إبداء التشابهات، والاختلافات في الظاهرة اللسانية<sup>(١)</sup>، وهنا يرى سوسير قصور التعاطي اللغوي، فيرشح دراسة اللغة بنيويا على وفق المعطيات اللسانية في التركيب، فناقشها صوتيا، وصرفيا،

ونحويا، وداليا مبديا ما سماه بالوصفية على وفق ارتباط علم اللغة بالعلوم الأخر، نحو: علم النفس، وعلم الاجتماع، وغيرهما بعيدا عن المفهوم الصرف لتلك العلوم<sup>(٢)</sup>. ثم نضج هذه الزاوية البنائية بلومفيلد الذي حلل الكلام بناء على الموقع، والتوزيع، وصولا إلى رؤية جومسكي القائمة على دراسة التوليد والتحويل في الجمل، وفهمها وتفسيرها، وتحليل تراكييها استنادا إلى الحدس الذي يملكه المتكلم، ومعرفته الضمنية بالقواعد<sup>(٣)</sup>، ثم انفتحت البوتقة اللسانية على الجنبه الوظيفية في اللغة، فأصبح السياق عاملا رئيسا في فهم التركيب وهنا توالى المناهج الوظيفية بنظريات عدة، فكان الأبرز فيها المنهج التداولي بمقولاته الكثيرة، بناء على دراسة التركيب في ضوء مثلث موريس المكون من النحو، والدلالة، والتداولية التي درست النص في ضوء أفعال الكلام، ومبادئ التعاون، والمعنى الحرفي والمضمر، ثم يتزامن مع النظر التداولي لسانيات الحجاج أي دراسة الحجاج التي تصنع الإقناع.

في خضم ذلك البحث الجملي أحس الدارسون بقصور النتائج التي تظهر من البحث الوصفي أو البنيوي، فتغيرت بوصلة البحث إلى النظر النصي بناء على دراسة الجمل المتعددة فيه، والعزوف عن دراسة التجزيء فيه، وهنا ما يسمى لسانيات النص القائمة على السبر النحوي، والدلالي، والتداولي في جزء منه وهو أفعال الكلام حصرا، أضيف إلى لسانيات النص منهج تحليل الخطاب الذي ينطلق من التفريق بين النص والخطاب لدى فوكو مثلا، الذي يدل مفهوم الخطاب عنده على المجالات المحركة للنص والصناعة له، فقد تكون مثلا المجال السياسي، والمجال الاقتصادي، والمجال الاجتماعي، والمجال العلمي، والمجال الأدبي، وحينها يتولد ما يسمى الخطاب السياسي، والخطاب

الاقتصادي، والخطاب الاجتماعي، والخطاب العلمي، والخطاب الأدبي وهكذا تقوم هذه الخطابات على النسق المضمّر فيها عبر التنسيقات اللسانية المحملة بالمقاصد، مع الإلماع لعدم التقيد ببعض المقولات التي وردت في تلك المناهج السابقة عليه، فقد يستعين باللغة، وبالسياق، وبالنيوية، وبالوظيفية وغير ذلك. ونظرا لأن هذا المنهج يتسم بالشمول والاتساع في فهم الظاهرة النصية، ونظرا لشيوع ثقافة الهيمنة، والتسلط، وارتكاز سياسة العالم على الأدلجات التي ترى خلق المركزية في صياغة الخطاب وفي معالجة الوضع السياسي الراهن، وتمير الأنساق على الذهن الاجتماعي في العالم ولد ما يسمى منهج التحليل النقدي للخطاب، الذي يقوم على تتبع اللساني في المجال السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي؛ بهدف معالجة الأخطاء الراهنة، مثل الظلم، وعدم المساواة، ومصادرة الحرية<sup>(٤)</sup>، وهنا يفيد من أطروحات اللسانيين كافة في محاورهم اللغوية، مع وجود العيوب الخطابية، ومحاولة التغطية عليها، ثم انطلاقه من أطروحات ميشيل فوكو في مجالي الأدلجة في الخطاب والسلطة فيه. ثم إعادة النظر في مفهوم اللغة، والخطاب، فتكون اللغة فيه ممارسة اجتماعية، ويكون الخطاب: استعمال اللغة المقرّوة والمكتوبة في ضوء الممارسة الاجتماعية<sup>(٥)</sup>، يضاف إليه البعد العلاماتي الذي يرتبط بالمجتمع ارتباطا جدليا، ومن ثمّ يشتغل عليه تحليل الخطاب والتحليل النقدي للخطاب<sup>(٦)</sup>.

ومن هذه الخطوة التمهيدية البسيطة المتعلقة بنشأة اللسانيات والنظريات اللسانية ينبغي طرح السؤال المهم هل يتيمان منهج تحليل الخطاب، والمنهج النقدي لتحليل الخطاب إلى تلك المناهج اللسانية؟ لاشك في ذلك كونه يشتغل على النص بلحاظ ما يتفوه به اللسان بغض النظر عن استراتيجياته اللسانية أو

التواصلية، وسنكون معنيين ببيان مفهوم المنهج النقدي لتحليل الخطاب عبر الأساسيات فيه، وإجلاء مقولاته الرئيسة.

قبل ذكر المفهوم له يجبذ ترشيح واحد من التوصيفات التي أطلقت على ذلك المدلول، فقد وصفوه بأنه برنامج، ونظرية، ومذهب، ومدرسة، وتيار، وممارسة، وظاهرة.

ومع وجود التقاربات بين هذه المفاهيم وبين طبيعة الأداء، والسيرورة في هذا الطرح النصي الجديد القائم على النقد، والتحليل، والألسنيات، إلا أن (مدرسة) أقرب إلى الاختيار وذلك بسبب أن رواده قد اجتمعوا، وأسسوا منطلقاته في الغرب، وهذا ما لا يتوفر في غالب الطرح الألسني السابق عليه؛ لذا يفضل روث فوداك اختيار (مدرسة) وأحياناً يستبدله ب(برنامج) إلا أن غلبة الجنبه المدرسية والأكاديمية فيه جعلته يختار توصيف مدرسة<sup>(٧)</sup>. وقد جمع لنا فوداك مجموعة أبحاث عن فان دايك، وفاكلوف، وفوكو، وأطلق عليها (مناهج التحليل النقدي للخطاب) وكما يبدو من عنوان الكتاب أنه وصف بالمنهج.

وعلى الرغم من الاستقرار الذي ينعم به هذا المنهج، وتحديد التاريخ المضبوط لنشأته، إلا أن ذلك لا يشفع له من تعدد مصطلحاته، فقد توافرت عليه مصطلحات ومنها: اللغويات النقدية، الدراسات النقدية للخطاب، التحليل النقدي للخطاب، ويبدو أن فان دايك يختار التسمية الثانية، والسبب في هذا الاختيار أن هذه التسمية تشعرك بالنقد وبالتحليل، وتجنبك سوء الفهم المنتشر بأن المقاربة النقدية هي منهج لتحليل الخطاب، بل هو يؤكد التحليل النقدي الاجتماعي<sup>(٨)</sup> وورث فوداك يختار التسمية الثالثة؛ كونها الأكثر انتشاراً

وتفضيلاً في البيئة المعرفية<sup>(٩)</sup>.

قيل في تعريفه: ((باختصار يمكن تعريف التحليل النقدي للخطاب على أنه ما يهتم أساساً بتحليل العلاقات البنائية الغامضة، والجلية المهيمنة، والتميز، والسلطة، والتحكم، كما تتجلى في اللغة، وبعبارة أخرى، يهدف التحليل النقدي للخطاب إلى فحص عدم المساواة الاجتماعية التي تم التعبير عنها، وتشكيلها، وإضفاء الشرعية عليها من خلال استخدام اللغة (أو في الخطاب))<sup>(١٠)</sup>.

وإذا أُريد التحدث عن طبيعة هذا المنهج، فستختصر بمحورين. الأول: يتمثل باتسامه بالسعة، والشمول، والتنوع، والانفتاح على المعطيات اللسانية بتعدد سيروراتها، وكيوناتها، ناهيك عن الخارج لساني المتمثل بتداخل العلوم مع اللسانيات أي الفلسفة والاجتماع، وعلم النفس، وغيرها من المعارف فقيل في هذا الصدد: ((وتعتمد الجذور المتعددة للتحليل النقدي للخطاب على البلاغة، واللغويات النصية، والانثربولوجيا، والفلسفة، وعلم النفس الاجتماعي، والعلوم المعرفية، والدراسات الأدبية، واللغويات الاجتماعية، وكذلك اللغويات التطبيقية والتداولية))<sup>(١١)</sup>، توظف تلك الإجراءات في ضوء المعطى الاجتماعي، وهذا المد النوعي والكمي في التناول - في نظر بعضهم - يربك هذا التوجه الألسني الحديث، ويفقده المنهجية الصارمة، حتى نعت بفقدان المنهج ((إن الدراسات النقدية للخطاب ليست منهجاً، ولكنها بالأحرى (منظور) نقدي أو (وضع) أو (موقف) في إطار نظام بيني لدراسات الخطاب...))<sup>(١٢)</sup>.

ويمكن النظر إلى العكس من ذلك، أي التدقيق من زاوية أخرى لذلك النوع، فيكون عدم إغراء المناهج السابقة لمنظور التحليل النقدي في اعتماد أحدها لا يعني الإرباك، والاضطراب فيه، بل عهد على خطواته التباين في المنهجيات، والاختلاف

في الرؤى لتحدي الخطاب المؤدج، والمتسم بالعالمية الذي يمرر غاياته عبر الانساق الدلالية، والاستعارية، والنحوية. وهذا بدوره يشكل عامل ثراء له، ومراكز قوة كونه يشرك اللساني وغير اللساني، أي ينطلق من اللغة، ومن العلوم الأخر في رصد الظاهرة الاجتماعية، والتمعن فيها من زواياها كافة.

وإذا حاولت تتبع النشأة التاريخية لهذا المنهج يصادفنا قول نورمان فاكولوف راجعاً به إلى التأثير بفلسفة ميشيل فوكو بقوله: ((وغالباً ما يكون تحليل الخطاب في العلوم الاجتماعية متأثراً جداً بكتابات فوكو))<sup>(١٣)</sup>، ويعد فان دايك أول من دشن هذا المنهج بحسب قول فوداك: ((وقد كانت لحظة تدشين التحليل النقدي للخطاب هو الاستهلال الذي قدمه فان دايك في جريدة Discourse and Society ١٩٩٠، وكذلك بتلك الكتب المتعددة التي تم نشرها بالمصادفة في وقت واحد، وأدت إلى إيجاد أهداف ماثلة للبحث))<sup>(١٤)</sup>.

وقد اختلفت نشأة المناهج الألسنية بتقدم المعرفة في العصر الحديث؛ إذ غلب الطابع المؤسساتي على نشأتها كما الحال في اجتماع علماء هذا المنهج في امستردام في ندوة صغيرة في يناير ١٩٩١، وبدعم من جامعة امستردام بحضور فان دايك، وفاكولوف، وجنشير كرسي، وثيوفان ليفن، وروث فوداك<sup>(١٥)</sup>.

ومن أهم صفات هذا المنهج هي التحليل، والنقد، والاشتغال على بوصلة الخطاب العالمي، والانطلاق اللغوي، والبحث عن المهيمنات في الخطاب (السلطة). أي تحليل المشكلات الاجتماعية الخطيرة، ومحاولة طرح الحلول البديلة لتلك المشكلات التي يتولد من جرائمها الظلم الخطابي، وتبعاته<sup>(١٦)</sup>.

وقد يحمل مفهوم النقد مفهوماً مغايراً للنقد الأدبي، أي نقد الظاهرة الخطابية، وتحري خطابها، وهنا يكون غير نقد النص عبر معايير الجمال ومقومات النص التي

تعورف عليها في المنظومة النقدية الحديثة أو القديمة.

ويتحاشى النقد الاجتماعي الخطاب المحلي قدر الإمكان، وينطلق من المسلمات، والمشاركات في الخطاب، تلك المشاركات التي تسعى إلى الهيمنة على العالم عبر المنطلقات اللغوية، وتزويقها باستعارات، ومجازات، واختيارات لغوية، إن استبدلت لا يتوفر معها المعنى المطلوب، المعنى الذي يسعى إلى ((استعمال السلطة من قبل جماعة ما ضد جماعات أخرى، وكيف أن المجموعات المهيمن عليها يمكن أن تقاوم هذا التعسف بشكل خطابي))<sup>(١٧)</sup>.

والذي يلفت النظر أن الهدف من هذا المنهج يفصح به عنوانه ((اخيرا وليس آخرا يهدف التحليل النقدي للخطاب على نحو ما يتفق مع اسمه إلى مساءلة الخطابات وإخضاعها للنقد))<sup>(١٨)</sup>، أي فك كتلة الخطاب، وتشخيص ما قيل وما يمكن أن يقال في مجتمع بعينه، وكشف الإرساليات اللغوية التي ترسخ ذلك الخطاب، وتعرية التناقضات التي يتسم بها ذلك الخطاب<sup>(١٩)</sup>، و((صياغة المعايير التي تعرف الظلم الخطابي، والمساعدة في تجنب هذا الظلم، وتهدف الدراسات النقدية للخطاب إلى تعرية هذا الظلم وتساهم في القضاء عليه))<sup>(٢٠)</sup>.

وقد تعدد المؤسسون لهذا المنهج، وهذا التعدد يقود إلى طرح السؤال المهم: هل اتفق أم اختلف هؤلاء المؤسسين في تفصيلهم النقدي للخطاب؟

وقد جاءت جهودهم على شكل نظريات تلتقي في بعض مفاصلها لاسيما اللغة، وتفترق في مفاصل أخرى، وسيوضح من تلخيص تلك النظريات تحقيقات ثنائية الالتقاء والافتراق.

فهناك نظرية فوكو في التحليل النقدي للخطاب تركز على المعرفة، والسلطة في تحري الخطاب الاجتماعي. أي دراسة علاقة الخطاب بالواقع، وتعيين سلطة الخطاب،

والجدائل المتضافرة في ذلك الخطاب أي الموضوعات المحمولة فيه<sup>(٢١)</sup>.

ثم نظرية فان دايك التي تقوم على المعرفة الاجتماعية التي توضع في نطاق البعد النفسي والاجتماعي في التحليل، ثم تحليل البنى الكبرى، والمعاني الجزئية والداخلية، والتركيبات الشكلية غير المباشرة، والصيغ والبنىات، ثم الجزئيات البلاغية كل ذلك في نظومة السياق، منطلقا من المثلث المهم: الخطاب، والإدراك، والمجتمع.

ونظرية الفواعل الاجتماعية لمالينوفسكي وبارسنز أي أثر الحدث في تأسيس الهيكل الاجتماعي.

ونظرية فاكلوف التي تنطلق من المقاربة الجلية-العلائقية: توضيح المظاهر اللغوية في الخطاب بناء على الصراع الاجتماعي الذي تحمل كل ممارسة فيه عنصرا سيميائيا محددًا، في ضوء التوجه البراكمتي، الساعي إلى حل المشكلات، بعد التعريف بالمشكلة الاجتماعية، التي يجب وصفها وتحليلها، ثم التركيز على الاختيارات اللسانية، والتراكيب من لدن الفاعلين في زمن معين.

وهناك نظرية ريزيجل وفوداك التي ترى أثر المدونة اللغوية في صياغة الخطاب وتحليله، ونقده<sup>(٢٢)</sup>.

فمن هذا الإيجاز المخل في عرض النظريات والعجالة يتضح أنها تعمل كلها في ضوء الاشتغال اللساني، والوازع الاجتماعي في الخطاب، مع الاضافات المتنوعة من لدن بعض من العلماء كأن يكون الجانب النفسي، أو الجانب المعرفي التاريخي لدى فوكو، والنظر الحفري الجينالوجي في الظاهرة.

وقد درج العاملون على هذا المنهج، أو المؤسسون له أوليات تعد نقاط انطلاق فيه<sup>(٢٣)</sup>:

١. فهم التأثير الاقتصادي على المجتمع.

٢. كيفية تجاوز الرؤى المركزية الأوروبية، والسياق الثقافي الغربي.
  ٣. تحليل وتفسير الظواهر الجديدة في النظم الغربية السياسية.
  ٤. تحليل، وتفسير تأثير وسائل الإعلام الجديدة.
  ٥. تحليل العمليات التاريخية وسياقات الهويّة.
- وثمة أبعاد مركزية فيه<sup>(٢٤)</sup>:

١. التركيز على الاستعمال اللغوي.
  ٢. التركيز على النص او الخطاب بدلا من الجمل المنفصلة.
  ٣. التوسع في اللغويات إلى ما وراء نحو الجملة في اتجاه الفعل ورد الفعل.
  ٤. التعويل على الجوانب السيميائية لقياس التفاعل والاتصال.
  ٥. التركيز على الاستراتيجيات والتحركات الديناميكية، والاجتماعية، والمعرفية.
  ٦. دراسة سياقات الاستعمال اللغوي.
  ٧. تحليل عدد غير محدد من ظواهر نحو النص: الحبك، الإحالة، الموضوعات، البنى الكبرى، أفعال الكلام.
- ثم يأتي الدور للحديث عن المقولات الأساسية في هذا المنهج، اذكرها منتخبا اياها من كتابات المؤسسين وهم فوكو، وفان دايك، وفاكلوف.

١. اللغة: يفتح الحضور اللغوي في المنهج النقدي لتحليل الخطاب على مؤشرات كثيرة ((المجاز، والمفردات، وأنواع الحجاج... المعاني الضمنية، والتلميحات غير المباشرة،... الإحالات... النبر والتنغيم... ترتيب الكلمات، الأسلوب الخاص بالمفردات، الحبك... أفعال الكلام... الصور البلاغية، البنى التركيبية... التركيبات القضوية...))<sup>(٢٥)</sup>. ويلحظ على الجنبه اللغوية

انفتاح بوتقتها على علوم البلاغة، والنحو، والصوت، والمعجم، والتداولية، والحجاج، وغير ذلك. وما هو جدير بالذكر أن العطاء اللغوي لم ينحصر في زاوية محددة من زوايا المنهج، بل يتكرر حضورها في أساسيات عدة منه، فقد يكون حضورها في الضروب الاجتماعية وعلاقتها بها، وقد يكون في انماط الخطاب، وقد يكون في مبحث الصياغات التعبيرية، والاساليب وهكذا...

٢. التأويل: تقتضي صناعة النص الاجتماعي المؤهل للتحليل والنقد الاجتماعي أن تحضر رهانات التأويل فيه؛ لأن النصوص التي يشتغل عليها لم تتسم بالصرامة، وإنما تتسم بالمنزع الاحتمالي؛ لذا ((يضع التحليل النقدي للخطاب منهجيته على النمط التأويلي (التفسيري) أكثر من النمط التحليلي الاستنتاجي))<sup>(٢٦)</sup>.

٣. الايديولوجيا: أي الجانب الأحادي في الرؤية للعالم، وتعد المحرك الأساسي للخطاب، وهي المقولة الأهم في هذا المنهج؛ إذ العلاقة بينهما متبادلة كلاهما يصنع بعض: ((إن النتائج الايديولوجية هي أحد أنواع النتائج التي تسببها النصوص، والتي تحظى باهتمام التحليل النقدي للخطاب: تأثير النصوص في تثبيت الايديولوجيات أو دعمها أو تغييرها)).

٤. السلطة: وتبنى على المقولة السابقة ((والسلطة تشير إلى العلاقة غير المتكافئة بين الفاعلين الاجتماعيين الذين يتولون وظائف اجتماعية مختلفة، أو ينتمون لمجموعات اجتماعية متباينة))<sup>(٢٧)</sup>.

٥. النقد: ويقوم مفهوم النقد على التشخيص الاجتماعي، ونقد القيم الاجتماعية المنزوية في الخطاب عن طريق النسق اللغوي، بعيداً عن التقليدية في دراسة النقد<sup>(٢٨)</sup>، وهنا يهدف إلى دراسة التجاوزات، والتناقضات الذاتية المنتشرة في

الهيكل التركيبية للنص أو للخطاب<sup>(٢٩)</sup>.

٦. الخطاب: وينظر إلى الخطاب على أنه الذاكرة الاجتماعية عبر اللغة، المرئية أو المسموعة<sup>(٣٠)</sup>، وامكانية تحليله على وفق التجزئة للمكوناته.

٧. السياق: قد يتسع مفهوم السياق في هذا المنهج فيكون فضلا عن الظروف المصاحبة للنص هنالك التمثيل العقلي. وهذا ما يتضح في قول فان دايك: ((ويجب التأكيد على أن السياق كما أعرفه ليس فقط نوعا ما من البيئة أو الموقف أو الهيكل الاجتماعي، مثل المتغيرات الاجتماعية للجنس أو العمر أو العنصر في اللغويات الاجتماعية الكلاسيكية. ولكن السياق هو تمثيل عقلي ذاتي، ونموذج آني فعال للمشاركة حول الصفات النسبية بالنسبة لهم الآن للموقف الاتصالي، وأنا أسمى هذا التمثيل (نموذج السياق) وهو هذا التعريف العقلي للموقف الذي يتحكم في التكليف الكافي لإنتاج الخطاب وفهمه في بيئته الاجتماعية))<sup>(٣١)</sup>.

### المحور الثاني: ضروب الخطاب

ونعني بها العوامل التي تصنع النص، الذي حفل بتمثلات لها، بطرائق مختلفة، وهي المائز الأساس في الخطاب، وقد أرجعها فاكلوف إلى ميشيل فوكو وآرائه، وقد تنتمي إلى العالم العقلي الذي ينماز بأفكار، ومشاعر خاصة مستوحاة من معتقد ما، يقول في ذلك فاكلوف: ((أرى أن ضروب الخطاب طرق مختلفة في تمثيل العالم: السيوررات، والعلاقات، والبنى في العالم المحسوس، والعالم العقلي الذي يحوي الأفكار، والمشاعر، والمعتقدات وما إلى ذلك، والعالم الاجتماعي))<sup>(٣٢)</sup>.

وهذه الضروب لها سمات تتصف بها، وهدف<sup>(٣٣)</sup>، فمن سمات هذه

الضروب وجود الصلة المتواشجة بين عوالمها ومواقع المنتج لها في نقاط محددة، ومنها الهويّة الاجتماعية، والشخصية، والعلاقات الاجتماعية بين الناس، فضلا عن أنها تخضع للتجربة الفردية، ومن ثم تتسم بالإسقاطية، وخياليّتها. ولا بد من أنها تتسم بال تكرار والجماعية، أي أن الناس يشتركون بها بوصفها مسلما من مسلمات الحياة، شريطة التوصيف العالمي والابتعاد عن النطاق المحلي في التأسيس للتغيير، ذلك التغيير بوصفه هدفا لإنجاز العالم في اتجاهات معينة بحسب الفلسفة التي تنظم الخطاب ذي التمثلات النصية، والمشحون برؤى تسير العالم نحو بوصلة النجاح.

وبمفهوم بعيد عن طرح المنهج النقدي لتحليل الخطاب يقترب معنى الضرب من الصنف، والمجال؛ ولأن المنهج يعطي الصنف فهما خاصا متصلا بطريقة طرح النص كأن يكون تقريرا أو محادثة، أو سردا أو غير ذلك رغبت عن تسمية الصنف، وكذلك المجال فإنه مما يجعلنا أن نتمسك بمقولات تحليل الخطاب، حاولت أن التزم مفهوم الضرب، وهو مما يدل على الحقل الذي يولّد النص، وقد يكون هذا الحقل: السياسة، أو الاقتصاد، أو الإدارة، أو الجنبّة العسكري، أو القانون في العهد العلوي لملك الأشتر، ثم بحث النسيج النصي بين أوتار الضرب الواحد، ثم بين الضروب نفسها أو فنقل العناية بتداخلها. جاءت تلك الضروب الخطابية ممتزجة في نوع محدد من أنواع الخطاب وهو الرسالة التي أرسلها الإمام علي (عليه السلام) إلى وليه وحاكم مصر مالك بن حارث الأشتر.

جاءت تلك الضروب موزعة على طول مساحة العهد العلوي، مبتعدة عن الترتيب، أي ما يخص الضرب السياسي قد يكون جزء منه في بداية العهد

ثم يقاطعه الضرب الاقتصادي مثلاً، فيأتي بعده السياسي وهكذا... تتضح تلك الضروب في العهد بصورتين الأولى يمكن تسميتها بالصورة الإجمالية، والأخرى بالصورة التفصيلية. فقد أجمل الإمام (عليه السلام) تلك الضروب في استهلاله للعهد بقوله: ((هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها))<sup>(٣٤)</sup>.

فتتضح الجنبه الاقتصادية في الفقرة الأولى (جباية الخراج) أي الوظائف المالية، والجنبه السياسية في الفقرة الثانية (جهاد عدوها) عن طريق التعامل مع الدول، وصناعة العلاقات، والجنبه القانونية، والجنبه الاجتماعية في الفقرة الثالثة (استصلاح أهلها)، والجنبه القانونية عن طريق اتخاذ القانون بوصفه منظماً يصلح سيرة الناس، فضلاً عن خلق التماسك الاجتماعي عن طريق الإصلاح بين الأهل والطبقات، والجنبه الإدارية في الفقرة الأخيرة (وعمارة بلادها) عبر اختيار المستشارين، والموظفين.

ثم جاء الحديث بالتفصيل عن التفكير بتلك المجالات، تفكير يسير في عامل الأدلجة التي ترى في الإسلام مساراً لها - إن صح أن نسمي الخط الإسلامي أدلجة - أي عبر الذوبان فيه، وتطبيق رؤاه، بحسب الخط القرآني الذي ينسجم مع الإصلاح الاجتماعي المنطلق من الإصلاح النفسي أو الإصلاح الفردي.

ويمكن تقسيم الضرب السياسي في العهد على نمطين. الأول السياسة الداخلية، والآخر السياسة الخارجية. وقبل أن يبدأ بالسياسة الداخلية يعرض لمؤهلات الحاكم الذاتية على مستوى صناعة الفرد، أو الذات، التي تراعي الآخر بعد أن تتسم بالانشرح الديني؛ لذا تجدد علياً (عليه السلام) أول ما يطلبه من

الحاكم بوصفه سياسيا لبلده تحقيق التقوى في داخله، والعمل بكتاب الله ((أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها واضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه: فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره، واعزاز من أعزه))<sup>(٣٥)</sup>.

فقد يكون هذا السلوك الشخصي للحاكم تأسيسا لنفس نقدي ينطلق من تشخيص عيوب الحاكم بصورة عامة لاسيما غير المتحلي بالهوية الإسلامية، وكذلك تأسيسا لرقابة جماهيرية على الحاكم وهذا ما يميزه الإمام (عليه السلام) بقوله: ((وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده))<sup>(٣٦)</sup>.

ثم يساق الضرب السياسي الداخلي في فقرة لاحقة ومتسلسلة مع المفصلين السابقين بقضية التعامل مع الرعية، والانفتاح على الآخر من لدن الحاكم انطلاقا من التداخل القرآني الذي سنأتي عليه لاحقا أي عن طريق الرقة بالتعامل، وممارسة العفو، والصفح، وتذكر فوقية الله تعالى: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا، تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يُعطيك الله من عفوه وصفحه...))<sup>(٣٧)</sup>. وهذه من أهم المفاهيم المنضوية في الالتماس النقدي للخطاب السياسي في زمن طغى فيه عدم الصفح، وعدم العفو، وعدم التسامح أو الغفران لزلل الرعية، وهذا معول

من معاول تحطيم النسق الظلامي الممارس من لدن الطبقات السياسية الحاكمة. جرى هذا التحليل من الباحث في ضوء فهم السياسة على أنها ليس فن الخديعة أو المكر، بل تعني ساسة أمور البلاد، والعباد في ضوء المنهاج الإسلامي، وعلى هذا الأساس يعرض الإمام (عليه السلام) سياسة الحاكم تجاه رعيته من جهة اللقاء بهم، والسماع لحاجاتهم، والانتصار للضعيف فيهم، أو تمشية أمور العمل بأوقاتها، مبديا ذلك بأسلوب الأمر ((واجعل لذوي الحاجات منك قسما تُفَرِّغُ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتَقَعِدُ عنهم جندك وأعوانك... وأمضِ لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه))<sup>(٣٨)</sup>.

فضلا عن هذه السياسة الداخلية يرسم لنا الإمام (عليه السلام) السياسة الخارجية للحاكم، والتأكيد على منزع واحد يقوم على ترك العداوة، والبغضاء، واللجوء إلى الصلح مع العدو، وهنا يتحقق عامل الصداقة، وتتحقق معه المكاسب الأخر التي تنفع الدولة، وتسعى إلى تقدمها، وتحقيق مصالحها لاسيما عدم بذل المجهود الحربي من لدن الجند، وعدم هتك الأموال التي تبذخ بالحرب، فيوجه الحاكم ناهيا إياه من عدم قبول الصلح إن توفر، وفي الوقت نفسه يحذر من الغدر، والمباغثة من لدن العدو، وينبه بخديعة الأعداء، ومما بلغ حد التحذير هنا، أن قلب الموازين الاجتماعية التي يراها الإسلام الذي يوجه بحسن الظن تجاه الأمة، أو الفرد، أما هنا فلا يشتغل حسن الظن مع العدو ((ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك، والله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمنا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن))<sup>(٣٩)</sup>.

ومن آخر القوالب السياسية التي تنضوي في مفصل السياسة الخارجية للحاكم

في بلده قلب التحذير من إراقة الدماء مع العدو؛ لأنه يعود بالضرر على مسيبيه، وينزل النعمة عليه، ويزيل النعمة: ((إياك والدماء، وسفكها بغير حلها؛ فإنه ليس شيء أدنى لنعمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أخرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها،.... ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة، لأن فيه قود البدن...))<sup>(٤٠)</sup>

وبمراجعة بسيطة للإسهام السياسي في العهد العلوي بنوعيه الداخلي والخارجي يتضح مدى إثبات الهوية الإسلامية في الفن السياسي، وأولى مصاديق ذلك تحقيق الهوية الإلهية عبر إيكال الأمر إليه، فهو الناصر لعباده المخلصين، والمتوكلين، وكذلك هوية الشعب المحكوم في سياقه التاريخي من لدن حكومات سابقة، وتجربة قد تكون مغايرة لتجربة النظام الإسلامي، فما ينبغي إلا ممارسة الحكم ذي الهوية الإسلامية القائم على العمل الصالح.

وقد يدعوه السياق التوجيهي أن يفصح عن طبيعة المكونات للشعب المصري، وكما يتضح من المسكوت عنه أنه مزيج من ألوان عدة، فجاءت الوصية لخط العلاقة بين القائد والمقوود على أساس التراحم، والايقان بأن الشعب المصري - إذا خصصنا العهد فيه بعيداً عن الرسالة العالمية مع أنع مستحيل هذا - أفراده أما أخ لك أو نظير لك في الخلق. ويؤكد على هوية الحاكم القائمة على التواضع لله، المتذكرة له، وغير المتجبرة.

وما يهم في العهد العلوي حديثه عن الضرب الاجتماعي السائر في ضوء سياسة العدل ((في الفكر وفي السلوك، متكاملة الجذور، والأغصان، والأزهار، والثمار، في جدلية النمو الدائم))<sup>(٤١)</sup> لمنهاجه (عليه السلام)، بوصفها - أي العدالة - باعثاً على خطوط متوازية تسعى إلى تحقيق المبتغى الإلهي الذي يتسم بالعمومية والكلية في

العدل بعيدا الفردية كما يرى عزيز السيد جاسم ((وما من فائدة في العدل الفردي، فيما إذا كانت شروط العدل الاجتماعي معدومة؛ لأن العدل الفردي يخص فردا بعينه...))<sup>(٤٢)</sup>.

ولا نكاد نبدأ بالضرب الاجتماعي إلا والأمر بالإنصاف والعدالة أول ما يبدأ به بقوله: ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك))<sup>(٤٣)</sup>.

وفي سياق التأكيد على الهوية الإسلامية في إقرار العدالة الاجتماعية بين العباد، وأفراد المجتمع، يحذر الإمام (عليه السلام) من العواقب المترتبة على ظلم العباد، وتلك العواقب ليست ردود افعال المجتمع وإنما ردة فعل ربانية تتمثل بالخصومة بين الله وبين الظالم ((ومن ظلم عبداً الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب))<sup>(٤٤)</sup>. والجزئية الأخيرة التي ذيل فيها قوله جعلها من حصة باب التوبة للحاكم الذي نظر سوءاً في رعيته.

ويحاول بطراز نقدي يُستنتج بالمسكوت عنه معالجة بعض العيوب من لدن الحكام، أهم تلك العيوب هي عدم القدرة على حل المشكلات الاجتماعية، والشهير بعيوب الناس، لاسيما المعارضين من العامة لسياسة حاكم ما مثلاً، فالحاكم أولى بلم الهوة الاجتماعية ((فإن في الناس عيوباً، الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك... فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك))<sup>(٤٥)</sup>.

ولكي يُكسب العلاقة بين الحاكم وشعبه المتانة حاول توجيه سهام النقد الاجتماعي إلى الساعين بالوشاية، وتحذير الحاكم منهم، كون تصديق وشايتهم، وحطهم للناس أدعى إلى الانهيار الاجتماعي، والعلاقة الاجتماعية بين الحاكم ومحكوميه: ((ولا

تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش، وإن تشبَّه بالناصحين))<sup>(٤٦)</sup>.

وأناط بالحاكم مسؤولية تفهم الأعراف، والسُّنن السابقة في المجتمع، وإجماعه عليها رغبة بصناعة التماسك الاجتماعي والمجتمع المستقر البعيد عن البدع، والابتكارات التي تثير القلق في اذهان الرعية ((ولا تَنْقُضُ سُنَّةَ صالِحَةٍ عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تُحْدِثُنَّ سنة تضر بشي من ماضي تلك السُّنن...))<sup>(٤٧)</sup>.

وفي الضرب الاجتماعي يذكّر الإمام (عليه السلام) بأنواع المجتمع المحكوم، ويصنّفه على طبقات، ويسن طريقة التعامل مع تلك الطبقات. فكانت طبقة الجند، والكتّاب، والقضاة، والعمال، وجباة الجزية، والتجار، والحرفيين، والطبقة السفلى ويضع خريطة التعامل مع تلك الطبقات المتنوعة: ((واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض))<sup>(٤٨)</sup>. أي قضية اصلاحها لا تنبني على أساس المنوال الواحد، بل على أساس الخصوصية ((ويركز علي بن ابي طالب على الوحدة والتنوع في التركيبة الاجتماعية للرعية، فهو يرفض عمومية التحدث عن وحدة الرعية... فهو يشخص ببعده نظر شديد طبيعة كل طبقة، وموقف السلطة الإسلامية منها، ملغيا النظرة العمومية السطحية))<sup>(٤٩)</sup>.

ويؤكد التلازمات بين هذه التنوعات المجتمعية، فبعد أن يعرض مهمة الجنود، والجبابة للخراج يركز على التلازمة مع القضاة ((ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب... ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار، وذوي الصناعات))<sup>(٥٠)</sup>.

وبولوج مسافة التأويل يتبين أن الأساس الانطولوجي لعرض فكرة الطبقات هو لإثبات هوية التعامل مع هذه الطبقات الواردة في المجتمع تعاملًا منبثقا من الإلزام

الإلهي لها، فجاء هذا الأفق في آخر المفصل الاجتماعي من العهد العلوي ((وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل))<sup>(٥١)</sup>. فجاء التصنيف الطبقي منبثقا من رؤية نقدية اجتماعية لمعالجة مساحة القصور الممتد من لدن الحاكم بصورة عامة في مدن الأمة، وبصورة خاصة في مصر، وما كان من النقد الاجتماعي إلا تمييز هذا من ذلك في صلاح الجمهور.

وشرح الإمام (عليه السلام) في الضرب الإداري طريقة اختيار المستشار ((ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور...))<sup>(٥٢)</sup>.

وبعد ديناميكية الاختيار التي تنعكس إيجابا وسلبا على إدارة الدولة، يضع منهاجا لاختيار الوزير، وطريقة تعامل للحاكم مع الوزير أو الوزراء الذين يصنفون ضمن بطانة السوء ((إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا، ومن شرّكهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأئمة، وإخوان الظلمة... ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمُرّ الحق لك... وألصق بأهل الورع والصدق، ثم رُضهم على ألا يُطروك ولا يُبجّحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهو، وتدني من العزة))<sup>(٥٣)</sup>. ثم يستمر بعرض كيفية إدارة الموظفين أو الوزراء باتباع سياسة التكريم أو التمييز بين الصالح والطالح منهم: ((ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك ترهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه))<sup>(٥٤)</sup>.

ثم يستمر الضرب الإداري بتحديد كيفية اختيار الموظفين للإدارة عن طريق التجربة وانجاز العمل: ((ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا، ولا تُؤلّمهم

محاباة وأثرة، فإنهما جماع من شُعِبَ الجور والخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة))<sup>(٥٥)</sup>.

ونتيجة لإنجاز الاختيار السليم للوزراء والموظفين سيجري العمل بأتم حال، وقد ركز على إنجاز الأعمال الإدارية كلا بوقته؛ لتمشية أمور البلاد ((ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كُتِّبْتُك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك. وامض لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه))<sup>(٥٦)</sup>.

وبسياسة النقد يوجه الحديث صوب أحد عيوب المدير وهي الاحتجاب عن الرعية، فجاء سياق النهي: ((أما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك؛ فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقله علم بالأمور.... ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع))<sup>(٥٧)</sup>.

يلحظ على الضرب الإداري ارتباطه بالضرب الاجتماعي؛ لأن العاملين على الإدارة جزء من المجتمع، وفي سياسته النقدية للاتجاه الإداري للبلاد يدحض الأشخاص المنتخبين للوزارة المصابين بأمراض المجتمع نحو البخل، والجبن؛ إذ توفرهما لا يحقق المسعى الإلهي وأداء الأمانة (الإدارة) تجاه المدارين عامة الشعب، وهنا تتلاشى الهوية الإسلامية ((فإن البخل، والجبن، والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله))<sup>(٥٨)</sup>. فضلا عن تقريب بطانة السوء فيه استنزاف لمبدأ الإحسان الذي تبحت عنه الهوية الإسلامية، وتدريب المسلمين عليه: ((ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة))<sup>(٥٩)</sup>.

وفي الضرب العسكري من خطابه في العهد تحرك على نوعين من

الاستراتيجيات العسكرية التي توصله إلى الانتصار على العدو وتحفظ ماء الأمة، يتعلق النوع الأول بالقائد، والثاني بطريقة تواصل الحاكم مع القائد، وهذان الخطان هما الضلعان المتوازيان أو اللذان يشكلان زاوية قائمة في تحقيق النصر المؤزر. فوضع سمات القائد العام التي تنتمي إلى جهة النصيحة لله ولرسوله، والأمانة، والحلم، والرأفة بالضعيف، وهذه تجليات الهوية الإسلامية: ((فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطن عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء))<sup>(٦٠)</sup>.

ثم ينتقل إلى توصيف العلاقة بين القيادات العسكرية بعد أن يحدد الأفضل منزلة بينهم عند الحاكم، فيقول: ((وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم، ويسع من وراءهم من خلف أهليهم، حتى يكون همهم همّاً واحداً في جهاد العدو))<sup>(٦١)</sup>. وبعد ذلك يأتي الحديث عن طبيعة العلاقة بين مالك بوصفه حاكماً وبين القائد بوصفه مرشحاً للقيادة العسكرية ويؤسس لسياسة الجزل عليه، والتعامل معه بعطف وحنو، وتشجيع، وثناء: ((فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك... فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعيد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع، وتحرض الناكل، إن شاء الله))<sup>(٦٢)</sup>.

كل تلك الخطوات في سياسة التعامل العسكري تعد بحثاً عن هوية النجاح في خلق جيش قوي يحفظ هيبة الدولة التي تأخذ بأسنة الرماح ضد الطامعين بالنيل من وجودها، أو ممن يسعون إلى استصغارها ممن تشبعوا بحب السلطة.

ثم يشرع العهد العلوي ببيان الضرب القانوني، وأثره في تمشية أمور الدولة على تنوع معيقاتها الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، ومدى

احتياج تلك القطاعات في الحياة إلى قانون، وسلطة، وقاضٍ يشرعون الأحكام، ويضعون حدوداً للجريمة، والتنكيل بالمشروع الإسلامي، فيبرز الخطاب القانوني بجزئيتين مهمتين هما اختيار القاضي، وكيفية التعامل معه.

وقد حدد صفات القاضي الذي يجب اختياره: ((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تُحجِّكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تُشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه))<sup>(٦٣)</sup>. ثم يوجه باتباع سياسة العطاء الكبير على القاضي حتى يتمكن من ردع نفسه عن الإغراءات المالية، فضلاً عن تقريبه من الحاكم: ((وافسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك))<sup>(٦٤)</sup>.

وتكتمل هذه الضروب الخطائية بالضرب الاقتصادي، اذ يعد العامل الاقتصادي المفصل المهم في مباحث التحليل النقدي للخطاب؛ لما له من أثر على المجتمع وتقدمه، وتأخره، لذا يعول عليه الإمام (عليه السلام) في العهد العلوي عبر الإحاطة بتعداد سلبيات، وإيجابيات طريقة جمع المال لخزينة الدولة، فكانت الطرق المعتمدة هي الخِراج، المبنية على عمارة الأرض، فهناك علاقة تلازم بينهما، متى ما صلحت الأرض، زاد الخِراج، ومتى ما ساءت الأرض قل الخِراج ((وتفقد أمر الخِراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخِراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخِراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخِراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك

العباد))<sup>(٦٥)</sup>، ويجمع عوامل التدهور الاقتصادي المرتكز على إصلاح الأرض، ومنها حدوث الامراض للزروع، أو انقطاع الماء، أو تكاثر المطر، وغرقها ((فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة، أو إحالة أرض اغتمرها غرق))<sup>(٦٦)</sup>، ومن تلك الأسباب التدهور والعوز الذي يمر به أهل الفلاحة ((وانما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها))<sup>(٦٧)</sup>، فيأمر الإمام بتخفيف الخراج، ومدخول الدولة متى ما حدث ذلك؛ إذ فعله مع توافر الأجواء السلبية، والمحصول القليل يسبب تدينا حياتيا، يقول توفيق الفكيكي: ((وصفوة القول فإن الخراج الثقيل يخرب البلاد، وينشر الفساد، ويعرقل الاقتصاد، وينفر العباد))<sup>(٦٨)</sup>.

وتحتم الظروف الاقتصادية أن يتم جمع المال لخزينة الدولة، وتمشية الأحوال المعيشية للرعية عن طريق مسلكي التجارة، والصناعة، والاهتمام بالتجار، والصناعات؛ لذا اقتضى الاهتمام بهم، وعمل الخير معهم: ((ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيرا: المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه...))<sup>(٦٩)</sup>.

وهناك مستوى من مستويات الخطاب الاقتصادي قائم على محاربة الامراض التي تحدث في المسار الاقتصادي لاسيما حدوث الاحتكار للبضائع والسلع، وضرورة التخلص منه ((واعلم - مع ذلك - أن في كثير منهم ضيقا فاحشا، وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع، وتحكما في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار...))<sup>(٧٠)</sup>.

والقدر الجامع بين هذه القطاعات الاقتصادية الثلاثة، الزراعة، والتجارة، والصناعة هي طبقة العمال، إذ يستوصيه بهم خيرا، ويشرح حالهم ((فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما

من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الإسلام))<sup>(٧١)</sup>.

ملازمة المرفق الاقتصادي في العهد العلوي نتيجة هوية الحاكم المثالي المتبع لهذا الضرب، تلك الهوية التي تنادي بشعار النجاح الاقتصادي عبر الملازمة بين الضرائب والإنتاج المحلي، ومحاربة الاحتكار، وعدم محاربتة يعد من عيوب ذلك الحاكم الفاقده هويته الاسلامية اذ يقول فيه الإمام ((وعيب على الولاية))<sup>(٧٢)</sup>. وكذلك عن طريق إنزال العقوبة بالمحتكرين ((فمن قارف حُكرة بعد نهيك إياه فنكّل به، وعاقبه في غير إصراف))<sup>(٧٣)</sup>. واللجوء إلى هذه الكيفية من الصرامة في تحقيق النمو الاقتصادي يعد ممارسة الانصاف للرعية لاسيما اليتيم وكبار السن ((وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له))<sup>(٧٤)</sup>.

ومطالعة العهد العلوي، والتحري عن الضروب الخطابية فيه لا تمل وليس بودك مفارقتة؛ والسبب في ذلك التمسك بالنظرية المتقنة التي ينطلق منها الخطاب العلوي في عهده؛ إذ تسير تلك الطبقات الواردة فيه في ضوء الحركة الاجتماعية، أي انعكاس تلك المسائل الجوهرية من تجارة، وصناعة، وإدارة، وسياسة على الوجهة الاجتماعية، فمتى ما صلحت الادارة والقضاء، والسياسة، والاقتصاد، صلح المجتمع الذي ينبغي الحفاظ على هويته الاسلامية المنطلقة من العدالة بوصفها مؤدجاً جوهرياً في الخطاب العلوي، وتحقيق الأبعاد العلمية؛ إذ الرقي الاجتماعي والسياسي لا يكون إلا بالتقدم العلمي، وكذلك الاقتصادي والصناعي، وهنا بحث عن دولة متقدمة نامية: ((وأما النظرية المالية والاقتصادية الحديثة فقد اعتبرت مؤازرة الصناعة والتجارة من أهم المرافق لإنماء الانتاج القومي))<sup>(٧٥)</sup>.

### المحور الثالث: أنماط المعاني النصية

يقترّب مفهوم (نمط المعنى) من مفهوم الوظيفة في اللغة، وتعدد النظر إلى وظائف اللغة في البحث اللساني، بين التعبيرية، والندائية، والمرجعية، والتنبيهية، والشعرية، وما وراء اللغة عند ياكوبسن<sup>(٧٦)</sup>، والنصية عند دي بوكراوند، والثقافية عند الغدامي، والإنجازية عند أوستين، والفكرية، والتبادلية عند هاليداي، ثم هنالك وظائف أحر تضاف من لدن فاكلوف في منهجه النقدي لتحليل الخطاب هي: طرق الفعل، وطرق التمثيل، وطرق الكينونة، إلا أنه يفضل أن يتحدث عن أنماط المعنى التي تقابل تلك الوظائف الثلاثة التي تقابل الوظائف اللغوية في البحث الألسني السابق عليه، ويجري موازنة بين هذه الأنماط والوظائف تلك، فيكون التمثيل مطابقا للوظيفة الفكرية عند هاليداي، والفعال قريبا من الوظيفة التبادلية، ثم الوظيفة الكينونة التي تعني تحديد الهوية ليس لها مقابل في المناهج السابقة<sup>(٧٧)</sup>.

ويستلزم في هذا المقام بيان معاني هذه الأنماط:

التمثيل: العلاقة التي يمثلها النص المنتج، أي التي يتحدث عنها المتكلم، فمثلا عند الحديث عن منجزات نظام العراق السابق قبل ٢٠٠٣ ومن ثم الحديث عن منجزات نظام العراق بعد ٢٠٠٣ ستكون تلك العلاقة هي الممثل للخطاب، أي الحديث عن دولتين مختلفتين كلياً.

الفعال: أي الكم اللساني (التركيب) الذي ينتجه المتكلم على ممثل ما كأن تكون كمية الاخبار والمعلومات، وابداء الرأي، والوعد، والتهديد، والتحذير، والتوبيخ، والاستهزاء أو غير ذلك.

تحديد الهوية: يقوم مفهوم الهوية على اعتبارات عدة، الأول اعتبار الماهية، والثاني اعتبار الوجود الخارجي، والثالث الاعتبار الشخصي، والرابع باعتبار الآخر المضاد

للأنا، وبذا تكون ((هي الحقيقة الجزئية، حيث قالوا الحقيقة الجزئية تسمى هوية يعني أن الماهية اذا اعتبرت مع التشخص سميت هوية، وقد تستعمل الهوية بمعنى الوجود الخارجي، وقد يراد بها بها التشخص، وقالوا الهوية مأخوذة من الهو هو وهي في مقابلة الغيرية))<sup>(٧٨)</sup>.

وقد نظر إليها المنهج النقدي لتحليل الخطاب باعتبارين. الأول هو الشخصي، وهذا ما حدد في تعريفها قديما كما رأينا في النص السابق، والآخر الاجتماعي وهو مما يضاف إليها، فيبقى المنهج باحثا عن تحديد تلك الهوية، وصور تجميلها مع لحاظ الفارق بين الهويتين يقول فاكلوف: ((يميز التحليل بين الهوية الاجتماعية والشخصية (أو الهوية الشخصية)؛ إذ هما جانبان مختلفان من الهوية))<sup>(٧٩)</sup>. ثم يتحدث عن طبيعة الهوية الاجتماعية: ((يرتبط جزء من هوية المرء الاجتماعية بالظروف الاجتماعية التي يولد فيها، ومرحلة الدمج الاجتماعي الأولى في حياته - جواني الهوية الجنسية على سبيل المثال. ويكتسب المرء لاحقا جزءا آخر من هويته الاجتماعية - على سبيل المثال، الدمج الاجتماعي في (أدوار اجتماعية) كدور السياسي أو المعلم))<sup>(٨٠)</sup>.

يتجلى التمثيل في عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك عبر مستويين. الأول كلي، والآخر جزئي. يتمثل المستوى الكلي بالعلاقة بين كيانهن هما الكائن واللا كائن، الكائن بانتشار حاكم بعيد عن الله وعن الرعية، واللا كائن الذي ينبغي أن يكون ذلك الحاكم العامل بشرع الله، وبأحكام دينه. وهذا ما يشتغل عليه العهد من أوله إلى ختامه.

ويتضح المستوى الجزئي بعلاقة جدلية بين منهجين مختلفين يمكنى ملاحظتهما عبر معول الثنائيات ومنها ثنائية المصادرة والإرجاع، مصادرة

الحياة الرغيدة للرعية من الحاكم غير المتزن بالشريعة الإسلامية، والفاقد لمعايير الإدارة، وإرجاع تلك الحياة المصادرة على يد ذلك الحاكم المأمور بالشريعة التي يذكر الإمام (عليه السلام) بمعالمها، ومعالم ذلك الحاكم في عهده فيقول: ((هذا ما أمر به عبد الله علي أمير مالك بن الحارث الأشر في عهده إليه... أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه...))<sup>(٨١)</sup>، ويشرح ذلك الظرف الذي يمر به الحاكم حين ما يصادف أمرا في دكة الحكم فيأمره بالرجوع إلى تعاليم الله: ((واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور))<sup>(٨٢)</sup>.

ومن التمثيلات الجزئية الاتزان وعدم الاتزان، الحاكم غير المتزن الذي تؤثر به الخطوب، والمغريات عكس ذلك الذي لا يهتز امامها فيوصي الإمام (عليه السلام) الحاكم أن يكون متزنا، له آداب الولاية الحقيقية: ((وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الاطراء... وإياك والمن على رعيته بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك... وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت،... وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما يُعنى به مما قد وضح للعيون...))<sup>(٨٣)</sup>

ومنها ثنائية الوجود وعدم الوجود، عدم وجود بعض الحكام المتصفين بتقوى الله، وطاعته، ووجود من يتصف بتلك الصفات التي تحقق سعادة الرعية انطلاقا من الإقرار بأوامر الله تعالى وتطبيقها على الرعية في مدة الحكم: ((أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقة إلا مع جحودها واضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه))<sup>(٨٤)</sup>.

ثم يدعو الإمام إلى التحرك تجاه ثنائية العدل والجور، على أساس محاربة الجور، وتجاوزه، وإرساء ثقافة العدل: ((ثم اعلم يمالك أي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك))<sup>(٨٥)</sup>.

ومن الأمور التي تحدث بين الرعية والحاكم ثنائية الرحمة والقسوة؛ إذ يتعامل الحكام بقسوة ليس لها نظير تتجافى مع منطق الإنسانية: ((واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))<sup>(٨٦)</sup>.

ثم يعرض ما وقع به الحكام من جهة الاختيار الموفق وغير الموفق للمستشار: ((ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور، ولا حريصا يزين لك الشره بالجور))<sup>(٨٧)</sup>. وكذلك اختيار القائد العسكري، والقاضي، وانتخاب الموظفين وهكذا...

ثم ركز الحديث عن ثنائية الهدم والبناء الاقتصادي للبلد، فوضع طريقتين اقتصاديين، الأول عدم الاهتمام بالعلاقة بين الضريبة وعمارة الأرض، والآخر الاعتماد على تلازمهما، فسيكون الأوفق، وهو الذي يترتب عليه انضاج البلاد اقتصاديا: ((وتفقد أمر الحَرَج بما يصلح أهله... وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الحَرَج؛ لا، ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الحَرَج بغير عمارة أخرج البلاد))<sup>(٨٨)</sup>. ثم يستمر الحديث بتمثيل البناء الاقتصادي عبر الاهتمام بالتجارة والصناعة، وعدم الاحتكار: ((ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيرا...))<sup>(٨٩)</sup>.

ذلك التمثيل للأفكار ذات المردود الاجتماعي، ينحصر في ضوء خطين متوازيين

متسابقين في ما بينهما يقع أحدهما أسفل الآخر، وذلك الخط المتسافل هو ما ينعش العيوب الاجتماعية، ويصادر وجود ذلك المجتمع، أما الخط المتعالي أو الأعلى ما ينعش صورة المجتمع، ويتجنب العيوب فيه، ومن ثم يوصله إلى سلم العلى، وهو الهدف الأساسي من خلق الإنسان، المرتبط بجانب العبادة المتوقفة على تطبيق الشريعة الإسلامية، جاء ذلك التمثيل بلا شك عبر فعال لسانية، كأن تكون جملاً أو تراكيب في العهد العلوي هذه الفعال اللسانية تتنوع بين الإخبار، والأمر، والنهي، والتحذير، وهكذا ما سنقف عليه بأمثله:

لا انفكك بين التمثيل والفعال ويلحق بهما الهويّة، وتحديدتها، فقد مثل جزء من العهد ثنائية الاهتمام بالجند والعسكريين، وعدم الاهتمام بهم، ففي قالب الاهتمام بهم أصدر فعلاً لسانياً مبنياً على الإخبار بقوله: ((فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم))<sup>(٩٠)</sup>. ويستمر بشرح هذا الكلام، وإلقاء الحجّة على المتلقي الحاكم إذا نظرنا إلى الخطاب عامة أو مالك إذا نظرنا بخصوصية، ثم يأتي في سياق تمثيل علاقة الحاكم بأمته فعلاً تحذيرياً: ((إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال))<sup>(٩١)</sup>. ويتكرر فعل التحذير في مواضع عدة، وبالأداة إياك.

ولأن السياق في العهد سياق تشخيص للعيب، وسيق إقرار للطريقة المثلى في فن القيادة يتكرر فعل النهي لاسيما في تمثيل العلاقة بين البطانة الصالحة والطالحة، فيأتي النهي: ((ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء؛ فإن في ذلك ترهيدا لأهل الاحسان في الإحسان))<sup>(٩٢)</sup>.

وكذلك للعلة نفسها يظهر فعل الأمر في مواضع كثر غلبت كل الفعال الأخر، ومنه النظر في أمور العمال عنده: ((ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً... ثم

اسبغ عليهم الارزاق... ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم...))<sup>(٩٣)</sup>.

ذلك التمثيل والفعال النصية جاء بغية تحديد الهويّة التي يسعى الإمام (عليه السلام) إلى تحقيقها لدى المجتمع ولدى الحاكم بصورة عامة ولدى مالك بصورة خاصة، والحكم على عمومية تلك الهويّة لا سيما أن مالكا ممن عرف بالفضل، والتقوى، والحنكة بالسياسة، وعدم احتياجه إلى وصية؛ لأنه موضع ثقة عند الإمام (عليه السلام) حتى قال الإمام (عليه السلام) بعد موته: ((رحم الله مالكا، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم))<sup>(٩٤)</sup>.

سعى الإمام إلى تحديد الهويّة الإسلامية وعدم التماس ما يضادها لدى الحاكم ولدى المحكوم، فجاء العهد تذكيرا بالله، وتجديدا لتلك الهويّة لاسيما وأن الهويّة متجددة كل حين، ومتنامية بتنامي المجتمع كما يرى أليكس ميكشيلي في تعريفه لها: ((الهويّة ببساطة هي مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة والتي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي، فهي ليست كيانا يعطى دفعة واحدة وإلى الابد انها حقيقة تولد وتنمو وتتكون وتتغير وتشخّ وتعاين من الأزمات الوجودية والاستلاب))<sup>(٩٥)</sup>.

ويبقى السؤال المهم ما هي تلك الهويّة التي أراد الإمام (عليه السلام) تحديدها في عهده إلى مالك؟ يتضح أنها الهويّة الشخصية الاسلامية حصرا المندمجة بالهويّة الاجتماعية، وهذا ما يريده المنهج النقدي لتحليل الخطاب أي الفاعل الاجتماعي هو الذي يستطيع أن يوظف الأدوار الاجتماعية توظيفا شخصيا ويجعلها مطواعة لها عبر الدمج بين الهويتين<sup>(٩٦)</sup>، ويتضح تطبيق هذا في كلام الإمام؛ إذ يأمر مالكا بالتقوى والالتزام بأوامر الكتاب والسنة، ثم يأتي أمر لاحق بتفهم المجتمع والتدقيق فيه:

((أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه،... ثم اعلم يامالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور...))<sup>(٩٧)</sup>.

ويبدو أن الهويّة الاجتماعية لا تتحقق في المجتمع وفي نظر الحاكم إلا بالانعكاس الإسلامي عليها عبر إبراز حاكمية الإسلام في المجتمع، وعالميته كذلك، وإرساء مبدأ العدل، وتشخيص عيوب الحكام.

ولابد من عزل مفهوم الحاكمية لدى الإمام (عليه السلام) عن مفهومها لدى مجموعة من القوم لاسيما في نظر أبي الأعلم المودودي، وتلميذه سيد قطب؛ إذ تعني عند سيد افراد الحكم لله وحده في مناهج الحياة كافة<sup>(٩٨)</sup>. بينما تكون في نظر الإمام (عليه السلام) ما يشكل مثلثا مهما مكونا من النص والنبوة والإمامة وهذا ما يتضح في قوله لمالك: ((فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك))<sup>(٩٩)</sup>. ويقول جعفر عبد الهادي في كتابه مفاهيم القرآن: ((بحيث يتبين بوضوح أن الحكم والولاية في منطلق القرآن ليس إلا الله تعالى وحده، وأنه لا يحق لأحد أن يحكم العباد دونه، وأنه لا شرعية لحاكمية الآخرين، إلا إذا كانت مستمدة من الولاية والحاكمية الإلهية... إن الله تعالى أمر بطاعة الأنبياء، والأولياء؛ لذا وجبت طاعتهم واتباع أوامرهم والإنقياد لأقوالهم...))<sup>(١٠٠)</sup>.

وتعني الحاكمية في المنهج النقدي لتحليل الخطاب ((كل نشاط في مؤسسة أو تنظيم هدفه تنظيم ممارسة اجتماعية أخرى أو شبكة من الممارسات الاجتماعية أو إدارتها))<sup>(١٠١)</sup>، وهو تماما المسعى النبوي والعلوي شريطة اقترانه بـ(الإسلامي)، فتدل الحاكمية الإسلامية على أن الإسلام هو الحاكم الوحيد للمجتمع ولل فرد ومهمة الخطاب هي الإبحار في سلوك الحاكم ومدى تطبيق القرآن الكريم واتباع أوامر الله، والتذكير باتباع الأخلاق العالية مع الرعية، والعدل والانصاف، والتذكير بالعمل

الصالح ((فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح))<sup>(١٠٢)</sup>. ومن ثمَّ الائتمان على العباد، والتعامل معهم بعفو ورحمة: ((ولا تنصبن أنفسك لحرب الله، فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته))<sup>(١٠٣)</sup>.

وتحدد الهوية الإسلامية بالبحث عن عالمية الإسلام عبر انفتاح الحاكم على القرآن والسنة لإدارة مرافق الحياة من جانب الهداية، والعبادات، وأحكام الصلاة والصيام وغير ذلك، ثم صلاحية توظيفه في ميدان الحكم، وجاء هذا في مستقبل عهده ليدل على أنه المشغل الأساس في الحكم ((أمره بتقوى الله واتباع ما أمر به في كتابه))<sup>(١٠٤)</sup>، ثم الإحالة على أن تطبيق هذا الدين الإسلامي يحقق السعادة الدنيوية التي تقود إلى السعادة الأخروية ((التي لا يسعد أحد إلا باتباعها...))<sup>(١٠٥)</sup> والتأكيد على أن من تخلى عنها تخلى عن الله، وسلب تلك السعادة، واستبدالها بالشقاء: ((ولا يشقى إلا مع جحودها واضاعتها))<sup>(١٠٦)</sup>.

ثم من مصاديق تلك العالمية التي تحقق الهوية الإسلامية وضع دستور للراعي يرجع إليه في كيفية الصناعة مع الحكم، والمحكوم لكي تقوده تلك الصناعة إلى تحقيق رضا المواطن، ومن ثم يحقق رضا الله تعالى، وليس أدل على ذلك من تطبيق نظرية الإحسان التي سجلها الإمام في العهد: ((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم))<sup>(١٠٧)</sup>. ولا يوجد مثال على الهوية الإسلامية في العهد أجلى من مسألة احتواء الآخر عند الحاكم بغض النظر عن دين ذلك المحكوم أو جنسه بوصفه مواطناً، فعلى الحاكم عدم الالتزام بضيق الأفق، والتخندق تجاه الطبقة الواحدة، التي ترى التعصب، بل الأجدر النظر في أكثر من ذلك الميزان بناء على أن المحكوم إنسان أكثر منه مسلماً أو غير مسلم فجاء النص: ((واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم... فإنهم صنفان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))<sup>(١٠٨)</sup>

يتضح من سرد ذلك الخطاب الخاص بالحكم تذييب الهوية الشخصية للحاكم، والارتكاز على الهوية الدينية التي تؤمن الهوية الاجتماعية، وتحقق العدالة الاجتماعية التي تنادي بالإنصاف، والعدل، لتصل إلى سلم النجاح الذي يؤمن بخلق سلطة إسلامية مهيمنة على الحاكم والمحكوم، ولا تتوفر تلك السلطة إلا بتوجيه سهام النقد الاجتماعي الذي سلكها الإمام في خطابه، نقدا مختصا بالحاكم السابق لملك الأشر واللاحق عليه أيضا؛ لأنه وضع مرایا للحكام تدخلهم في دائرة الإنجاز، والفعل الاجتماعي.

### المحور الرابع: الصياغات اللسانية

يشتمل التناول اللساني في المنهج النقدي لتحليل الخطاب على مساحة محدودة من الأبعاد اللغوية، ويتجنب الاختلاط بالجزئيات اللغوية على تنوعها، بل يتتقى ما يخدم الطابع الاجتماعي والنقدي فيه، وهذا ما يصرح به من ورث: ((ولم يشتمل التحليل النقدي للخطاب بالضرورة على مجموعة واسعة من الفئات اللغوية في كل تحليل: فقد يتكون لدى الفرد انطباع بأن القليل فقط من الأدوات اللغوية يعد أساسيا بالنسبة لدراسات التحليل النقدي للخطاب. فعلى سبيل المثال فإن الكثير من علماء التحليل النقدي للخطاب يستخدمون بشكل متسق تحليل العامل الاجتماعي عن طريق التركيز على الضمائر والصفات، وكذلك الأسلوب اللفظي، والوقت، والزمن وغالبا ما يتم استخدام التحليل التحويلي لهاليداي والتحليل الحجاجي من قبل علماء اجتماعيين آخرين))<sup>(١٠٩)</sup>.

وسيجري التناول اللغوي في العهد على الآتي:

- الصياغة النحوية.

- العلاقات الدلالية.

- اللجنة الحجاجية.

- اللجنة التداولية/ أفعال الكلام.

مع لحاظ التوظيف الاجتماعي لتلك المعطيات، ومدى إضافتها له على أساس دعم قيم مشروع التحليل النقدي للخطاب انطلاقاً من الحقيقة التي ترى ارتباط اللغة بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً<sup>(١١)</sup>.

ولا شك أن تأشير الجزئيات النحوية سيكون بحثاً عن الدلالات التي ينطلق من أجلها العهد العلوي، وتنضوي تلك الدلالات في القضايا المجتمعية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية أو فنقل في جداول الخطاب التي أحصيت فيه. ومن تلك الجزئيات جزئية العطف بالحرف الواو بين الجمل في قول الإمام (عليه السلام) ((واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم))<sup>(١١)</sup>. ليدل على تناسق الأفعال في وقت واحد، وفي مفعول واحد هم الرعية، وهذا بدوره يخدم المنظومة الاجتماعية المكونة من الحاكم والمحكوم. وقد يحدث العطف بالأداة (ثم) في مفصل الوصية بالجنود: ((فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمة، وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الحراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم))<sup>(١٢)</sup>، فتأتي الأداة في سياق التراخي الرابط بين وجود الجنود والاهتمام بالحراج الذي يدر بالقوت عليهم وبالعطايا والمراتب، فكانت الأداة العاطفة محققة تماسكين هما التماسك النصي بحسب اصطلاح لسانيات النص، والتماسك الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم.

وقد حدثت الإحالة في في العهد، ومنها الإحالة بالضمير المنفصل (هو) على لفظ الجلالة في سياق سابق: ((وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته

من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المظطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد))<sup>(١١٣)</sup>.  
وقد اتسمت بعض العناصر النحوية في العهد بالهيمنة، ومنها هيمنة أفعل التفضيل فيه على طوله ومنها تفضيل الشخص المستحق أن يكون قاضيا: ((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك... وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصر مهم عند اتضاح الحكم))<sup>(١١٤)</sup>. فقد رسم الإمام (عليه السلام) طريق الحاكم في اختيار الشخص المتسم بالأفضلية على أقرانه من جهة حكمه بالحقائق والنصوص بعيدا عن الشبهات، وأكثرهم التماسا للحجة، وأقلهم شعورا بالملل، ومتسما بالصبر، وقطع الخصومة مع غيره، ودواعي التفضيل؛ لأن القاضي يعد الطريق الأوحد لإقرار العدل الاجتماعي، والتحقيق الكامل الذي يسعى إليه الإمام (عليه السلام) في فلسفته، وحكمه، وإدارته للدولة، وحرصه على الرعية.

وهنالك حضور كثيف لأفعل التفضيل في العهد العلوي، يحمل في طياته منظورا نقديا، قائما على المفاضلة بين ضربين، الأول صالح، الآخر طالح، ويدعو الامام الى تجنب الطالح منه، والعمل بالصالح، وقد توزع على مساحات متكررة من العهد لاسيما في اختيار الموظف، والقاضي، والقائد، والجندي، والتعامل السليم.

ولكي يحقق الثبوت والتجدد في صفات القائد العسكري لدى الحاكم يختار صيغ المضارع - بوصفها عنصرا مهيمنا- في عهده ليُلبس بها صفات القائد ذات العلاقة بحياة الأمة، التي تسعى إلى التعامل مع طبقات المجتمع: ((من يبطن عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، ممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف))<sup>(١١٥)</sup>.

ولم يقف الأمر عند القائد العسكري، بل سبقه باختيار القائد العام المسلم،

المتنمي لدين الله، ومن تابعي النبي ص، والإمام علي (عليه السلام)، فجاء طريقة انتقائه على أساس السيرة الحسنة، والنسل الطيب كما وصفه الإمام (عليه السلام) بلفظ (البيوتات) الدالة على جمع الجمع لبيت، ليعطيها دلالة استحبابية، أو انتقائية مع تمتعها بطابع الشرف، والحسب، والمكانة اللافتة، فجاء الأسلوب أسلوب أمر بذلك ((ثم أمره أن يلصق بذوي الأحساب، وأهل البيوتات، أي يكرمهم ويجعل معوّله في ذلك عليهم ولا يتعداهم إلى غيرهم، وكان يقال: عليكم بذوي الأحساب؛ فإن هم لم يتكروا استحيوا))<sup>(١١٦)</sup>.

ويصادفنا المضارع المؤكد بالنون بصورة مهيمنة كذلك في العهد، ويكاد يمتلئ العهد العلوي من أوله إلى آخره بهذا العنصر المهيمن، للتوكيد على تلك المعاني الواردة في الأفعال المؤكدة أشد التوكيد، لا سيما أن التشديد يبعث زيادة المعنى الذي يحملها اللفظ، وقد تزامن مع هذا التوكيد النهي بلا الناهية، ومن الأمثلة على ذلك في موضوع سياسة الدولة مع العدو الخارجي، وتوجيه الإمام (عليه السلام) بالالتزام بالعهود والمواثيق، وطريقة مقاتلة العدو: ((فلا تغدرنّ بدمتك، ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختلنّ عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي))<sup>(١١٧)</sup>.

ومن تلك المهيمنات النحوية التكرار، ووقفت منه على تكرار الصيغة، وتكرار المفردة، وتكرار العبارة. فيأتي تكرار صيغة الأمر (افعل) بصورة مفردة ((وأشعر قلبك الرحمة))<sup>(١١٨)</sup> وقوله: ((فاعطهم من عفوك وصفحك))<sup>(١١٩)</sup> وقوله: ((أنصف الله وأنصف الناس))<sup>(١٢٠)</sup> وقوله: ((وأرغ ذمتك بالأمانة))<sup>(١٢١)</sup>، ومنه صيغة (تفعل) في الفعل (تفقد) مصاحبة للفظ أمر أو بصيغة الجمع أمور، في جانب متابعة عمل القائد للأمة بعد اختياره بناء على معايير وضعها له: ((ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدتهما))<sup>(١٢٢)</sup>، وكذلك أمره بتفقد العمال في الدولة: ((ثم تفقد أعمالهم،

وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء))<sup>(١٢٣)</sup>، ثم يأتي الفعل في تفقد الحراج: ((وتفقد أمر الحراج بما يصلح أهله))، ثم في سياق متابعة التجار، وأهل الصناعات: ((وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك))<sup>(١٢٤)</sup>، وهكذا مما ينم عن سلطه خطابه تجاه الحاكم بوصفه خريطة عمل اجتماعية أو سياسية، أو اقتصادية. ثم تأتي صيغة المضارع وتكرارها بكثرة كما وضحت في ما سبق من أمثلة.

وبعدها يأتي تكرار لفظ (خاصة) بحسب سياقها مرة دالة على الأهل، ومرة دالة على خاصة الوالي، وهكذا هو ينبه على الاهتمام بها أو الحذر منها: ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك))<sup>(١٢٥)</sup>، وقوله: ((ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة انصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال))<sup>(١٢٦)</sup>.

ثم يأتي تكرار العبارة (حسن الظن بالله) مرات عدة، ومنه قوله: ((واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه اليهم... فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا))<sup>(١٢٧)</sup>، ليضع قاعدة حسن الظن من قواعد التعامل بين الراعي والرعية.

تلك الرعية التي شغلت ممارساته الخطابية الفعلية، والتنظيرية، فقد ذكر الإمام (عليه السلام) الأشر بآن الجنود هم من يحفظ الرعية، ويزين الولاية، ويعز الدين، فاستعمل صيغة المبالغة (فعول) في قوله: ((الجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين))<sup>(١٢٨)</sup>. فحسون مبالغة في الحماية التي يقوم بها الجنود تجاه دولتهم كي يلفت انتباه المتلقي الأشر أو غيره. كما أشار على الحاكم بالرجوع إلى الله تعالى في كل خطب يلزم به عند الملهمات العسكرية

مستعملا صيغة المبالغة نفسها في لفظة الخطوب: ((وإردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب، ما يشتبه عليك من الأمور))<sup>(١٢٩)</sup>.

وهناك ذكر الصفة والموصوف في العهد حينما يتكلم على التجار، فيصفهم بالضيق الفاحش، والشح القبيح: ((واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا، وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع، وتحكما في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة))<sup>(١٣٠)</sup>، فالإيغال بالصفات الخاصة بالتجار لرسم سياسة الحذر تجاههم، وهذا الحذر بدوره باب من أبواب تمشية أمور الاقتصاد، وتحديد اقتصاد الطبقة العادية من الناس أو كما يسميهم الإمام (عليه السلام) في آخر نصه (العامة).

شكلت نسبة حضور العامة (الرعية) في خطابة رقما عاليا، ولا أبالغ إذا قلت إن العهد كله أمر بالإحسان إليهم، وكذلك أمر من مغبة الوقوع بحيز ظلمها، وتحذير من سلطتها، كونها الفاضح الأول لسيرة الحكام وهذا ما نلمسه في استعماله الاشتقاق أو التصريفات للفعل (ستر) لما يوجه الإمام (عليه السلام) بحل المشكلات التي تواجه الحاكم: ((فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك))<sup>(١٣١)</sup>. فجاء الاشتقاق محملا بدلالة التوالي التي تبدأ بناء على الشرط والجزاء، أو بناء على تبادل الأدوار بين الحاكم والمحكوم، فمتى ما ستر العامة، ستر الحاكم.

ويأخذ الإمام (عليه السلام) بتحذير الحاكم من سفك الدماء، والإيضاح أنه ادعى لنقمة الله، ولزوال نعمته، ويستمر، فيقول: ((ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد؛ لأن فيه قود البدن))<sup>(١٣٢)</sup>، فجاء بتركيب المتضامين: قود البدن بدل من غيره لبلاغته ((والمراد إرهابه بهذه اللفظة أنها أبلغ من أن يقول

له: (فإن فيه القود)) (١٣٣).

ثم هنالك العلاقات الدلالية ذات الانعكاسات النصية في صياغة الخطاب الاجتماعي، وقبل المباشرة بأمثلتها في العهد العلوي، يستحسن بيان مدلولها في المنهج النقدي لتحليل الخطاب، فقد يفهم منها ما يتعلق بالمفردة كأن يكون الترادف، أو المشترك اللفظي أو الأضداد في المنظور العام لعلم اللغة. وقد دلت العلاقات الدلالية في منظور فالكوف على علاقات المعنى بين الكلمات والتعبير الطويلة، أو العبارات الطويلة، أو الجمل، وأحيانا حتى بين أجزاء لنص الكبيرة، فمنها علاقة السببية، والشرط، والإسهاب، والاستدراك<sup>(١٣٤)</sup>، والزمن .

وحاول الإمام (عليه السلام) تعليل بعض السلوكات الاجتماعية في العهد، وبيان الأسباب والنتائج عليها ليكون مأخوذا بالحسبان من لدن الحاكم لاسيما في موضع اختيار المستشار، وبطريقة تقديم النتيجة على السبب (((ولا تدخلن في مشورتك بخيلا بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والحِرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله)) (١٣٥). فجاءت الأداة السببية (إن) الدالة على توكيد الإبلاغ الذي يحمله النص بأنه من حبائل سوء الظن بالله.

ولأن العهد رسالة تتضمن تأسيس نظام يدير الكون بطريقة منبثقة من الشريعة الإسلامية حاول الإمام (عليه السلام) يوضح بعض الحقائق على أساس الشرط والجزاء في سياق الحديث عن العدل الاجتماعي، فجاء اسم الشط (مَن) محيلاً عاماً على كل ظالم في قول الإمام (عليه السلام): ((ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أدحض حجته)) (١٣٦). فيستمر الحديث عن إقامة الظلم إلى أن يختم بنسق تذكيري يراد به تجنب الاضطهاد.

وقد زخر العهد العلوي بالإسهاب في عرض بعض أفكاره على أساس علاقات العطف بالواو ليكون أدهى إلى الاستيعاب والعمل به في النظام الاجتماعي، أو في حدود العلاقة بين الحاكم والمحكوم لاسيما في موضوع سفك الدماء والتخلص من هذا الأمر: ((إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنه ليس شئ أدهى لنقمة، ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها! والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله))<sup>(١٣٧)</sup>. فأخذ يسهب في تعداد التبعات المترتبة على سفك الدماء؛ إذ إنها مدعاة للنقمة، وحدوث التبعات، وبه زوال النعمة، وانقطاع المدة، وكذلك يسهل في زوال الملك والسلطة.

وكذلك تفرض طبيعة النص أن يلجأ إلى علاقة التباين أو الاستدراك حينما يوجه الإمام (عليه السلام) الحاكم بعدم دفع الصلح مع العدو الخارجي، وتجنب الحروب، وخوضها لأنه يدر على جنوده بالراحة، والدعة، وينعش أمن البلاد، ثم يستدرك: ((ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك والله فيه رضا... ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه))<sup>(١٣٨)</sup>.

ويستعمل العلاقة الزمنية الماضية في تذكيره بانجلاء الزمن وانكشاف الأمور، بعد (قليل) ثم يوجب عليه مراجعة الحكومات السابقة العادلة والإفادة مما (مضى): ((وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ويتصف منك للمظلوم... والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها))<sup>(١٣٩)</sup>.

واقترضت الممارسة الخطابية في العهد العلوي استعمال تقنيات البرهنة على بعض الأفكار، ومن تلك التقنيات الروابط الحجاجية في موضع إقرار دخل البلد عن طريق الخراج، وضرورة التعويل عليه فيبدأ بإقناع المتلقي / الحاكم عبر الأداة (لأن): ((وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله))<sup>(١٤٠)</sup>.

ومن التقنيات الحجاجية التي أسهمت في خلق العلاقة بين النص وقاعدته التي يتحدث عنها الإمام القرآن الكريم بوصفه حجة يتوخاها الإمام (عليه السلام) في إحداث الإقناع في فرض السلطة الإسلامية على الحاكم والمحكوم فيوجه الحاكم باتباع الشريعة الإسلامية في إدارة الدولة، وإدارة الأزمات أيضاً: ((وإردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾))، فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة<sup>(١٤١)</sup>.

ويستمر الإمام (عليه السلام) بالنقر على هذا المعول أي معول الأدلجة الإسلامي، والانطلاق منه في الحكم الإسلامي، فكما وجه باتباع القرآن، وجهه باتباع السنة المحمدية وحاول ابداء حجة تتمثل بقول النبي ص في ارجاع حقوق الضعفاء والانتصار لهم، وعدم الانقطاع عن الرعية، فهذه التشكيلة الحجاجية ذات الموضوع، والهدف، والمتلقي احتاج لتعريضها بحجة نبوية: ((واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من

أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع، فإني سمعت رسول الله **ص** يقول في غير موطن: «لن تقدر أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع». ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونحّ عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته»<sup>(١٤٢)</sup>.

وتوافر على الخطاب الحجاجي العلوي في العهد تعدد الحجج، وتدرجها، وهذا ما يدرس في اللسانيات الحجاجية في السلم الحجاجي، وبصورة غزيرة بوصفه مهيمنا حجاجيا في صناعة النصوص التي تتعلق بعلاقة الحاكم بالمحكوم التي يفترض أن تقوم على غفران الزلل، والعمل بالعفو، والصفح، وهذه علاقة متبادلة يتمناها المحكوم من الحاكم، ويتمناها الحاكم من الله تعالى، ثم تأتي الحجج بسلمية أولها أن الحاكم الأشتر فوق المحكومين، ثم الإمام (عليه السلام) فوق الحاكم، ثم الله فوق الإمام وهذا منبع الوصية، والاهتمام بتلك العلاقة بين الحاكم والمحكوم: ((فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحته، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولّاك))<sup>(١٤٣)</sup>.

وفي طور خلق التواصل مع المتلقي على أساس النص الحاوي للقيم اللسانية يحتوي العهد العلوي على بعض القيم التداولية التي يوظفها المنهج النقدي لتحليل الخطاب في البحث عن سلطة الخطاب، وتقرير أنساقه، ومن تلك الحيشات اللسانية ما يسمى أفعال الكلام، بنوعها الكلي والجزئي، ويضم الجزئي المعنى المباشر وغير المباشر. مع الجزم أن المعنى المباشر هو الأبرز، والأكثر في العهد مقارنة بغير المباشر، يكاد يشغل مسافة تمثل ٨٠٪ قياسا بغير المباشر، والسبب في ذلك أن العهد العلوي ورقة تأسيسية لنظام حكم ذي منطلق

إسلامي فلا مبرر لاستعمال النسق غير المضمّر إلا في الحالات التي تستوجب هذا النسق، فجاء كله أوامر ببعض المحامد، ونواه عن بعض المعاييب.

ومن ذلك أمر الإمام (عليه السلام) للحاكم بان يزوج نفسه في المسلك الاجتماعي للرعية، لاسيما مراجعة العلماء، ومدارستهم، ومداولة الأمور مع أهل الحكمة للإدراج عليه بالمنافع الروحية، وتعلم استراتيجيات حل العقد الإدارية، والأزمات المجتمعية، فيقول: ((وأكثر مدارس العلماء ومنافذة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك))<sup>(١٤٤)</sup>.

وكذلك الحال مع الخبراء العسكريين، وقواد العسكر يكون تواصله معه عبر الفعل الإنجازي المباشر، بالتشجيع، والمؤازرة، والمتابعة، والثناء عليهم، ((فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعيد ما أبلى ذوو البلاء منهم))<sup>(١٤٥)</sup>.

وهناك الفعل الكلامي غير المباشر في مقطع الاهتمام بطبقات الرعية، فجاء السياق النصي إخبارا عنهم، وعن وظائفهم، وقيمتهم في بناء الدولة، ويحمل هذا الإخبار في طياته الداخلية بعدا انجازيا غير مباشر يقوم على التوجيه، والتوصية، والأمر، والنهي وهذا ما ينتجه الإضمار قد لا يتوفر مع الإظهار: ((. واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض. فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والحراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة))<sup>(١٤٦)</sup>، ثم يستمر بالحديث عن الجنود: ((فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا

بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم))<sup>(١٤٧)</sup>.

يوظف الإمام (عليه السلام) في خطابه الممتزج بين الاقتصاد، والسياسة، وقضايا المجتمع بعض السياسات اللغوية التي تخدم القصد الخطابي الذي يشتغل عليه وهو صناعة خطاب الحكم الذي يسيّر الدولة على أساس الهوية العالمية التي ترى الإسلام منهجاً ناصعاً في فك أزمة الاختلاف بين الحاكم والمحكوم على وفق الرجوع إلى التبر المسبوك بوساطة ماء القرآن، وتطبيقات الرسول، والأئمة الأطهار.

### الخاتمة:

في الختام يجدر التنبيه أن العهد العلوي وثيقة متعددة الرؤى، وميزة تلك الرؤى أنها متماسة مع صناعة خطاب اجتماعي يسعى إلى تلمس العيوب التي تمحق الهوية الاجتماعية، وتُغلب الهوية الشخصية المتعلقة بالتجربة الفردية، وسعى الإمام علي (عليه السلام) إلى تشخيص تلك العيوب لقائد من قاداته، وهو مالك الأشتر في مدة كلفه بها لإدارة مصر، هذه المفاهيم المتوافرة عليه انطلق منها المنهج النقدي لتحليل الخطاب على وفق معيار النقد، والتحليل لذلك الخطاب السياسي والاجتماعي بحثاً عن مقاصد يتغياها الناقد وهي مسألة تمرير العيوب عبر الأنساق اللسانية التي تجلت عبر لحاظين. الأول المفهوم نفسه، أي عدم تغيير في مكوناته اللسانية أو الاجرائية مثل تقنيات الحجاج، والعلاقات الدلالية، والجزئيات النحوية، والافعال الكلامية، والآخر إضافة مفاهيم جديدة لها مثل النص، والخطاب، واللغة، وهكذا ما يميز هذا المنهج جدته، وانفتاحه على المناهج اللسانية كلها.

سعى الإمام (عليه السلام) إلى تغليب الهوية الإسلامية في نظرية الحكم، مستوحاة تلك النظرية من القرآن الكريم، ومن العطاء المجتمعي المحكوم، بعيدا عن الشخصية، وتحقيق تلك الهوية يكون في ضروب الحياة كافة نحو الإدارة، والمجتمع، والاقتصاد، والقضاء، وغير ذلك. يضاف إلى تلك الهوية إبراز حاكمية الله تعالى المنطلقة من النص والمكملة بالعطاء النبوي والمد العلوي الإمامي، مع مسير تلك الحاكمية بموازاة الأدلة التي ترى في الإسلام سلطة كبرى على الحاكم والمحكوم

## الهوامش

١. ينظر: علم اللغة العام (سوسير): ١٩ وما بعدها.
٢. ينظر: علم اللغة العام: ٢٤.
٣. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (د. ميشال زكريا): ١٢.
٤. مقارنة جدلية - علائقية للتحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي (نورمان فاكلوف)، بحث منشور في كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب: ٣٤٠.
٥. ينظر: التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية، (روث فوداك وميشيل ماير)، بحث منشور في كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب: ٢٥ - ٢٦.
٦. ينظر: مقارنة جدلية - علائقية للتحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي: ٢٣٨.
٧. ينظر: التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٢٥.
٨. ينظر: دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية الاجتماعية، (تون أفان دايك) بحث منشور في كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب: ١٣٨.
٩. ينظر: دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية الاجتماعية: ١٣٨، وينظر: التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ١٨.
١٠. مناهج التحليل النقدي للخطاب: ٣٤ - ٣٥.
١١. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ١٨.
١٢. دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية الاجتماعية: ١٣٨.
١٣. تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٢٠.
١٤. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٢٢.
١٥. ينظر: التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٢١.
١٦. ينظر: دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية الاجتماعية: ١٤٠.
١٧. دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية الاجتماعية: ١٣٨ - ١٣٩.
١٨. لجوانب النظرية والمنهجية في التحليل النقدي للخطاب وتحليل التصرفات لدى فوكوه، (سيجفريد ياغر وفلورينتاين ماير)، بحث منشور ضمن كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب: ٨٣.
١٩. ينظر: الجوانب النظرية والمنهجية في التحليل النقدي للخطاب وتحليل التصرفات لدى فوكوه: ٨٢ - ٨٣.
٢٠. دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية الاجتماعية: ١٣٩.
٢١. ينظر: الجوانب النظرية والمنهجية في التحليل النقدي للخطاب وتحليل التصرفات لدى فوكوه: ٨٥، ١٠٥.
٢٢. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٦٠ - ٧٣.

٢٣. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٣٥-٣٦.
٢٤. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ١٩.
٢٥. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٦٧-٦٩.
٢٦. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٦٧.
٢٧. المقاربة التاريخية للخطاب، (مارتن زايزيجل وروث فوداك): ١٨٤.
٢٨. ينظر: التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٢٧.
٢٩. المقاربة التاريخية للخطاب: ١٨٢-١٨٣.
٣٠. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية: ٢٧.
٣١. دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية الاجتماعية: ١٤٤.
٣٢. تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٢٣٥.
٣٣. ينظر تلك السمات والهدف في: ينظر: تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٢٣٥.
٣٤. نهج البلاغة: ٤٠٠.
٣٥. نهج البلاغة: ٤٠٠.
٣٦. نهج البلاغة: ٤٠٠.
٣٧. نهج البلاغة: ٤٠٠-٤٠١.
٣٨. نهج البلاغة: ٤١٢-٤١٣.
٣٩. نهج البلاغة: ٤١٥.
٤٠. نهج البلاغة: ٤١٦.
٤١. علي بن أبي طالب سلطة الحق (عزيز السيد جاسم): ٢٩٠.
٤٢. علي بن أبي طالب سلطة الحق: ٢٩٢.
٤٣. نهج البلاغة: ٤٠١.
٤٤. نهج البلاغة: ٤٠١-٤٠٢.
٤٥. نهج البلاغة: ٤٠٢.
٤٦. نهج البلاغة: ٤٠٢.
٤٧. نهج البلاغة: ٤٠٤.
٤٨. نهج البلاغة: ٤٠٤.
٤٩. علي بن أبي طالب سلطة الحق: ٢٩٣.
٥٠. نهج البلاغة: ٤٠٥.
٥١. نهج البلاغة: ٤٠٥.
٥٢. نهج البلاغة: ٤٠٣.
٥٣. نهج البلاغة: ٤٠٣.
٥٤. نهج البلاغة: ٤٠٣.

٥٥. نهج البلاغة: ٤٠٨.
٥٦. نهج البلاغة: ٤١٣.
٥٧. نهج البلاغة: ٤١٣-٤١٤.
٥٨. نهج البلاغة: ٤٠٣.
٥٩. نهج البلاغة: ٤٠٣.
٦٠. نهج البلاغة: ٤٠٥.
٦١. نهج البلاغة: ٤٠٦.
٦٢. نهج البلاغة: ٤٠٦-٤٠٧.
٦٣. نهج البلاغة: ٤٠٧.
٦٤. نهج البلاغة: ٤٠٨.
٦٥. نهج البلاغة: ٤٠٩.
٦٦. نهج البلاغة: ٤٠٩.
٦٧. نهج البلاغة: ٤٠٩.
٦٨. الراعي والرعية: ٢٩٢.
٦٩. نهج البلاغة: ٤١٠-٤١١.
٧٠. نهج البلاغة: ٤١١.
٧١. نهج البلاغة: ٤١١.
٧٢. نهج البلاغة: ٤١١.
٧٣. نهج البلاغة: ٤١١.
٧٤. نهج البلاغة: ٤١٢.
٧٥. الراعي والرعية: ٣٢٠.
٧٦. ينظر: وظائف اللغة عند ياكوبسن، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، ١٢ مايو ٢٠١٣م، محمد عبد الودود أبغش، [wedoud.blogspot.com](http://wedoud.blogspot.com)
٧٧. ينظر: تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٦٦-٦٧.
٧٨. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (القاضي عبد النبي الاحمد نكري): ٣/٣٣٠.
٧٩. تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٣١٤.
٨٠. تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٣١٤.
٨١. نهج البلاغة: ٤٠٠.
٨٢. نهج البلاغة: ٤٠٧.
٨٣. نهج البلاغة: ٤١٦-٤١٧.
٨٤. نهج البلاغة: ٤٠٠.

٨٥. نهج البلاغة: ٤٠٠.
٨٦. نهج البلاغة: ٤٠٠.
٨٧. نهج البلاغة: ٤٠٣.
٨٨. نهج البلاغة: ٤٠٩.
٨٩. نهج البلاغة: ٤١٠.
٩٠. نهج البلاغة: ٤٠٥.
٩١. نهج البلاغة: ٤٠١.
٩٢. نهج البلاغة: ٤٠٣.
٩٣. نهج البلاغة: ٤٠٨.
٩٤. شرح نهج البلاغة: ٦٧ / ١٥.
٩٥. الهويّة، (اليكس ميكشيللي): ١٦٩ - ١٧٠.
٩٦. ينظر: تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٤١٤.
٩٧. نهج البلاغة: ٤٠٠.
٩٨. ينظر: الحاكمة في ظلال القرآن: ١٦.
٩٩. نهج البلاغة: ٤٠٥.
١٠٠. مفاهيم القرآن: ١ / ١٠ - ١٢ نقلا عن الحاكمة في ظلال القرآن: ١٨.
١٠١. تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٧٦.
١٠٢. نهج البلاغة: ٤٠٠.
١٠٣. نهج البلاغة: ٤٠١.
١٠٤. نهج البلاغة: ٤٠٠.
١٠٥. نهج البلاغة: ٤٠٠.
١٠٦. نهج البلاغة: ٤٠٠.
١٠٧. نهج البلاغة: ٤١١.
١٠٨. نهج البلاغة: ٤٠٠.
١٠٩. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية المنهجية: ٥٥.
١١٠. ينظر: فحوص وتوازنات كيف تصنيف المدونات اللغوية إلى التحليل النقدي للخطاب، (جيرلند ماونتر)، بحث منشور ضمن كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب: ٢٦٣.
١١١. نهج البلاغة: ٤٠٠.
١١٢. نهج البلاغة: ٤٠٥.
١١٣. نهج البلاغة: ٤٠٢.
١١٤. نهج البلاغة: ٤٠٧.
١١٥. نهج البلاغة: ٤٠٥.

١١٦. شرح نهج البلاغة: ٣٨ / ٩.
١١٧. نهج البلاغة: ٤١٥.
١١٨. نهج البلاغة: ٤٠٠.
١١٩. نهج البلاغة: ٤٠١.
١٢٠. نهج البلاغة: ٤٠١.
١٢١. نهج البلاغة: ٤١٥.
١٢٢. نهج البلاغة: ٤٠٦.
١٢٣. نهج البلاغة: ٤٠٨.
١٢٤. نهج البلاغة: ٤٠٩.
١٢٥. نهج البلاغة: ٤٠١.
١٢٦. نهج البلاغة: ٤١٤.
١٢٧. نهج البلاغة: ٤٠٤.
١٢٨. نهج البلاغة: ٤٠٥.
١٢٩. نهج البلاغة: ٤٠٧.
١٣٠. نهج البلاغة: ٤١١.
١٣١. نهج البلاغة: ٤٠٢.
١٣٢. نهج البلاغة: ٤١٦.
١٣٣. شرح نهج البلاغة: ٨٠ / ٩.
١٣٤. ينظر: تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي: ٨٤ و: ١٧٩.
١٣٥. نهج البلاغة: ٤٠٣.
١٣٦. نهج البلاغة: ٤٠١ - ٤٠٢.
١٣٧. نهج البلاغة: ٤١٦.
١٣٨. نهج البلاغة: ٤١٥.
١٣٩. نهج البلاغة: ٤١٧.
١٤٠. نهج البلاغة: ٤٠٩.
١٤١. نهج البلاغة: ٤٠٧.
١٤٢. نهج البلاغة: ٤١٢.
١٤٣. نهج البلاغة: ٤٠١.
١٤٤. نهج البلاغة: ٤٠٤.
١٤٥. نهج البلاغة: ٤٠٦.
١٤٦. نهج البلاغة: ٤٠٤.
١٤٧. نهج البلاغة: ٤٠٥.

## المصادر

١. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، تأليف الدكتور ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، ١٩٨٢ م.
٢. تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، تأليف نورمان فالكوف، ترجمة دكتور طلال وهبه، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت - الحمراء، ط١، ٢٠٠٩ م.
٣. التحليل النقدي للخطاب التاريخ والبرنامج والنظرية والمنهجية، تأليف روث فوداك وميشيل ماير، بحث منشور في كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك، وميشيل ماير، ترجمة حسام أحمد الفرج وعزة شبل، مراجعة عماد عبد اللطيف، منشورات المركز القومي للترجمة، مصر - القاهرة، ط١، ٢٠١٤ م.
٤. الجوانب النظرية والمنهجية في التحليل النقدي للخطاب وتحليل التصرفات لدى فوكوه، تأليف سيغفريد ياغر وفلورينتاين ماير، بحث منشور ضمن كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك، وميشيل ماير، ترجمة حسام أحمد الفرج وعزة شبل، مراجعة عماد عبد اللطيف، منشورات المركز القومي للترجمة، مصر - القاهرة، ط١، ٢٠١٤ م.
٥. الحاكمة في ظلال القران الكريم، تأليف عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٤ م.
٦. دراسات الخطاب النقدي: المقاربة المعرفية الاجتماعية، (تون أفان دايك) بحث منشور في كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك، وميشيل ماير، ترجمة حسام أحمد الفرج وعزة شبل، مراجعة عماد عبد اللطيف، منشورات المركز القومي للترجمة، مصر - القاهرة، ط١، ٢٠١٤ م.
٧. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تأليف القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري، عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨. الراعي والرعية، تأليف توفيق الفكيكي، صحح وضبط متونه سيد إياد الحسيني، منشورات دار الغدير، مطبعة معراج، ط ١، ١٤٢٩هـ.
٩. شرح نهج البلاغة، تأليف ابن أبي الحديد، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت، ط ٢، ٢٠١٢-١٤٣٣هـ.
١٠. علم اللغة العام، تأليف فردينان دي سوسير، ترجمة الدكتور يوثيل يوسف عزيز، ط ٢، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٨م.
١١. علي بن أبي طالب سلطة الحق، تأليف عزيز السيد جاسم، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد، ط ٢، ٢٠١٢م.
١٢. فحوص وتوازنات كيف تضيف المدونات اللغوية إلى التحليل النقدي للخطاب، (جيرلند ماونتر)، بحث منشور ضمن كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك، وميشيل ماير، ترجمة حسام أحمد الفرج وعزة شبل، مراجعة عماد عبد اللطيف، منشورات المركز القومي للترجمة، مصر- القاهرة، ط ١، ٢٠١٤م.
١٣. مقارنة جدلية- علائقية للتحليل النقدي للخطاب في البحث الاجتماعي، تأليف نورمان فاكلوف، بحث منشور في كتاب مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك، وميشيل ماير، ترجمة حسام أحمد الفرج وعزة شبل، مراجعة عماد عبد اللطيف، منشورات المركز القومي للترجمة، مصر- القاهرة، ط ١، ٢٠١٤م.
١٤. نهج البلاغة. تحقيق محمد عبده، الناشر ذوي القربى، ط ٣، ١٤٢٩هـ، مطبعة ستارة، قم إيران.
١٥. وظائف اللغة عند ياكوبسن، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، ١٢ مايو ٢٠١٣م، محمد عبد الودود أبغش، [wedoud.blogspot.com](http://wedoud.blogspot.com)
١٦. الهويّة، تأليف أليكس ميكشيللي، ترجمة علي وطغة، دار الوسيم، دمشق، ١٩٩٣م.

## المحتويات

### استراتيجية الحجاج التواصلي

في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الأشتر (مقاربة تداولية)

٧	..... المدخل
٧	..... مفهوم الحجاج التواصلي
٩	..... أ- النموذج الوصلي للحجة:
٩	..... ب- النموذج الإيصالي للحجة:
٩	..... ج- النموذج الاتصالي للحجة:
١١	..... المحور الاول: الاستراتيجية التضامنية:
١٥	..... المحور الثاني: الاستراتيجية التوجيهية:
١٧	..... أولاً: الأمر
٢٥	..... ثانياً: النهي
٢٧	..... الفعل التوجيهي (النهي)
٢٨	..... الخاتمة:
٢٩	..... الهوامش:
٣٢	..... مصادر البحث:

أثر المرجعيات الفكرية لشراح نهج البلاغة في شرحهم (العهد العلوي)

٣٧	..... المقدمة
٣٨	..... أولاً: ابن أبي الحديد المعتزلي:
٤٠	..... ثانياً: ابن ميثم البحراني:

٤٣	مؤلفاته:
٤٤	ثالثاً: حبيب الله الهاشمي الخوئي:
٤٤	منهج شراح نهج البلاغة في الشرح:
٤٦	أثر المرجعيات الفكرية للشراح في شرحهم العهد العلوي:
٥٣	الخاتمة:
٥٤	التوصيات:
٥٥	الهوامش:
٥٨	المصادر:

### الاستبدال وأثره في اتساق النص

#### عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشرع إنموذجا

٦٣	الملخص:
٦٤	المقدمة:
٦٦	معايير النص:
٦٧	الاتساق:
٦٨	مفهوم الاتساق:
٦٩	وسائل الاتساق:
٧٠	- الاستبدال:
٧٢	المبحث الأول: الاستبدال القولي أو العباري:
٧٣	أولاً: الاستبدال باستعمال اسم الإشارة (هذا):
٧٦	ثانياً: الاستبدال باستعمال اسم الإشارة (ذلك):
٧٩	ثالثاً: الاستبدال باستعمال اسم الإشارة أولئك:
٨١	المبحث الثاني: الاستبدال الاسمي:
٨٥	المبحث الثالث: الاستبدال الفعلي:
٨٧	الخاتمة:
٨٩	الهوامش:
٩٤	قائمة المصادر والمراجع:

الألفاظ الغريبة في نهج البلاغة  
عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)  
لمالك الأشتر أنموذجا

ملخص البحث:	١٠٠
المقدمة:	١٠١
التمهيد: الغريب في اللغة والاصطلاح	١٠٢
المبحث الأول: الغريب في نهج البلاغة	١٠٦
المبحث الثاني: الغريب من الألفاظ والمعاني في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه):	١١١
أولاً: الأسماء الغريبة في العهد	١١٤
ثانياً: الأفعال الغريبة في العهد	١١٦
المبحث الثالث: الغريب من الاشتقاق في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه):	١٢١
أولاً: المصادر الغريبة في العهد	١٢١
ثانياً: الجموع الغريبة في العهد	١٢٥
ثالثاً: المشتقات الغريبة في العهد	١٢٦
الخاتمة:	١٢٩
ثبت المصادر	١٣٠
الهوامش	١٣٤

الأمر وأنماطه الفنية في عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر  
الى المؤتمر المختص بـ ((عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر))

المقدمة	١٤٣
المبحث الأول: مفهوم مصطلحات البحث اللغوية والاصطلاحية	١٤٥
المبحث الثاني: مضامين عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر	١٤٧

المبحث الثالث: أسلوب الأمر وصيغته ودلالاته في اللغة العربية .....	١٤٩
المبحث الرابع: أنماط الأمر ودلالاتها في عهد الإمام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر (رضوان الله عليه).....	١٥٢
الخاتمة .....	١٥٧
هوامش البحث .....	١٥٨
المظان الأساسية للبحث (المصادر والمراجع).....	١٦٣

### الجمهور مركزاً للخطاب

#### قراءة في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه)

المقدمة .....	١٦٩
ثانياً: سلطة الجمهور في الخطاب السياسي: .....	١٧٣
المحور الأول: الأسس الأولية لملامح انتاج الخطاب .....	١٧٦
المحور الثاني: تقنيات الاستعمال اللغوي في انتاج الخطاب .....	١٨٠
هوامش البحث .....	١٩٢
الخاتمة .....	١٩٤
المصادر .....	١٩٦

### السبب النصي في

#### العهد العلويّ الإحالة أنموذجاً

مقدمة .....	١٩٩
المبحث الأول: معنى النص .....	٢٠٠
المبحث الثاني: معنى السبب .....	٢٠٣
المبحث الثالث: معنى الإحالة .....	٢٠٥
اقسام الإحالة .....	٢٠٦
أولاً/ الإحالة بالضمائر .....	٢٠٨
ومن النظر الى الجدول السابق يتبيّن الآتي: .....	٢١٢
ثانياً/ الإحالة بأسماء الاشارة .....	٢١٥
ثالثاً/ الإحالة بالأسماء الموصولة .....	٢١٩

٢٢٣	نتائج البحث
٢٢٦	هوامش البحث
٢٣٢	المصادر والمراجع

### المكونات الإعلامية واثرها في ابعاد الخطاب

دراسة لسانية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضي الله عنه)

٢٣٩	الملخص
٢٤٠	المقدمة
٢٤٢	المبحث الأول: المكونات التركيبية
٢٤٢	أولاً: الأفعال الاعلانية
٢٤٣	ثانياً: التراكيب السطحية
٢٤٨	ثالثاً: التراكيب العميقة
٢٥١	رابعاً: أبنية المطابقة
٢٥٢	المبحث الثاني: المكونات التصورية
٢٥٢	أولاً: المجاز
٢٥٥	ثانياً: الكناية
٢٥٥	ثالثاً: التعريض
٢٥٦	رابعاً: التشبيه
٢٥٧	خامساً: البديع
٢٦١	خامساً: الايجاز
٢٦٣	سادساً: الاطناب
٢٦٤	الخاتمة
٢٦٥	الهوامش
٢٦٩	روافد البحث

## دلالات توصيل الخطاب بالصيغة الأمرية

في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشر دراسة في ضوء لسانيات التداول

- مدخل / التداولية ولسانيات التوصيل ..... ٢٧٥
- كتاب العهد وتداولية الصيغ الامرية ..... ٢٧٧
- تداولية صيغ الأمر المباشرة..... ٢٧٩
- تداولية صيغ الأمر غير المباشرة ..... ٢٨٢
- ١- دلالة الوجوب بالإنزام والتنفيذ/ ..... ٢٨٤
- ٢- دلالة المناصحة والإرسترشاد ..... ٢٨٧
- ٣- دلالة الاختيار والترجيح ..... ٢٩٠
- ٤- دلالة الجواز والقبول ..... ٢٩٢
- ٥- دلالة التفويض ..... ٢٩٥
- دلالة الإخبار ..... ٢٩٧
- الخاتمة ..... ٢٩٩
- الهوامش ..... ٣٠٠

أسلوبية التوازي الصوتي في عهد الإمام علي (عليه السلام)

إلى مالك الأشر (رضي الله عنه) - مقارنة تطبيقية -

- ملخص البحث: ..... ٣٠٩
- مهاده نظري: ..... ٣٠٩
- أنماط التوازي: ..... ٣١٢
- ثبت المصادر ..... ٣٢٢
- الهوامش ..... ٣٢٤

اسلوبية الحجاج في عهد الامام علي (عليه السلام)

لمالك الاشر (رضي الله عنه)

- توطئة: ..... ٢٩
- المحور الاول: التعريف بالعهد ومضامينه الموضوعية ..... ٣٣٠

٣٣٠.....	اولا: المؤلف او المرسل (الامام علي بن ابي طالب عليه السلام)
٣٣٢.....	ثانيا: المتلقي النصي (المرسل اليه) وهو مالك الاشر: .
٣٣٣.....	ثالثا: مضامين العهد (الرسالة النصية):
٣٣٦.....	المحور الثاني: مفهوم الحجاج
٣٣٨.....	المحور الثالث: حجاجية التراكيب والاساليب
٣٤٧.....	المحور الرابع: حجاجية الصورة
٣٥٢.....	قائمة الهوامش والمصادر:

مقصدية التواصل في عهد الإمام علي (عليه السلام)  
لمالك بن الأشر (رضي الله عنه)

٣٥٩.....	ملخص البحث
٣٥٩.....	تمهيد للموضوع وبيان الأهمية:
٣٦١.....	التمهيد
٣٦١.....	التواصل لغةً واصطلاحاً
٣٦٤.....	عناصر العملية التواصلية
٣٦٦.....	المبحث الأول: مفهوم التواصل بين العرب والغرب
٣٧١.....	المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لنظرة التواصل ووظائفها في العهد
٣٧١.....	١- الاقناع والتواصل
٣٧٢.....	٢- الافهام والتواصل
٣٧٣.....	٣- الكلام والتواصل
٣٧٣.....	٤- التواصل واسماء الاشارة والاسماء الموصولة
٣٧٤.....	٥- التواصل والاسلوب الانشائي
٣٧٥.....	٦- التواصل والايقاع الصوتي
٣٧٦.....	الخاتمة
٣٧٧.....	الهوامش
٣٨٣.....	قائمة المظان:

## إستراتيجية الخطاب المتداخل

في عهد الإمام علي - عليه السلام - لمالك الأشتر - رضي الله عنه -

(مقاربة في ضوء المنهج التناسي التحليلي)

المقدمة:	٣٨٧
المبحث الأول: البعد التنظيري في مصطلحات الدراسة ومنهجها المتبع	٣٨٩
أولاً: الخطاب، الإستراتيجية، الخطاب المتداخل - المفهوم والأبعاد:	٣٨٩
٢- الإستراتيجية:	٣٩٣
٣- الخطاب المتداخل:	٣٩٤
ثانياً: في المنهج المتبع - أبعاده وآلياته -:	٣٩٥
المبحث الثاني: البعد الإجرائي: استراتيجيات الخطاب المتداخل مع الخطاب القرآني	٣٩٨
١- إستراتيجية الاجترار:	٣٩٨
٢- إستراتيجية الامتصاص:	٤٠٠
خاتمة الدراسة ونتائجها	٤٠٤
هوامش الدراسة	٤٠٥
مصادر الدراسة ومراجعها:	٤٠٦

## ألفاظ طبقات الرعية

في عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الى واليه مالك الأشتر رضي الله عنه

- دراسة في اللفظ و التركيب -

توطئة:	٤٠٩
الطبقة:	٤١٠
نبدأ بأولى الطبقات وهي ١- الجنود:	٤١٤
٢- كتاب العامة والخاصة:	٤١٩
٣: قضاة العدل	٤٢٢
٤- عمال الانصاف والرفق:	٤٢٥
٥- عمال الخراج:	٤٢٩

- ٤٣٦..... ٦- التجار وذوي الصناعات: .....
- ٤٤٠..... ٧- الطبقي السفلى: .....
- ٤٤٥..... الخاتمة: .....
- ٤٤٦..... المصادر والمراجع: .....

قال الإمام علي (عليه السلام) ((واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم...))

دراسة تحليلية في ضوء اللسانيات التواصلية

- ٤٥١..... المدخل: .....
- ٤٥٤..... المحور النظري الإطار التأسيسي: .....
- ٤٥٨..... المحور التطبيقي: .....
- ٤٦٩..... الخاتمة: .....
- ٤٧١..... هوامش البحث: .....
- ٤٧٧..... المصادر والمراجع: .....

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه)

دراسة في هدي التحليل النقدي للخطاب

- ٤٨٣..... ديباجة البحث: .....
- ٤٨٤..... المحور الأول: أساسيات المنهج النقدي لتحليل الخطاب: .....
- ٤٩٤..... المحور الثاني: ضروب الخطاب: .....
- ٥٠٨..... المحور الثالث: انماط المعاني النصية: .....
- ٥١٦..... المحور الرابع: الصياغات اللسانية: .....
- ٥٢٧..... الخاتمة: .....
- ٥٢٩..... الهوامش: .....
- ٥٣٤..... المصادر: .....